كولن ولسون

طقوس في الظلام

دار الآداب

Bibliotheca Alexandrina
0018476

كولن ولسون

طقوس في الظلام

نقله الى العربية
فاروق محمد يوسف

منشورات دار الآداب - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الخامسة
١٩٨٦

الفصـــل الاول

غادر النفق الارضي من زاوية هــايد بارك ، خعيض الراس ، متجاهلا الناس الذين كانوا يتزاحمون حوله ، تاركا لهم امر الابتعاد عن طريقه . لقد كره الجموع لانها كانت تتحداه . كان اذا سمح لنفسه بملاحظتهم يواجه في نفسه افكارا مثل : كم تضم هذه المدينة الدمويه من الناس ، اننا لفي حاجة الى مذبحة للتقليل من عددهم . وكان حين يكتشف في نفسه مثل هذه الافكار يشعر بالغثيان . لم يكن يميل الى قتل احد . ولكنـه لم يستطع التحكم في كرهه للجموع . لقد تجنب للسبب عينه ان ينظر الى الاعلانات التي تحفل بها المدرجات المتحركة الهابطة الى انفاق لندن . ولكن النظرة العارضة جدا كانت كافية لتزيل كثيرا من الاحقاد . لقد كانت الصور نصف العارية التي تعلن عن ملابس النساء الداخلية وجواربهن كفيلة بان تبعث باحساس لاهب الى حلقومه ، وبهزة مفاجئة تشبه القاء عود من الثقاب على قطعة من القماش منقوعة بالبترول .

وانهمر رذاذ خفيف داكن ، وكانت السيارات العابرة تنترحولها رشاشا من الماء الطيني . واحكم ازرار معطفه ورفع الياقة حول رقبته ، ثم فتح مظله نسائية كان يعلقها من حمالتها حول رسغه ، وتضاءل عدد الناس حين كان يعبر كروسفينسر كريسنت ، وراح يبطيء في السـير ، مستمتعـا بصوت المطر على المظلـة .

ووقف خارج البوابات الحديديـة المذهبة وراح يبحث في جيوبـه عن النقود . كان مدخل المحل يختفى خلف خيمة ملفعة بالشرائط تتوجها قبـة روسية مبصلة ، وينهض الى جانبها تمثالان يمثلان زنجيين ضخمين يستندان الى القوس المرمري الذي كان يشكل مدخل الخيمة . وخفض مظلته وهزها قليلا ليخلصها مما علق بها من قطرات المطر . ولاحت له جدران المحل خلف

الخيمة سوداء مهجورة .

كان مدخل القاعة يتنفس برائحة الملابس المبللة . وكان هنالك خط من المنتظرين الذي كانوايعدون حوالي الستة اشخاص، يقفون قرب نافذة البطاقات. اما الجدران الداخلية في الخيمة فقد كانت مغطاة بشرائط حمراء ومذهبة من الورق .

كان بيع البطاقات قد تأخر قليلا ، وكان هنالك رجل في منتصف العمر، يحنج بصوت ذي لكنة اجنبية قائلا :

ــ ومع ذلك ، فأنا تلميذ في مدرسة لندن للاقتصاد . كل ما في الامر هو انني نسيت بطاقة الهوية . ولكنني احمل ايضا بطاقة هوية خاصة بغرفة مطالعة المتحف البريطاني اذا كانت تنفع . . .

واخرج سورم كتابا من جيب سترته الجانبي ومضى يقرأ . وتقدم خط المنتظرين قليــلا .

وشعر بان الرجل الواقف امامه ينظر الى كتابه ، محاولا ان يقرأ عنوانه من صفحة الغلاف . ورفع عينيــه وراى العينين الضيقتين البنيتين اللتين انصرفتا عنه مباشرة بشيء من الحرج . ولكنه استطاع في تلك اللحظــة ان يسجل وجها نحيفا طويل الفك لاح له مألوفا بصورة غريبة . كان قبيحــا ولكن بصورة لطيفة ، تغطيه حفر صغيرة تشبه اثار الجدري . ومرت لحظة اخرى ، واشترى الرجل تذكرته ، وصار في وسع سورم أن يلاحظ بصورة انم . ولكن تفحصه له لم يتح له ان يتعرف عليه . كان اطول من سورم رغم ان سورم كان يزيد على الستة اقدام قليلا . كانت بذلته الرمادية الغامقــة انيقة . وكان لوجهه النحيف عظمتان عاليتان عند الخدين ، وعينان تطلان من الزوايا . لقد كان وجهه مألوفا الى درجة ان سورم ظل يحملق فيه طويلا، واكتشف نفســه فجــأة يحملق في العينين البنيتين المطلتين من الزوايا مرة اخرى وابتسـمتا له قليلا ، ثم استدار الرجل وسار في طريقه . وفجاة تأكد لسورم انه لم يكن قد رآه من قبل . كانت بائعة التذاكر تسأل : تلميذ ؟

ــ نعم .

ــ شلن وستة بنسات من فضلك . المنهج ؟

كانت المدرجات التي تقود الى خارج الخيمة تدور حول جدارها المصنوع من القماش وتكشف عن المساند الصدئة التي كانت تدعمها . وسار مسرعا ، كارها الذكريات المزعجة التي بعثتها المساند الى نفســه . وأدت به المدرجات الى مدخل كان قد انشيء في محل نافذة في الطــابق الاول ، واســتخدم بابا للمعرض. وسرعان ما بددت الغرفة الاولى مشاعر الكره في نفسه . كانت قد صممت لتلوح كشارع من شوارع باريس . وكانت هنالك قضبان حديدية ومنظر لنهر

السين بين البيوت . وكانت هنالك تحت اغصان شجرة عالية لوحة كتب عليها : ملهى الشانزيليزيه . الباليه الروسية . وكانت هنالك لوحة كبيرة لنجنسكى تمثله « شبح الزهرة » . وكانت ممضاة من قبل كوكتو .

كان المكان دافئا ، ولم يكن هنالك احد آخر في الغرفة . وتبدد في نفسه الشعور المتوتر الذي كان قد خلفه المطر والجموع . وانبعث من غرفة اخرى صوت موسيقي . ووضع الكتاب في جيب سترته، ودفن يديه عميقا في جيوب معطفه واستسلم تماما للشعور بالحنين الذي اثارته الغرفة في نفسه . ووقف هنالك بضع لحظات دون ان يتحرك . حتى سمع وقع اقدام بعض الناس وأصواتهم من ناحية المدرجات ، وسار مسرعا مخلفا وراءه لوحة بافلوفا التي كانت تواجه لوحة نجنسكي ، وارتقى السلم الخشبي الضيق الى الطابق الثاني

كانت الموسيقى عالية هنالك ، وقد عرف فيها الرقصة الاخيرة في «طير النار » ، صوت البوق الخافت المطول . وبعث ذلك الصوت بهزة دافئة من الغبطة في عضلات ظهره وكتفيه ، وكذلك في جلدة رأسه . كان الناس يرقون السلم الان خلفه . وهرع الى الغرفة الغارقة في النور ــ كان هنالك شخص واحد فقط : الرجل الذي كان يقف امامه في خط الانتظار . وساقته الاصوات ووقع الخطى التي كانت تأتي من ناحية السلالم الى الغرفة التالية . وثار في اعماقه شعور عنيف بالكره لاولئك الذين كانوا يثرثرون عواطفهم بالكلمات . كان هنالك صوت بطيء منمق يقول : .... وكدنا ان نلتقط صورة له . كان هنالك على الشاطىء ، يرتدى ملابس الاستحمام . وامسكت ليتي بآلة التصوير ، ولكنها لم تكن سريعة تماما .... اذ انه اتم ارتداء الملابس . كانت ستكون صورة ممتازة ــ صورة لبيكاسو وهو عار ....

وتوقفت الموسيقى ، وخفت الصوت بعد ان اربكه الصمت . وفجأة عادت الموسيقى ثانية ، قوية عنيفة غير منسجمة ناشزة . بحيث انها اغرقت جميع الاصوات الاخرى . وعرف فيها (مقطوعة سيذيا) لبروكوفييف ، وابتسم . وكانت ضوضاء الموسيقى تهز المعرض الزجاجي في داخل الغرفة ، وتعزله عن الناس تماما كما يفعل الصمت. وراح يتفحص برضى تصميمالبينوا

لم تكن الغرف مزدحمة، واستطاع ان يتفحص محتوياتها ببطء،عائدا الى الغرفة الاولى حين التقى بالناس الذين كانوا خلفه ــ ضابط عسكرى تصحبه فتاتان.

* * *

ومرت ساعة ، وكانت مكبرات الصوت تذيع (القبعة المثلثة) ، وكان هو ما يزال في الطابق الاول ، في معرض الصور . وكانت الحرارة تثير فيه

النعاس ، وكان الجو مثقلا برائحة غريبة لاح له انها قد تكون مخدرا . وبينما كان يمعن النظر في لوحة تصور سترافنسكي ، لاحظ التمثال النصفي . وكان ينهض على قاعدة مكعبة من المرمر تقبع مباشرة تحت لوحة زيتية لراقصة باليه ترتدي بذلة بيضاء . وكانت الكتابة المحفورة عليه تقول : نجنسكي ، صنع اونا تراوبرج ، وهنا تذكر وجه ذلك الغريب . لقد كان يشبه نجنسكي.

كان قد رأى في مكان ما منذ زمن بعيد صورة فوتوغرافية كانت تصور ذلك التعبير نفسه ، وكان ذلك الوجه النحيف ، الذي يشبه وجه اله الغاب اللاتيني ، قد ترك في ذهنه أثرا عميقا . وبينما كان يحملق في التمثال ، بدا الشبه يختفي رويدا . ونظر حوله بصورة اوتوماتيكية ليرى اذا كان الرجل قريبا منه . ولكنه لم يره . وخمن في خمول : ترى هل انه احد اقرباء نجنسكي ؟ أو ربما ابنه . ولكنه لم يتذكر أنه كان لنجنسكي ولد ، وانما كانت له ابنة . لم يكن التمثال يشبهه تماما ، على كل حال . بل انه لم يكن ليشبه نجنسكي نفسه . كان يصوره بطريقة مثالية .

كان الرجل في غرفة شيريكو في أعلى السلم . وكان يقف متكئا على مظلة ، يتفحص احد التصاميم . وعبر سورم الغرفه ووقف قريبا منه ، بحيث كان يستطيع ان يراقب وجهه من زاوية عينه . كان الشبه موجودا بالتأكيد ، ولم يكن الامر تخيلا من جانبه . وادار راسه نحوه اكثر قليلا ، وكأنه كان يتفحص التصميم المعروض الى يساره ، واتيح له ان يتفحص الوجه جانبيا .

ولم ينظر الغريب اليه ، وانما قال فجأة :

ــ كان عليه أن يصنع تصاميم اخرى للباليه .

ومرت لحظة ، حسب فيها سورم أن الرجل كان يتحدث الى احد يقف في الناحية اليسرى ، ولكنه ادرك ، بسرعة ايضا انهما كانا وحيدين في الغرفة . ولم يحول الرجل بصره عن التصميم الذي كان يتفحصه . وقال سورم :

ــ المعذرة ؟

ــ شيريكو لم يصنع شيئا أفضل من هذا التصميم لـ : «حفلة الرقص» (le bal) الا توافقني على هذا ؟

وأجاب سورم قائلا : ــ لست اعرف ، اذ انني لا أعرف أعماله .

ونظر الغريب اليه ، وابتسم . وادرك سورم ان الغريب كان يرقبه في الزجاج الذي كان يغطي التصميم ، منذ أن دخل الغرفة . وبدأ يشعر بشيء من الضيق والحرج . كان في صوت الرجل ما يشير الى انه كان شاذا جنسيا كان صوتا باردا مطولا قليلا .

وقال الرجل : ـ كان في وسعي أن اقسم انني كنت أعرفك، حين دخلت الغرفة ، فماذا تظن ؟

ـ لست أظن ذلك .

واستقرت العينان عليه بلا اكتراث . وكان يلوح كمن يتفحص حصانا .

وفكر سورم فى نفسه : اللعنة ـ انه يتصور انني شاذ ايضا .

وقال الرجل : ـ حسبت انـك كنت تعرفني . لقد نظرت الي وكأنك كنت تعرفني .

وفاض صوتـه فجأة بنغمة من الاعتـذار . وتلاشى ضيق سورم . وخفض عينيه وابتلع ريقه ليقول :

ـ الحق انى تصورت فعلا انني عرفتك . ولكنني لا اظن ذلك ممكنا .

ـ ربما . ان اسمي هو اوستن نن . وقد لاح لي بالتأكيد انني عرفتك .

ـ اوستن نن ؟ هل الفت كتابا عن الباليه ؟

وشعر سورم بشيء من الحماسة والغبطة ، حين استعاد الـذكرى : صورة نجنسكي الفوتوغرافية .

ـ انني اتذكرك بالطبع . لقد قرأتهما معا . اذن هذا هو السبب الذي جعلني اتصور انني كنت اعرفك .

ـ انك تدهشني . لقـد كانت صورة فوتوغرافيـة سيئـة ، صورتي على الغـلاف .

ـ كلا ، لم ارها ، وانما رأيت صورة تمثال نجنسكي النصفي . الم يكن ذلك في كتابك ؟

ـ اتعني اونا تراوبرج ؟ لقد وجدتها كارسارفينا في دكان للكتب القديمة في زقـاق سنت مارتن ، ولم أكن أعلم بوجود مثل هذه الصورة من قبل . ولكنني أعرف ماذا تعني . صورة نجنسكي في l'après - midi (1) . الرأس والكتفان ؟

وهنا شعر سورم فجأة بالضيق والكآبة . وأحس بان حماسته قـد وضعته في مكان المعجب ، مجرد من هواة الشخصيات . وفي تلك الاثناء استدار نن ، قائلا بصوت يفيض بالسأم :

ـ على كل حال ، فان الصورتين معا لا تمثلان نجنسكي تماما . والواقع انني استخدمت صورة l'après - midi لان بعض الاصدقاء اخبروني

---

(1) الكلمات باللغات الاخرى الموضوعة مقصودة لتعيين طريقة المتحدث في الكلام ـ المترجم

بانهـا تشبهني .
ونظر سورم الى ساعته وقال : ـ حسنا، ارجو الا يكون قد ضايقك سؤالي .
ـ مطلقا . هل انت على عجل من امرك ؟ ترى هل رأيت كل شيء هنا ؟
ـ كلا ، وانما قضيت هنا ساعة ونصفا ، ولست اعتقد انني ساقضي وقتـا اطول .
ـ انك محق بلا شك . هذه هي المرة الرابعة التي أطوف فيها المكان . لقد رأيته حين تم افتتاحه في ادنبره .
وقال سورم بشيء من الضيق : ـ يجب أن أذهب .
ـ اسمع ـ لماذا لا تأتي معي وتشرب شيئا؟ سيحين موعد الافتتاح(١) قريبا .
وتردد سورم ، وفي الوقت ذاته اغضبه ان يجد في نفسه هذا التردد . لقد كان يستمتع بمشاعر الميل والكره التي اثارها نن في نفسه . ولم يكن يكره الشواذ جنسيا بصورة خاصة ، وانما كان يدرك ان نتائج كون المرء بصحبة احدهم قد تكون صعبة . وقال دون أن ينق بما كان يقول :
ـ لست اعرف اية حانة قريبة هنا .
ـ اما انا فاعرف . بل هناك الكثير . هيا معي لتشرب كأسا سريعة . انني احب دائما ان اقابل الناس الذين يبدون ولعا في البـاليه . اي طريق ستتبع ؟ النفق ؟
ـ اجل .
ـ هذا ينهي كل شيء . فالانفاق مزدحمة في هذه الساعة ، والافضـل لك ان تقضي بعض الوقت هنا وهنالك .
وتبعه سورم الى أسفل السلم ، وقال نن عبر كتفه :
ـ لم تخبرني باسمك .
ـ جيرارد سورم .
ـ سورم ؟ أنه اسم غريب ، هل هو فرنسي ؟
ـ لست اعرف . ان عائلتي هي من يوركشاير ، ويعتقد والدي ان هذا الاسم في لهجة يوركشاير تحوير لسومز .
كانا يعبران معرض الصور . وسأله سورم :
ـ هل تلاحظ هذه الرائحة الغريبة ؟
ـ اجل . أتعرف ما هي ؟

---

(١) موعد افتتاح مشارب لندن .

ـ كلا .

ـ انها تدعى «متسوكو» . لقد كانت الرائحة المفضلة عند دياكيليف . شرقية . ستشمها بصورة أشد هنا .

كانا يعبران غرفة تضيئها مصابيح زرقاء ، صممت لتلوح كمسرح مسحور ، وكانت الرائحة شديدة هنالك . ولاح انها كانت تنبعث من أزياء الباليه القديمة التي كانت معلقة في فضاء الغرفة الازرق ، تحيط بها مناظر المسرح الخلفية ، وتبعتهما الرائحة الى مدخل قصير ، ثم الى غرفة حافلة بالكاريكانور ، ثم الى الخارج نحو مدرج مزوق بلوحة تمثل اسطوره « الجمال النائم » . وصافحت اذانهما ضوضاء الموسيقى حين هبطا المدرج ، وكان نن يسير في مرح وهو يؤرجح مظلته . كان يتميز بمشية الراقص البديعة ، وكانت طريقته في هبوط السلالم تتميز بطابع مسرحي . وسأل سورم :

ـ ماذا جعلك تعرأ كتبي ؟ هل انت مولع بالباليه ؟

ـ كنت كذلك حينا من الزمن ، ولكنني لست كذلك الان .

ـ واين تدرس ؟

ـ ما الذي يدفعك الى الاعتقاد بانني تلميذ ؟

ـ انك تحمل بطاقة تلميذ في جيبك العلوي . وعلى كل حال فانك تلوح تلميذا .

وصارا في الخارج مرة اخرى ، وتوقفا عند تماثيل الزنوج الضخمة ، وكان الرذاذ يهطل باستمرار .

وقال سورم : ـ لست تلميذا ، ولكن الجميع يعتقدون انني تلميذ ، لسبب من الاسباب . اعتقد ان ذلك يرجع الى وجود النمش على بشرتي .

كان يتساءل كيف سيكون في وسعه ان يخبر نن ، بسرعة ، وبلطف ، بانه لم يكن شاذا جنسيا . وبدأ يحاول أن يرفع المظلة ، ولكن نن منعه :

ـ لا تكلف نفسك هذا العناء ، ان سيارتي هنالك . هيا بنا نهرع اليها .

كانت سيارة سبورت حمراء طويلة ، ذات سقف من القماش . وفتح نن الباب بدون المفتاح ، ودخل سورم وراء عجلة المقعد الى المقعد الجانبي . واستدارت السيارة نصف دورة متقنة ثم انطلقت نحو ويلنكتن . وشكا نن قائلا :

ـ اعتقد انه سيكون هنالك توقف كثير في حركة المرور من هنا الى بيكادللي سركس .

ومضى سورم يحملق في الريشات التي كانت تتحرك على الزجاج الامامي ، وفي الضوء الاحمر المنبعث من اشارات المرور ، الذي كان يتألق عبر القطرات الحمراء في المنطقة التي لم تكن تصل اليها الريشات على الزجاج الامامي .

وبدأ نن يغني بصوت خافت ، بينه وبين نفسه :
« قطط على السطوح ، قطط على البلاط ... »
واتجهت السيارة نحو شارع دوفر ، وقال نن بنعومة :
ــ انه ليوم سعيد ، هيا تحرك ايها الولد العجوز .
كانت هنالك سيارة تحاول مغادرة الرصيف امام سيارتهما . وقاد نن السيارة بعناية نحو المكان الخالي وضغط على الفرامل. فجأة ، وقال :
ــ ثلاثة انخاب ــ لقد وصلنا . افتح بابك .
وخرج سورم الى الرصيف ورفع المظلة مباشرة . واغلق نن الباب ، وقال متضاحكا :
ــ بالله عليك دع هذا الشيء جانبا . سيظن رجال شرطة المنطقة انك تستوقف المارة .
ــ استوقف المارة ؟
ــ سيظنون انك تحاول الاعلان عن جنسك بين المنحرفين المحليين .
فقال سورم بجفاء :
ــ انا لست بمنحرف .
ثم خفض مظلته . فقال نن ضاحكا :
ــ لا تكن احمق ، فلم اكن جادا ، ولا اظنك كنت جادا ايضا .
ثم عبرا الطريق ، متجنبين سيارة تاكسي ، واتجها ثانية نحو بيكاديللي وقاده نن نحو باب مضاء .
ــ ها قد وصلنا . انت أولا .
كان دفء الهواء ممتعا،ونضا سورم عنه معطف المطر بمعونة رجل يرتدي بزة حمراء ثم سلم المعطف والمظلة الى خادم غرفة الملابس ، واحنى الرجل راسه لنن كما لو كان على معرفة جيدة به .
ــ طاب مساؤك ، يا سيدي .
ــ انعمت مساء ، جورج .
كان في الحانة شخصان اخران فقط . واشار نن الى سورم ان يجلس على مقعد في احد اركان الحانة . كان مقعدا عميقا مريحا .
ــ ماذا ستطلب ؟
ــ بيرة ؟
ــ لا يقدمون البيرة بالاقداح هنا ، يمكنك ان تأخذ بيرة خفيفة .
فقال سورم بضيق : عظيم . كان يحاول ان يتذكر ما عنده من النقود ، والمدة التي يجب عليه ان ينفقها خلالها ، ثم عقد ركبتيه وشعر برطوبة في

سرواله وراح يحدق في حافة السروال المنهراة وفي الشرائط الجلدية المخاطة في أكمام سترته . لم يكن مظهره الزري ليضايقه ولكنه لم يفقد تماما احساسه بمساويء ذلك . واخذ يفكر في نفسه : هل تراهم يسمحون لي بالدخول الى هذا المكان لو جئت لوحدي ؟ ثم استقر رايه على ان ذلك غير محتمل .

ووضع نن قدح البيرة امامه ، وجلس مواجها سورم على كرسي ونيسر حشي ظهره بالتبن ، ثم سكب كل محتويات زجاجة الجعة في قدح وسكي كبير وابتلع جرعة كبيرة منه واعاده الى مكانه وقال متنهدا :

ــ آخ ، ستكون سببا في موتي ، كما كانت سببا في موت ابي .

هل لـك فى سيكارة يا جيرارد ؟

ــ كلا شكرا ، لا ادخن .

ــ الا يضيرك ان ادعوك جيرارد ؟

ــ كلا بالطبع .

ــ حسنا . اسمي اوستن .

وذاق سورم البيرة . كانت مثلجة .

ــ قل لي ، يا جيرارد . اذا لم نكن طالبا ، فماذا تعمل ؟

ــ لا اعمل شيئا يذكر . اني اقوم بتاليف كتاب .

ــ ولكن كيف تعيش ، بالصحافة ؟

ــ كلا ، كان لي دخل خاص صغير جدا منذ ان كنت فيالحاديةوالعشرين

ــ اي قبل . . . ؟

ــ خمس سنين . ولدي فقط ما اشق به طريقي في الحياة . ولهذا فانا حقا من الاغنياء الكسالى ، ما عدا انني لست غنيا .

ــ هل انت من الكسالى ؟

ــ تقريبا .

ــ انت مثلي اذن . اعتقدت باني اكتشفت روحا توأما لروحي حالما رايتك . وبالمناسبة ماذا كنت تقرأ ؟

فسحب سورم من جيبه كتابا معقوف الغلاف ، وقال متضاحكا :

ــ مدخل الى الجنس ، تأليف فرانك هاريس .

ــ « حياتي وغرامياتي » ، لم اقرأ شيئا لهاريس . أهو كتاب جيد ؟

ــ انه كتاب مدهش .

ــ كيف ؟ ومن اية ناحية ؟

ــ اكاد لا اتمالك ابدا ان افتح فاهي ذهولا للطريقة التي ينتقل بها بين الفراش وخارجه . اعجب هل يوجد امثال هؤلاء الرجال .

ــ لم لا ؟

ــ اعني الرجال الذين تكون لهم هذه الشهوات المتنوعـــة . ان ذلك يذهلني . فنجنسكي ، ان تتـذكر ، اضطجـع مع زوجتـه ليـالي عديـدة قبل ان يبدأ بمغازلتها . ذلك امر طبيعي . ذلك ما يجب ان تكون عليه الامور

ــ هل يعجبك نجنسكي ؟

ــ اجل .

ــ لماذا ؟ انك لم تره يرقص ابدا ؟

ومضى سورم يتفرس في قدحه ، محاولا ان يهتدي الى الكلمـات التي تعبر عما يشعر به بدقة . ولكن ذلك لم يكن ممكنا . فلم يكن يعرف نن المعرفة الكافية ، وقال :

ــ من الصعب ان اشرح ...

ــ انتظر ، لنطلب شيئا اخر من البيرة اولا .

ــ ليس لي ، فلا أستطيع أن أتناول أكثر مما شربته من البيرة الان .

ــ اطلب وسكي ، اذن .

ــ حسنا ، ولكن دعني ...

ــ لا، لا، لا. اجلس حيث انت ولا تتحرك .

واومأ الى الخادم صائحـا :

ــ ما اشوقك الى حملي على الكلام . ترى ، ما الذى أعرفه مما قـد يعجبـك ؟

ــ اشياء كثيرة على ما اتصور . أعرف الان بعض الاشياء الملذة عنك .

ــ مثلا .

ــ انك في السادسة والعشرين ولك دخل صغير مستقل ولا يعجبـك العمل ، وهذا بحد ذاته ملذ . ان الفراغ الزائد يفسد أكثر الناس وفي وسعك ان ترى ذلك في وجوههم . غير ان وجهك لطيف لا ينم عن الانجراف في تيار الملذات . بل انه ليخامرني العجب : ما الذي تفعله بفراغك ؟ فليس لديك ما يكفيك من المال لتبدده في قيادة الطائرات او السفر الى الاقطار الاخرى كما افعل انا . فما الذي تفعله بفراغك ؟ فاجاب سورم :

ــ لا افعل الكثير . احاول الا افعل شيئا .

ثم وضع الخادم المشروب على المنضدة والقى نن بباون على الصينية . وقال نن بالالمانية وهو يرفع القدح :

ــ نخبك . واجاب سورم :

ــ نخبك .

وناول الحادم نن البافي ، فالفى نن قطعة من النقود على صينيتـــه ورسف سورم جرعة كبيرة من الوسكي سالت لها دموعه . وتناول منديله وتمخط فيه بفوه وبعد ان لاحظ لون المنديل دسه على عجل في جيبه . ورفع نن بصره من الكتاب الذى كان على الطاولة تم القى به الى سورم .

ـ لا يمكنني ان انصور كيف تستهويك متل هذه الاشياء .

فهز سورم كتفيه وافرغ زجاجة الجعة في قدح الوسكي . وشـــعر بتحسن كبير .

ـ لقد قرات الكبير .

وابتسم نن لهدا التملص من الاجابة ، واحتسى الخمـر وهو غارق في التأمل يحدق بانجاه رأس سورم . وسأل ببطء .

ـ ما هو موضوع الكتاب الذي تكتبه ؟ فاجاب سورم :

ـ احزر .

ـ نجنسكي ؟

ـ بالضبط .

ـ حقا ؟ هل بعالج نفس موضوع كتابي ؟

ـ لبس تماما . انه قصة .

وشرب نصف قدح الوسكي والجعة ، وتأكد له انه كان يحس بالانبساط والرضى . ولم تعد نضايقه طريقة نن في الاهتمام به ، بل بدأ يميل اليـــه . وقال نن :

ـ حدثني عن قصتك

ـ لا يسعني ذلك . انها ليست عن نجنسكي بالضبط وانما عن حالتـه العقليـــة .

ـ ماذا بعرف عنها ؟

ـ كان يؤمن بنفسه ، واكتر الناس لا يؤمنون بانفسهم .

ودخل الحانة حفنة من الرجال ، كلهم من رجال الاعمال . ودخل ايضا شاب نصحبه امراة ملفعة بالفراء .

واحس سورم بالكلمات بحتشد في أعماقه ولكنه ما لبث ان خنقها رغبة منه في الا يضجر نن . ومال الى الامام قليلا وهو يقول :

ـ عندما افكر في نجنسكي ومن تم انظر الى هؤلاء الناس اكاد لا اصدق ناظري . اتدري ، يقول نجنسكي في يوميانه ان الحياة صعبة لان احدا لم يدرك اهميتها . واني لاتخيله يطوف في الشوارع ليلا وهو أشبه بمرجل عالي الضغط يكاد أن ينفجر .

وتوقف سورم عن الكلام . كان يبدو على وجه نن الاهتمام التام ، وهو يصغي بجدية اكسبته شيئا من الظرف .

ــ نلاحظ ، اني انظر الى المسألة بهذه الطريقة . هب انك رأيت في نهاية حياتك رؤيا الهية . ذلك يبرر كل شيء . فلو استطعت ان تختبر رؤيا كهذه ستجعل العالم مختلفا . ستعيش كالشيطان ، كانسان مأخوذ . ذلك لانك ستعلم بانها تعني شيئا ما ، بانها لم تكن خلوا من المعنى . انظر . لا يعيش واحد من هؤلاء الناس حياته كاملة . انهم يعيشون بضعة ايام متفرقة فقط كل مرة . ومثلهم مثل الذي لا يتناول وجبة كاملة من الطعام مطلقا، بل لقمة في كل بضع ساعات ، او مثل الذي لا يصغي الى سنفونية كاملة في جلسة واحدة ، وانما يسمع نغمتين او ثلاثا في كل مرة مقسمة على عدد من الاشهر . تلك هي الطريقة التي يحيون بها . وعلى كل حال فهنالك من لا يعيش على هذ الصورة .

وقاطعه نن بنعومة قائلا :

ــ ما الذي يجعلك واثقا الى هذا الحد بان نجنسكي لم يعش بهذه الطريقة ؟

ــ كلا انه لم يعش بهذه الطريقة .

وقدم اليه نن علبة السجاير المفتوحة ، فهز سورم راسه قائلا :

ــ كلا ، شكرا .

ــ واشعل نن سيجارة ، وهو ينظر الى سورم من فوق المقدحة ، ثم اطلق نفثة من الدخان وهو يقول بارتياح :

ــ انك حقا لانسان غريب يا جيرارد .

وشرب سورم بقية الوسكي وهو يحدج نن بنظرة قاسية . ثم اومأ ثانية الى الخادم مشيرا بيده الى القدحين .

واستطرد بتمهل :

ــ ليس في هذا غرابة ، اذ اني مقتنع بأن الحياة يمكن أن تعاش ... بطريقة ما ، عشرين مرة اكثر تركيزا مما هي عليه الان ، واني لاقضي حياتي بطولها مفتشا عن السبيل الى ذلك . كم احسد المجانين . ولكني لسبب اجهله لا اجد السبيل اليها . غير اني اتعلق بالرموز ، وليس نجنسكي الا واحدا من رموزي .

ووضع الخادم على المائدة كأسين كبيرتين من الوسكي ، وقال سورم :

ــ سادفع ثمنها انا .

ــ كلا ، كلا ارجوك

فسأل سورم ، بعد ان ابتعد الخادم :
ـ لم تدفع انت ثمن ما أشربه ؟
ـ لان والدي ذو ثراء فاحش .
ـ آه
ـ تبدو كما لو صعقت ؟
ـ كلا . قل لي . ماذا تفعل انت بوقتك ؟
ـ اه ، انك لنمس موضوعا حساسا . لقد خلقت خمسين طريقة مختلفة لتبديده . أؤلف الكتب ـ وهي ليست جيدة جدا . احضر جميع الحفلات الموسيقية والاوبرا والباليه ، بحيث اني أطير الى فيينا وميلانو وبرلين لحضور الحفلات الموسيقية . لو كنت اكثر نفاهة مما انا عليه الان بقليل لتجرعت زجاجتين من شراب البيرنو فى اليوم وقضيت على نفسي في سنة واحدة . اما والحالة هذه ، فاني امتطي الطائرات ولي شغف بالسيارات السريعة .
فقال سورم بخبث ؟
ـ انت غير متزوج طبعا ؟
ـ كلا . لم أجد أبدا من أرغب في الاستقرار معها ، ولسبب من الاسباب فانى افضل البغايا . لا أظنك تفهم ذلك ؟
ـ كلا في الواقع . اني أكره البغايا ـ من كلا الجنسين .
ـ من الواضح انك مفتقر الى الاتجاه المازوكي .
ـ انى أكره الالم مهما كان نوعه ـ بالنسبة لي وللاخرين .
ـ ها ، جيرارد ، انت تتحدث كالاخلاقي . ينبغي الا يكون المرء اخلاقيا
ـ انت لا تفهم . المسألة ليست مسألة أخلاق ، انها ما سبق وقلته ـ عليك ان تعمل على فرض ان هناك رؤيا من الممكن حدوثها تجمع معنى الحياة بكليتها . ولو امكن ذلك ، فينبغي على كل انسان أن يعيش كما لو كان هذا هدفه .
ـ اذن فانت اخلاقي فعلا يا جيرارد . يجب أن اقدمك الى عمتى فستروق لك .
ـ لماذا ؟
ـ هي أيضا أخلاقية . انها غير راضية عني ، وهي من شهود يهوة . وتعتقد أن يوم الحساب الاخير وشيك الوقوع في أية لحظة . وهذا ما تريده انت ، اليس كذلك ؟ اناس يؤمنون بيوم الحساب الاخير .
ـ انك لعلى حق ، ذلك ما ارومه بالضبط .

ـ اتود أن تعلم ما أريده انا ؟
ـ ماذا تريد ؟
ـ شيئا آكله . هل نذهب لتناول وجبة ؟
ـ اين ؟
ـ في اي مكان . مطعم لبوني او فكنور او اي محل آخر .
ـ ينبغي أن أذهب .
ـ اوه ، كلا . هل ان ما يقلقك هو النقود ؟ عندي الكثير منها . انظر .
واخرج نن محفظة نقوده واخذ يلوح بها تحت أنف سورم ، ووقع بصر سورم على حشوة من الدنانير . وادرك ان الخمر اخذت تلعب برأس نن ، كما ساوره الشك في أن يكون تصرفه هو كما لو انه كان اشد سكرا مما هو عليه في الواقع .
ـ كلا ، لا أفضل البقاء حقا .
ـ ولكن يجب أن تبقى ، لا أريدك ان ترحل الان . انك لا تريد الذهاب اليس كذلك ؟
ـ كلا ولكن . . .
ـ حسنا ، لا يمكننا أن نستمر في الشراب على معدة خالية ، كما أن الخمر أخذت تلعب براسي الى حد القرف ، ولم اتناول طعام الغداء . وعليه فيجدر بنا أن نأكل . هلم أيها الخادم .
وبينما كان الرجل ذو البدلة الحمراء يعاون سورم في ارتداء معطفه ـ هتف نن :
ـ ارجو ان تكشف لي سرا يا جيرارد . ما الذي يدعوك الى حمل مظلة نسائية ؟
وتناول سورم المظلة من الرجل ودس في يده شلنا .
ـ انها ليست لي ، انها تخص ابنة صاحبة البيت وقد الحت ان تعطيني اياها عندما هممت بالخروج اليوم .
وخرجا الى المطر ثانية . وشعر سورم بانه قد تحصن ضد المطر ، وانه سعيد . لم يكن قد شرب الى حد الثمالة منذ سنين عديدة . ولقد ابهجه هذا الاحساس . وامسك نن بمرفقه وضغط عليه سائلا :
ـ هل تحوم حولك هذه الفتاة ؟
ـ اعتقد ذلك . امها على الاقل تفعل ذلك ، وقد ارتابت في اني استغل الموقف ـ او اكاد ، فاخطرتني بمغادرة المكان في الاسبوع القادم .
وقاد نن السيارة الى الخلف قليلا ، ثم انطلق بها بمهارة .

ـ اني منتقل الى محل آخر غدا صباحا .
ـ اين ؟
ـ كنتش تاون . اني اسكن في كولنديل في الوقت الحاضر .
ـ يا الهي ، انها تقع في نقطة بعيدة على طريق بدفورد .
ـ ليست بهذا البعد . انها بالقرب من مكتبة الصحف ـ وهذا امر مفيد غير ان المحل الجديد سيكون اكثر ملاءمة لقربه من المتحف البريطاني .
ـ وهل ستنتقل الابنة معك ايضا ؟
ـ لا تخف . انها فتاة حلوة ، ولكني لا أريد ان اضطجع معها .
ـ يا لك من انسان عفيف ـ ابتعد عن طريقي ايها النغل البليد .
كانت هذه الكلمات موجهة الى سائق تاكسي كان يحاول الاستدارة بسيارته من منتصف الطريق في شارع « برور » . وضغط نن مرتين على جهاز التنبيه الذي كان يخرج نهيقا نحاسيا . وحينما مر بهما التاكسي صرخ سائقه :
ـ هلا صبرت قليلا ؟
فقال نن بهدوء :
ـ ايها القرد . لو كنا نعيش في العصور الوسطى لشنقته وجررته على الارض ومزقته اربا اربا لهذه العبارة .
وانطلقت السيارة الى الامام حتى كادت أن تدهس شخصا خرج من بين سيارتين كانتا واقفتين عند الرصيف . فصرخ نن :
ـ ايها المجنون .
ـ كان الاولى بك أن تقود عربة الاله الهندي جوغونوت ، انها اكثر ملاءمة لاسلوبك .
فهتف نن حانقا :
ـ ينبغي ان يكون سواق السيارات كافة اكثر طيشا لينخفض عدد المارة المهملين ولكي لا يبقى في النهاية الا المتئدون منهم .
ـ ولنفرض انك احد هؤلاء المارة ؟
ـ كنت سأحمل معي بندقية . على المارة ان يحملوا بنادق رشاشة لاطلاقها على السائقين الطائشين . ما أبدع أن تكون لندن بهذا الشكل .
وانسابت السيارة على شارع « دين » ، وقال نن :
ـ لا تجد محلا واحدا لوقوف السيارة في سوهو . آخ ، ما أسعد حظنا الليلة . فقد تحركت سيارة من نوع (انكليا) من بين صف من السيارات الواقفة . وانزلق نن بسيارته منخطيا الفراغ ثم رجع بها الى الوراء داخل

المجال الخالي ، ثم اطفأ المحرك .

– انك حسن المزاج يا جيرارد . يبدو انك لا تكره الناس بقدر كرهي لهم

فابتسم سورم وقال :

– يبدو انك لا تعرفني بقدر معرفتي لنفسي .

طلب نن خدمة جيدة . واقبل مدير المحل الى مائدتهما وتفوه بكلمات مؤدبة معبرا عن سروره لرؤية نن . اما الخادم فكان يبدي تذللا ويذوب رغبة في ادخال الرضا الى نفسيهما .

– يبدو انك معروف في هذا المكان .

لم يكن سورم مكترثا لما كان يقول ، وانما قال ذلك لمجرد الكلام .

– لقد غيرت مطعمي عشر مرات خلال عامين . ولم اتردد الى هـذا المحل منذ اسبوعين ولهذا فربما اعتقدوا بانهم سوف لن يروني ثانية .

– لماذا تغير المطاعم ؟

وطفق نن يمضـغ الطعـام في فمـه وابتلع اخـر لقمـة من سمـك السلمون المشوي . واطلق زفرة وقال :

– انه مجرد سوء الطبع يا جيرارد . تجرحني اصغر الاشياء . انني ادرك تمام الادراك حماقة ذلك غير اني احس بالاساءة مع هذا .

ونظر اليه سورم بارتياب يخالطه شيء من الخيبه . لقد شعر وكأن نن اعترف له برغبته في سديد اطلاقة مسدس الى صدور النساء العجائز . اما نن فيبدو انه لم يلحظ ذلك . وحينما ملأ الخادم قدحه بنبيد « الكيانتي » افرغه في جوفه دفعة واحدة .

وطلب نن بطا مشويا مطبوخا بالفلفل الاحمر والجبن . وعندما حضرت الاطباق كف نن عن الكلام وركز كل اهتمامه في الطعام ، عدا بعض الكلمات التي كان يرد بها على تحيات معارفه الذين كانوا يمرون بالقرب من المائده . ولم يرفع سورم بصره في اثناء ذلك ، فقد كان يشعر بالعيون تراقبه في فضول وكان يحس بما كانت تنسج حوله من الظنون ، وشرع يأكل بعجله وبحركات آلية ليخفي امتعاضه . وقد وجد مسفة في اقناع نن في أن يعدل عن طلب زجاجة خمر ثانية ، وكانت دوافعه لذلك انانية صرفة ، اذ كان يعلم ان كميـة اخرى من الشراب ستفسد عليه الليله قبل نهايتها .

وانقطع المطر قبل مغادرتهما المطعم . كان سورم يسير وهو يشعـر بالرضى الى جنب نن ، وهو يحس بسـعادة اكبر وهو ضـائع مغمور بين الجموع التي تزدحم في سوهو . وكانت مشـاعره نحو نن مختلطـة . كان يحسب ان الوجبة التي فرغ منها توا هي اغلى وجبة تناولها في حيـاته . وقد

افزعه منظر الجنيهات الستة التي القى بهـا نن في صحن الخـادم . كانت بالنسبة اليه تمثل ايجار اسبوع مع الطعام ، وكان اكبر مبلغ دفعه لوجبـه واحدة عشرة شلنات فقط . واخذ يحس بشيء من الامتنان للكرم الذي اسبغه عليه نن ، بعد ان تلاشت شكوكه في دوافعه . غير ان شعوراً باهتا بالبغض له كان يعاوده بين الحين والحين ، اذ كان هنالك في نن ما يثير الامتعاض والاشمئزاز ، شيء يتصل بذلك المزيج من الخشونة والانوثة فيه . كان شعره البني طويلا كالحرير ، جميلا كشعر امراة . وكانت اسنانه غير منتظمة تميل الى الصفرة وقد تدببت اثنتان منها كانياب الكلب . وحين تفرس بدقة في وجهه لم يجد اثرا للندب فيه . كان يصعب عليه تحديد سبب شعوره بانه كان في وجهه ما يشبه اثار الجدري .

وعندما استفسر عن ذلك وهما يحتسيان القهوة والفودكا ، اجاب نن باقتضاب : حادث سيارة . ومر باصبعه فوق خط ضامر يكاد لا يتميز ، يشق خده الايسر موازيا لذقنه .

ـ ما الذي تود ان تفعله الان ، جيرارد ؟

ـ اتظنني سأطلب شرابا لك انت الان ؟

ـ لا اجد سببا يمنعك من ذلك ايها الصديق العزيز . لندخـل محل (فرينتش) . هلا دخلناه ، أعني ، اذا استطعنا الجلوس .

كانت الحانة مكتظة بالرواد ، وهب لتحيته على الفور رجل ثمل قصير القامة لون وجهه بلون الجلد المدبوغ .

وقال نن :

ـ كارل كاسترنك ، أقدم لك جيرارد سورم .

وامسك الرجل بيد سورم ، وراح ينظر في وجهـه بعينيـه الذيتين المخمورتين .

ـ انك رجل وسيم جدا يا جيرارد . الا تعتقد يا اوستن انه يشبـه رامبو ؟ الا تعتقد ذلك ؟

وترك سورم يده لتداعبها كفان رطبتان ، ومن تم سحبها .

وسأل نن :

ـ ماذا تشرب ؟

ـ وسكي مركز .

وسأل سورم الرجل السكران :

ـ هل تشرب شيئا ؟

فالتفت أليه الوجه الجلدي بدلال :

ـ أن ذلك في غاية اللطف منك . نعم أشرب ، وسكي وماء .

واستطاع سورم أخيرا أن يجتذب اهتمام فتاة البار . وناول قدحين من الوسكي الى نن وصديقه ، اللذين وقفا سوية بعيدا عنه لشدة الزحام وهما يمسكان بقدحيهما بقوة . وقال نن :

ـ كارل من احسن المصورين الفوتوغرافيين في لندن ، يا جيرارد .

فكشر كاسترنك عن اسنانه ضاحكا ضحكة بشعة في وجه سورم ، غير انه سرعان ما ارتسمت في محياه نظرة جدية وقال :

ـ اتمنى لو انك تجلس لاخذ صورة لك يا جيرارد ، هلا فعلت ذلك ؟

ـ فقال نن مازحا :

ـ شريطة أن يكون ذلك بحضوري .

ـ لم ؟ الا تأتمنني معه وحدي ؟ فاجاب نن :

ـ كنت امزح . ثم قال لسورم :

ـ انه قدحك ولنبحث عن محل أقل زحاما .

فابتلع سورم كأسه طائعا ، ولم يعد الوسكي يجعل الدموع تطفر الى عينيه .

ولما صارا خارج الحانة ، قال سورم متسائلا :

ـ هل ان كارل من اصدقائك ؟ فقال نن باختصار :

ـ خنزير ، ماروكي ، ولكنه مصور جيد .

واخذا يتمشيان ببطء في شارع اولدكومبتن وقد تلاصقا لكي لا تفرق بينهما حشود الناس ، ولما اصبحا خارج مبنى (السينراما) حيا نن الرجل ذا البزة الذي كان ينظم صف المنتظرين .

ـ يبدو انك تعرف الجميع .

ـ كان يعمل اجيرا لطرد من يحدث الشغب في محل كنت اعرفه .

وتوقفا عن السير ليتفرجا على الصور الملونة المعروضة خلف الزجاج والتي كانت تبرز مشاهد من الفلم ، ولمح سورم حين وقع بصره على نن ، نظرة تنطق بالاشمئزاز والاستغراق . كان نن يتفرس في صورة احدى سيارات النزهة المستعملة في المعارض ، وكانت هنالك صورة غادة جميلة مكتنزة الجسم تتطلع الى عدسة الكاميرا يرتفع طرف ثوبها فوق ركبتيها وتحركه الرياح فيكشف عن جوربها وكلاباته . ولوى نن براسه فجأة قائلا :

ـ لنذهب يا جيرارد .

فضحك سورم وقال :

ـ لم اكن أحسب انك مولع بالنساء .

فقال نن :
ـ ماذا تقصد ؟
ـ لا شيء ، كنت تحملق في تلك الفتاة كما لو انها قد خلبت لبك .
فاجتاحت تلك النظرة وجه نن ثانية ثم اختفت وقال مبتسما :
ـ لقد خلبتني فعلا . هيا نذهب .
وقفلا عائدين الى السيارة .
ـ والان الى اين يا جيرارد ؟ فقال سورم مترددا :
ـ اود ان نذهب الى مكان هادئ .
ـ وكذلك انا . ما رأيك في شقتي ؟
ـ ايــــن تقـــع ؟
ـ بالقرب من محطة شارع بورتلاند .
ـ افضل ان نجلس في مكان قريب من طريق عودتي الى البيت . فعلي ان أفكر في العودة .
ـ اين تسكن ؟
ـ في هندن . وسيكون يوم غد آخر ايامي فيها .
ـ طبعا . اذن ، فلنأخذ ذلك الطريق . أعرف حانة صغيرة غير انهـا جيدة نوعا ما وهي تقع في شارع همبستيد ، ويمكننا الذهاب اليها . انهـا هادئة .
ـ همبستيد ؟ هل هي في طريقنا ؟
ـ بالتأكيد . يمكننا ان نأخذ الطريق مباشرة الى هندن واي . فالشارع مستقيم .
وتحركت بهما السيارة ببطء في شارع اولد كومبتن ، وضغط نن على نفير السيارة الذي كان يخرج صوتا رقيقا محذرا . وقال وهو يكشر مبتسما:
ـ ما اروع هذا الاختراع ، يمكنني ان أغير شد الصوت ونوعيته ، صوت عال مدو في الطرق الخارجية ، او رقيق مداعب لجمهور لندن . تحركوا ،ايها النغول البلداء ، والا استعملت كاسحة العوائق ـ هذا هو الجزء الوحيد من لندن الذي يذكرني بالريبربان في هامبرغ . هل زرت هامبرغ ؟
فاجاب سورم وهو شارد الذهن : ـ كلا .
كان يحملق في ساعته مدة نصف دقيقة دون أن يفقه الوقت . كانـت الساعة تشير الى التاسعة والدقيقة العاشرة .
وقال نن فجأة وهما يمران بمحطة تشوك فارم :
ـ عرفت . لنذهب الى بيت عمتي ، فستقدم لنا الشراب .

ـ من هي عمتك ؟

ـ ستعجبك . اسمها جيرترود ، وهي ليست عمتي تماما ، ولكنها في غاية العذوبة وتعيش وحدها في منزل في فيل اوف هيلث ولا تقابل احدا مطلقا وهي تود أن أزورها الا اذا كانت تعقد احد اجتماعاتها .

ـ أي نوع من الاجتماعات هذه ؟

ـ شهود يهوة ، تلك هي رذيلتها الوحيدة ، ولكنها لطيفة .

فقال سورم بخيبة :

ـ لا اخالك جادا .

ـ لم لا ؟

ـ بشأن كونها من شهود يهوة .

ـ بلى ، اني جاد في قولي .

ـ اعني انهم يكادون أن ينقرضوا .

ـ لا يسعني الاجابة ايها الصبي . لا أعرف شيئا واحدا عنهم . فلم تحاول عمتي يوما أن تجعلني انتمي اليهم . على كل لسنا مرغمين على البقاء اذا لم تستطع أن تحتملها ، كما ستقدم لنا الشراب على اية حال .

واسترخى سورم في مقعده ، وخامره الشعور بانه لن يستطيع العودة الى بيته مبكرا وكان سكره اشد من ان يجعله يكترث جديا لذلك . كما ان عزمه على تغيير مسكنه لم يعد مهما بالنسبة اليه بعد ان اقلقه طوال الاسبوع المنصرم . وأغلق عينيه وراح يحاول ان يحصي عدد الكؤوس التي احتساها ، واذا بالسيارة تقف فجاة ملقية به الى الامام . وقال نن :

ـ آسف ايها الصبي ، انني معتاد على سياقة السيارة الاخرى التي تعمل فراملها برفق اكثر من هذه . لقد حطمتها في الاسبوع الماضي .

كان الشارع مقفرا تماما ، وقد ارتفعت الارض ارتفاعا مفاجئا على احد جانبي الطريق . وترجل سورم من السيارة وصفق الباب خلفه . وأيقظه الهواء البارد بعد ان كادت مدفأة السيارة تدفع به الى النوم . أما نن فقد أخذ يبحث في جيب السيارة الجلدي واخرج المصباح اليدوي . وتبعه سورم الى داخل البوابة حتى اكتنفهما الظلام . وعلى بعد حوالي خمسين ياردة كان هنالك نور ينبع في مدخل الدار وكانت الاشجار تنفض المطر من اوراقها كلما هزتها الرياح . فرفع سورم وجهه الى الاعلى ليتلقى القطرات الندية ، وقال وهو كالحالم :

ـ هل تجد عمتك متعة في السكن في وسط المجهول ؟

ـ انها تكرهه في الواقع . وهي تهدد دائما بالانتقال الى مكان قريب من

المدينة لولا ان هذه البقعة تكون جميلة في الصيف .

وكان الضياء في الرواق ينبعث من فانوس مربع ، في داخله مصباح كهربائي مدبب . وقرع نن جرس الباب .

وبعد هنيهة لاح نور خلف الزجاج الذي كان يغطي النصف الاعلى من الباب . وهتف صوت امراة : من هناك ؟

ـ اوستن .

ـ اوستن !

وفتحت الباب امراه صغيرة الجسم رشيقة القوام .

ـ اقدم لك جيرارد سورم ، جيرترود . ان جيرارد مؤلف

ـ هلما بالدخول . كنت افكر بالذهاب الى الفراش توا .

ـ لا تخشي ، فلن نبقى طول الليل

ـ لم اكن أعني ذلك . ابقيا ما شئتما .

وتقدمتهما الى غرفة للجلوس طويلة مريحة التأثيث .

ـ هل انتما جائعان ؟ اتناولتما طعام العشاء ؟

ـ نعم ، شكرا ، منذ ساعة .

ـ هل لكما في مشروب ؟

ـ لا بأس .

ـ انت تعرف محل زجاجات الشراب ، فاذهب وهيئه لنفسك . اما انا فسآخذ الكاكاو .

واشعلت المدفأة الكهربائية وخرجت . وفتح نن أحد الدواليب واخرج منه زجاجة وسكي ، واطل سورم بنظره على الزجاجات المصفوفة داخل الدولاب ، وسأل :

ـ هل لعمتك الكثير من الضيوف ؟

ـ ليس الكثير ، فهي تختلط بطائفتين من الناس ـ الأولى زمرة من جمهور همبستيد الذي يتذوق الادب ـ افظع ما رايت من المتطفلين على الادب ـ والثانية أولئك الذين ينقذون روحها ، ولا يقل هؤلاء سخفا عن أولئك وهي تحرص على الا تدعو كليهما الى بيتها في نفس الامسيات .

ـ لماذا ؟

ـ حينما يزورها منقذو الروح ، تعلق لافتة كتب عليها : « حذار من شيطان الخمر » ، تعلقها على الدولاب . وحينما يهبط عليها الجمهور المتادب تضطر الى تأجير عامل ليسوقهم في عربة دفع الى بيوتهم .

ودخلت المراة ثانية وهي تحمل فنجانا موضوعا على صينية ، وسألت :

ـ كيف حال امك يا اوستن ؟
ـ على أحسن حال ، شكرا ، انها آتية الى لندن في الاسبوع القادم .
ـ هل ستنزل عندك ؟
ـ ستنزل في بيتي ، غير اني سوف لن اكون هناك . انا ذاهب الى سان موريتز لالحق ببعض الاصدقاء .

وجلست العمة في مواجهتهما واستشعر سورم فيها جاذبية خاصة وخمن انها في حوالي الاربعين . كانت طريقتها في اللباس تضفي على مظهرها اناقة لا تبدو متكلفة . وكانت تنورتها الصوفية جيدة التفصيل غير ان السلسلة كانت مفتوحة عند خصرها وكان فمها وذقنها متوترين ، ينمان عن مظهر مديرات المدارس . ولكن كان يحيطها جو غريب لا يمكن تحديده . انها من النوع الذي لم يكن ليثير انتباهه لو وقع بصره عليها وهي جالسة امامه في قطار النفق .

ـ لم أسمع اسمك
ـ سورم ، جيرارد سورم .
فقال نن :
ـ ظننت ان اسمك سورمز .
ـ كلا .
ـ اي نوع من الكتب تؤلف يا مستر سورم ؟ فاجاب سورم متضايقا :
ـ ما كان لينبغي على نن ان يقدمني كمؤلف . فلم يسبق لي ان نشرت شيئا عدا بضع قصائد في المجلات .
ـ هل انت كاتوليكي ، فاجاب مندهشا :
ـ كلا ، لماذا ؟
ـ كنت اتساءل . . .
فقال نن :
ـ انه ملحد حر الفكر ، يميل الى المذهب الكاثوليكي . اليس كذلك يا جيرارد ؟
ـ اوستن ، أصلح سلوكك !
فابتسمت العمة لسورم وقالت وكانها تريد أن تخرج نن عن الحديث :
ـ انت لست حر الفكر ، اليس كذلك ؟
ـ كلا . . . لا أعتقد ذلك .
فقال نن :
ـ فما انت اذن ؟

فقالت العمة زاجرة اياه :

ـ اوستن ، أصلح سلوكك . هل كنت تشرب ؟

ـ بالطبع لا . على كل حال لم أشرب الكثير . هل لك في كأس اخر يا جيرارد ؟

كان نن قد ناوله قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي المركز وكان سورم يرجو ان تتاح له الفرصة ليسكبه في الفنينة ثانية .

ـ من رأيي الا تشرب انت يا اوستن . أنه يؤذي معدتك .

فانتصب نن واقفا وقد اضطرب توازنه قليلا :

ـ لا شك انك على حق يا جيرنزود . اسمحوا لي بان اغيب قليلا يا اعزائي .

وخرج من الفرفة ، ولمح سورم العمة تلاحقه بنظراتها . ثم سألته :

ـ انه ثمل أليس كذلك ؟

ـ اجرؤ على القول انه سكران بالفعل ، أما انا فقليلا .

ـ لست تبدو كذلك . هل أنت معتاد على الشراب .

ـ كلا .

ـ لم أظن ذلك . هل تعرف اوستن منذ مدة طويلة .

ولسبب من الاسباب استبد بهشعور بالخجل منعه من ان ينبئهابحقيقة الامر ، فقال :

ـ ليس لمدة طويلة .

ـ ينبغي الا تدعه يدفعك الى عادات سيئة .

ـ لا اتوقع ذلك .

ـ ما هي الديانة التي نشأت عليها ؟

ـ لا ادري . الكنيسة الانكليزية ، على ما إظن ، غير اني لم أكن يوما ما مضطرا للذهاب الى الكنيسة او مواعظ ايام الاحاد . كنت أمقت كليهما .

ـ وهل لك عقائد دينية ؟

ـ اقـل حـد منهـا .

ـ وما هو الحد الاقل هذا ؟

وسمع سورم وقع خطوات نن خارج الباب . وقال وهو يبتسم :

ـ ساخبرك في وقت اخر .

ودخل نن وقال مبتهجا :

ـ كنت اظن أن يوم الجمعة هو يوم اجتماعاتك .

ـ هو كذلك ، وقد ارفض الاجتماع .

ـ ها ، وكيف حال اخينا الرهيب ؟
ـ عمن تتحدث ، يا الهي ؟
ـ ذلك البدين . طارطوف ذو بشرة القصاب ، ما اسمه ؟
ـ حقا، اوستن ان حالك لتسوء. ما يدفعك الى الحقد على الاخ روبنز؟
وجلس نن الى جانب سورم ثانية ، بعد ان ملأ القدح . وقال وهو يغمز بعينيسه :
ـ انه يلاحقك يا جيرترود .
ـ يا لهذا اللغو !
ـ قرأت ذلك في عينيه . انه يفكر بك نفكيره في صفقة جميلة .
ولحظ سورم لدهشته ان وجهها بدأ يمتقع ، فهب واقفا وقال :
ـ ارجو المعذرة . فقال نن :
ـ انها في الطابق العلوي ، الباب الثاني الى اليسار .

كانت الصالة والسلم يكسوهما الوبر الازرق مما لم يجعل لوقع اقدامه صوتا . وكان على جدار السلم صورتان فوتوغرافيتان للوحتين زيتيتين للرسام (مونش) . وقد بدا له البيت وهو غارق في عالم الخمر الضبابي الدافىء اجمل بيت وقع عليه نظره في حياته .

واشعل النور . فألفى نفسه في غرفة نوم صغيرة تحوي على سرير واحد . وابصر على طاولة الزينة اطارا يضم صورة لفتاة شقراء ، فاطال النظر في الصورة باهتمام وارسل لها قبلة بشفتيه . وتراجع من الباب ليدخل الحمام، وكان على بابه حبل تتدلى منه بعض الملابس المبتلة. فتمتم بصوت خافت:
ـ يجب ان اغوى هذه المراة حتى يكون في وسعي أن أعيش معها في هذا المكان فظروف العمل رائعة هنا .

وغسل يديه في الطشيت ، وهو يردد لحنا ما بصوت خافت . وعندما استدار وجد منشفة فمسح وجهه ومد يده ليلمس مشد خصر من النايلون ، فتدحرجت قطرات الماء داخل كمه . واخذ يلعن بصوت واطىء .

ولما عاد الى غرفة الجلوس ثانية ، قال نن :
ـ اعتقد اننا يجب ان نرحل يا جيرارد ، فجرترود تريد النوم .
ـ بالتأكيد .
ـ الا تنهي قدحك ؟
ـ لا اظن ذلك ، فقد شربت الكثير .
ـ توقعت ذلك ولذا فقد شربته نيابة عنك .
فقالت جيرترود ضاحكة :

ــ انك شائن حقا ، يا أوستن . لا ادري كيف ستدبر سياقة السيارة . هلا اخذت حذرك .

ــ صه ، هل عرفت لي حادثة واحدة ؟ فقالت :

ــ تلك هي المعجزة .

ونهض نن على قدميه ، وامسك بجيرترود وزرع قبلة على جبينها ، ونظر اليها سورم وهو يبتسم . كان يود لو يفعل مثل صديقه . وقال نن :

ــ طابت ليلتك ، ايتها العمة العزيزة . اقفلي الابواب الان ، وتيقني الا يكون اخونا ذو البطن التي تشبه البرميل مختبئا تحت السرير .

فالتفتت الى سورم قائلة :

ــ ستزورنا ثانية اليس كذلك ؟ يمكنك ان تجد طريقك الى هذا البيت .

فاجاب مبتسما :

ــ لست واثقا تماما اني استطيع ان اجد طريقي .

ــ ساعطيك العنوان .

واقتطعت ورقة من دفتر رسائل يحمل اسمها اخرجته من مكتبها وكتبت عليه بضع كلمات . فدسها في جيبه الخلفي .

ــ وداعا ، حاول ان تجعل اوستن يقود السيارة بتأن .

وهز سورم يدها ، كانت قبضتها قوية كقبضة رجل . وصاحت من عتبة الباب الامامي :

ــ خذ جانب اليمين من الطريق ، فهناك بركة ماء .

وكان الضياء المنبعث من مصباح نن اليدوي يرقص بشرود على الارض والتصق سورم به لكي يقي نفسه النعسر ، وعندما خرجا الى الشارع، قال نن .

ــ انها تميل اليك ، ايها الصبي . وقد لقنتها محاضر عن كيفية افسادك اعتقد انها تريدك ان تحضر دروسها الدينية .

ــ وليس الامسيات الادبية ؟

ــ لا ادري ، ربما ، اوه . . . اعتقد من اسئلتها انها . . . وتلكأت الكلمات ولم يتم نن كلامه ، وفتح باب السيارة وتكوم على مقعد القيادة .

ــ اوف ، هكذا . . افضل . . . حسنا ، اين وجهتنا الان ؟ الساعة هي العاشرة والدقيقة العاشرة بعد فقط . لدينا متسع من الوقت لكأس اخر . او ان شئت ذهبنا الى شقتي لنشرب كأسين .

ــ كلا ، حقا ، من المستحيل . يجب أن أعود . اية ليلة اخرى ما عدا هذه الليلة .

ــ آه ، نعم . عليك بالانتقال من مسكنك في الصباح . كيف ستقوم بذلك ؟

ـ استاجر تاكسي .
ـ انحتاج الى معاونتي ؟
ـ لا، لا. لا تزعج نفسك .
واشعل نن سيكارة ، وقذف بعلبة الثقاب من الشباك . واضاءت مصابيح سيارته الطريق ، واندفعت السيارة الى الامام وتوقفت فجأة وانطفأ محركها فقال نن :
ـ عليها اللعنة . لم اسحب الفرامل اليدوية .
وقال سورم :
ـ اسمع ، دعني انزل في شارع (اجوير رود) ، ساخذ الباص من هناك او الافضل أن تدعني انزل في همبستيد لاخذ قطار النفق .
ـ كلا ، بل ساوصلك الى البيت . لا تدع تعليقات جيرترود حول سياقتي تقلقك ، ها ؟
ـ لا . . .
ـ طيب . أنا سائق مأمون الجانب تماما ، حتى عندما لا أرى طريقي من فرط السكر .
ـ وماذا وقع لسيارتك الاخرى . . . ؟
ـ اه ، لم يكن الخطأ خطئي . . كان احدهم قد شيد جدارا في عرض الطريق .
ـ من حسن حظي لم أكن نملا . تلك هي المأساة ، وقد شعرت في الصباح التالي بحالة سيئة جدا .
لم تبد سياقة نن للسيارة احسن او أسوأ نتيجة السكر . وأوقف ماكنة السيارة لجعلها تتدحرج تلقائيا هابطة الطريق المنحدر المؤدي الى (كولدرز كرين) ، وهو يغني وفي صوته جرس حزين :
قطط على السطوح ، قطط على البلاط .
وقال سورم : ـ هل كانت عمتك متزوجة ؟
ـ انها ليست عمتي .
ـ هل كانت متزوجة ؟
ـ كلا . ان قضية جيرترود في منتهى الغموض . ليس هنالك من يعرف جميع الحقائق عنها . كان لها أب .
ـ لها ماذا ؟
ـ اب . فانك تعلم ان لبعض الفتيات اما لا ترخي لهن اللجام ليصلن ويجلن . على كل حال ، كان لها اب .

ـ وكيف يكون ذلك سببا في منعها من الزواج ؟

ـ وكيف لي ان اعلم ، ايها الصبي العزيز ؟ استخدم خيالك ، فان كان لك خيال متألق مثل خيالي ففي امكانك التوصل الى انواع العلل والاسباب.

وكبت سورم التعليقات التي طفرت الى شفتيه ، ولم يكن نن الشخص الذي يستجيب لها . وادهشه نن بقوله فجأة :

ـ على كل حال ، فلا اظنها تسوى شيئا في الفراش .

وحدجه سورم بنظرة ، وكانت السيكارة تتدلى منراخية من فمه ، وقال

ـ لا اجرؤ على القول انك على حق .

واخذ المطر ينهمر تانية . واخذ سورم يصغى وهو في مجلسه الى تكتكة فرشاة الزجاج الرتيبة ، وقال فجأة :

ـ وبالمناسبة ، من هي تلك الشقراء اللذيذة في الصورة ؟

اية صورة ؟

ـ دخلت غرفة للنوم عندما كنت ابحث عن المرحاض ، الغرفة الاولى الى اليمين . كانت هنالك صورة فونوغرافية على المنضدة لفتاة شقراءلطيفة.

ـ اه ، هي كارولين ، ابنة عمتها . لم أتعرف عليها . لماذا ؟

ـ انا مولع بكل شقراء صغيرة .

ـ انك لبقرة ، الست كذلك ؟ تبحث ابدا عن الجنس .

وضحك سورم ، وكانا في تلك الاثناء يمران بمطار (هندن) . وقال يغير الموضوع .

ـ انبئني ، هل قلت انك نقود الطائرات ؟

ـ اجل . لدي واحدة في مكان قريب من (ليذرهيد) ، ينبغي ان ترافقني في يوم من ايام نهاية الاسبوع ، فاذهب بك في رحلة .

ـ طيارتك الخاصة ؟

ـ انها تخص والدي ، ولكنه لا يستعملها ابدا .

ـ استدر الى اليمين ، رجاء . يقع مسكني قرب عمود المصباح ذاك .

ووقفت السيارة بهزة ، ولكن سورم كان قد تهيأ لها هذه المرة . وقال :

ـ حسنا ، انا مدين لك بالكثير هذه الليلة .

ـ لا ابدا ، انا مدين لك بالكثير . فلو كنت وحيدا لقتلني الضجر . هل عندك مشروب في غرفتك ؟

ـ كلا مع الاسف . لدي بعض البيرة على الاقل .

ـ رائع . هيا نحتسيه اذن ، ام انك متعب جدا ؟

وقال سورم :

ـ كلا على الاطلاق . فلنصعد .
وعندما فتحا الباب الامامي ، قال سورم بصوت خافت :
ـ لا تصدر ضوضاء حتى نصل الى غرفتي .
ـ هل الجميع نيام الان ؟
ـ لا ، ربما يشاهدون التلفزيون الان .
وارتقيا السلم على اطراف اصابعهما ، وكان نن يتقدم سورم . وانفتح باب تحت ، وصدر صوت نسائي يقول :
ـ اهذا انت يا مستر سورم ؟
ـ نعـم
ـ آه .
وانغلق الباب ثانية . وفتح سورم الضياء وأغلق الباب .
ـ انت لا تعلم كم انت محظوظ اذ لا تتشكو من صاحبة بيت . اني ابغض صاحبة البيت .
واشعل المدفأة الغازية وادارها الى نهايتها . كانت الغرفة صغيرة تزدحم بالاثاث ، وكانت بالقرب من الباب حقيبتان للملابس مربوطتان الى بعضهما بسلك . وكانت الطاولة مغطاة برمتها ببقايا طعام ودرج فارغ . وكان على طشت الغسيل في الزاوية صندوق صابون كبير من المقوى مليء الى منتصفه بالكتب . وخلع سورم معطفه وعلقه في دولاب الملابس . وجلس نن على السرير واشعل سيكارة .
ـ كانت لي صاحبة بيت غاية في اللطف في هامبورغ .
وتناول سورم الدرج الفارغ ودفعه في مكانه في دولاب الادراج .
ـ كان لدي الكثير من صاحبات البيوت . كان لدي الكثير بحيث اضحيت امقت حتى السيدات الظريفات منهن . ومن أهم مزايا المكان الجديد هو ان صاحبة البيت لا تسكن في البيت نفسه . ان اكثر السيدات حتمة ينتهين باضطهادي .
ـ لا تكن عصبيا يا جيرارد .
ـ لو كنت في موقعي من هذا العدد الكبير منهن لثارت اعصابك انت ايضا . ما اسخفهن ، قطط مسنة تافهات العقول يتركن لك قصاصات الورق في غرفتك بعد ان يكتبن عليها انه لا يعجبهن استقبال الضيوف بعد الساعة العاشرة . ولا تدري متى يغيظهن امر تافه فينذرنك بترك المكان . لو كنت دكتاتورا لفتحت مراكز اعتقال لصاحبات البيوت . نفايات قديمة ، وضيعات، تافهات يسعين وراء المادة .

ونقل صندوق المقوى الى الارض ، وفتح صنبور الماء الحار ، وغسل قدحين ، ومسحهما بمنشفة يد .

ــ مسكين يا جبرارد . ينبغي ان تبحث لك عن شقة مؤثثة .

واخرج سورم زجاجة بيرة من أسفل دولاب الملابس ، واخذ يسكب المحتويات في القدحين ، وناول احدهما الى نن قائلا : ــ نخبك .

ــ ورشف نن قليلا من البيرة ووضع القدح على الطاولة ، وقال :

ــ يؤسفني أن اغادر في اللحظة التي بدانا نتعرف فيها على بعضنا .

وجلس سورم على كرسي خشبي بالقرب من النار ، وقال نن كمن يتفوه بقول مأثور :

ــ سيكون لدينا متسع من الوقت .

ــ لا ريب في ذلك . اعطني عنوانك الجديد ، وسأعطيك عنواني .

وتبادلا دفتري العناوين ، وابتدأ كل منهما يكتب بصمت لحظة من الزمن . واشاعت الحرارة في قدمي سورم اللتين لم يخلع جوربيه عنهما حرارة شديدة . وكبت رغبة في التثاؤب . وسحب نن نفسه الى طرف السرير حيث امكنه ان يرى النار ومد يديه اليها .

ــ جيرارد . كنت تتحدث قبل قليل عن البحث عن طريقة اخرى للحياة

ــ نعم ؟

ــ ينبغي أن نرى احد اصدقائي وهو يدعى الاب (كاراثرز) ويعيش في منزل في شارع (روزبرى) .

ــ يجب ان يكون في المكان الذي يسكن فيه الاخ (مونسيل) ، فهنالك يسكن عدد من القسس . هل تعرفه ؟

ــ كلا لست اتذكره .

ــ انت لست كاثوليكيا ، أم انك كذلك ؟

ــ كلا . امي كاثوليكية . كاراثرز احد اصدقائها في الواقع ولكني واثق من انه سيروق لك .

واحتسى سورم البيرة على مهل ، فلم يكن يرغب فعلا في تناولها . كانت مرة المذاق لا يستسيغها تماما .

ــ ما الذي يستطيع الاب كاراثرز ان يفعله ، في رايك ؟

ــ لا اعلم ، ولكني اميل اليه ، فهو حاد الذكاء ، متعمق في علم النفس ، كان صديقا لادلر .

ــ ذلك ينذر بالخطر .

ــ لماذا ؟

ــ لا يمكنني ان اتصور ان الكنيسة تقر ذلك . هل يتحدث عن الاضطراب العصبي بدلا من الخطيئة ؟

ــ نعم .. او ، لا ، ليس تماما . ينبغي ان تذهب لرؤيته . لقد الـف كتابا عن تشيخوف .

ودفع سورم كرسيه الى الخلف ، كانت النار شديدة الحرارة ، وقال رغبة منه في الكلام :

ــ ربما سازوره .

ورفع نن قدح البيرة وشرب كل ما فيه . فدفع اليه سورم بالزجاجة . وسكب نن البيرة في قدحه ، تاركا الزبد يطفح على الحافة ويسيل الى غطاء الطاولة . فمال الى الامام ورشف الزبد بملء فمه حتى كف عن التدفق . ورفع بصره بغتة الى سورم من فوق حافة القدح وهو يقول بلا مبالاة استشف سورم خلالها محاولة شديدة لضبط النفس :

ــ يبدو انك تحمل ضغينة هائلة للمنحرفين جنسيا يا جيرارد .

فأجاب سورم وقد غمرته انتفاضة :

ــ كلا ، بل على العكس . انا انسجم دائما معهم .

ــ ولكنك لا تميل اليهم .

ــ ليس السبب اني لا اميل اليهم ، وانما انا لا اقر بعقليتهم الشاذة .

ــ ماذا تقصد بحق السماء بالعقلية الشاذة ؟

ــ ينبغي الا اجيب .

ــ ارجوك ان تجيب ، لا تكترث بي ، فلن اعتبرها تمس بي شخصيا . اؤكد لك ذلك .

ــ حسنا . اكثر من خالطتهم من الشواذ شديدو التركيز على انفسهم ، فكل شيء بالنسبة اليهم ممعن في الانانية ، وذلك يعتمد على الناس. لا يمكنني ان اتصور ان شخصا يرى الرؤى ، او ان نيوتن او بيتهوفن يمكن ان يكون منحرفا جنسيا . اذ يبدو ان المنحرفين جنسيا يفتقرون الى الاندفاع العقلي ــ القابلية على ان يكون الشخص منغمسا بعنف في المسائل العقلية الصرفة . فهؤلاء يشبهون النساء وهم ينظرون الى كل شيء من الزاوية الشخصية ومن زاوية العواطف .

ــ انت تتفوه بالسخافات ولا شك ، ايها الصبي كيف عرفت ان نيوتن وبيتهوفن لم يكونا منحرفين جنسيا ؟ فلم يكن ايهما متزوجا . ثم ما قولك في شوبرت ، ومايكلا نجلو ؟

ــ طيب ، اسف لاني تكلمت .

ـ كلا ولكن اجبني ، اود سماع ارائك .
ـ لا ، انا شديد التعب . عندما نغادر الليلة ، سابقى لاحزم امتعتي . وعلي أن انهض غدا في الصباح الباكر للشروع في الانتقال .

وحدجه نن بنظرة : كانت عيناه جادتين ، تكادان تنطقان بالالم . وهز راسه فجأة وابتلع ما بقي من البيرة . ثم انتصب واقفا وهو يقول :
ـ حسنا ، سأتركك .
ـ لا داعي ان تغادر الان ، فلم تبعد الساعة الحادية عشرة ، يمكنك البقاء ساعة اخرى .

فقال سورم : ـ كلا ، بل ينبغي ان اذهب . علام هذه الابتسامة ؟
ـ اراك تتململ قلقا . فلم لا تجلس ساكنا قليلا ؟

لم يكن ذلك هو السبب الحقيقي لابتسامة سورم . فقد كان يفكر في نفسه : لقد اعتبر نن الامر يمسه شخصيا ، وهكذا فيأخذ امثاله كل شيء مأخذا شخصيا . ولكنه مع هذا شعر بالسرور لان نن سيغادر .

ـ طب مساء يا جيرارد .
ـ اين انت ذاهب ؟
فتململ نن وقال :
ـ الى البيت ، ربما ، او ربما الى احد النوادي في بادنغسون . وداعا .
ـ وداعا يا اوستن . اشكرك على هذه الامسية .
وقال نن : لا تتعب نفسك بالنزول .

وخرج من الغرفة مسرعا واغلق الباب خلفه . وبقي سورم واقفا حتى سمع الباب الخارجي يصفق ، فصاحت صاحبة البيت على الفور .
ـ من هناك ؟ فقال مخاطبا الباب بغضب : ـ آه ، اخرسي .
وسمع باب السيارة يصفق . وما ان اطل من الشباك حتى كانت انوار السيارة الخلفية تختفي في الظلام .

وسكب سورم ما بقي من البيرة في الطشت وغسل القدحين ، وراح يغسل بعناية بقية الفخار الذي كان ملقى على الطاولة . كان صادقا حين اخبر نن بانه كان يريد ان ينهي حزم امتعته ، غير انه اخذ يحس بالنعاس والسكر كانت الغرفة شديدة الحرارة ، خانقة الجو . فاطفأ المدفأة وفتح النافذة . وقبل ان يخلع ملابسه ابتلع ثلاث حبات هاضمة مع قدح من الحليب . وشعر بالفراش باردا لطيفا . واخذ يفكر في نن وهو يطير الى سويسرا ، وشعر بشيء من الحسد له غير انه اخمد هذا الشعور على الفور . وسرعان ما غاب في نوم عميق .

الفصل الثـــاني

واعجبته غرفته الجديدة ، رغم انها لاحت اصغر مما كان يتوقع حين فرغ من فك الصناديق وصف الراديو والفرامافون على الدولاب . وكـــان هنالك سلم للحريق يمر من امام النافذة التي كانت تطل على قطـــعة من الارض الخربة وكنيسة . وقد الحق بالغرفة مطبخ صغير يبدو انه كان اصلا غرفة مهملات ، يقع في نهاية سلم ضيق في الطرف المقابل لباب غرفته . وكان يشاركه في هذا المطبخ رجل فرنسي يسكن الغرفة المجاورة .

كانت عملية الانتقال الى مسكنه الجديد قد انهكت قواه . كان قد افاق صباحا دون ان يشعر بالصداع ، ولكنه احس بالتعب وبجفاف في حلقه . وبعد ان انم تنظيم غرفته كان العرق يتصبب على جنبيه ويسيل الى فخذيه ووضع اناء ماء ليغلي على الموقد الغازي . وكان يسمع دقات قلبه ، وصخب المرور في شارع كنتش تاون . وكان السرير تحت النافذة المفتوحة مباشرة فانعشه النسيم الداخل منها . وكاد ان يغلبه النعاس لولا صفير ابريـــق الماء الذي ايقظه فجأة .

وهيأ الشاي في قدح ترمس كبير وسكب محتوياتـه خلال مصفـاة ، ووضع اسطوانة على الغرامافون وجلس الى الطاولة وهو يتفرس في السنة النار المتوهجة في المدفأة الفازية ، واخذ يرشف الشاي . ونقر احدهم الباب، فصاح : ادخل .

وقال الرجل الذي فتح الباب :

ـ علمت اننا اصبحنا جيرانا ، وعلينا ان نشترك في المطبخ . فقال سورم:

ـ تفضل . هل لك في قدح شاي ؟

ـ اجل اشكرك .

لم يكن اللكنة الفرنسية في حديث الرجل قوية ، ولكنها كانت ظاهرة .
ونهض سورم ومد يده :

ــ اسمي جيرارد سورم .

ــ ادمون كاليه . كيف حالك ؟

ــ هل اضع بعض الحليب المعقم في الشاي ؟

ــ افعل .

ورفع غطاء زجاجة الوسكي الذي كان يتوج قنينة الحليب المعقم التي جلبها معه من كولنديل . وكان الحليب يعود الى ما قبل ثلاثة أيام . واخفض صوت الفرامافون . وقال الرجل الفرنسي :

ــ اى موسيقى هذه ؟ بروكوفييف ؟

ــ نعم ، السمفونية الخامسة . هل تحب الموسيقى ؟

ــ احبها جدا . كنت اعزف الة الاوبوا في الفرقة الموسيقية في المدينه النبي اقبلت منها ، مدينة ليل .

ــ ولكنك لست موسيقيا محترفا ؟

ــ كلا ، انا مهندس .

وكان فمه ، عندما يبتسم ، يتكشف عن اسنان بيضاء منظومة بانسجام. كان وسيم الوجه ، ذا فك عريض قوي . وقد شعر سورم بانه مال اليه في الحال . وجلس كاليه امامه على الكرسي ذي المساند .

ــ علمت انك مؤلف .

ــ نعم ، من قال لك ذلك ؟

ــ كارلوتة ، الفتاة التي تنظف المكان . لدينا بعض النزلاء من لهم اطوار غريبة . افظعهم هو الشخص الذي يسكن غرفة فوق غرفتك .

ــ افظعهم ، لماذا ؟

ــ انه مجنون ، ويعزف الاسطوانات طوال الليل .

ــ يا للسماء ، هل يحدث ضوضاء ؟

ــ كلا ، لا اظن ذلك . انه يعزف الاسطوانات فقط . ولن تراه اثناء النهار ، اذ يقضيه بالنوم .

ــ لا يهم ، فاني اعمل احيانا طول الليل ايضا . هل يزعجك صوت الالة الكاتبة ؟

ــ كلا . لدي واحدة ايضا . الشخص الوحيد الذي قد يعترض فتاة في الغرفة السفلي .

ــ فهمت . ومن هم « غريبو الاطوار » الاخرون ؟

فعبس الفرنسي كمن اصيب بذهول وقال سورم شارحا سؤاله : ــ قلت ان هنالك عددا من النزلاء ممن لهم اطوار غريبة ؟

ــ اه نعم ، الرجل العجوز الذي يسكن فوق غرفتك هو افظعهم . وهناك اثنان من الشواذ جنسيا يسكنان في الطابق الارضي ، ولكنهما لن يسببا لك قلقا ولو انهما يتخاصمان طول الليل . لا ضير فيهما الا عندما يكونان في حالة من السكر ، فيبدأ حينئذ ضجيجهما .

ــ الا تعترض صاحبة البيت ؟

ــ كلا . فهي لا تسكن هنا . ومن المفروض ان الفتاة الالمانية تقوم بمراقبة المحل . اسمها كارلوتة وتسكن في السرداب .

وانتهت الاسطوانة ، فاوقف سورم الفرامافون ، وسمعا مباشرة طرقا على باب الغرفة المجاورة . ففتح الفرنسي الباب هاتفا : ــ اهلا .

فاجاب صوت فتاة :

ــ تلفون للمسيو كاليه .

ــ قد اراك فيما بعد . شكرا على الشاي . فقال سورم :

ــ على الرحب والسعة .

وصب سورم فنجانا اخر من الشاي ، وادار الفرامافون ثانية . كانت الحرارة تبث فيه النعاس ، ولكي يوقظ نفسه ، طفق يعيد تصفيف الكتب في المكتبة المستندة خلف الباب . واخذ يسوي قطع المقوى التي رزم بها الكتب ورفعها ليفرشها على سطح دولاب الملابس فاصطدمت بعائق ما ووقعت ثانية . فتسلق كرسيا وتفحص سطح الدولاب . كانت هناك اربعة مجلدات ممزقة من تأليف ب. ج. و ودهاوس وثلاثة مجلدات من سلسلة « محاكمات بريطانية شهيرة » . وكان داخل احد هذه المجلدات ختم : مكتبات ايريث العامة . اما التاريخ المختوم فيعود الى سنين عديدة .

فتناول الكتب ونفخ عنها الغبار المتراكم عليها ووضعها على الطاولة ليتفحصها . وبقي ربع ساعة وهو ما يزال يقرأ الجزء الاول الذي فتحه وهو (محاكمة برك وهير) . وجعله الكتاب يحس بمرض خفيف . طرق احدهم الباب ، فصاح : تفضل .

فاطل الرجل الفرنسي براسه من خلف الباب .

ــ مرحبا ، طلبت لوتة(١) ان اخبرك بان احدهم طلبك على التلفون صباحا

ــ اوه . ترك لي نبأ ؟

ــ نعم . لم تستطع ان تتبين اسمه ، ولكنه اعطاها رقم تلفون . اليك به

(١) تصغير لاسم كارلوتة

وتناول سورم المظروف الممزق وقال :
ـ شكرا . ساتصل به الان . اين التلفون ؟
ـ لسوء الحظ ، قال ان عليك ان تتصل به قبل الثالثة واضاف انه سيغادر لندن في الساعة الثالثة .

ونظر سورم الى ساعته : كانت تشير الى النصف بعد الرابعة .
ـ اه .. اشكرك على كل حال .
فسأل الفرنسي على سبيل التحدث : ـ ماذا تقرأ ؟
ـ اوه ،كتاب عن جرائم القتل .
ـ هل قرات عن جريمة القتل التى وقعت الليلة الماضية ؟
ـ كلا .
ـ لقد حدثت في (وايتشابل) ، اذ عثر على فتاة اخرى كانت قد فارقت الحياة من اثر الضرب . كان الخبر في جريدة الظهيرة . هل تريد ان تراه ؟ فاجاب سورم مقهقها :
ـ لا تكلف نفسك . اريد ان اتناول وجبة كاملة اليوم . امور كهذه تدخل في نفسي المرض .

وعندما اغلق الباب ثانية رمى سورم بمجلد « محاكمة برك وهير » على السرير وفتح احد كتب وودهاوس .

ـ وافاق اثناء الليل وتذكر عمة نن ، فقد كان نسيها تماما حتى تلك اللحظة ، ومد يده الى سرواله واخذ يتحسس الجيب الخلفي في الظلام . كانت الورقة ما تزال في مكانها . فاشعل عود ثقاب واخذ يقرأ : جيرترود كوينسي ، لوريلز ، فيل اوف هيلث ، وتبع ذلك رقم تلفونها . فوضع الورقة على الكرسي المجاورة لسريره ليتذكر ان يتصل بها تلفونيا في الصباح . ورقد ثانية وغمره ظلام الليل الذي كان مختنقا في ذلك الحين برائحة الكبريت المحروق ، وراح يفكر في هذه المراة . كانت رشيقة القوام جذابة المظهر ، في سلوكها حشمة مثيرة ولاح له انها لا بد وان تكون اكبر منه بخمسة عشر عاما ، او اقل ، او ربما عشرة فقط . واخذ يتامل في الفوائد التي سيجنيها لو اقنعها بان تصبح خليلته ، او حتى ان يتزوجها . ما اجمل ان يكون هناك من يعتني به . ولكن ماذا سيؤول اليه الوضع بعد عشر سنوات ، او خمس عشرة ؟ كما ان هناك مسألة انتمائها الى شهود يهوة . وشعر ، لسبب ما بان هذه المسألة لا تتناسب والموقف الذي يتصوره . كان يظن ان النسوة اللواتي ينتمين الى شهود يهوة هن من الطبقة العاملة ويرتدين ثيابا رثة .

كان يلذ له ان يكتشف مدى الجدية الذي تأخذ به مواعظ الكتاب

المقدس ، وهل ان عقائدها تحتم عليها العفة . وقد علم بيقين مفاجيء انه لا يملك اية رغبة في الزواج منها . فالزواج يعنى التخلي عن كل شيء وقد احس بيقين في اعماقه بان الاستقرار الذى يشتريه بهذا التخلي غير ضروري على الاطلاق . وراح يفكر في مغازلتها عوضا عن ذلك . وساقته هذه الفكرة الى النوم

وقد حاول في مساء اليوم التالي ان تتصل بها تلفونيا ، فلم يتلق جوابا ، فضغط على حمالة السماعة وادار رقم اوستن . فاخبره صوت فتاة من البدالة ان المستر نن قد سافر لبضعة ايام . فعاد الى غرفته وهو يحس بالخيبة الى حد غريب .

وبعد نصف ساعة بينما كان يطالع كتابا تناهى اليه وقع اقدام ترقى السلم الى غرفة الرجل العجوز . وسمع طرقات على الباب ، وهتف صوت فتاة : مستر هاملتون ، ولم يجب احد . وهبطت الاقدام السلم ثانية . وسمع نقرا على بابه . فصاح : تفضل .

فقالت الفتاة التى كانت تقف عند الباب :

— آسفة لازعاجك . .   فقال سورم :

— هل انت كارلونة ؟

— نعم ، هناك احد رجال الشرطة عند الباب الخارجى .

— تريد مقابلتي ؟

— اوه ، لا . قال ان احدهم رمى بزجاجة الى الشارع . واعتقد ان الفاعل هو مستر هاملتن ، ولكنه لا يجيب . فماذا افعل ؟

— ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه الفاعل ؟

— لا بد انه هو . مسيو كاليه في الخارج ، فمن يكون غيره ، يا ترى ؟

— ماذا تريدين مني ان افعل ؟

— هل يمكنك ان تذهب بطريق سلم الانقاذ ؟ ربما سيرد عليك .

— اين الشرطي ؟   — تحت .

فتسلق سورم الى النافذة وخرج الى سلم الحريق ، ووقع بصره على حزمة من الضياء تنبعث من باب مفتوح في الاعلى . اما في الغرفة ، فجلس الرجل العجوز القرفصاء على الارض ، ظهره الى الباب ، عاري الجسد . وسمع اغنية دينية تغنيها جوقة كنسية باللغة اللاتينية: نجمة الصباح . . الخ .

ووقف هناك ، مترددا ، لا يدرى هل يعود الى غرفته بهدوء . فلما توقفت الاسطوانة ، سعل وطرق على الباب . كان يتوقع ان يلتفت العجوز او ان يباغته الشعور بالذنب ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، وانما رفع الرجل الاسطوانة من الفرامافون والتقط اسطوانة اخرى من بين الكومة الملقاة امامه

وقال سورم : ـ عفوا . . .   فقال الرجل من فوق كتفه :
ـ ادخل ، لا نظل واقفا هناك . فتقدم سورم الى داخل الغرفة :
ـ آسف لازعاجك ، ولكن هنالك شرطيا تحت يسأل عن زجاجة كان احدهم قد القى بها الى الشارع .
ـ والتفت الى النافذة ، فيما هو يتكلم ، فالفاها مفتوحه ، وكانت نطل على الشارع . فقال له الرجل العجوز :
ـ انت الماني ، اليس كذلك ؟
ـ كلا ، انا انكليزى ، ولهذا هلا . . .
ـ نعم ، طيب ، طب ، هل نعجبك مراسيم الصلاة الرومانية .
فثارت اعصاب سورم ، ولكنه احس بالعجز ، فقد كان الرجل يضع بين فخذيه زجاجة ينكفيء فوقها قدح . كان الفرامافون صندوقا خشبيا كبيرا ، وقد تدلت قطعة القماش الخضراء على القرص الدوار ، وامتدت الاسلاك منه عبر الغرفة الى جهاز راديو على رف الكتب . واحس بالبرد يلسعه من تيار الهواء الذي يهب في الغرفة ، ولكنه لاحظ لدهشته ان الرجـــل كان يتصبب عرقا .
ـ جئت لاخبرك فقط ان الشرطي يبدو عليه الامتعاض ، فالقاء القناني من الشبابيك يسبب متاعب جمة . .
ـ قل لي ، ايها الصديق الشاب ، هل تعتقد بموت الجسد ؟
واحس سورم فجأة انه كان يغلي من الغضب ، وانه يتمنى أن يمسك بالفرامافون ويهشمه على هذا الرأس الاصلع الذي يرشح عرقا . احس انه ضحية انسان عجوز سكران . فعبر الغرفة الى الباب وحاول ان يفتحهــا ، لكنها كانت مقفلة وقد نزع المفتاح منها .
فقــال العجوز بسماجة :
ـ اجلس وخذ شيئا من الخمر . من اي جزء من المانيا انت ؟
واخذ سورم يتلفت حوله ، لقد روعه واقرفه فجأة هذا الجسد العاري القذر ، وصعد الغثيان الى حنجرته . وسكب العجوز شراب الجن في قدح كبير ، ثم كفأ القدح على رقبة الزجاجة ثانية . وهز الزجاجة فاخذ القدح يصلصل . فابتسم :
ـ لا يمكنك الخروج من ذلك الطريق . ومد يده اليمنى الى الامام ، مشيرا وتبع سورم اتجاه اصبعه الى دولاب فى الجدار . كانت بابه مفتوحة .
ـ هل تعلم ما هو ذلك ، ايها الصديق الشاب ، ايها الصديق الالماني الصغير ؟

ـ كلا .
ـ انها خارطة اليس كذلك ؟ خارطة . ولكن هل نعلم ما هي ؟
ـ كانت هنالك خارطة مثبتة الى الباب من الداخل تبدو وكأنهـا مرسومة بالحبر .
ـ لا شك انك لا تعلم . وسوف لن اخبرك . انها سر خاص بي .
فعبر سورم الغرفة ثانية وخرج مسرعا عن طريق سلم الحريق واخذ الرجل العجوز ينادي : هي ، انتظر لحظة ، وهبط سورم عن طريق سلم الحريق وعاد الى غرفته ، وقالت الفتاة :
ـ حسنا ؟
ـ لا ينفعه شيء ، انه سكران . عليك ان تخبري الشرطي ان ذلك لن يحدث ثانية . فهو لا يستطيع الاصغاء من فرط السكر .
فاستدارت وبركت الغرفة دون ان تنبس بكلمة . فاغلق النافذة وجثا على ركبتيه قرب مدفأة الغاز ليدفىء يديه . وتناهى اليه من اسفل صوت رجالي خشن . وكان الفرامافون فوق غرفته يعزف ثانية . واذهله عنف غريزة القتل التي اثارها فيه هذا العجوز ، وحتى في تلك اللحظة كان يشعر برغبة شديدة في ان يقف في مدخل الغرفة ويفرغ الرصاص في ذلك العري الكريه وادهشته قوة هذا الشعور بالكراهية .
وكانت يداه ملوثتين من لمس قضيب سلم الحريق ، فغسلهما في المطبخ ، واخذ يشعر بالانبساط تدريجيا وهو منحن على طشت الغسيل مغمور اليدين في الماء الدافىء . وعندما عاد الفى الفتاة تنتظره في غرفته . كانت تنظر الى صندوق الكتب ، والتفتت اليه عندما دخل :
ـ او ، آسفة . ارجو الا يزعجك دخولي ...
ـ كلا ، ابدا ما الخبر ؟
ـ يقول انه مضطر الى اخبار السلطات ، هذا كل ما في الامر .
ـ هل لك في كأس من النبيذ .
ونظرت وكأنها تريد ان ترفض ، غير انه اخرج الزجاجة من الدولاب وقال : ـ سآخذ انا قدحا .
ـ حسنا ، قليل جدا ، رجاء .
كانت تلك الزجاجة هي نفسها التي فتحها في اليوم السابق ، وكانت ما تزال مليئة تقريبا . وسكب الشراب في قدح ناوله اليها .
ـ تفضلي بالجلوس .
ـ اشكرك .

وجلست على كرسي الى جانب النار . كان لها وجه مدبب قوي ،وكانت عظام وجنتيها عالية . وكان فمها ممتلئا ، غير انه لم يكن شهوانيا . لو كانت اكثر رشاقة لكادت ان تكون جميلة . وكانت تتكلم بلهجة انكليزية تامة .

ـ ماذا تعتقد انه ينبغي علينا ان نفعله بهذا الشخص ؟

فقال :

ـ انا مستعد لقتله . انه يثير اشمئزازي .

ـ ماذا قال لك ؟

ـ لم يقل شيئا واضحا . كان غارقا في السكر ، جالسا على الارض عارى الجسد .

ـ عاري الجسد ؟

ـ نعم .

وسحب كرسيا وجلس في مواجهتها :

ـ اكاد لا افهمه . فمن الغريب انه لم يقتل نفسه . انه يشرب طول الوقت .

ـ من هو ، الا تعرفينه ؟

ـ كان يعمل مهندسا ، وقد ماتت زوجته . اعتقد ان لديه مالا . وهو يخطب ، في بعض الاحيان ، في حديقة هايد بارك عن الدين .

ـ ماذا يقول عن الدين ؟

ـ لا اعلم . انه يتحدث عن طائفة من الطوائف الدينية الروسية التي تؤمن بالرقص حول النار . وهو يثرثر كثيرا عندما يكون مخمورا . ويتحدث عن القتل ايضا .

ـ القتل ؟

ـ نعم . يدعي ان لديه سرا عظيما .. حول ـ ما اسمه ؟ .. جاك لا فانترير .

ـ جاك .. جاك القاتل ؟ آه ، تعنين جاك السفاك . ماذا يقول عنه ؟

ـ لا اعلم . انه يتكلم كثيرا عندما يكون سكرانا .

ـ ترى لماذا تحتمله المسز ميلر ؟ لم لا تلقي به خارجا ؟

ـ ولم تفعل ذلك ؟ انها لا تعيش معه في نفس المسكن . وهو ينقدها ثلاثة جنيهات في الاسبوع اجرا لتلك الغرفة . لا يدفع اي انسان اخر مثل هذا المبلغ .

وانهى قدح الشراب ، وسكب لنفسه قدحا اخر . اما هي فلم تكن قد شربت جرعة واحدة . وقالت: انه يخيفني . لقد سرق مني مرة زوجا من الاحذية .

وسمعت في هذه الاثناء جرس الباب الخارجي . فقفزت على الفور .
ــ يجب ان اذهب . انه لي .
ــ هل استرجعت الاحذية ؟
ــ نعم . وجدتها في دولابه . وداعا . اشكرك على الشراب .
ــ لا شيء . تعالي في احدى الامسيات يوم لا تكونين مضطرة الى المغادرة

وجلس وهو يحملق في النار الغازية . ثم انحنى ليلتقط قدحها الذي لم تلمسه . كان دافيء المذاق . وقال بصوت عال : يجب ان احصل على امرأة . لقد اخذ الجوع الجنسي يعصف بي . وراح يفكر في النساء الواقفات خارج محطة النفق في كامدن ، وعيونهن تلاحق من يمر بهن من الرجال . ولكنه ادرك في الحال انه لم يكن يرغب في المومسات . فانهن يهدمن شهيته ،كوجبة طعام في (روتن هاوس) . وجرع ما في القدح من الشراب ، وجلس الى الاله الكاتبة .

* * *

وفي تلك الليلة ، حدثت له رؤيا التشتت مرة اخرى . وافاق وهو يشعر بالحرارة وبقليل من السكر . كان ما يزال مرتديا كل ملابسه ، وهو يرقد على السرير . وكان جهاز الراديو القابع مقابل عينيه يئن بهدوء ، فقد داهمه النوم بينما كان يصغي الى حفلة موسيقية متأخرة . كانت الغرفة تسبح في الظلام الا من بصيص ينبعث من واجهة الراديو ، ومن الوهج الاحمر الصادر من مصابيح النيون التي كانت تضيء احد السينمات على الجانب الاخر من الشارع . وبينما كان يجول ببصره في ارجاء الغرفة ، طاف في ذهنه هذا السؤال : ماذا افعل هنا ؟ فقد بدا وجوده هنا وكانه لم يكن معنيا بذاته ، كان من المحتمل ان يكون في اي مكان او ان يكون اي شيء . وضيق عليه هذا الاحساس بالغربة ، فحاول ان يركز اهتمامه عليه ليستقصي طبيعته بصورة ادق . ولكن سرعان ما عصرت قلبه رعشة من الخوف ، وافرغت كل ما في ارادته من القوة . لقد ادرك ان وجوده لم يستطع ان يفصل نفسه عن الوجود العام ليفحص ماهيته . وواجهه الوجود كالجدار الاصم واحس بانه مدفوع برغبة فطرية لان ينفذ خلال الجدار ، ليؤكد حقيقة ما وراء الجدار ، واستبد به الرعب الذي صاحب ادراكه بانه واقع في فخ الوجود ، وان لا سبيل الى الانفصال عنه . وكان الرعب الذي اصيب به كرعب الذي بترت ذراعه : اعنف من ان يؤلم .

وعاد الى وجوده وهو راقد على السرير ، بهزة من الارتياح . وقفز من الفراش واجتاز الغرفة ليطفيء الراديو ، وهو يفكر : عبث او غير عبث ،

فانني اختار ان اكون هنا .

وما ان عاد الى السرير ثانية حتى اخذ يحاول ان يخلق من جديد هذا الخوف ، والادراك الذي ولده ، ولكنه عجز عن ذلك . فقد استنزفته، كاشباع الرغبة الجنسية ، وراح ذهنه يصوغ الكلمات بـدلا من الاحاسيس . ان الشعور الوحيد الذي استطاع ان يثيره ثانية في نفسه هو الاحساس بالغربة ، الشعور : بأني لا انتمي الى هذا المكان . واخذ يتساءل بغموض ، وقد خسر المحاولة ليبقى متيقظا ، اليست البصيرة نوعا من الحارس ، من الروح الخيرة التي تتميز بالعدم ؟

وافاق ثانية اثناء الليل ، وشعر باشمئزاز غريب من جسده ، كان جسده قطعة من اللحم الميت . ثم ادرك فجأة ما الذي اثاره الفتيان في نفسه فكرة عدم وجوده .

* * *

واستيقظ مرة اخرى وداهمه احساس بان هناك شيئا يحدث . فنظر الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد العاشرة . وكان احدهم يضرب باب الرجل العجوز . وهتف صوت الفتاة الالمانية :

ــ افتح الباب ، رجاء . يريد احدهم التحدث اليك .

ورد العجوز بعبارة غير متميزة ، كانت كلماته مخنوقة ، وتكرر الطرق على الباب . وصاح العجوز ثانية ، بصوت اوضح هذه المرة : ــ من هو ؟

ــ فقال صوت رجالي :

ــ ضباط الشرطة . ارجو فتح الباب .

واعتدل سورم في فراشه ، وتذكر الزجاجة حالا . وسمع جلبة فوق رأسه ، وحركة قدمين عاريتين على ارض الغرفة . ثم تحرك شيء ثقيـل ، قطعة من الاثاث . وصاح الصوت الرجالي ثانية :

ــ ارجو السماح لنا بالدخول رجاء .

لم يجب احد ، وتزحزح شيء اخر على الارض . واشتد الطرق على الباب واصبح اكثر الحاحا . وفجأة صاح الرجل العجوز ، بصوت حاد لاهث

ــ ماذا تريدون ؟

فاجابت الفتاة الالمانية مهدئة :

ــ مجرد بعض الاسئلة . ــ عم ؟

فقال الشرطي ــ افتح الباب ، لنتحدث .

كان صوت الرجل العجوز اجش ، يكاد لا يفقه ، وصرخ :

ــ اعرفكم ، اعرف الاعيبكم .

وكانت في صوته مسحة من الهستيريا . واخذ الشرطي يناقش الفتاة بصوت منخفض . ومشت الاقدام العارية على ارض الغرفة ، وسقط شيء على الارض محدثا قرقعة . وصرخ الشرطي :

ــ اذا امتنعت عن فتح الباب ، فسنقتحم الباب بالقوه .

وقفز سورم من السرير وارتدى سرواله . وفتش حوله عن نعليه ، ثم تذكر انه تركهما في المطبخ . وفتح باب غرفته فجأة ، واطلت الفتاة الالمانيه . كان ما يزال على الارض ، يبحث تحت السرير . وسمعها تقول :

ــ لا يوجد احد هنا ، يمكنك الدخول .

واعتدل سورم بينما دخل الغرفة رجل ، فهمست الفتاة : اوه ، اسفة ، ظننت انك في الخارج .

فشعر سورم بالحرج ، وكان منشور الشعر ، ما يزال مرتديا سترة منامته . وسأل : ــ ما الخبر ؟

ــ تشش ، لا نريده ان يسمعنا . هذا السيد شرطي ويريد ان يصعد من سلم الحريق . هل لديك مانع من ان يمر خلال غرفتك ؟

ــ لا . بالطبع لا .

فاجاب الشرطي الذي يرتدي الملابس المدنية بصوت فظ :

ــ اشكرك يا سيدي .

ورفع سورم الجزء الاعلى من اطار النافذة ، فانزلقت بصرير من جراء عدم تزييت البكرات . وقطبت الفتاة . والتقط الشرطي صحيفة من جريدة كانت على الطاولة ، وقال بهدوء : هل تسمح يا سيدي ؟ ثم فرشهــا على السرير ووضع قدمه عليها لينسلق خارجا من الشباك . كان رجلا قصير القامة ، له وجه مدبب يشبه راس الطير . وبقي في موقفه هنيهة محدقــا في الغرفة العليا ، ثم تسلق سلم الحريق بهدوء . واخفض سورم النافذة قليلا ليقلل تيار الهواء .

وسأل الفتاة : ما الخبر ؟

فتململت وقالت : لا بد ان يكون معتوها . يريدون ان يوجهوا اليــه بعض الاسئلة فقط .

ــ حول رميه القنينة ؟

ــ لا ، ليس لهذا السبب .

ــ ماذا فعل هذا العجوز ؟ فقالت بغموض :

ــ الامر يتعلق بجريمة قتل ، يعتقدون انه قد يعرف شيئا عن الموضوع

وتناهى اليهما صوت ضربة مفاجئة على الباب كمن يريد ان يقتحمه .

وصرح الرجل العجوز .
ـ لا يمكنك ان تدخل .
فهرعت الفتاة الى التساك واحدت ننظر الى الاعلى . وصاح الشرطي :
ـ اجبري برت ان يأتي للمعاونه . فلا بد ان نكسر الباب .
واسرع سورم الى الباب . ولكنه قبل ان يصل اليه دخل الشرطي الاخر الى الغرفة راكضا ، ورفع السناك وتسلق خارجا .
فقالت الفتاة :
ـ ماذا يبغي هذا المجنون ؟ لا يريد احد ايذاءه .
والقت بنفسها على السرير نائبة واشرأبت بعنقها خلال النافـذة .
وانطلق الباب مفتوحا بدوي عنيف . وصدر صوت الرجل العجوز يائسا :
ـ لا تقتربا مني .
فالتفتت الفتاة وحملقت في وجه سورم . وسمعا صرخة الم مفاجئة اجمدت الدم في عروقهما . فقال سورم :
ـ يا الهي ، ماذا فعل ؟ اعتقد انه من الافضل ان اذهب للمساعدة .
وحالما تسلق الى النافذه رأى الدخان الاسود المنبعث من خلال الباب . وتسلق السلم مسرع الخطوات . لم يتمكن ان يرى ما في داخل الغرفة لشدة الدخان واللهيب . وصاح احد الشرطيين : افتح النافذة ، وخبت السنة اللهيب برهة من الزمن ، فاستطاع ان يرى ان النار كانت عند الباب فقط . فتقهقر الى الخلف ممكنا على قضبب سلم الحريق ثم القى بنفسه في الغرفة وكان الدخان قد ملأ الغرفة كالضباب البنى . كان العجوز يتلوى من الالم على الارض . وكانت النار مشتعلة فيه . وكان الشرطيان يحاولان اخماد اللهيب بالاغطية . وفتح سورم النافذة على الجانب الاخر من الغرفة ،وتنشق الهواء النقي وهو يحس بالامتنان . وحينما ادار رأسه الى داخل الغرفـة استطاع ان يتبين ان النار كانت تندلع من علبة زيت ملقاة بالقرب من المدفأة، والزيت ما يزال يتدفق منها . فركض نحوها وسدد لها ضربة بقدمه اطارتها خلال الباب الى باحة الدار . وتدحرج الرجل تحت قدمه وهو ما يزال يصرخ وسقط سورم على السرير ولكنه استرجع توازنه ورفع الفراش من السرير والقى به وسط اللهب . فصغرت حالا مساحة اللهيب الى بقعة صغيرة ، واخذت تتطاير حول اطراف الفراش . وصاح احد الشرطة بصوت خشن : احسنت صنعا ، وتوقفا عن الضرب بالاغطية والقيا بها فوق النار . وفتح سورم دولاب الملابس ورمى بكل ما استطاع ان يجده من الثياب . وتخدشت عيناه وحنجرته من الدخان . واخذ يطأ بقدمه على السنة اللهب التيبقيت

منأججة ، وهو يرتطم بالشرطيين في ترنحه كالثمل ، ويسعل في غمرة الدخان وكان الرجل صامتا ، على الارض .

وسنت تيار الهواء القادم خلال الفرفه سحب الدخان . ونرك سورم الشرطيين ليطآ اللهيب ومضى ينتزع الصندوق والكراسي التي وضعهـــا العجوز خاف الباب . وادار المفتاح وفتح الباب . وكاد أن يسقط على الدرج من شدة شوقه ليتنفس الهواء الطلق .

وقاوم رغبته في ان يعلق الباب خلفه ليعزل نفسه عن الدخان ورائحة الزيت الكريهة . وجلس على اعلى السلم منكئا على الافريز ، واخذ يتنفس تنفسا عميقا . وبعد قليل ، تلاشى الالم في عينه ، وشعر بالسخام يغطيه من قمة رأسه الى قدميه ، وبعد ان ذهب شعوره بالاختناق عاد الى الفرفـــه مرة اخرى . كان الشرطيان يقفان خارج الفرفة على سلم الحريق يلهثان . وقد انطفأت النار . وكان الرجل العجوز يرقد بلا حراك تماما في وسط الغرفة واستدار سورم وهبط السلم تانية . فوجد ثلاثة اشخاص في غرفته يتأملون من خلال النافذة. فشعر بالغثيان ولوى رأسه وسارنحو المطبخ. وفتح صنبور الماء ووضع رأسه تحته . وخلع عنه المنامة واخذ يمسح جسده باسفنجـة مبللة ، فهدأت الحرارة التي كانت تضطرم فى جسده وأحس ببرودة رغيده. كان جسده يتوجع ويرتعش كمن تعرض لضرب مبرح . فمسح بالاسفنجـة والصابون على وجهه وصدره ثم اخفض سرواله ، وراح يمسح جزءه الاسفل وبعد ان جفف نفسه شعر بتحسن . واخذ الماء يقطر من شعره الذي تشرب بالماء فانساب على كتفه ورقبته . واخذ يمسح شعره بعنف ، ثم راح يسرحه وهبط السلم تانية ، حاملا بيده المنامة .

كان باب غرفته مغلقا ، وقد جلس فيها الشرطيان ونزعا معطفيهمـــا وسترتيهما . وكان الرجل العجوز راقداً على الفراش ، يئن بصوت خافت فنظر اليه الرجلان عند دخوله وانفرجت شفتاهما عن ابتسامة . وقـــال احدهم معلقا :

ــ اللعنة ، اعتقدت اننا قضي علينا أليس كذلك يا جاك ؟

ورمق المدعو جاك السرير ، قائلا :

ــ ايها النغل البليد . لم يفعل كل ذلك ؟

فنظر الاخر الى سورم وقال :

ــ شكرا للمساعدة .

ــ لا شيء . هل تلقيان القبض عليه ؟

ــ كنا نبغي ان نوجه اليه بعض الاسئلة فقط .

كان راساهما وايديهما مسودة من القذارة ، وكانا يتصببان عرقا .
فقال سورم سائلا :
ـ هل لكما بشيء من الشراب ؟
فقال المدعـو جـاك :
ـ بل انها لفكرة بديعة .
فقـــال الاخـر :
ـ ماذا ؟
ـ شراب او بيرة .
ـ بيـــرة لــي .
ـ ولـــي ايضـــا .
وفتح زجاجة الجعة الخفيفة وسكب منها في قدحين واناء من الخزف وشرب حصته جرعة واحدة طويلة . ودفع الزجاجة اليهما قائلا :
ـ تفضــلا واشربـــا .
ـ شكـــرا .
ـ اين كارلوتة ، الفتاة الالمانية ؟
ـ لقد ذهبت لطلب سيارة الاسعاف تلفونيا .
وفي اثناء ذلك دخلت الفتاة الى الغرفة وقالت :
ـ سيحضرون بعد قليل . كيف حاله ؟
فهز المدعو جاك كتفه وقال :
ـ لا يمكننا الجزم وهو بهذه السن . ان اصابته بالحروق ليست بليغة ولكنه اصيب بصدمة .
كان الرجل العجوز يرقد على السرير ، مغموح العينين ، يتنفس بصعوبة وطفق يئن . وقال سورم :
ـ سأذهب لارتداء ملابسي ، عن اذنكم .
واخرج سروالا مكويا بعناية من الدرج ، ونوبا وربطة عنق . ومـــلأ الشرطيان قدحيهما ثانية حتى افرغا الزجاجة ، وتجاهلا الرجل العجوز .
فتبعه الفتاة خارج الغرفة وقالت له :
ـ يمكنك الانتظار في غرفتي ان اردت . وستصل سيارة الاسعـاف بعد قليل .
كاد ان يرفض ، ولكنه غير رأيه :
ـ شكرا ، اين هي ؟
ـ تعال ادلك .

وسبقته في الهبوط على السلم ، فقال لها سائلا :

ــ ماذا فهمت من الوضع كله ؟ ما هي حقيقة الامر ؟

ــ لا ادري ، لا اعرف اكثر مما تعرفه انت .

وكان يتوقع لسبب ما أن يجد غرفتها موحشة ، غير ان غرفة الجلوس كانت واسعة وثيرة الاثاث . وكانت ارض الغرفة مغطاة بالسجاد . وفنحت نورا عاليا للقراءة ينتصب الى جانب الاريكة ، نشر ضياء ورديا دافئا . وكانت هنالك مدفأة كهربائية مثبتة في الجدار تشتعل . وحينما تركته منفردا ، ارتدى ملابسه وسرح شعره ، ثم راح يجيل بصره في الكتب المصفوفة على الرف ، كانت جلها باللغة الالمانية . ولفت نظره ان سريرها في الزاوية كان واسعا ، فخطر له بصورة تلقائية : يسع شخصين ، ثم فكر : لا ، ليس من الحكمة في شيء ان تكون لك خليلة في بيتك ، يمكنها ان تراقبك بدقة . ومع هذا ، فقد طاف ببصره باهتمام على الصور المرتكزة فوق الدولاب ولم يجد بينها صورة رجل شاب . كانت هناك صور تمثل عائلتين وصورة فتاة تبدو في سن اصغر بعشر سنوات ، ذراعها يلتف حول خصر فتاة شقراء ، وكانتا ترتديان الملابس البافارية .

وفتحت الباب من خلفه . كان يتوقع الفتاة ، واذا به الشرطي المدعو جاك يدخل .

ــ هل اوجه لك بعض الاسئلة ؟

ــ تفضل . عن ماذا ؟

ــ تفضل بالجلوس اولا .

واخرج من جيبه دفتر ملاحظات وقلم حبر جاف . وجلس سودم على الاريكة .

ــ والان ، لنر . انك تسكن هنا منذ يوم السبت فقط ، فلا اتوقع منك ان تعرف الكثير عن هذا العجوز ؟

ــ لا شيء على الاطلاق ، في الواقع .

ــ ولكنك صعدت الى غرفته يوم امس ؟

ــ لبضع دقائق فقط .

ــ طيب . الم تتكون لديك اية فكرة عن اوراق يحفظها عنده ؟ شيء قد يريد اتلافه حرقا ؟

ــ لا اعتقد ذلك ، فلم امكث عنده غير دقيقة ونصف فقط .

وتنهد الرجل وقال :

ــ طيب .... حسنا . هلا شرحت لي ماذا حدث في الليلة الماضية .

ووصف سورم مقابلبه مع الرجل العجوز ، واخذ يعيد ، ما استطاعت ان تسعفه به ذاكرته ، كل ما جرى بينهما من حديث . ولم يقاطعه رجل الشرطة الا مرة واحدة حيث قال :

ــ هل ابيح لك ان تلقى نظره على الخارطة ؟

ــ كلا ابدا . لقد مررت من هناك فقط .

ــ هل كانت خلف باب الدولاب ؟

ــ نعم .

ــ خارطه سوارع ؟

ــ اعتقد ذلك .

ــ هل يمكنك التعرف على خارطة وايتسابل لو رأيتها ؟

ــ لا اعلم . ربما استطيع . من المحتمل جدا انها خارطة وايتسابل .

ــ اعتقد ان كارلوبه حدثتك عن فكرته المضحكة ، قضيه جاك السفاك .

فاجاب الرجل باكتئاب : اجل . واغلق دفتر الملاحظات واعاده الى جيبه ثم قال : ــ حسنا ، اعتقد ان هذا هو كل ما اردت ان اسألك عنه .

وقال سورم :

ــ هل ان القضية سر ، ام يمكنك ان تحدثني عن ماهية الامر ؟

ــ انه مجرد تحقيق روتيني في قضية جرائم القتل التي حدثت في وايتسابل . اخبرنا احدهم عنه انه احد المشبوهين . ونحن ملزمون بأن نقوم بهذا التحقيق .

ــ ما هي جرائم القتل في وايتسابل هذه ؟

ــ الا تقرأ الصحف ؟

ــ كلا ، الا عندما اكون مضطرا ، ولست مضطرا على الغالب .

واشعل الشرطي سيكارة وانتصب واقفا وهو يبحث عن نفاضة سكاير وقال : ــ انت ، رجل محظوظ . اقرأ صحف اليوم فتجد كل ما نبغيه عنها .

ــ كيف نفذت هذه الجرائم ؟ اقصد ما هو السلاح المستخدم ؟

ــ عدة انواع : مطرقة ، مقص ، سكينة .

ــ وكم عدد القتلى الى الان ؟

ــ اربعة .

وقال سورم متسائلا :

ــ ولكن كيف علمت ان الذي اقترف هذه الجرائم كلها هو شخص واحد ؟ طالما كانت وسائل القتل مختلفة حقا . .

وقاطعه الشرطي بقوله :

ـ اصغ ، سؤالك لي لا يجديك شيئا ، اقرا جريدتك ، فلست المسؤول عن هذه القضية . اني اقوم بعمل روتيني وحسب .

ـ من المسؤول اذن ؟

ـ المفتش ماكمردو ، سكوتلانديارد .

وفجاة رن الجرس في الشقة ، وهتف الرجل :

ـ آه ، لا شك انها سيارة الاسعاف .

وراح يخطو نحو الباب ، وقبل ان يبلغ عتبتها ، سمعا وقع اقدام يهبط السلم بسرعة ، ففتح الباب وتوقف هناك واخذ يسترق السمع . وقال سورم:

ـ اتعلم ، الغريب انـه . . .

ـ ماذا ؟

ـ الطريقة التي تصرف بها . يظهر انه كان يعتقد انكما كنتما تبغيان توقيفـه .

ـ غريب جدا . اود ان اعرف سبب ذلك .

ـ اعتقد ان به لوثة في عقله .

ـ ينبغي ان ارحل الان . شكرا على المساعدة .. والبيرة .

ـ لا ابدا .

ووجد جريدة الصباح على مائدة المطبخ . وقد كتبت الجريدة بعناوين بارزة في صفحتها الداخلية : اكبر قضية تحقيق حتى الان . وتناول الجريدة وحملها الى غرفة الجلوس واقتعد الكرسي وانشأ يقرأ . وكانت الصفحة الاولى تحمل صورة فتاة مكتنزة الجسم ، ممتلئة الشفاه ، كتب تحتها :

« البحث مستمر عن القاتل المجنون في لندن . جرى يوم امس تسخير جميع من توفر من رجال في اكبر ملاحقة عرفتها العاصمة حتى الان عن مجرم سدد اربع ضربات خلال احد عشر شهرا . وقد قال المحقق ماكردو في وقت متأخر من الليلة الماضية في حديث له الى الصحفيين ان الشرطة قد حصلت على ما يكفيها من الادلة للاعتقاد بان قاتل كريتشن ويدمان الموديل السابقة البالغة من العمر خمسة واربعين عاما والتي وجدت مصابة بطعنة مميتة صباح يوم السبت ، هو نفسه قاتل مارثا ترنر (٦ كانون الثاني) ، وخوانيتا ميلر (٣ نيسان) وكاترين ايدوز (١٧ اب) .

« قتلت مارثا ترنر بضربة مطرقة في شارع جورج ، سبتاليفلدز . اما خوانيتا ميلر ، فطعنت بمقص . وكاترين ايدوز ، مثل لاحقتها كريتشن ويدمان طعنت بسكين .

« يكاد يكون اعتقاد رجال الشرطة جازما بانهم يلاحقون الان قاتلا

مجنونا ذا ميول سادية ، تعاوده بين الحين والاخر شهوة القتل . ويجري رجال الشرطة ، منذ صباح يوم السبت ، تحقيقا من بيت الى بيت في كل ناحية من انحاء واينسابل .

« وقد حقق البوليس كذلك مع اصحاب الاكشاك في سوق « بيسي كوت لين » حول رجل يحمل موسى حلاقة يمزق بها ملابس النساء الداخليه المعروضة للبيع هناك .

« وقد وصل مساء يوم امس الى غرفة التلفون في مبنى سكوتلانديارد حوالي مائتي نداء من اناس يظنون ان لديهم معلومات عن القاتل .

« وتحدث المحقق ماكمردو في الليلة الماضية قائلا : ليست هناك تطورات جديدة في الموضوع ، ولم يزل رجال الشرطة يأملون في القاء القبض على القاتل في اقرب وقت . »

ودخلت الفتاة في اللحظة التي انهى فيها قراءة الخبر ، وقالت :

ـ غرفتك خالية الان .

فقام على قدميه وهو يقول :

ـ اوه ، شكرا .

ـ هل لك في قدح شاي ؟

ـ نعم . شكرا جزيلا .

وصاحت من المطبخ :

ـ اخبرني رجال الشرطة انك قمت بعمل عظيم .

فاجاب متضاحكا :

ـ لا تحدث دائما حوادث مثيرة كهذه قبل الغداء .

ووقف عند مدخل الباب ، يراقبها تضع الشاي بالملعقة داخل الاناء ، ثم رفع ابريق الماء الذي كان يصخب بازيزه . وقال :

ـ الا تسخنين ابريق الشاي ؟

ـ كلا ابدا ، واني لعلى يقين من ان المذاق لا يتغير ابدا ، يقول اصدقائي من الانكليز انه يتغير ، ولكني لا اشعر به .

فاجاب بلامبالاة : ـ يجوز .

فرمقته بنظرة ودية مفاجئة . وقالت :

ـ حسنا ، عندما اهيىء لك الشاي في المرة القادمة ، ساسخن الابريق

وارتسم الجد على محياه وقال :

ـ هل تعتقدين ان هناك اي امل في عودة هذا العجوز ؟

فقالت بلهجة مؤكدة :

ـ آمل الا يعود .
ـ هل قرات جريدة الصباح ؟
ـ بعــــد .
ـ تذكر الجريدة ان الشرطه تلقت اكثر من مائتي نداء حول هانـــل واينشابل هذا . يبدو ان احد هذه النداءات يتعلق بالعجوز .
وناولته الشاي في اناء خزفي رقيق الصنع . فقال سورم :
ـ شكرا . . . لا ريب انه من المستحيل ان تكون لهذا الشخص علاقه بجرائم القتل هذه ، أليس كذلك ؟
ـ اظن ذلك .
وعادا ثانية الى غرفه الجلوس ، فجلست هي على الاريكة :
ـ اعتقد انه يمكنه ان يثبت انه لم يكن في محل الجريمة ، فهو يلعـب الاسطوانات طوال الليـل .
ووضع قطع السكر في قدحه ، واخذ يدير الملعقة ، وهو يقول متأملا :
ـ ومع هذا ، فمن الممكن ان يجعل من ذلك خدعة . فكل ما يحتاجـه هو غرامافون اوتوماتيكي وكومة من الاسطوانات . ما اروعها قصة بوليسية ، الا تعتقدين ذلك ؟ رجل يوقظ الجيران ليبرهن كونه بعيدا عن محل الجريمة . وفي احدى الليالي ، يضع كومة من الاسطوانات في الغرامافون ويتسلل خلال سلم الحريق ليقترف جريمة ويعود ادراجه بعد ساعتين . عقدة محكمة .
ـ لم لا تفاتح الشرطة بذلك ؟
فاجاب :
ـ سأفعل ، اذا ما تبين لي ان هذا النغل العجوز سيعود . ساضـع الخطة لادانته . واعلن باني رأيته يتسلق سلم الحريق بحذاء من المطاط وهو يحمل باحدى يديه فأسا ملطخة بالدماء ، فيتقرر بذلك مصيره .
فانفجرت الفتاة بحنان غير متوقع ، قائلة :
ـ مسكين هذا العجوز . كان ينبغي ان تكون له عائلة ترعى شؤونه .
واغضبه ما كانت تبطنه في كلماتها من لوم لصلابته . وقال وقد طفح وجهه بالبشر :
ـ اجرؤ على القول بان له عائلة بالفعل ، ولكنها تختفي لتتفاداه . هيا تأملي في الامر .
ـ يجب عليك الا تكون بهذه القسوة تجاهه .
ـ الم يوقظك طوال الليل باسطواناته الملعونة .
واحتسى الشاي . كان رديئا جدا ، خفيفا ، لم يبق المدة الكافية على

النار . فاضاف اليه كمية اخرى من الحليب لتلطف من مذاقه ، ثم افرغه في جوفه جرعة جرعة . وقالت له : المزيد من الشاى ؟

ــ كلا ، اشكرك . يحسن بى ان اذهب . وبالمناسبة ، هل القيت نظرة في تلك الغرفة ؟

ــ كلا ، لم ؟

ــ لا ادري هل الحروف فيها جسيمة ؟

ــ لماذا ؟ هل تريد أن تنتقل اليها ؟ فقال :

ــ قد تكون فكرة معقولة ، في حالة رغبة النزيل الاخر في ان يقــوم بحركات بهلوانية طول الليل ، او ان يدرب حصانا على الرقص .

الفصل الثـالث

وهنف من كان على الطرف الثاني من خط التلفون :
ــ مكتب الاخبار .
ــ هل المستر بيل موجود رجاء ؟
ــ يتكلم .
ــ هلو ، بيل . جيرارد يتكلم .
ــ هلو ، ايها الزميل ، كيف الحال ؟
ــ انتبه يا بيل . لقد وقع شيء غريب في المحل الذي أسكن فيه . لقد حاولت الشرطة القاء القبض على رجل عجوز باعتباره مشبوها في قضيـــة وايتشابل .
ــ هـــل وصل الخبر الى اية جريدة اخرى ؟
ــ لا اظن ذلك .
ــ ماذا حدث ؟
ــ وضع العراقيل خلف باب غرفته واشعل فيها النار .
ــ يا للسماء ! وماذا وقع بعد ذلك ؟
ــ حطموا الباب . وهو الان في المستشفى يعاني من الحروق .
ــ ابق على الخط . . . طيب ، اعطني العنوان ، كولنديل ، اليس كذلك؟
ــ كلا فقد انتقلت الى كينتش تاون .
ــ حسنا . طيب . هل يمكنك المجيء الى هنا .
ــ الى المكتب ؟
ــ نعم ، كلا ، بل الى مقهى « جو » في شارع كارملايت ، تلك المقهـى التي قصدناها يوما مع كريت ؟

ـ مضبوط . سأذهب هناك في الحال ، وارجو ان اراك خلال نصف ساعة .

ـ انتظر . ابق على الخط . اعطني العنوان ، سنوفد شخصا الى هناك حالا .

ـ حسنا . ولكن ارجو ان تسدي لي معروفا، لا تذكر اسمي، فقد تستنكر ذلك صاحبة البيت . اوص من ترسله أن يقول لها انه علم بذلك من الشرطة او ان احد الجيران اوصل الخبر الى مكتبكم ، مفهوم ؟

ـ نعم اعطني العنوان .

ومشى عائداً الى مسكنه مسرع الخطى دافنا يديه في جيوب معطف المطر . ولاحت السماء في شهر تشرين الثاني هذا مقرورة داكنة .

واسند دراجته الى شباك المقهى في شارع كارملايت ، ووضع القفل في العجلة الخلفية . كانت تجرى في الشارع بعض الاصلاحات وكان ضجيج المثقب الهوائي قد غمر الهواء باهتزازات عنيفة طمست ضوضاء مكائن الطباعة في الجهة المقابلة . وبدأ المقهى يغص بالجموع التي تتدفق وقت الغداء . ولم يجد اثرا لبين في كلا الصالتين . وخلع معطفه والقاه على طاولة خالية في احدى الزوايا ليحجزها ، ثم ذهب الى طاولة البار ليعين طلبه . وحينما عاد الى محله وجد رجلا يجلس هناك . فقال سورم بفتور :

ـ هلو ، بوبي . فاجاب الرجل :

ـ انني بخير يا جيرارد ، كيف انت ؟ ارجو الا يزعجك وجودي هنا ؟ والقى نظرة قلقة بعينيه النديتين . فقال سورم :

ـ كلا . اني بانتظار بيل بين .

ـ لا بأس . سارحل عندما يأتي . حسنا ، انك تبدو بخير ، ايها الصبي

ومضى سورم يتأمل ذلك الوجه المجهد ، غير الحليق ، وندم للفظاظة التي عامل بها الرجل . وبدا له هذا الرجل الاسكتلاندي ، وكانه لم يذق الطعام او النوم لايام عديدة . فقال له سورم :

ـ هل اقدم لك فنجانا من الشاي ؟

ـ كلا اشكرك يا جيرارد . فقد شربت توا . ولكن هل ادلك على ما يمكنك ان تفعله . اني اكاد اموت ظمأ لنفثة من الدخان ، ولا املك غير بعض القروش ، فهل يمكنك اقراضي شلنا او اثنين ، شلن واحد يكفي .

وقال سورم متضايقا :

ـ لا ادري . اظن ذلك .

واخرج محفظة نقوده وسلخ منها ورقة بنصف جنيه كانت مطوية

وناولها الى روبرت دروموند .
ــ اذا استطعت ان تصرف هذه الورقة ، يمكنك ان تأخذ منها شلنين .
ــ اشكرك ، ايها الرجل . لقد انقذت حياتي حقا .
ونظر سورم الى ساعته ، كانت النصف بعد الثانية عشره . وعـــاد دروموند وقذف ببقية الشلنات امام سورم ، وقدم علبة السكاير المفتوحـه اليه ، فهز سورم رأسه قائلا :
ــ اشكرك ، لا ادخن .
ــ انت سعيد الحظ .
ولاحظ سورم اليد المرتعشة التي كانت تشعل السيكارة .
وجلس الاسكتلاندي واطلق من فمه نفثة من الدخان ، ثم بصق بقطعه من التبغ كانت قد علقت بشفته السفلى ، واغمض عينيه وقال :
ــ آه !. هذه اول سيكارة ادخنها اليوم .
وفتح عينيه ، ورمق سورم لاول مرة بنظرة مباشرة :
ــ حسنا ، ايها الصبي ، ماذا كنت تفعل منذ اخر مرة رايتك فيها ؟
ــ لا شيء . اخبرني يا بوبي ، هل تعرف شيئا عن حوادع القتـل فـي وايتشابل !
ــ ما قراته في الجرائد فقط . لماذا ، هل تعرف انت شيئا عنها ؟
ــ كلا . الا يوم امس . لم اكن قد سمعت بها مطلقا . فلم اقرا الصحف فقال دروموند :
ــ هل اخبرتك يوما عن حادثة القتل التي الفيت نفسي متشبكا بها في كـــلاسكو ؟
ــ كـــــلا .
ــ طيب . لم تكن لي علاقة بها تماما ، ولكن الفتاة التي تسكن الغرفـة المجاورة وجدت مخنوقة في احدى الليالي . وما يضحك في القضيـــة هو اني سمعتها تصرخ ، ولكني بقيت راقدا ولم افعل شيئا .
ــ لماذا ؟
ــ لماذا ؟ من الصعب الاجابة .
وراح يتطلع الى سيكارته الثانية وهو ساهم . وصاحت المراة : معلاق وبطاطة . فالتقط سورم الصحن من الطاولة ودفع الثمن . وعندما جلس ، قال الاسكتلاندي على مهل :
ــ نعم ، بل يمكنني ان اخبرك السبب . هل حدث لك يوما ان احتجت شيئا بشدة ؟ احتجت اليه اكثر مما يستحق ؟

فأجاب سورم : احيانا . وراح يرش عصير الطماطة في الصن .

ــ كانت الفتاة بديعة الشكل ، هل تدرك ما اقصده ، ليست جميلة . ولم يكن لها اصدقاء دائمون من الرجال ، ولكنها ، حسب ما كنت اعلمه ، لم تكن نقية عفيفة الى هذا الحد . فقد كان يحدث احيانا ان تقضي معها احدهم ليلة ، وليس نفس الرجل في كل مرة ، تلاحظ ؟ وكثيرا ما كنت اشعر برغبة في أن أطرق الباب عليها واختلق عذرا ما واقول لها : ما رأيك في الامر ، يا عزيزتي ؟ لا اعتقد انها كانت سترفض ــ لا اعتقد ابدا .

فقال سورم ، وهو يمضغ قطعة المعلاق في فمه :

ــ لم لم تفعـــل اذن ؟

فهز كتفيه وهو يطفىء عقب السيجارة :

ــ لا ادري . كنت اصغر سنا في ذلك الحين . . . خجولا .

ونظر الى سورم واشرق وجهه بابتسامة مفاجئة . كانت ابتسامة تنم عن البساطة والاخلاص الى حد غريب .

ــ وحدث في تلك الليلة ان سمعتها تصرخ واعتقدت انها رأت كابوسا . وفكرت في نفسي : لم لا اغتنم الفرصة الان ؟ وكدت اصل الباب . ولكنـــي اخذت ارتعش وكان العرق يسيل مني ، وبالرغم من انني كنت افكر منــذ مدة طويلة في المسألة الا انني لم اكن متهيئا لان افعل فعلتي بهذه الصـــورة المفاجئة . ولبثت مستلقيا على السرير ، احس بقلبي يخفق ، وكنت احاول ان ابعث الجراة الى نفسي . وسمعت حركة ، وفكرت : لا نستطيع النوم . . ولم اذهب . وفي اليوم التالي وجدوها جثة لا حياة فيها .

ــ هل قبضوا على القاتل ؟

ــ نعم . القوا القبض عليه . كان جنديا ، قتلها طمعا في ثلاث بـــاونات كانت في حقيبتها .

فقال سورم :

ــ اوف ايها الحقير . يا لها من فتاة مسكينة .

وقال الاسكوتلاندي :

ــ هوذا بيل .

والتفت سورم في اللحظة التي دخل فيها بين الغرفة . فلوح له بيـــده فنهض دروموند واقفا وهو يقول :

ــ سأرحـــل .

فقـــال سورم :

ــ اذا لم تتوقف عن التدخين المستمر ، فستحتاج الى علبة سكايــر

اخرى بعد نصف ساعة .
ــ انك على حق يا جيرارد . اشكرك على القرض .
وشد دروموند بيده غير المغسولة التي كانت تغطيها شعيرات حمــــراء على ذراع سورم . وصاح بين قرب طاولة البار .
ــ شاي لكليكما ؟ فقال دروموند :
ــ ليس لي ، فاني مغادر . وداعا يا عزيزي ! وقال سورم : ــ وداعا .
اقبل بـين يحمل فنجانين من الشاي . وقال : ماذا اراد ؟
ــ لا شيء ، جاء ليتحدث فقط .
ــ يتحدث ؟ الم ينصب لك شركا ؟
ــ شلنين فقط .
ــ علمت ذلك . فهو يحاول ان يستنزف المال مني كلما رآني . علمت انه قد اقتطع منك سيئا .
وقال سورم :
ــ تبدو مريضا .
كان وجه بين شاحبا . كان وجها نحيفا بارز التقاطيع ذا ذقن منغلق الى نصفين ، وكان عندما يظهر عليه الاعياء تصطبغ بشرته بلون مخضر كزلال بيضـــة البط .
ــ اني مريض فعلا . اكاد احتضر من النعاس . لقد بقيت ضعف ساعات الدوام في المكتب ، لان زميلي مصاب بالانفلونزا .
ــ هل ارسلت مخبرا ؟
ــ نعم ، هو في طريقه الى هناك الان . قلت له ان الحادثة بلغتنا عــن طريق الشرطة .
اخبرني ما حدث .
وكرر سورم القصة ، مبتدئا بها من حادثة قذف القنبلة . واخذ بين يحتسي فنجان الشاي على مهل ؛ وهو يصغي الى القصة من غير ان يقاطع . ثم قال متسائلا :
ــ هل نعرف الى اي مستشفى نقلوه ؟
ــ لا .
ــ لا يهم . يمكننا ان نحقق عن ذلك . كما ان القصة تلوح مثيرة . قلت انه كان يحاول اتلاف شيء ــ اوراق ؟ يظهر ان رجال الشرطة كانوا يراقبونــه ولكنني اشك في ان يكون هو الرجل الذى يبحثون عنه .
ــ لماذا ؟

ـ قلت ان الرجل كان ضئيل الجسم ؟ يشير تقرير الطبيب الى ان الذي طعن الفتاة هو رجل طويل القامة . يمكنهم معرفة ذلك من زاوية الطعنة .

ـ لم اقرا الصحف ابدا . حدثني بكل ما تعرفه عن القضية .

ـ لا يعرف احد الكثير ، الا ما تذكره الصحف في عناوينها .

ـ ولكني لم اقرا حتى عناوين الصحف . ولم أسمع بهذه الجريمة الا في ذلك اليـــوم .

ـ عليك بقراءة الصحف ، يا جيرارد . لا يمكن للمؤلف ان يستغني عنها

فاجاب سورم بتردد :

ـ اظن ذلك .

ثم احتسى بقية الشاي وراح يتفرس في قطعة السكر الملتصقة بقعـر الفنجان وقد اجتاحته حالة من التأمل ، وقال :

ـ حدثني عن هذه الجرائم .

ـ الم تقرأ شيئا مطلقا ؟

ـ فيما يخص الفتاة ، يوم الجمعة ، فقط . اين قتلت ؟

ـ في احدى نواحي وايتشابل . ولم اكن مسؤولا عن مكتب الاخبـار مساء الجمعة .

وكان بين ينظر عبر راس صاحبه باتجاه الباب . وفجأة لوح بيده هاتفا: مارتن ! ثم التفت الى سورم قائلا :

ـ هوذا الرجل الذي يمكنه ان يخبرك .

وتحول بين الى كرسي جانبي ليفسح المجال لمارتن الذي كان بجـوار الغرفة وقال :

ـ اظنك تعرفت بمارتن ميسن ، يا جيرارد ؟ فقال سورم :

ـ كلا . تشرفنا .

كان للرجل وجه نحيف يشبه المنقار وعينان كعيني الطير . وكـان كتفاه صغيرين متهدلين . واحنى راسه قليلا لسورم ، وهو يضع قبعته تحت الكرسي بعناية .

ـ مارتن ، يريد جيرارد ان يعرف عن هذه الجرائم . فهيا اعطه الخلاصة

ـ الا يقرا الصحف ؟

فقال سورم بصبر :

ـ كلا ، الا عندما اكون مضطرا . فقال ميسن :

ـ انت من الذين لا يتقيدون بما هو مألوف ، ها ؟

كان صوته ناعما يصدر من انفه ، رتيبا ، صوت يبدو معدا اعدادا تاما

للسخرية .
وابتسم سورم ليخفي اشمئزازه ، وقال :
ـ علمت انك كنت في مكان الحادث في احدى هذه الجرائم ؟
فقال ميسن وهو يحرك الشاي :
ـ اجل ما الذي تريد ان نعرفه عنها ؟
ـ الى ايه جريمة تشير ؟
ـ الثالثة ـ كاترين ايدوز .
فقال بين :
ـ ظننت انها الثانية .
ـ كلا . كانت الثانية مقتل الراقصة الاسبانية خوانيتا ميلر . كان جمي وسام المسؤولين عن استقصاء اخبارها .. كانت امراة رائعة .
وقال سورم :
ـ وماذا عن القضية الاخرى ؟ هل حضرتها ؟
ـ نعم ، ولكن فيما بعد ، في معرض الجثث وكانت مغطاة ، ولم يكن من المستطاع مشاهدة شيء منها . كانت امراة صغيرة الجسم في متوسط العمر .
وتساءل سورم :
ـ هل كانت من الجرائم الجنسية ؟
ـ لا يمكن الجزم بذلك .
ـ لم لا .
ـ كانت عاهرة .
ـ والمراة الاخرى ؟ فقال ميسن :
ـ كانت كذلك ايضا .
وابتسم ، كالحاوي الذي نجح في عرض لعبة . اما سورم فقد وجد ان كراهيته لهذا الرجل كانت تتركز في انفه المبقع الذي كان يشبه منقار الطير .
وقال بين معترضا :
ـ لم تكن الفتاة الاسبانية من البغايا .
فقال ميسن محدقا :
ـ لم تكن افضل من العاهرة ، لقد اضطجعت مع عدد كبير من الرجال حتى تعسر احصاؤهم .
فقال سورم :

ـ قل لي . هل تأكد ان الجرائم الاربعة اقترفها رجل واحد ؟
فقـال ميسن :
ـ ليس من المؤكد . لقد ماتت خوانيتا ميلر وكاترين ايدوز بطعنة سكين ، ولكنها لم تكن نفس السكين . كما ان السكين وجدت ملقاة بالقرب من الجثة في كلتا الحالتين . كانت الاولى سكين صيادين ، اما الثانية فكانت سكين مطبخ اعتيادية . غير ان ما يدعو الى الدهشة هو ان القاتل لا بد وان تلطخ بالدماء ، ومع هذا فمن المعتقد انه عاد الى لندن وقت الفجر .
فقـال بين :
ـ ليس ذلك بالامر العسر ، فلندن تكون مهجورة نوعا ما في تلك الساعات . فقال سورم :
ـ هناك تفسيرات ثلاثة لذلك . من المحتمل ان الشخص هو من ابناء الحي نفسه ، فلا داعي في هذه الحالة ان يبتعد كثيرا ، او ان تكون لديه سيارة ، او انه كان يحمل معطفا كان قد خلعه عن نفسه حين قتل الفتاة ثم ارتداه ليخفي بقع الدم .
فقـال ميسن :
ـ اوه ، هناك تفسيرات اخرى . لقد نشرنا رسالة بعث بها احدهم نعتقد فيها ان القاتل هرب عن طريق مجاري المياه القذرة .
فقـال بين :
ـ من المستحيل .
وقال ميسن :
ـ اظن ذلك ايضا . وعلى اية حال ، فانهم اذا لم يمسكوا بالقاتل فلن يعرف احد بصورة قاطعة .
قال ذلك ، واستقرت عيناه على سورم ، ثم سأله فجأة كأنه يحاول ان يباغته :
ـ لماذا تريد ان تعرف ؟
فالتفت سورم الى بين الذي قال :
ـ لا تهتم ، انه يعمل لنا .
فقـال ميسن :
ـ ذلك هو السبب اذن ؟
ـ ليس تماما . المسألة هي ... على كل حال ، لقد انجرفت الى هذه القضية .

فالتفت سورم الى بين متمما الشرح :

ـ حاول رجال الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن نفس البيت الذي اسكنه حول هذه الجريمة، فاعتصم الرجل بعرفته واشعل فيها النار.

ـ هل عرفوا سبب اشعاله النار ؟

ـ كلا . اعتقد ان الرجل مخبول .

فقال ميسن :

ـ قد لا يكون مخبولا .

ـ كلا ، اعتقد انه مخبول .

ـ قد تكون على حق . ولكني اقول لك شيئا واحدا . لا بد ان لدى الشرطة سببا معقولا يدفعهم الى التصريح باعتقادهم ان الجرائم الاربعة اقترفها شخص واحد . غير ان هذه ليست سياسة حكيمة ، فهي تجر اهتمام الناس الى التركيز على فكرة « القاتل الطليق » ، فيأخذ الناس بكتابة الرسائل الى جريدة التايمس وتوجيه الاسئلة فى البرلمان حول كفاءة الشرطة . فلا شك ان هناك سببا قويا يدفع الشرطة الى الاعلان عن هذا الاعتقاد .

فسأل بين :

ـ ما هو رأيك الخاص ؟

ـ اعتقد ان الشرطة قد توصلت الى معرفة الرجل ، وتريد الان ان تشعره بان الفخ يضيق حوله وذلك لارهابه وحمله على تسليم نفسه .

فقال بين :

ـ ربما .

ـ هل يمكنك اعطاء سبب اخر .

فقال بين وهو يهز براسه :

ـ لو كانت لديهم فكرة عن القاتل ، لاحكموا الفخ حوله بهدوء . كانوا سيراقبونه حتى يقوم بمحاولة اخرى . ان القتلة الجنسيين يكررون محاولاتهم دائما .

فقال سورم :

ـ تلك الفتاة ـ تلك التي رأيتها . . .

ـ تعني المراة التي في موسط العمر ؟ كاترين ميدوز ؟

ـ نعم ، كيف قتلت ؟

ـ بسكين ، كما بينت لك .

ـ ولكن كيف ؟ هل ذبحت من حنجرتها ، ام طعنت في قلبها ام ماذا؟

ـ لقد احصوا حوالي الستين طعنة في جسدها .
وابسم مسن . لقد سر للصفعه التي ارتسمت على وجه سورم .
ـ انه مجنون ولا ريب ! وماذا عن بقية الحوادث ؟
وابتلع ميسن نفة طويلة من سيكاره ، وهو يبتسم :
ـ لم يكن المشهد بهذه الاثارة .
فقال سورم :
ـ لا حاجة ان يكون كذلك .
والتفت ميسن الى بيسن :
ـ هل سمعت الاشاعة المسرة عن جانيت وكين ؟
ـ اية اشاعة ؟ سمعت ان زوجه صرخت بوجه جانيت اثناء مخابرة تلفونيه .
فنهض سورم واقفا :
ـ ينبغي ان ارحل يا بيل ، فانكما ترغبان في التحدث عن الاعمال .
ـ حسنا يا جيرارد . ولكن على كل حال علي ان اعود الى مكتبي ثانيه . قد نبعث اليك بصك بعد قليل . فقال سورم :
ـ سينفعني ولا شك .
ثم صافح ميسن قائلا : آمل ان اراك قريبا .
ـ وداعا يا جيرارد .
ووقف عند طاولة البار ليدفع ثمن وجبته . وكان ضجيج النقب الهوائي في الخارج يصم الاذان . وفتح القفل عن الدراجة ، ثم امتطاها واتجه نحو فليت ستريت ، حيث توقف عن المسير وتردد في القرار هل يذهب نحو آلدويح او بلاكفرايرز ، واخيرا تذكر ان صاحبة البيت قد تكون هناك في تلك اللحظة ، فقرر الا يعود الى البيت ، واتجه نحو شارع فاربنغتون . وشعر بان معدته كأنها ثقيلة متقلبة من جراء الحديث عن حادثة الفنل ، فقد التصقت هذه الحادثة بحواسه كغشاء من السخام ينبعث من موقد ، كساها بلون داكن من الكآبة . كما لاحظ انه لم يكن يقود دراجته بثقته المعهودة . وولدت له هذه الكآبة احساسا بان جسده بدأ يخونه . وراح يحدق في كنيسة سانت بول من طرف لودغيت هيل ، وهو يفكر : لندن في شهر تشرين الثاني تبدو معدومة النهار ـ لا شيء غير نور الاصيل الباهت ، على حين ان لندن في تموز تلوح اكثر اشراقا من اللازم غير حقيقية ، او بالاحرى حقيقية اكثر مما يجب .
كان مكتوبا على لافتة بائع الصحف : البحث عن القاتل المجنون .

واتجه نحو شارع روزبري . لم كل هذا الاهتمام بالجريمة ؟ قد يكون هذا المجنون المسكين مصابا بالبارانويا ، قتله الضجر والقلق ، فاقترف جرائم القتل على سبيل الاحتجاج .

* * *

كانت واجهة منزل شارع روزبري مبنية بالصخر الرمادي الذي يبعث في النفس قشعريرة باردة . وضغط سورم على زر الجرس ، وفي هذه الاثناء انزلقت الدراجة التي كان سورم قد اسندها خلفه على الرصيف فجأة وظلت العجلة الخلفية تدور . وفيما كان يرفعها ليسندها الى الجدار ، انفتح الباب . فصاح سورم :

ـ هلو ، روين ! كيف الحال ؟

ـ جيرارد ! يا للسماء ! ماذا تفعل هنا ؟

وامسكت به يد نحيفة ندية ، هي يد روين مونسل الذي سحبه برفق الى عتبة الباب . فقال سورم :

ـ كنت مارا من هنا . لا شك انه وقت غير مناسب للزيارة ؟

ـ كلا ، بالطبع ، كلا . تفضل بالدخول . هل تناولت غداءك ؟

ـ نعم شكرا .

ـ ما اجمل ان اراك !

واخذ ينظر في وجه سورم مبتسما . وسحب سورم يده ، وهو يحس بشيء من السرور للتوتر الذي سيطر عليه . ودفع مونسل بابا زجاجيا وتقدم سورم الى الصالة وجلبابه يخشخش برفق .

ـ هل لك في قدح من الشاي ؟

ـ نعم اشكرك ، اود ذلك .

ـ اشعل النار اثناء غيابي واهتم بامرها .

وبحث سورم في جيبه عن علبة الثقاب ، ولما لم يجدها مشى بصورة لا شعورية نحو خزانة الكتب واخذ يتفحص العناوين . كانت جميعها مؤلفات في الدين من تأليف كتاب لم يسمع بهم قط . وكانت الشبابيك ذات الزجاج الداكن تطل على الشوارع ، وكان الناس يمرون عبرها كالاشباح.

ـ الم تشعل النار ؟

ـ آسف ، لا املك علبة ثقاب .

ـ اوه ،

واخرج مونسل علبة الثقاب من جيب صدريته ، وانحنى على ركبتيه واشعل النار الغازية .

ـ دعني اخلع معطفك . اجلس . كيف حالك ؟ وكيف حياتك الجنسية المخزية ؟

فقال سورم متضاحكا :

ـ انك تهتم بخطاياي اهتمام الاخ .

ـ بالطبع ، لا اريد ان ارى اللعنة تنزل عليك . ولكني اعتقد انك ترغب في ان تنزل عليك اللعنة ، الست محقا ؟

فقال سورم :

ـ بلى . اننا جميعا لكذلك .

ـ امل الا نكون كذلك .

وجلس على الكرسي بسرعة رشيقة وشبك كفيه في حضنه . وقال سورم :

ـ اعتقد انك تقترف خطاياي نيابة عني ، يا روبين .

ـ رباه ، كلا . في الواقع اني اكره من كل قلبي ان احيا طريقتك في الحياه ، تق ! ولكن انبئني ، كيف حال ... أ .. أ ، تلك التي اضطجعت معها في المرة الاخيرة التي رايتك فيها .

اخذ سورم يحدق في النار ، وقال بلهجة وقورة :

ـ ماتت ، ماتت بمرض الكرار ـ وتشنج المفاصل .

ـ حقا ؟ يؤسفني ذلك . اوه ، انك تمزح ! الست تمزح ؟ كلا ، كن جديا . اذا كنت لا تود ان تحدثني عن حياتك الغرامية فلنتحدث عن شيء اخر .

ـ بل جئت لاتحدث عن شيء اخر ، في الواقع . اخبرني عن الاب كارادرز .

ـ لماذا ؟ اين سمعت به ؟

ـ حدثني عنه احد الاصدقاء ـ صديق لي يدعى اوسن نن ،هل تعرفه ؟

ـ كلا ، بل اعرف سيدة تدعى مسز نن تتردد الى هنا ، قد تكون قريبته ؟

ـ بل هو ابنها ، وقد اقترح علي ان اتحدث الى الاب كارادرز . فماذا تعتقد انت ؟

ـ عم ؟

ـ اود ان التقي به فقط،هذا كل ما في الامر.يظهر انه لطيف المعشر.

ـ هو كذلك . انه في غاية الذكاء ، وقد الف بضعة كتب . لقد الف كتابا عن تشيخوف واخر عن دانتي . وهو يعكف الان على تأليف كتاب

عـن مارسيل .

ــ هل تظن انني استطيع ان اقابله ؟

ــ بالطبع ، فليس من الصعب تدبير ذلك . ولكن اصغ ، هل تعدني بشيء ؟ على كل حال اترك المسألة .. سأذهب لاحضار الشاي .

وكف سورم عن التطلع الى عناوين الكتب ، بعد ان تحقق لـــه ان ليس هنالك ما يستحق القراءة ، بل انه اخذ يندم على هذه الزيـــارة ، فقد نسي أن روبين مونسيل يمكن ان يثير اعصابه الى ابعد الحـــدود . كما ان فكرة التحدث مع الاب كارارز اخذت تفقد حدتها وبريقها لسبب لا يعلمه . وطفق يتثاءب .

وفتحت الباب واطل من خلفها قسيس شاب ، وقال :

ــ ارجو المعذرة ، هل تنتظر احدا ؟

فقـــال سورم :

ــ وددت ان التقي بالاب كارانرز .

ــ أعتقد انه نائم ، سأذهب لارى .

واراد سورم ان يقول : لا تزعج نفسك ... واغلقت الباب ثانيـــة وبعد لحظة ، رفس احدهم الباب ، فقام سورم ليفتحه ، ودخل مونسيل يحمل صينية مليئة :

ــ ايها الصبي الطيب ، كم يسرني ان اراك ثانية يـــا جيرارد . غـــر اني ارى وجهك شاحبا هل كنت تتعب نفسك بالعمل ؟

ــ هل يمكنك ان تتصورني انا اعمل ؟

ــ بالطبع ، فانت لست من الصنف المدلل ابدا . ينبغي عليـــك ان تعمل . لم لا تبحث عن وظيفة ؟

ــ ولماذا ابحث عن عمل ؟

ــ لكي تطرد عنك الضجر . انك تسعر بالضجر ، ألست على حق ؟

ــ اجل ، اشعر بالضجر .

ــ اذن ، فابحث عن عمل .

وصب مونسيل الحليب في الاكواب من الاناء الخزفي واضاف لـــه قطـــع السكر .

ــ لم ابحث عن عمل ؟ طيب ، اني احس بالملل ، فعلى ماذا يـــدل ذلك ؟ يدل على انني لا احسن التصرف بما لدي من الـــوقت . فمـــاذا تقترح ؟ ابدده بالعمل . اليس ذلك من المنطق في شيء . وبالمناسبة ، قبل ان انسى ، اطل احدهم براسه مـــن وراء الباب وسألني عمن اريد ان ارى ،

فاجبته : الاب كارابرز ، فذهب ليبحث عنه . قسيس يتكلم برطـــانـة اجنبية ، صغير جـدا .
ــ اه ، انه الاب راكوسي ــ لاجىء هنغاري . ما اشد بلادتك !
ــ على كل حال ، قال ان الاب كارائرز نائم .
ــ اظن ذلك . فهو لا يستيقظ الا نادرا ، اذ انه يعاني من الم في معدته لا اعرف طبيعته ــ ما كان ينبغي ان تدع الاب راكـوسي ليـذهب لينحقق من ذلـك .
ــ ولمـاذا ؟
ــ كنت انا ذاهبا لاتحقق بنفسي .
ــ أوه ، آسف . ببد انه ذهب قبل ان انمكن من ايقاظه . نـاولني السكر رجـــاء .
وطرق احدهم الباب ، ودخل القسيس الهنغارى ثانية ، وارتسمت على وجهه الدهشـة عندما الفى مونسيل .
ــ عفوا ظننت انك كنت في انتظار الاب كارابرز ؟
فقـال سورم :
ــ آسف . . .
وقال مونسيل :
ــ هل وجدتـه مستيقظا ؟
ــ نعم ، يقول انه يمكن من مقابلة الناس بعد ساعة .
ــ يحسن بك ان تذهب الى غرفته على الفور ، يا جيرارد . يمكننا ان نتمم حديثنا فيما بعد .
وابتسم القسيس،ثم انحنى لهما وترك الغرفة. فهتف سورم: اشكرك.
ــ انك احمق ، يا جيرارد . لم لم تنتظرني ؟
ــ مع الاسف . لم اعلم انه سيرتب المقابلة بهذه السرعة .
ــ لا بأس . يحسن بك ان تقابله الان .
ــ اريد أن اشرب الشاي هنا ، الا استطيع ذلك ؟
ــ لا ، بل خذ الكوب معك . هلم . تعال ادلك على الطريق .
وتبعه سورم على السلم المكسو بالسجاد ، ورأى في عطفة السلـم الاولى كوة فيها تمثال ازرق للعذراء وهي ترفع ذراعيها في ابتهال. وطرق مونسيل الباب برفق عند نهاية الرواق ، ودفعه لنفتـح وتـرك سورم يدخل اولا .
ــ اقدم لك جيرارد سورم ، ايها الاب . انه صديق للمسز نن .

كان القسيس جالسا في الفراش ، تحيط به الوسائد . وكان يرتدى جلبابا من قماش خشن ازرق . واغلق مونسبل الباب وتركهما وحيدين . وقال سورم :

ــ لست صديق المسر نن ، وانما انا صديق ابنها .

ــ اه ، اوستن . لم اره منذ وقت طويل . كيف حاله ؟ تفضل بالجلوس .

كان وجهه افبح وجه رآه سورم في حياته ، لم يكن منسوها ، وانما كان فبيحا فقط . تغوص فيه اخاديد واضحة المعالم ، كان له فك كبير جدا ، يبدو انه كاد ان يخل بتوازن الراس لولا الجبهة الواسعة التي كانت بارزة ولها طية رأسية حادة الى وسطها كما لو ان احدا كان قد ضربه بقضيب حديدي . وكان انفه الغليظ مفلطحا قليلا ، وكان فمه عريضا يمتد عبر وجهه كالخندق . وكانت عيناه صغيرتين لا لون فيهما ، ولو سلط فوق راسه مصباح لاختفت العينان تماما في ظلال حواجبه . وحاول سورم جاهدا ان يتذكر اين راى هذا الوجه من قبل ، او اين رأى وجها يشبهه . واخيرا تذكر : انه التمثال النصفي لتشارلي بيس الموجود في غرفة الفظائع في متحف الشمع . وجعلته هذه الفكرة يبتسم ، وابتسم القسيس بدوره ابسامة ودية.وجلس سورم على كرسي قرب النار وقال:

ــ اوستن صبي ممتاز ، ايها الاب.وقد اقترح علي ان آتي لزيارتك.

ــ ماذا قلت ان اسمك كان ؟

ــ سورم ، ايها الاب ، جيرارد سورم .

ــ سورم ؟ سورم ... انني اعرف هذا الاسم . انه اسم نادر ، اليس كذلك ؟

ــ لم التق باي شخص يحمل هذا الاسم ، خارج عائلتي ...

ــ آه ، تذكرت ! الاب غراي في كومبتون هاوس . هل تعرفه ؟

وانتاب سورم شعور المذنب ، وقال :

ــ نعم . كان يقوم بتدريسي يوما ما .

ــ حسنا !

وكان القسيس يبتسم ثانية ، وظهر على وجهه مخايل البشر ، ثم اردف :

ــ انا لا انسى الاسماء . اجل . تحدث الى الاب غراي عنك مرة . لم انقطعت عن الدراسة ؟

ــ لم ... لم انسجم مع الاب غراي ، قبل كل شيء .

ـ لمـاذا ؟

ـ يلوح انه كان يريد اقناعي بان الكاثوليك بالرغم من كل شيء قوم محرمون ، هل تعرف ما اعنيه ؟ اكل لحم البقر وشرب البيرة ... الخ ، ولم يكن لديه الوقت للنصوف . وانفق ثلاث محـاضرات ليقنعني بـان القديس بطرس كان في الحقيقة اول بابا . فمللت تلك المحاضرات .

فقال القسيس وقد ادرك احساس سورم :

ـ فهمت . ان الاب غراي لا يحمل الفكرة التي يحملها كل واحـد عـن الكاثوليك ... رغم انها لا تختلف كثيرا .

وابتسم سورم ، وهو ينتظر . وكانت العينان الزرقاوان الشاحبتان ترقبانه بثبات . ثم قال القسيس وهو يبتسم :

ـ اذن ، فانك تعود الينا دائما ، لماذا ؟

فقطب سورم وهز كتفيه . كان من الصعوبة ان يجـد الجـواب . فاضاف القسيس بصوته الهادىء :

ـ هل تعتقد بانك ستصبح كاثوليكيا في يوم من الايام ؟

ـ اعتقد ان ذلك ممكن .

ـ ولكن هل تتوقع ذلك انت ؟

ـ كلا ، في الحقيقة ، ايها الاب. ولكني لا اعني انه من المستحيل .

ـ تماما . ولكن هل تعرف بالضبط ماذا انت باحث عنه ؟

ـ كلا ، ايها الاب ، كلا في الواقع .

ـ لا تعرف على الاطلاق ؟

ـ اعتقد ان لدي فكرة فقط ...

ـ هل يمكنك ان تحدثني عنها ...

ـ في الواقع ، اني ابحث عن شخص استطيع التحدث معه .

ـ عن مـاذا ؟

ـ لا اعرف ما لم اجد الشخص الذي استطيع التحدث معه .

واحس بان جوابه كان سخيفا ، وحنق على نفسه . امـا القسيس فقد استقر نظره على سورم بهدوء ، وكأنه يختتم امتحانا تتألف اخر مراحله من النظر الى سورم . واحس بالرغبة في ان ينهض ويترك الغرفة . ولكن القسيس ابتدره بالسؤال :

ـ هل لك معرفة جيدة باوستن ؟

ـ ليست معرفة جيدة . التقيت به للمرة الاولى يوم الجمعة الماضية ولم اره منذ ذلك اليوم .

ـ كيف التقيت به ؟
ـ في معرض دياغيليف . وتكلمت معه .
ـ اكنت البادىء بالكلام ؟
ـ كلا ، هو الذي ابتدأ الكلام معي . وتحدثنا عن نجنسكي ، ثم خرجنا وتناولنا العشاء معا .
ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟
ـ ثم عدت الى مسكني ، وعاد هو الى مسكنه . لم توجه هذه الاسئلة الي ايها الاب ؟
ـ حب الاستطلاع فقط .
وثارت نائرة سورم ، وهو ينظر الى هذا الوجه الجامد . ان ما استفز اعصابه هو احساس غريب بالخجل من هذه الحادثة ،كلما عاد بذاكرته الى الوراء ، متأملا اباها .
وقال بصراحة :
ـ كنت اتساءل هل حدث شيء اخر بيننا . كنت اود لو تسألني ذلك بصراحة .
فتململ الاب وقال :
ـ هل حدث شيء اخر ؟
ـ كلا .
ـ أن المسألة لا تثير اهتمامي بصورة خاصة ، كما تفهم . وان ما تفضيه الي انما هو من شأنك ، ولست ارغب فى ارغامك على ان توليني ثقتك . ولكني ، كما يمكنك استنتاجه ، على معرفة تامة باوستن .
وفهم سورم حالا ما كان يقصده الاب :
ـ بالضبط . ولذلك افضل ان تسألني عن اي شيء تريد معرفته بصراحة تامة . فمعرفتي باوستن ليست وثيقة على الاطلاق . فلم يحدث بيننا غير أن تناولنا العشاء سوية وتحدثنا بعض الشيء . ولكني لا اشاركه فى نزعاته . اية منها .
ومال القسيس براسه . وقال :
ـ تعجبني صراحتك . فقل لي اذن ، عندما تحدث اليك اوستن وخرجتما معا ، هل كانت لديك فكرة عن .. ميوله الجنسية ؟
ـ خمنت انه منحرف ، نزاع الى الجنس المشابه ، وقد ازعجني ذلك قليلا ولكني لم اشعر بانني كنت شخصا اصطاده اوستن .
ـ هل اخبرك فيما بعد انه ينزع جنسيا الى الجنس المشابه ؟

ـ كـلا .
ـ طيب . وهل تحدث عن اي شيء آخر ؟
وركز سورم نظرته فى وجه الاب ، بعد ان غاب عليه المعنى .
ـ اي شيء آخر ؟ مـا هو ؟
ـ طب . كان مجرد فضول .
وجد سورم ان القس كان يريد تغيير الموضوع ، ولكن فضوله كـان قـد استثير .
ـ تعنى أن له ميولا جنسية اخرى ؟
ـ ليس من شأني ان اجزم بذلك . الست على حق ؟
وحدق سورم ثانية في وجهه لفترة قصيرة ثم قال :
ـ طيب .
فابتسم القس مباشرة وقال :
ـ ارجو الا يتبادر الى ذهنك اني اعنفك . كل ما فيالامر ان اوستن وربما تعلم بذلك ، جاء الي قبل عام ولديه بعض المشاكل الخـاصة . واذا بـه يرسلك الان ، ومن الطبيعي ان اسألك هل ان مشاكلك هي من نفس النوع الذي شغل باله . ولكني لااستطيع التحدث عن مشاكل اوستـن ، فيمكنه أن يحدثك هو عنها ان اراد . كما انه من المفروض انك جئتلتبحث مشاكلك انت وليس عن اوستن .
وقال سورم وقد احس بالحرج :
ـ لا ادري اذا كان لدي ما يمكنني تسميته بمشكلة ، ايها الاب .
ـ طيب ، لا . ليس هذا ضروريا . انني اتفق معك . ما هو عملك؟
ـ التأليف .
ـ تعيش من التأليف ؟
ـ كلا . عندي مورد صغير ، يكفي لسد رمقي .
ـ ما اسعد حظك ! ماذا تكتب ؟
ـ اكتب قصة ، في الوقت الحاضر .
ـ هل لك اهتمام بالسياسة ، على الاطلاق ؟
فاجاب سورم بدهشة :
ـ كـلا ابدا .
ـ هل تذهب الى الكنيسة ؟
ـ اذهب الى الكنائس احيانا ـ وافضل الوقت الذي لا يكون فيـه هنـاك احـد آخر .

ـ هل عندك اصدقاء تتحدث معهم في شؤون الفكر ؟
ـ كـلا ، في الحقيقة .

وابتسم له القس ، وتغير شكل عينيه عندما لاح عليهما السرور . وشعر سورم بالارتياح للانبساط الذي ارتسم فيهما . وقال الاب :

ـ يلوح ان قضيتك صعبة ، اليست كذلك ؟

ـ لمـاذا ، ايها الاب ؟

ـ انك لا تعمل شيئا اخر عدا الكتابة . وهذا يترك لك المجال الهائل للاستبطان ، ثم تأتي لرؤية القس كمن لم يمارس الرياضة في حياتـــه ويذهب لعيادة الطبيب . هل خطر لك ان تذهب لرؤية عالم نفساني ؟

كانت اللهجة الساخرة تجعل الكلمات تبـدو وكأنما غـير مقصودة ، ولكن سورم قرأ فيها جدية القصد . وقال :

ـ لماذا ؟ انا لا اعاني من اي مرض . بالاضافة الى ذلك ، فاني اشك في ان جميع الاطباء النفسانيين هم مجانين او دجالون . لا اعتقد ان بي اي مرض ، ليس بي شيء لا يعاني منه الجنس البشري باكمله ـ على اية حال .

ـ فلماذا اذن تريد التحدث مع قسيس ؟

واخذ سورم يتأمل في الوجه المضحك كأنه وجه عفريت وراح يبحث عن جواب ، وقال اخيرا :

ـ لا لاني مريض ، على اية حال .

فضحك القس وقال :

ـ حسنا . جواب مقبول . اذن ، فانك لست مريضا ولكنك تحس بانك فاشل ، بطريقة ما . اذلك صحيح ؟

ـ نعم . ولكني لست فاشلا من الناحية الشخصية او الجنسية .

واغاظ سورم شعوره بعدم امكانية التفاهم والفشل في التعبير عما يجول في نفسه . والواقع ان ما ازعجه هو الفرضية التي استندت عليها المحادثة : ذلك انه يشكو من شيء .

ـ عندما تقول من الناحية الجنسية ، تعني من الناحية الجسمية ؟
ـ نعم ، اعتقد ذلك .
ـ طيب ...

واحنى القس راسه واخذ ينظر الى يديه المعقودتين .

ـ حسنا ، حسنا . الان فهمت ما الذي حير الاب غراي فيك . من العسير أن نتعلم شيئا منك .

ـ انا آسف ، ايها الاب .

ـ دعني احاول سؤالا اخر معك . ما الذي ينركز عليه اهتمامك في الحياة ؟ ماذا تريده في الحقيقة ؟

واشتد شعور سورم بعدم امكانية النفاهم ، ولم تكن لديه على الاطلاق اية رغبة في التعبير عن نفسه للقس . واجتاحه ، وهو يدرك ان هناك عينين شاحبتين تراقبانه ، احساس بالتمرد والامتعاض . وطفق يحاول ان يتناسى القس والفجوة التي تفصل بينهما ، ويركز على الافكار التي يريد التعبير عنها فقط . واخذ يحدق في النار ، وقال ببطء .

ـ استطيع القول ان حياتي تتركز حول فكرة واحدة ، هي فكره الرؤيا . ولا اعني بذلك .. الرؤيا التي يراها القديسون . ليس ذلك النوع ، بل اعني ضربا اخر من الرؤيا .

ـ هل يمكنك التعبير عن فكرتك بوضوح اكبر ؟

ـ استطيع ... استطيع ان اقدم لك مثالا على ما اعنيه . استيقظ في بعض الاحايين ليلا واجد ان هناك بعض الهواجس تخالجني ، فاحس ان وجودي لا يخضع لقانون ، انه عبث بطريقة ما . وينتابني الشعور : من انا ؟ وماذا افعل هنا ؟ اشعر اننا نأخذ الحياة اكبر من اللازم كشيء مفروغ منه . اننا نأخذ وجودنا على علاته . على حين قد لا يكون من الطبيعي ان نوجد . وقد حدث لي ذلك قبل مدة . يدرك الانسان كم من الاشياء الكثيرة التي يأخذها على علاتها ، فيحس بالخوف المفاجىء من ان ليس له الحق في اخذ اي شيء على علاته . هل تفهم ما اعنيه ايها الاب ؟

واخذ ينظر الى كارابز ، واحس على الفور انه استحوذ عليه ـ فاخذ يشعر بتحسن ، وقال القس :

ـ نعم ، امض في كلامك .

ـ هذا جانب واحد من شعوري . وهناك جانب اخر اعتقد انه يختلف تمام الاختلاف .

قبل شهرين التقطت فتاة ما من احدى المقاهي . كنت على معرفة بسيطة بها ـ كانت طالبة في مدرسة (سليد) للفن . وقد ذهبت واضطجعت معها تلك الليلة ، ومضى كل شيء على ما يرام . بيد انه عندما اضطجعت معها ، حدث شيء غريب . احسست فجأة باني لا ارغب فيها . لم اكن اعرف بالضبط . كل ما حدث اني كنت مستلقيا الى جانبها لا تدفعني اية رغبة لمغازلتها .

وقال القس بلطف :

ـ موقف محرج ولا شك .

ــ اجل ، وذلك هو وجه الغرابة . كنت راقدا بقربها احس بالاحراج والمس السبب . واحسست بالخجل والضيق . ولم يكن السبب اني لم ارغب في الفتاة ، بل شعور اخر يتعارض معه . وهكذا بقيت مستلقياء محاولا ان أتبين حقيقة هذه العاطفة الجديدة وفجأة شعرت بهيجان عنيف فى نفسي . كان شعورا قويا جدا حتى احسست باني لن ارغب في النوم ثانية . ودفعني ذلك الى التفكير في الرياضيات . واخذت افكر : اني ارقد هنا في وسط مدينة لندن ، وهناك ما يقرب من ثلاثة ملايين من الناس يرقدون حولي ، وهناك الماضي الذي يمتد الى الخلف الى الزمن الذي شيد فيه الرومانيون هذه المدينة على مستنقع ينشر الحمى ... لا يمكنني التعبير عما احسست به . كان شعورا بالمشاركة في كل شيء . اردت ان اعيش اكثر مما عاشه اي انسان بملايين المرات. هل تفهم ما اعنيه ايها الاب؟

ــ اظن ذلك .

ــ لقد احسست بالهيجان ، اتلاحظ ؟ وفجأة ادركت كم من الناس وكم من الاماكن توجد خارج نفسي .

ــ لقد ذكرت الرياضيات ؟ ماذا تعني بالرياضيات ؟

ــ حسنا .. لانني فكرت فعلا في الرياضيات . على الاقل ، اني لم ابدأ بالتفكير في الرياضيات . كنت احس بالمضايقة من الفتاة ، ومن فكرة انها تريدني ان اغازلها . ثم انتقل تفكيري الى موضوع كنت قرأته في ذلك اليوم عن السحر ــ حول امرأة تدعى ايزوبيل غودي وكانت تدعي ان لهـا صلات جنسية مع الشياطين بينما يرقد زوجها الى جانبها ..

ــ ما الذي جعلك تفكر في ذلك ؟

ــ الفتاة التي كنت اضطجع معها . كانت فتاة افسدها التدليل تماما مريضة الاعصاب ، عندها ظما للجنس . لقد احسست فجأة بان نفسي كانت تجيش من طريقة هندامها الباهت ، ومن رغبتها الجنسية التي لا سبيل الى اشباعها . كانت تتعاطى الجنس لنفس الدوافع التي تدفعها الى التدخين المتواصل . انه الضجر . ثم تذكرت ايزوبيل غودى ، التي كان الجنس يعني شيئا بالنسبة لها على الاقل . كانت تريد ان يغتصبها الشيطان . فربما كان الضجر قد قتلها وهي في مزرعة اسكوتلاندية في وسط المجهول . ولهذا فقد اخترعت هذه الشياطين والعفاريت .

كان هناك طرق خفيف على الباب . وجفل سورم بعنف . ودخلت امراة ترتدي صدرية .

ــ لقد وصل المستر برايس والمستر جيننغز ، ايها الاب .

ـ ماذا ، بهذه السرعة ؟ حسنا ، لبنتظرا قليلا ، رجاء .
وحالما خرجت ، نهض سورم وقال :
ـ يحسن بي ان ارحل ، ايها الاب .
ـ بل اجلس قليلا . لقد بكرا في المجيء ، ويمكنهما الانتظار . يطيب لى ان اسمع ما كنت تحدثني به. هل تحدثت الى شخص اخر بهذا الموضوع؟
ـ كلا ايها الاب .
ـ اود ان تزورني ثانية لنتحدث . انا لا اطلب اليك ذلك لظني انك بحاجة الى الكلام معي ـ ، رغم انك قد تحتاج الى ذلك فعلا ، ولكن لان ما تحدثني به يثير اهتمامي جدا . هل قرأت كتابي عن القديس يوحنا ذي الصليب.
ـ كلا ، ايها الاب .
ـ هو ذاك ، هناك . على الرف السفلي ، خذه معك ، واقرأه اذا لم يدخل السأم في نفسك . لا بد ان يثير اهتمامك الفصل المتعلق بالرؤيا الالهية . فهذه التجارب التي تتحدث عنها ... اني اميل الى الاعتقاد بانها جذور جميع الرؤى .
وفتح سورم ابواب المكتبة الزجاجية ، ووجد الكتاب الصغير ذا الغلاف الاسود . وثارت في نفسه ثانية الرغبة في الهروب ، ولكن لسبب اخر هذه المرة . وما لبث الشكوك ان ساورته حول طبيعة الارتياح الذي اخذ يحس به اثناء حديثه مع القس .
ـ هل يمكنك المجيء غدا ؟
ـ اظن ذلك ، ابها الاب .
ـ حسنا . سأكون في انتظارك . بلغ اشواقي الى اوستن اذا رأيته.
وامسك سورم بيد القس التي مدها له ، وادهشه ما كان فيها من دفء ، فقد كان جسده يلوح باردا جافا .
ـ بلغ المسز داوني ان تدخل الرجلين رجاء .
ـ سمعا . وداعا ايها الاب .
ـ وداعا .
ووقف خارج الغرفة ساكنا بضع لحظات ، وهو عابس الوجه يحدق في تمثال العذراء عند نهاية الرواق ذي النور المعتم . ثم تذكر الكتاب الذى كان ممسكا به ، فدسه في جيبه وهو شارد الذهن . واجفله خروج الخادمة فجأة من باب جانبية على يمينه . وقالت له باقتضاب :
ـ هل هو مستعد الان ؟ ـ نعم . يريد ان تدخلي عليه الرجلين .
وهبط السلم على عجل . كانت الباب الخارجية مفتوحة . وخرج

وهو يبحث في جيبه عن مسبك الدراجة . وسمع صوتا يهمف خلفه :
ـ جيرارد !
ـ هلو روبين ! آسف ، لقد نسستك .
ـ لا داعي للعجلة .
فقال سورم مختلقا العذر :
ـ ينبغي ان اذهب خلال دقائق قليلة .
ـ على كل حال ، ابق قليلا .
وتبع مونسيل الى غرفة الاستقبال . كانت النار ما تزال تشتعل.
واغلق مونسيل الباب بأن دفعه بظهره ، وسأل :
ـ والان ، كيف كانت المقابلة ؟
ـ اوه ، لا بأس بها .
ـ هل حدثته عن حياتك الجنسية المحجلة .
ـ قليلا. وتحدث عن القديس يوحنا ذي الصليب.ثم قاطعنا احدهم:
ـ لابد وانه أطال الكلام عن القديس يوحنا،فقد مكث عنده نصف ساعة!
ـ انا لا اخفي عنك شيئا .
ـ لا تخفي شيئا ؟ حقا ؟ حسنا ، اني اصدقك .
ـ قل لي ، يا روبين . تقول انك لا تعرف اوستن نن البنة ؟
ـ ليست معرفة جيدة . التقيت به مرتين .
ـ اوه ، الا تعرف شيئا عنه ؟
ـ كلا .لا شيء يذكر ، على اية حال .
ـ هل تعرف انه منحرف جنسيا ؟
ـ نعم ... اعتقد ذلك . لماذا ؟ الا تعرف انت ؟
ـ بلى . اظن ذلك . كنت اتساءل ...
ـ انتظر . لدي شيء اريد ان اقوله . لا تخبر به احدا .
ـ كـلا ، بالطبـع .
ـ اعتقد ان له ميولا سادية
ـ كيف عرفت ذلـك ؟
ـ سمعت عرضا حديثا للاب كرانزر الى الدكتور ستاين في يوم من الايام بعد مغادرة المستر نـن .
ـ ماذا قـال ـ هل تتذكر ؟
ـ كـلا ، ولكنه مجرد انطباع . فقد اكون مخطئا. ولكن ارجوك الا تفشي ذلـك لاحد . اذا اتهمني يوما احد باني اخبرتك فسأنكره .
ـ سوف لا اخبر احدا بالطبع .من هو هذا الدكتور شتاين .

ـ اوه ، انه صديق للاب كرابرز . كانا معا فى المدرسةالدينية . وشتاين طبيب نفساني . لماذا ؟

ـ لا شيء . كل ما هنالك هو انني اشعر بالفضول يدفعني الى البحث في قضية اوسنن ، وعن كل من يهتم به .

ـ طيب . هل وقعت فى غرامه ام ماذا ؟

ـ بحق المسيح ! هل انك جاد ؟

ـ حسنا ، لست ادري . اجروء على القول ان لك شيئا من هذه النزعة الجنسية الى الجنس المشابه ، وستنفجر يوما ما ، وسيدهشك ذلك .

ـ انك لاحمق !

ـ ادركت ؟ اراهنك اني على حق .

ـ دعنا من دلك .

فقال مونسيل مقهقها : ولهذا ترى . . . اراهن اني على حق .

ـ ينبغي ان ارحل .

ـ انك لبقرة حقا . متى تزورنا تانية ؟

ـ ربما غدا . طلب الي الاب كارابرز ان اعود .

ـ آه ، انه يضعك تحت رعايته !

ـ ربما .

ـ طيب . تعال مبكرا لتلقاني اولا . هلا جئت ؟

ـ حسنا . قد لا آتي ابدا . سأتصل بلفونيا اولا .

ـ هذا حسن ، فانا الذي اجيب على نداءات التلفون .

ووقف سورم ويده على مزلاج الباب . وسأل :

ـ هل تتذكر ماذا قال الاب كاراترز بالضبط لهذا الرجل المدعوشتاين؟

وبدا الانزعاج فى نظرة مونسيل :

ـ لا ! بالله عليك ! لا تذكر الموضوع لاي شخص . قد اكون مخطئا . فمن المحتمل جدا انه كان يتحدث عن شخص اخر .

وادرك سوم ان مونسيل ندم لافضائه بالخبر ، فقال بلا مبالاة :

ـ لا تقلق . فالامر لا يهمني . سأراك غدا .

ـ حسنا . تعال مبكرا .

ورافقه مونسيل الى خارج الباب قائلا :

ـ وداعا يا عزيزي .

ورفع سورم قدمه الى قضيب الدراجة ليشبك سرواله . واحس فجأة بأنه خائب منهوك القوى .

الفصـــل الرابـــع

وابتدأ المطر بنهمر بينما كان سورم يقود دراجته الى ساحـة الدار ، فالقى عليها غطاء من القماش المسمع . كان الضباء في السقة الارضيه ممسوحا، وفيما هو يستدير ليترك الساحة تحركت ستاره النافذة واطلت الفتــاه . فابتسم وهز راسه بتحية قصيرة ، فأختفى وجه الفتاه فجأة . وفيما هو يدخل مفتاحه في الباب الخارجي ، اذا به ينفتح ، فقال :

ــ شكرا لك يـــا كارلوتة .

ــ يسرني انك انت ، فأنني ساخرج . هناك رسالة لك . صحيـــح ؟

ــ طلبك احدهم تلفونيا من سويسرا ؛ وسيعيد المكالمة مساءهذااليوم .

ــ سويسرا !

ــ وصلت‌المخابرة‌حالما خرجت . سيتصل‌بك ثانية في‌حوالي‌الساعة السابعة.

ــ اشكرك جدا . هل عاد الهدوء الى هذا المكان ثانية ؟

ــ اجل . مـا عدا ان اثنين‌من‌المخبرين الصحفيين كانا هنا .

ــ مخبرين ؟ مـــاذا ارادا ؟

ــ بعض التفاصيل عن الحريق . وتحدثت اليهم المسز مبلير ، اعتقــد انها مغرمة بان يظهر اسمها في الصحف .

ــ مممممم . . . جميل جدا . هل حدثتهم عني ؟

ــ لا اظن ذلك . لمـــاذا ؟

ــ كنت عازما على ان احصل على مبدالية جورج .

ولاحظ سورم ، من التعبير الذي ارتسم على وجهها انها لم تفهم ما كان يعنيه . واحس ان تعبه كان اشد من أن يمكنه ان يشرح لها ما يعنيه،وسأل وهو يضع قدمه على السلم :

ــ اين المسز مبلر الان ؟

ــ عادت الى بيتها . لمـــاذا ؟

ــ لا شيء . اشعر بالانشراح فقط .

فضحكت هذه المرة . ولاحظ ان نديبها يرقصان وهي تمر من امامه ، فشعر بالاضطراب ، وطفق يفكر : لم احتاج دائما الى المرأة عندما تكون اعصابي منهوكة ؟ وكانت ساقاه تؤلمانه وهو يرتقي السلم . ودخل غرفته وفتح موقد الغاز ووضع عليه ابريق الماء ثم القى بنفسه على الكرسي وهو يتثاءب . وراحت افكاره تحوم حول الفتاة الالمانية ، واخذت فكرة ان يجعل منها خليلة تجذبه اكثر من ذي قبل ، ولكنه عزا ذلك الى الاجهاد الذي اصابه ، وقال لنفسه : التعب الجسمي يوقد الخيال .

اخذ الماء يغلي ، ومد يده الى الطاولة وتناول الترمس فوجده مليئا الى منتصفه بالشاي البارد ، وشعر انه اكسل من ان يقوم ليفرغ محتويات الترمس في المرحاض ، فأمسك به واخذ يهزه ثم فرغه في طست الماء وفتح صنبوري الماء ليغسل اوراق الشاي الملتصقة .

بحق السماء ماذا يبغي اوستن من مخابرته هذه ؟ وكيف حصل على رقم التلفون ؟ سأكتشف ذلك . سريعا . ونظر الى ساعته : كانت تشير الى الدقيقة العاشرة بعد الخامسة . ساعتين . يجب ان اتناول شيئا . احس بالجوع ، ولكن بعد ان اشرب الشاي وآخذ قليلا من الراحة . وتصاعد البخار من قدح الترمس عندما كان يسكب الماء فيه . مثل فاسلاف (١) . اني اله . هل هو سادي ؟ انهم يحسون بالحاجة الى ضرب احدهم . ينبغي ان اسأله.

كانت حرارة الشاي وحرارة النار الغازية اكثر مما يمكنه احتماله . فسحب نفسه الى الفراش . واخذ يشعر بالنعاس فيما هو يشرب الشاي، ولكنه اخذ يتأمل بضيق : لم احس بالنعاس ؟ اني لم استيقظ حتى الساعة الحادية عشرة . من المحتمل ان تكون صدمة عصبية . واخذ يقاوم الرغبة في ان يستلقي ويغلق جفنيه ، ولكن سرعان ما طغت عليه الرغبة في النوم. فنهض واقفا ، وراح يجيل ببصره في الغرفة ليجد شيئا يعمله . كان هنالك على دولاب الملابس صندوق لم يفتحه بعد ، فوضعه على السرير وفتحه واخذ ينظم المناديل والربطات . ووجد في قعر الصندوق ثلاث صور لفان غوخ وقد تغضنت قليلا بسبب الرطوبة ، وهي الصور التي كانت معلقة على جدران غرفته السابقة . فاختار المجال فوق الموقد ليعلق صورة (حقل السنابل الخضراء) ، وعلق صورة (الليلة ذات النجوم) على رأس سريره ، في موضع بحيث يقع نظره عليها كلما استدار نحو الجدار . اما صورة (حقل القمح والغربان) فعلقها في وسط الجدار المقابل بالقرب من الباب . ووقف في مواجهة صورة (حقل السنابل الخضراء) واطال الوقوف وهو يحاول عبثا

---

(١) فاسلاف : الاسم الاول لنجنسكي – المترجم –

ان سسعمد حاله معسه . واحد يركز بفكره وهو يحدق في الصورة

لجدد الفرح المضطرم وبفجر السطح الصخرى

فان كل ما يحبا مقدس ؛ والحياه تبهج للحياه .

ومـاذا عن بن . وذلك الرجل العجوز . والقابل السادى الذي قـــل اربع نساء . لسن جسمى المريض — ان روحى هي المريضة . يا للازدراء . هل هناك شعور احر احس به ؟ لسن لجسمى ، وانما لروحى . مسكين بـا فاسلاف . لقد مات .

وعاد اليه النعاس ، ولكنه اوقفه . القذارة . التعب . وهذه الغرفة . لا يحيط بها الغموض ، انها سجن . ودفعت الرياح بعاصفة من المطر على زجاج النافذه . مريض ومنهوك القوى ، ولكني اختار ذلك . انا اختاره . انـــه اختيارى . العنف . ذلك هو بالضبط . اني انطوي على العنف . لا اريد ان يهدئني احد . ان العنف يكمن في عضلاتى ، في حنجرتى . وحينمـا ينفجر هذا العنف ، اكون قد اصبحت ذاتي . ان كل ما يحيا هو مقدس .

ولاحظ ان الحرارة في ساقيه‌تتلاشى . كانت النار الغازية قد خفت . واخذ يبحث في جيب سرواله عن شلن . فوجد في الجيب الخلفي ورقة مطوية كتب عليها بخط‌نسائي جميل : جرترود كوينسي ، يمكنك الاتصال بالفونيـــا في اي يوم بعد الساعة الخامسة . وبحث في جيب سترته فلم يعثر على شلن . فتناول معطفه وهبط السلم . وحينما عاد الى البيت ثانية ، بعـد خمس دقائق ، توقف عند التلفون الموجود في الصالة ، وبسط الورقة على صندوق النقود . واجاب صوت جيرترود حالا : فضغط على الزر (آ) . وقال :

— الو . جيرارد سورم يتكلم .

— جيرارد ماذا ؟ اوه ، صديق اوستن ! الو ! كيف حالك ؟

— بخير،فكرت في ان انفذ وعدي بزيارتك يوما حين لا تكونين‌مشغولة .

— اجل ، افعل ذلك ارجوك . هل تود أن تزورني في وقت تناول‌الشاى؟

— حسنا ... ربما . هل ستكونين في البيت هذا المساء .

واستشعر سورم ترددا واضحا . وقالت اخيرا :

— نعم ... في اي ساعـــة ؟

ودهش سورم لهذا التردد ، وشعر بان عزيمته تبطء :

— لا يهم ، لتكن امسية اخرى اذا كانت هذه الليلة غير مناسبة . هــل تفضلين الاسبوع القــادم ؟

وكان قد قرر حالا انها اذا كانت ستؤجل الموعد فلن يتصل بها ثانية . ولكنهـا اجابت سريعا :

ـ لا ، بل تعال هذه الليلة . كنت احاول ان اذكر هل سيزورني شخص اخر ، ولكني لا اظن ذلك . تعال في حوالي السابعة ، ان اردت .

ـ شكرا . لا استطيع ان آتي في السابعة ، فان اوستن سيتصل بـي تلفونيـــا .

ـ كنت اظنــه في الخـــارج ؟

ـ نعم هو في الخارج . سيتصل بي من سويسرا .

ـ حقا ! تعال فيما بعد اذن . سأنتظرك .

واغلقت التلفون وهو ما يزال ينطق بكلمات الشكر . ووجد من العسير عليه للمرة الثانية ان يكظم غيظه . وصعد الدرج وهو يشتم بصوت خافت. الناس جميعهم خنازير . ولما صار الى غرفته ، وضع شلنين في صندوق الغاز واشعل النار ثانية . وصب قدحا اخر من الشاي واخذ يتذوقه ، كـــان مركزا . ووضع على الغرامافون اسطوانة السمفونية الخامسة لبروكوفييف واستلقى على السرير . وقبل ان تبلغ الموسيقى منتصف الوجه الاول مـــن الاسطوانة كان قد غلب عليه النوم .

* * *

واستيقظ فجأة وسط الظلام ونظـــر الى ساعته . وامعـــن النظر في العقارب المضيئة . ان الساعة تشير الى الثامنة ، فمد يده الى زر المصبـــاح ، ووجد ان الساعة كانت تشير الى الثامنه تماما . كان الجو حارا في الغرفة . ودس قدميه في خفيه وهبط السلم مسرعا . لم يكن هناك احد . ونزل الـــى السرداب وطرق الباب ، ولما لم يرد عليه احد فتح الباب قليلا . كانت الغرفة تسبح في الظلام . فأطلق شتيمة بذيئة . وعندما كان يصعد الدرجات ثانية اخذ جرس التلفون يرن . فاختطف السماعة قبل ان يرن ثانية . وقـــال صوت امـــرأة :

ـ المستر سورم موجود رجاء ؟

ـ بتكلـــم .

ـ اوه . جيرترود كوينسي تتكلم . هل ستأتي ؟

ـ نعم . ولكني آسف جدا ، فقد اخذني النوم . اعتقد ان اوستن قد اتصل بي ولم يرد عليه احد . يبدوانه لا يوجد احد في البيت .

ـ يـــا للسماء . . .

ـ لا تهتمي . سآتي حالا . سأراك خلال نصف ساعة .

ـ طيب . ساهيء لك بعض الطعام .

ـ شكرا جزيلا . سأراك حالا .

واعاد السماعة ، واخذ يفرس فى ساعته . كان شعره اشعث واحس بلزوجة فى فمه من النوم . ورن جرس التلفون على الفور . وهتف صوت امرأة:
ــ هل المستر سورم موجود ؟
ــ يتكلم .
ــ ابق على الخط لحظة . لديك نداء شخصي من سويسرا .
ــ شكـــرا .
كان صوت نن يبدو صافي النبرة قريبا الى حد مدهش .
ــ الو ، جيرارد !
ــ الو اوسن .
ــ ارجو الا اكون قد جعلتك تنتظر . كنت احاول الاتصال منذ ساعة .
ــ كلا ، ابدا ، فقد استيقظت توا .
ــ طيب . كيف حالك أيها الصبي العزيز ؟
ــ على ما يرام . ما الذي يدعوك ان تبذر المال فى مكالمة تلفونية بعيدة .
ــ ليست المسألة مهمة جدا . ولكني اريدك ان تسدي لى معروفا .
ــ بالتأكيد . ماذا فعلت ؟ نسيت فرشاة اسنانك ؟
ــ ليس الامر بهذا السوء ! هل يمكنك سماعي بوضوح .
ــ نعم ، بوضوح جدا .
ــ طيب . يبدو صوتك بعيدا . اسمع ، جيرارد . اني افكر فى العودة الـى انكلترا . .
ــ حسنـــــا . . .
ــ ولكني اريدك انتفعل شيئا من اجلي اولا . ارجو ان تذهب الى شقتي وان تسأل البواب هل سأل عني احد أثناء غيابي .
ــ طيب . هذا كل ما فى الامر .
ــ هذا كل ما فى الامر . تحقق فقط اذا سأل عني احد ، ومن الذى سأل .
ــ حسنـــا . وبعدئذ ؟
ــ اذا لم يسأل عني احد ، فابعث لي ببرقية رجاء ، اكتب فيها : لـــم يسأل احد ، فقط اما اذا سأل عني احـــــد فأكتب : ارجو الاتصال تلفونيا ، وسأكلمك غدا . مفهوم ؟
ــ نعم . هل تريد تفاصيل كل من سأل عنك ؟
ــ نعـــم .
ــ من تحـــاول ان تتجنب ؟
ــ أجل ، اني احاول ان اتجنب احدا . شخصا غير مرغوب فيه . هل

يمكنك ان تقوم بذلـك ؟
ــ نعـم .
ــ هل لديـك عنوان الشقة ؟
ــ نعم . متى ستتصل ثانية ؟
ــ فى نفس الوقت غدا مساء . اذا كان قد سأل عني فعلا شخص مـا ، ارجو ان تحصل على كل تفاصيله . يمكنـك ان تسأل ايضا فتاة البدالة . هـل بمكنـك ؟
ــ نعـم .
ــ طيب ، ولكن اذهب انت بنفسك هناك ، لا تكتف بالاتصال تلفونيا.
ــ كـلا ، سأذهب .
ــ طيب ، لنفحص الموضوع : اسأل البواب هل سأل عني احد . واسأل فتاة البدالة ، فـاذا ....
ــ اذا لم يسأل احد فأبعث لك برقية اكتب فيها : لم يسأل احد . واذا سأل احد فأحصل على التفاصيل وابرق لك : ارجو الاتصال تلفونيا . حسنا؟ والان اعطني عنوانـك .
ــ اوه ، نعم . بانسيون فيفي ، سان موريتز . اني امكث فى هذا الفندق باسم اوستن ، المستر ب. ج. اوستن .
ــ انـك لرجل غـامض !
ــ كلا فى الحقيقة . لا تعط عنواني الى اي شخص .
ــ يا للسماء ، لا ! ولماذا اعطيه لاي احد ؟
ــ مـا اطيبك مـن انسان ...
وانتهى الوقت ، وقال نن :
ــ وداعـا يا جيرارد . عرفت العنوان جيـدا ؟ بانسيون فيـفي . ف. ي. ف. ى. مفهوم ؟
ــ نعم وداعا يـا اوستن .

* * *

انقطع المطر عن الهطول . ولكن الطريق لم يزل مبتلا زلقا . كان سورم يكره ركوب دراجته فى الطرق المبتلة ، لان واقيات الطين لم تكن على ما يرام ، وقد بلل المطر اسفل سرواله . وانحنى بكل جسمه على عجلة القيادة ، اثنـاء صعوده فى طريق هافرستوك هيل . كانت التلال تتعبه ، وكان يبدد فيهـا من الطاقة فى السباب اكثر مما يصرفه فى الضغط على قضبان السير . ومرت نقربه سيارة ، ورشته بالماء الملوث بالطين ، فظل يحدق فيها بغضب وحسد .

ودقت احدى الساعات نصف الساعة فيما هو يستدير من ويل ولك باتجاه شارع اسبت هيث . فترجل واخذ يمشي صاعداً التل .

ودق جرس الباب ، واستند الى الحائط ، وهو يلهث ويتصبب عرقا. ولاح ضوء على الجانب الاخر من الزجاج . كانت نفف هناك وهي تبتسم اليه تبدو منعشة ساحرة .

ـ هلو ، ادخل . قطعت المسافة بسرعة .

ـ يؤسفني جدا ان اتأخر . . .

ـ لا تهتم . لحسن حظك انى هيأت عشاء باردا. نعم ، علق معطفك هناك .

كانت ترتدي بدلة لونها اسود واخضر من قماش لماع ، كشفت عن الجزء الاكبر من ذراعيها . كان قوامها كقوام فتاة رشيقة في مقتبل العمر . ونظر اليها باعجاب وهي تتقدمه الى المطبخ .

ـ الا يضايقك ان تأكل في المطبخ ؟ انه اسهل .

ـ كــــلا ، ابـدا .

ـ الم تأكل شيئا ؟

ـ كلا . فقد نمت في حوالي السادسة . واتصل بي اوسنن بعــــد مخابرتـك حـالا .

ـ حقـا ؟ مـاذا كان يريد ؟

ـ أوه . . . طلب غريب . يريد مني ان احقق له هل وصلته ايـــة رسائل الى شقته .

ـ من الغريب حقا . فلم لم يتصل بهم مباشرة ؟

وجفف سورم يديه بفوطة صغيره ، ثم جلس الى الطاولة . وسألت :

ـ شوربـــة ؟

ـ نعــم ، رجـــاء .

واخذ يتفحص تقاطيع جسمها بحرية بينما وقفت هي الى الموقد وقد ادارت له ظهرها . كان ردفاها يفتقران الى بعض الانحناء ، حتى كانا يشبهان عجز صبي . غير ان رشاقة خصرها راقته . وبينما كان يحاول ان يتخيل كيف تبدو وهي عارية ، التفتت اليه فحول بصره عنهـا بسرعة . ووضعت صحن الشوربة على القرص الفاينيي ، وانحنت بجسمها امامه اثناء ذلك ، حتى انه لو انحنى الى الامام قليلا لاستطاع ان يقبل الجزء الاعلى من ذراعها . كانت رائحة جسدها نظيفة ، غير معطرة .

ـ هل تسكنين هنا وحدك تماما ؟

ـ نعــم .

ـ ليس هناك احد ابدا ؟

فقالت وهى تبتسم :

ـ من النادر ان اكون وحدي . فهناك زوار دائما . ان اعضاء الجمعة يزورونني ثلاث او اربع مرات في الاسبوع ، كما ان لي قريبة كبيرة مـــا تمكث معــي .

ـ من شهود يهـــوه ؟

ـ نعم . ولدي كذلك اصدقاء من هامبسـنيد .

والتهم ملعقة من الحساء ، وادرك انه كان يتضور جوعا . وشعربامتنان حسي ينبعث من معدته كان يجعله يبتسم لها . وجلستفي مواجهه ،واخرجت تنورة صوفية لم تتم خياطتها من كيس ورقي ابيض كتب عليه ـ محـــلات هارود . وسحبت ابرة كانت مغروزة في القماش وراحت تخيط بعنـــاية . فسألها بعدم اكتراث :

ـ مـــاذا تخيطين ؟

ـ تنـــورة .

ـ هـــل اعتدت على حياكة ملابسك بنفسك ؟

ـ نعـــم .

وانهى الحساء ودفع الصحن بعيدا .

ـ كـــان رائعـــا .

ـ طيـــب .

ونهضت بصمت وفتحت الثلاجة . كانت اطول منها .

ـ هـــل انت نباتي ؟

فـــأجاب بحمـــاس :

ـ لا بالتأكيـــــــد .

كان الصحن يحتوى على فخذ دجاجة وثلاثة شرائح من لحم الخنزير .

ـ خـــذ شيئا من السلطـــة .

ـ شكـــــرا .

ـ هل لـــك في قدح بيرة ؟

ـ اود ذلـــك جـــدا .

واخذ يأكل بشراهة ، وتناول كمية كبيرة من البيرة . وراح يستمـــع بمنظرها وهي تجلس امامه وقد احنت راسها منشغلة بالخياطة . وتنـــاول كمية اخرى من السلطة ، وهو ينتقي بعناية اوراق السكوريا وقطع الفلفـــل الاخضر . وسألها فجـــأة :

ـ الـم سزوجي مطلقا ؟

كان يعرف الجواب ، ولكنه اراد ان يعرف رد فعلها لهـذا الموضوع . ولدهسنه رمقته بنظرة يبدو عليها الغيظ ، واجابت :

ـ كـــلا .

ـ ارجو ان لا يزعجك سؤالي .

ـ لا ابـــدا .

كان ما يزال فى صوتها سيء من الحدة . ومضى يأكل وصب لنفسه قدحا آخر من البيرة ، وراح يسءال فى نفسه لماذا اغضبها السؤال . وقال بتحفظ :

ـ جعلتنى اشعر انه ما كان ينبغى لي ان ابير الموضوع .

واستمرت على الخياطة . واخذ يفكر فى انهاعزمت على تجاهله ، كدليل على عدم الرضى . ثم شرعت تتكلم ، وهي ما زالت منهمكة فى الخياطة ، بصـوت دقيق العبارة لا تعبير فيه :

ـ لا يزعجني السؤال ، غير ان ما يزعجني هو الفرضية التي يقوم عليها السؤال عادة . الرجل الاعزب امر طبيعي ومقبول ، ولكن المراة غير المتزوجة يطلق عليها « عانس » ، ويعتبرونها شيئا ناقصا . اقصد ذلك اللغو الـدي يردده بايرن من ان الحب هو طريقة لزجية الفراغ لدى الرجل ولكنه كل ما فى الحياة بالنسبة للمراة ...

فى الاحوال الاعتيادية ، لم يكن ليتقبل مشاعرها هذه دون ان يتشكـك فيها ، ولكن وجبة الطعام هذه ولدت لديه شعورا بالانبساط والامتنان . فقال عـــلى عجــل :

ـ انى اتفق معك كليا . انه لغو باطل . بالطبع يحق للمراة ان تتمتـع بنفس الاستقلال الذي يتمتع بـه الرجـل ...

فقاطعته بقولها :

ـ انا لم اقل ذلك . انا لا اعتقد ان لاكثر النسوة الاستقلال الطبيعــي الذي للرجل . بيد اني لدي عملي الخاص والزواج .. يشغلني عنه .

ـ مـا هو عملك هـــذا ؟

فأبتسمت له فجأة ، واختفى مظهر مديرة المدرسة الذي تميزت بـــه وحل محله سحر جعلها تبدو اصغر سنا .

ـ هل ترغب حقا فى ان تعرف ؟

فقـــال بجـد :

ـ ارغب جــــدا .

ومضت فى خياطتها . وقـــالت :

ـ كنت افكر فى ان اكون امراة . . لديها ما نقوله .
ـ مؤلفـــة ؟
ـ نعم . ولبس من الضروري مؤلفة مع هذا . عندما كنت فتاة صغيرة كان لدي كتاب عن حياةالقديسات ـ متل القديسة كاترين من سيينا والقديسة سريزا من افيـلا ، وغيرهمـا .
ـ هل كنت ترغبين فى ان تكوني قديسة ؟
ـ لست ادري . كنت اصغر من ان افهم معنى كون الانسان قديسا .
ـ هـل تفهمين الان .
ـ احسن من السابق قليلا ، على ما اظن . كنت اقرأ عن سيمون فايل، كانت قديسة . لا يمكنني ان اكون مثل سيمون فايل ابدا .
ـ لمـــاذا ؟
ـ لان . . . أوه ، لانه ليس لدى الذكاء الكافى ولا القوة الكافية ولا . . . اوه ، لا ادرى .
ـ ومع هذا لا تريدين الزواج وتكوين عائلة ؟
ـ قد افعل هذا ، لو وجدت الرجل الذي يعجبني الاستقرار معه .
ورفعت نظرها اليه فوجدته يبتسم . وقالت:
ـ اعرف بماذا تفكر . امراة اخرى تبحث عن الرجل المناسب . لقــد التقيت بالكثيرات منهن ، ينتظرن المستر « مناسب » !
فقــال :
ـ ولكن الامر ليس كذلك فى حالتك ، فأنك ترغبين فى ان تؤدي عمــلا نافعا فى حيـــاتك .
فاجابت ، والتعب باد فى نبرتها :
ـ فى اعتقادي يجب الا يكون الزواج خاتمة المطاف بالنسبة للمراة ، على كل حال . ان أكثر النساء يتصرفن كما لو انه يوم الحساب الاخير .
ـ ومـاذا تعتقدين انت ؟
ـ اوه ، اعتقد . . . اعتقد ان ذلك مجرد تبجح ، ولكني ارى انه ينبغي عـلى البشر ان يسعوا لجعل العالم مكانا افضل للحياة ، بالاضافة الى سعيهم ان يعيش كل منهم حياته الخاصة .
ـ وهل تعتقدين ان الانضمام الى شهود يهوه ينفع فى هذه الحالة ؟
ـ اعتقد ذلك . اما انا فلا انظر لنفسي بصفتي من هؤلاء الشهود ، ولكن بصفتي مسيحية . ان شهود يهوه هم الطائفة الوحيدة بين المسيحيين التي تسعى للوقوف بوجه الطريقة التي تسير عليها الامور .

وفتح سورم زجاجة بيرة اخرى ، وسكب محتوياتها فى القدح :
ــ وعلى اية طريق نسير الامور ؟
ــ اوه ... لقد اصبح الناس اكثر خسه ونفاهة .
ــ الا تعتقدين انهم كانوا دائما بهذا الشكل ؟
كان يلح عليها بالاسئلة لانه وجدها تستمتع بالحديث ، ولانه كان يجد لذة فى سماع صوتها ومراقبة وجهها الذي لونه جانبا . وكان يفكر : ما اجمل ان يطبع قبلة على ذلك الوجــه .
ــ بلى ، اذا نظرنا الى المسألة من جانب واحد . ولكن الرجال والنساء فى العصور الوسطى كرسوا حياتهم للاخرين دون ان يثيروا ضجة حول الامر . كانوا يقومون بذلك بصورة طبيعية ، بدافع من حبهم لله ولاخوانهم البشر ، ولم يظن احد ان ما كانوا يفعلونه شاذ او يتهمهم بانهم من صناع الخير . ويبدو ان فى هذه الايام ــ على كل حال ، كل انسان لنفسه ...
ــ وكيف تأملين فى تغيير ذلك ؟ بحمل الناس على تغيير مبادئهم ؟
ــ لست ادري . ادعو احيانا بعض اصدقائي من شهود يهوه لتنــاول العشاء معي ، واعتقد انهم ... تبدو عليهم السذاجة ، بالرغم مما يتسمون به من جدية . ويحدث ان اتحدث احيانا اخرى الى هؤلاء الذين يدعون الثقافة فأجدهم سخفاء بالرغم من براعتهم .
فقــال سورم مبتسما :
ــ لك مؤهلات الهرطوقي من الصنف الاول .
ــ فاجابت بصوت ناعم :
ــ مــن المحتمل .
وساد الصمت بينهما . وراح سورم يراقب يديها وهما تمسكان بقطعة القماش ، ولاح له انه كان من البساطة ان يجلس بجانبها ، دون ان ينطـق بكلمة ، وهو لا يشعر بالحرج من ضرورة الكلام . واخذ يتساءل هل كانت البيره هى المسؤولة عن شعوره هذا بالانبساط والاسترخاء .
وقــالت فجــأة :
ــ هل تعلم ان اوستن كان قد التحق باحد الاديرة ؟
ــ كــلا . متى ؟
ــ قبل مدة غير بعيدة ، منذ اقل من سنة . ولكنه خرج ثانية ، لم يكن ذلك ما يبحث عنــه ...
ــ حقــا ؟
ثم دفع صحنه ابعد قليلا ، واستلقى الى الخلف .

وقـــالت بنعومـــة :
ــ مسكبـــن اوسنن .
كان الحنان واضحا فى نبرتها . فقال بفضول :
ــ هل انت مغرمة باوستن ؟
ــ بالطبع ! فقد راقبته حتى شب وترعرع . كنت فى التاسعة من عمرى عندما ولد . وكنت اخرج به للنزهة . كان طفلا غريب الاطوار .
ــ كيـــف ؟
ــ كان فى بعض الاحايين يلوح طفلا ملائكيا . على اية حال كان صبيـا ذا مزاج طيب جدا ، غير انه كان يسلك فى بعض الاحيان سلوك من كـــانت تكمن فيه روح شريرة كانت احيانا تنتابه حالات عصبية فيحاول ان يهشم ما تقع عليه يده أو يقسو على الاشياء .
كانت عيناها تنظران باتجاهه ، وقد لحظ عليها انهـــا كانت تستمتع بالحديث عن أوسنن ، واستقر نظرها فجأة عليه ، فوجدت انه لم يعد يأكـل طعـــامه .
ــ هل لك فى فنجان قهوة ؟
ــ كـــلا ، شكرا .
ــ شاي ؟
ــ شكرا ، لا اشرب شيئا .
ــ فلنذهب الى الغرفة الاخرى اذن . فيمكنك ان تتناول شيئا مـــن البراندي اذا رغبت .
ــ آه .
واصرت على أن يتقدمها فى الدخول الى غرفة الجلوس . وقال لها :
ــ اشكرك على الطعام الشهي حقا !
ــ اشكرك . انـك لملاك !
ــ وشعر على الفور انها ارتكبت خـــطأ ، ثم احس بالدهشة للحمرة الخفيفة التي صعدت الى وجهها . لقد سحرته ، فقد اكسبتها تلك النظـرة مظهر طالبة مدرسة . وقال لها وهو يدير القدح باصابعه :
ــ مـــا اكبر القدح !
ــ من المفروض ان يكون كذلك !
ــ حقـــا ؟
ــ الم تشرب البراندي من القدح المخصص له قبلا ؟
ــ ابدا . كان لى جد بحار يعرض علي احيانا ان اتناول رشفة مـــن

البراندي، وكان يشرب البراندى بكوز كبيرجدا معالماء الساخن وعصير اللموں.

فضحكت له : كان يسمعها تضحك لاول مرة . وامسكت بقدحها عاليا وقالت :

ـ ينبغي ان نمسك بالقدح بهذه الطريقة ـ وذلـك لنسخينه بحرارة بديك . ذلك اذا كان البراندي جيد النوعية ، ليس كهذا .

ـ انه حسن المذاق بالنسبة لي .

ـ نعم ، ولكنه لبس جيدا . البراندي الجيد له مذاق رائق سلس ...

فقـال ضاحكا :

ـ لك مؤهلات الابيقوري من الصنف الاول !

فارتسم الجد عليها فى الحال ، وقالت بهدوء :

ـ كـــلا .

وراح ينتظرها لتمضي فى حديها ، ولكنه لما رآها قـد اتمت عبارتها ، قال وقد رفـع جفنيه :

ـ كـــلا ؟

ـ كلا . لا اعتقد اني اهتم للحياه الناعمة ... امضيت مرة اسبوعين فى منزل للنساء فى القطاع السرقي من لندن ، فلم اشعر بالحنين الى البيت ، لولا قذارة المكان . والقذارة غير مرغوبة فى اى مكان ...

ـ وماذا كنت تفعلينه فى هذا المنزل ؟

ـ للمساعـــدة .

ـ آه . فهمت .

وبسطت القماش على فخذيها ، وشرعت فى الخياطة . واخـذ سورم يحتسي الخمر ، ويرقبها باعجاب . كان وهج النار من المدفأة الكهربائية يضفي احمرارا على ساقيها اللذين لبست عليهما الجوارب ، وينعكس فى بدلتهـــا المصنوعة من القماش اللماع . وايقظ هدؤوها ورقتها فيه الرغبة فى لمسها ، ولكن شيئا فى اعماقه انذره بانها تخاف الالفة ! وطفق يتأملها وهي منهمكـة فى الخياطة ، ومضى يتخيل حياتها الماضية . ولاحت له نظرية الاب التي افضى بها اوستن لا تخلو من الصدق . هنالك امر ما ولا ريب . وراح يفكر : كيـف سيحملها على الافصاح به ؟ فقد جعله البرود المفاجيء الذى قابلت به حديثه عن الزواج يحاذر فى الامر . وقال اخيرا :

ـ حدثيني عن اوستن .

ـ ما الذي تريد ان تعرفه عنه ؟

ـ قصة الدير هـذه .

ـ لست ادري . اسأله انت .

ـ ايـن يقـع ذلك الدير ؟

ـ في الالزاس ـ على نهر الراين ، على مــــا اظن . فأوستن لا يحب الحديث عنه . لا يتحدث عنه الي ، على كل حال .

ـ ولا تعرفين شيئا مما حدث ؟

ـ قليلا جدا . ان والدة اوسنن تدين بالكاثوليكية ، وقد حاولت فترة من الزمن ان تجعل من اوسنن قسيسا . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . فقد كان والده يريد ان يدفع بولده الى التجارة ، ولكنه لم يبد ميلا الى ذلك ايضا . كل ما حدث هو ان اوستن ادمن على التراب ، فزجه ذلك في مصاعب كثيـرة وقرر والده على اثر ذلك ان يرسله الىالبرازيل . ومن حسن الحظ ، عزمت والدته على ان تتدخل في هذا المشروع واقنعت الاب بأن الصبي بحاجة الـى مراجعة طبيب نفساني . وذهب اوستن الى الطبيب ، وادرك ان الامر كلـه هراء ، ولكنه اعتقد ان مراجعة الطبيب كانت افضل من الرحيل الىالبرازيل. وفوق كل ذلك ، اقنع الطبيب على ان يخبر والده بأنه صبي لا يليقبالتجارة .

فقـــال سورم :

ـ مسكين اوستن ! يبدو أنهم لا يريدون ان يدعوه وشأنه .

ـ تماما ! من المؤسف انه ولدهم الوحيد .

ـ ومــاذا حدث بعد ذلك ؟

ـ وبعد ذلك ... بدأ اهتمامه ينصرف الىرقص الباليه واعلنانه يريد ان يؤلف كتابا . فمنحوه لذلك بعض المال وتركوه وشأنه ـ وهذا ما كــان ينبغي لهم أن يفعلوه . وقد كسب بالفعل ، واخالك تعلم ، ثلاثة مؤلفات ممتازة، وبدأ يكون له سمعة مرموقة في عالم الصحافة .

ـ وما هي قصة الدير هذه ، على كل حال ؟ متى حدث ذلك ؟

ـ منذ زمن قريب . فقد غادر الى المانيا منذ ثلاث سنين ليعيشهناك ، ومكث فيها ما ينوف عن العام ، لم نسمع خلاله الكثير عنه . وفي يوم منالايام كتب يقول بأنه انضم الى دير في مقاطعة الالزاس وانه يأمل ان يصبح راهبا . وبالطبع ، سرت والدته لذلك . كانت واثقة من انه سوف لا يلبث ان يغـادر الدير بعد ان يصبح قسيسا . بيد ان الامر اخفق ، حيث لم يمكث غير شهر واحد ، كأنه نزيل في فندق . وعاد بعدئذ الى لندن . وقد عكف منذ ذلك الوقت على كتابة قصة ـ كما قال لي هو . فربما تكون على معرفة افضــل منـي بهــذا الامر ؟

ـ كلا . لم يذكر لي شيئا عنها . لم اتعرف به منذ مدة طويلة . هــل

كنت دائما على صلة وثيقة به ؟

فقـــالت بهـدوء :

ــ كان دائما يحضر الي اذا ما احس بالتعاسة او السخط .

ونظـر اليهـا ، واحس ثانيـة بتيقظ الرغبة في لمس جسدهـــا المنسوق . وقـــال :

ــ يـــدهشني لمـــاذا ؟

ــ يـــدهشك ؟

ــ لماذا يحضر اليك دائما ؟

ــ كنا دائما مغرمين ببعضنا . كـــان يثق بي دائما . احسبني كنت متسامحة معه الى حد لم يشهده من مربية اخرى !

راح سورم يتأمل رقة عباراتها وهي تتحدث عن أوستن ، واخـــذ يتساءل : هل انها تحب اوستن . ولكنه قرر ان الامر مستحيل ، بينما كانت هي تطوي النثورة وتدسها في كيس الورق . كانت هيأتها تنم عن موقف فتاة ترعى اخاها الاصغر .

وسأل بفضول :

ــ هل كنت مجرد صبية ؟

وبدت كأن تغيير الموضوع قد افزعها ، ونظرت اليه والتساؤل يكتنـف وجهها ، ثم قالت على عجل :

ــ نعـــم .

ونهضت وثنت اعلى الكيس. فشعر سورم للمرة الثانية بأنه قد اربكها بالحديث عـــن نفسها . وقالت :

ــ معذرة يجب ان اقوم بنداء تلفوني قبل ان انسى .

ــ انا صاعد الى الطابق الثاني ، عـــن اذنك .

وتناهت اليه وهو في الحمام همهمة صوتها وهي تتكلم في التلفون . كانت الغرفة دافئة الى حد ملائم ، واحس بالشبع والنعاس . ووجد الماء الدافيء والصابون ذا عبير البرتقال من المستطاب حتى خلع ثوبه وشرع يغسل رقبته ووجهه. ثم مسح البخار من المرآة،واستحسن وجهه الوردي المنعكس فيها. لم يكن قد حلق ذقنه منذ يومين ، ولكن بشرته كانت بيضاء لم يكد الشعـــر يبرز عليها واضحا . ومسح الصابون من ثنايا اذنيه وكشر على نفسه في المرآة وسمع رنين جرس الباب في الاسفل. فاقترب من الباب وراح يسترق السمع، ولكنه لم يفقه شيئا . كانت قد فتحت الباب دون ان تعيد سماعة التلفـون الى محلها ، لان صوتها عاد يهمهم . وسمع طرقة التلفون وهي تضع السماعة

فى مكانها ، بينما كان يخرج من الحمام . وعندما نزل السلم الفاها داخل المطبخ، وسألهـــا :

ــ هــل قــدم احد ؟

ــ ابنــة اخي .

وعندما دخل الغرفة الفى الفتاة جاثية على ركبتيها امام الموقد تــدفيء يديهـــا . وقال :

ــ كيـــف حالك ؟

ورفعت نظرها اليه ثم نهضت على قدميها وقالت وهي تبتسم :

ــ هـــلو !

كانت الفتاة التي رأى صورتها فى غرفة النوم . كـــان شعرها الاشقر القصير يلوح حديث القص والتجعيد . وعندما انفرج ثغرها عن الابتسامة ، وجد اثنين من اسنانها الامامية غير منتظمين، كان احدهما يتوسد الاخر قليلا . وخمن سنها فى السادسة عشرة وقالت :

ــ اسمي كارولين . كيف حالك ؟

ــ جيرارد سورم .

ــ هل انت من شهود يهوه ؟

ــ كـــلا .

ــ لم اظن انك منهم . ولا يبدو عليك ذلك !

ولم تدع الطريقة التي ابتسمت بها مجالا للشك فى انها قصدت بهـــذه العبـــارة مديحـــا له .

ــ لا يبدو علي ؟ فكيف ابدو اذن ؟

ــ لست أدري .

فالقت اليه نظرة فاحصة وقد لوت راسها جانبا قليلا ، ثم اطلقت قهقهة مكتومة ، كشفت عن حقيقة عمرها الذى كانت تخفيه بتصنعها الكلام الرزين الموزون وسفسطة العبارة . واثار فيه تصنع السفسطة هذا شعورا طفيفـــا بالاشمئزاز .

ودخلت المس كوينسي .

ــ آه ، لقد تعارفتما . هل لك فى قدح من الشراب ، يا كارولين ؟

ــ نعم ، شكرا . ايمكنني ان اشرب قدحا من الشيري .

ــ انا لا اعني هذا النوع من الشراب ، يـــا كارولين . اوصتني امك الا ادعك تلمسين الخمـــر .

فقالت كارولين بلهجة حزينة :

ــ ولكني اكاد اموت من البرد . هيا تحسسي .
وجعلت قفا كفها يلمس وجه المس كوينسي .
ــ حسنا . ولكن لا تسرفي في الشرب . سأهيء الشاي .
ثم التفتت الى سورم تسأله :
ــ الا تريد شيئا من الشاي ؟
ــ نعم ، شكرا !
ــ لا تدع كارولين تسرف في شرب الشيري .
وخرجت المس كوينسي من الغرفة ، وقالت كارولين :
ــ ستجدينني عندما تعودين ملقاة على البساط يكاد يخنقني السعال .
وراح سورم يتطلع اليها باهتمام متزايد . فوصية المس كوينسي بكارولين ادخلت شعاعا من الالفة بينهما ، ووضعته موضع الوصي عليها . كان يرقبها وهي تحرك الزجاجات في الدولاب . وسألت :
ــ اتشرب انت ؟
فقال :
ــ كنت اشرب البراندي .
ــ الا تريد ان تملأ قدحك ثانية ؟
ووجد قدح المس كوينسي ولم تمسسه بعد ، فقال :
ــ لا اعتقد ان لجرترود النية في الشرب . ربما يكون من الافضل ان اتناوله انا .
ــ بل ان ذلك افضل فعلا !
وجلست على الاريكة ، وعقدت ساقيها . كانت لها ساقان جميلتان ، وكانت ترتدي بذلة سوداء بسيطة الشكل لها ردنان يصلان حتى المرفقين .
ــ طيب ، اخبريني ، ما هي مهنتك ، اذن ! لا استطيع التكهن .
ــ مهنتي التأليف ...
ــ حقا ! انت مؤلف . رائع ! كنت دائما اود التعرف بمؤلف .
ــ صحيح ؟ لست اذن اول مؤلف تتعرفين به بالتأكيد ؟
ــ تقريبا . كان والدي صديقا لاحد الروائيين يدعى دينيس سكوت منذ بضع سنين . وتعلقت به بعنف ! كان وسيما جدا !
وقال سورم مبتسما :
ــ آه . وهل اثمرت العلاقة ؟
ــ اثمرت ؟ يا للسماء ، لا ! كنت لم اتعد العاشرة من العمر .
وقال سورم وهو يتعمد مضايقتها :

ـــ كنت فتاة لذيذة آنذاك ولا شك !

فاجابت بلكنة اميركية : اوه ، نعم . وعادت تصطنع الرزانة التي كانت تتـــلاشى .

ـــ كم تبلغين مـــن العمر الان ؟

ـــ السابعة عشرة . ابلغ التامنة عسرة بعد ثلاثة اشهر . مـــا هو نوع مؤلفيـــاتك ؟

ـــ اخبريني ماذا تعملين انت اولا .

ـــ التمتيل . ادرس التمثيل فى أ. ل. م. ف. د.

ـــ ايـــن ؟

المدرسة التي تنافس « رادا » ، انها تقع فى كنسنغتن .

ـــ أ. ل. م. ف. د. اقصد أكاديمية لندن للموسيقى والفن الدراماتيكي،

ـــ آه !

وسعر سورم بانه استطاع فجأة ان يجد محلها فى اطاره الذهني . لقد حيره هذا المزيج من السذاجة والتعقيد ، كـما اذهله انعدام الخجل لديها . واخذ ينصورها بعد سنتين لا تتكلم الا بهذه اللهجة المصطنعة ، وتنادي كـل من تصادفه « يا عزيزي » . اما الان فسلوكها هو مزيج من اثنين : طـــالبة المـدرسة والمسرح .

وقـــالت :

ـــ اعتقد انك تسكن فى همبستيد ؟

ـــ كلا ، فى الواقـع .

ـــ اوه ، حسبتك واحدا من اصدقاء عمتي المتفننين .

ـــ كلا . بـــل انا صديق لاوستن .

ـــ اوستن ! لم اتعرف به قط ، وكنت دائما ارغب فى ذلك . هـــل هو ساحر المظهـــر ؟

فقـــال سورم ، وهو يبتسم :

ـــ لا اعتقد انـــه سيثير اهتمامك .

فقـــالت :

ـــ لماذا ؟ ثم بدا عليها بصورة مفاجئة كأنها فهمت قصده وقالت :

ـــ آه هل هو بهذا الشكل ؟

ـــ ينبغي الا تعلمي شيئا عن ذلك .

ـــ لا ؟ لم لا ؟ لدينا اثنان منهم فى فصلنا . انهما يتمشيان ويحيط كـل منهما الاخر بذراعـــه .

ــ منظر مزعج اليس كذلك ؟

ــ بل هو كذلك . وهنالك فتاة وقعت فى غرام احدهما ــ الذي يدعى ارنست . ولقد كان ذلك سببا فى شقائها حقا . اعتقد ان المنحرفين جنسيا جذابون ــ ولكن بطريقة كريهة . الا تعتقد ذلك ؟

وقال سورم وهو يبتسم :

ــ كيف لي ان اعلم ؟ فمبولي ليست فى ذلك الاتجاه .

وقالت : طيب !

وراح سورم يتساءل هل كانت تعني موافقته بهذه الكلمة . وراح يحاول ان يتأكد من ان ابتسامتها الدافئة قصدت خصيصا له ، او انها جزء من قواعد السلوك العامة التي تعلمتها فى مدرسة التمثيل . واستلقت الى الوراء وهي جالسة على الاريكة واخذت تحملق فى السقف . وطفق سورم يرمق ساقيها برجاء ، ولكن رداءها لم ينحسر كثيرا وهي تتمطى الى الوراء .

وقالت :

ــ قل لي ماذا تكتب .

فأجاب :

ــ ليس الان . فى وقت آخر .

ورمقته بنظرة من طرف عينيها .

ــ متى ؟

وسرت فى جسده هزة من الابتهاج التي خفف من حدتها مفعول البراندي . وقبل ان يجيب ، دخلت المس كوينسي . ونظرت باستنكار الى الطريقة التي كانت كارولين جالسة بها . وشعرت الفتاة بموقف المس كوينسي دون ان تنظر اليها فاعتدلت فى الحال واخذت تنفض الوسائد . وقالت المس كوينسي:

ــ لم اكن اتوقع مجيئك الا فى ساعة متأخرة ، يا عزيزتي .

ــ اعلم ، فقد كنت اعتزم ان آتي من المسرح مباشرة ، ولكن الغي التمرين . ولشد ما سرني ذلك ، فانني اشعر بتعب ممض ، لقد كان يوما مليئا ! ارجو الا اكون قاطعت مناقشة مهمة ؟

ــ كلا يا عزيزتي .

قالتها المس كوينسي وكان يبدو عليها الارتياح . كانت تصب الشاي .

وقالت :

ــ جيرارد ...

وادهشته النبرة التي تفوهت بها . كانت ممسكة بفنجان الشاي .

ــ اوه . شكرا جزيلا .

فسألت كارولين بطريقتها المصطنعة :
ـ عم كنتما تتحدثان ؟
فاجـــاب سورم :
ـ عن اوستن بالدرجة الاولى .
ـ اوه !
وقالت المس كوينسي :
ـ كارولين .
وتناولت فنجان الشاي . واضافت المس كوينسي :
ـ **هل انت جائعـــة ؟**
ـ قليلا . لم اتناول لقمة واحدة منذ الغداء .
ـ حتى ولا الشاي ؟
ـ لم اكن اود مقاطعة عملي . كنت اتعلم دوري .
ـ يا لله ! يجب ان تأكلي شيئا . سأهيء لك شيئا الان .
ـ لا تزعجي نفسك . ساجد قطعة ساندوينش لنفسي .

وسألها سورم : اي دور تقومين بتمثيله ؟ لم يكن مكترثا ولكن حديث المس كوينسي عن الطعام اخذ يضايقه . فقالت كارولين بلا مبالاة :

ـ غاب اسمها عني . انها زوجة شاعر ... اننا نقوم بتمثيل مسرحية عن الشاعر الفرنسي رامبو . انا زوجة اعز اصدقائه .

ـ فرليـــن ؟

ـ اجل . علي ان اتلو قصيدة بالفرنسية . ارجو ان تكون لهجـــتي صحيحة . تبدأ القصيدة هكذا ...

فقاطعتها المس كوينسي قائلة :
ـ هيا اشربي الشاي ، يا عزيزتي
فقالت الفتاة بوداعة :
ـ طيب .
واخذت ترشف الشاي . وجلست المس كوينسي وقالت :
ـ حقا ، لا ادري ماذا فعلت بقدح البراندي ؟
ـ اوه ... شربته انا . آسف جدا . ظننتك لن تشربيه .
ـ لا بأس . لم اكن ارغب في شربه في الواقـــع . ولكني فضلت الا ابدده ...

لقد استطاعت بطريقة ما ان تجعله يشعر بالذنب ، وبانه على تفاهم خفي مع كارولين . ونظرت اليه الفتاة من فوق فنجان الشاي ، كـــانت

عيناهـا تتألقان . وتوقف عن مبادلتها النظرات . ووضعت قـدح الشاى على المنضدة ، وتمطت كالقطه ، فبرزت انحناءات صدرها . وصدر صوت شيء ينقطع . فصاحت متبرمة :

ــ اللعنة . انفكت كلابة مشد الصدر .

وصاحت المس كوينسي :

ــ كـارولين !

غير ان الفتاة تجاهلتها ورفعت يدها لتتحسس ظهرها عند اسفـل رقبتها . وقالت :

ــ يحدث ذلك مرتين فى اليوم . هل لديك ابرة خياطة، ايتها العمة.

ونهضت المس كوينسي بصمت ، واجتازت الغرفة الى الـدولاب . ولحظ عليها سورم الامتعاض والاستنكار . ولكن كارولين لم تحفل بذلك. وقال سورم مبتسما :

ــ هل حدث ذلك في ظروف محرجة ؟

واحس بنظرات المس كوينسي متجهة اليه . وقالت كارولين :

ــ كلا ، لحسن الحظ ، كنت لوحدي . ولكني اعرف فتاة مسكينـه سقط عنها لباسها الداخلي اثناء التمرين ...

وانطلقت تتضاحك وكادت تختنق . وعـــادت المس كوينسى وهي تحمل ابرة وبكرة خيوط بيضاء . وناولتهما كارولين دون ان تنظر اليهـا وقـــالت :

ــ كم كان الموقف مضحكا .كان لباسها من النوع الذي يثبت بالازرار..

وصاحت المس كوينسي :

ــ كارولين !

ــ وانقطع الزر ... كادت ان تسقط وان تدق عنقها ولبــــاس النايلون معلق في رسغي قدميها ...

ــ كارولين ، ارجوك ! وقالت الفتاة مدافعة عن نفسها :

ــ ولكن الامر كان مضحكا جدا . كم بدت مضحكة وهي تحـــاول الهروب من المسرح دون ان تتعثر...

وحدث بسورم رغبة في أن يزيد مـن مضايقـــة المس كوينسي ، فقـــال للفتـــاة :

ــ ماذا كنت تفعلين لو وقع الحادث لك انت ؟

وجلست المس كوينسي تائبة ، كما لو ان الحديث اصبح اخطر ممـا يمكنها ان تتحمل مسؤوليته . واجابت كارولين :

ــ لكنت زلقمه من ساقي ومضبت في التمنيل !
واصطبغ وجه المس كوينسي بالحمرة وصاحت :
ــ ارجوك ان تكفى ، يا عزيزتي !
وقالت كارولين :
ــ لكن هذه امور تحدث. وهل من العيب ان نكون صريحين بصددها؟
فقالت المس كوينسي بلطف غريب :
ــ انه ليس موضوعا لائقا ، يا عزيزتى .
فقالت كارولين باحتقار :
ــ لائق . انك لحمقاء ، ايتها العمة !
ونظر سورم الى المس كوينسي بنوجس ، ولكنها اخــــذت تشرب الشاى بهدوء ، كأنها شاردة الذهن . ونهضت الفتاة :
ــ سأذهب لخياطة الكلابة ، ثم احضر قطعة ساندويتش .
ــ سأخيطه لك ، يا عزيزتي .
ــ لا ، تزعجي نفسك .
وتركت الغرفة وهي تحمل قدح الشاى . وعندما بلغت الباب التفتت والقت قبلة خاطفة لسورم . وعندما انغلقت الباب ، اخذت المس كوينسي تحدق في الفضاء ، والقلق باد على وجهها . ثم قالت اخيرا :
ــ لشد ما انا قلقة عليها .
ــ لماذا ؟
وظلت تحدق ، دون ان تجيب . ثم قالت فجأة :
ــ اوه ، على كل حال . فانها ستتزوج ولا شك .
فقال سورم :
ــ لا شك في ذلك .
فنظرت الى سورم :
ــ اما بالنسبة اليك فالامر يختلف . انك رجل . وفضلا عن ذلــك فانك اكبر منها سنا .
ــ ماذا تعنين ؟
ومضت في الخياطة ثانية ولم تجب . واخذ يرقبها بفضول وهـــو يعرف كنه مشاعرها بالضبط . ولم يستطع ان يجد شيئا يقوله ليفتـــح الموضوع ثانية . وسأل اخيرا :
ــ هل تعترضين على مدرسة التمثيل ؟
ــ ليس هــذا ...

وانتظرها لتتم عبارتها وهو يتفرس في النار . وكانت تنظر اليــــه ولكنه ظل يحدق في قضبان المدفأة المحمرة . وقالت :

ـ اني اسعى الا اقحم معتقداتي على الاخرين . انا لا احــــاول ان افرضها على اوستن او كارولين او عليك . هل لاحظت ذلك ؟

ـ نعــم .

ـ ولكن ... على كل ، المفروض في ان ابين لكم معتقداتنـــا ، فـــي الواقع . ان من صميم عقيدتنا هي ان ندع الفرصة لكل انسان ان ...

وانتظرها لتقول : « ان يتوب » ، ولكنها مضت تقول :

ـ ... ان يتعرف على رسالتنا .

فقال سورم :

ـ قد لا تؤمنين بها انت نفسك الى هذا الحد ؟

فقــالت :

ـ بل اؤمن بهــا .

كان صوتها خلوا من التعبير ، كأنها تتحدث عن شيء غير مهم كمفتاح الباب الامامي مثلا . ثم اردفت :

ـ للناس طرائقهم المختلفة في السلوك تجاه عقائدهم. واني لا اتحرج من الكلام الى الغرباء لانهم غير ملزمين بالاصغاء . اما اذا اقحمت كــلامي على الاشخاص المقربين لي ، فانني اشعر وكأنني قد اقترفت اثمــــا . هل ... هل تفهمني ؟

ـ تماما .

ـ ومع هذا ، عندما اجد كارولين وكأنها لا لتسيء الا للمسرح ، اشعر بالقلـــق .   فقال :

ـ اطلبي منها ان تحضر اجتماعاتك الدينية .

لم يطرح السؤال بصورة جدية ، ولم يكن يهمه الحديث عن كارولين.

وقالت على الفور :

ـ اوه ، كلا : لا اعتقد ان ذلك يسرها مطلقا . اعلم انها لن تكترث لذلك . بل ... اعتقد ينبغي ان يفاتحها بذلك رجل ذو سن يقارب سنها.

وقال سورم :

ـ شخص يمكنها الانسجام معه .

قال ذلك ، وهو يتذكر الفتيات اللاتي كان يشاهدهن يرتلن الصلوات في زاوية الخطابة في حديقة هايدبارك بوجوههن الشاحبة وثيابهن الرثة. والتفت اليها ، فضايقه منظرها وهي ترمقه بنظرة جدية . وقالت :

ـ قد يمكنك انت ان تقوم بذلك .
ـ انا ؟ ولكني لست من شهود يهوه على اي حال ؟
ـ يمكنك ان تحضر عددا من اجتماعاتنا .
ـ بالطبع . ولكن ذلك لا يضمن اني سانتهي باعتناق ارائك ؟
ـ لا يهم ذلك . انك انسان جاد في طبعك . ذلك اهم شيء .
ـ يسرني ان تظنيني كذلك .
ـ ولكنه اهم ما في الامر اليس كذلك ؟
وقال في ترو :
ـ من الجائز . ولكن هناك تباينا شاسعا بين وجهتي نظرنا .
ـ شاسع جدا ؟
فقـــال :
انني اعمل على فرض ان العالم خلو من المعنى ، وان الحياة عبث.
ـ عبث ؟
ونظرت وكأنها قد صعقت : ـ بالضبط .
ـ ولكن كيف ... كيف يمكن ان تكون بدون معنى ؟ لا اشك انـك لا رؤمن بذلك ؟ لا يمكن لاحد ان يؤمن به .
ـ لم لا ؟
ـ لا تعود الحياة تستحق ان تعاش ...
ـ كلا مطلقا . من المبهج ان يعيش الانسان . وهذا يخلف تمـــام الاختلاف عن الايمان بان للحياة معنى .
كانت تحدجه بنظرة نفاذة مفعمة بالتشكك ، كأنها ترتاب في انـــه يريد ان يجعل منها اضحوكة ، وكأنها قد تأهبت لاطلاق الضحك بمجـرد ان يعترف لها بنيته هذه . وابتسم لها . وقالت فجأة :
ـ فماذا يمكنك ان تكتب عنه اذن اذا كنت تظن ان الحياة تفتقـــر الى المعنى ؟
ـ آه ! سؤال وجيه . سأجيبك . اريد ان اؤلف كتابا عن الطـرق المختلفة التي يضفي بها الناس معاني على الحياة التي يعيشونها . وسيكون الكتاب بعنوان « طرق ووسائل خداع النفس » ، وسيعالج جميع الطـرق المكنة التي يتوسل بها الناس لاخفاء معنى الحياة عن انفسهم. وسأستهل الكتاب بفصل عن التجار والسياسيين اسميه «الانسان النشيط»» وسيكون هنالك فصل عن الفنانين والادباء ورجال المسرح اسميه «الانسان الجمالي»»، ثم فصل عن الثائرين والرجال الذين يدفعهم الحسد وعدم القناعـــة .

واخبرا ، عدد من الفصول عن جميع انواع خداع النفس عن طريق الدين.
واخذ الصفاء يعود الى وجهها وهي تصغي اليه . وابتسمت وقاطعته بقولهـــا :
ــ تلك فكرة رائعة ! اني اتفق معك تماما . ان كتابا من هذا النــوع سيجعل مهمتنا اسهل كثيرا . فنظرتك ، على كل حال ، دينية في حقيقتها، اليست كذلك ؟ وسوف لن يفكر الناس في الاشياء المهمة فعلا الا ...
ــ وسأضع فصلا عن شهود يهوه . أريد الا اكون متحيزا .
ــ ولكنك لا تعرف شيئا عنا .
ــ بل اعرف القليل . انكم تستندون كل شيء الى الكتاب المقــدس ، اليس كذلك ؟ تلك هي نقطة انطلاق جيدة .
وقال بحماس :
ــ ولكنك تقول ان الحياة معدومة المعنى ، على حين ان الكتـــــاب المقدس يضم معنى الحياة . فكيف يمكنك ذمنـــا دون ان تكــون قـــرات الكتـــاب المقدس ؟
وقـــال باناة :
ــ انت لا تفهمينني . ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هـــو ان تجاربنـــا مجزاة . اننا نعيش على الاكثر في الحاضر . بيد اننا لو كنا مخلصـــين لاعترفنا بان الحياة سلسلة من اللحظات ترتبط ببعضها بحاجتنا الـــى ان نظل احياء ، ان نقهر الضجر . وتجاربنا كلها تحدث على اجزاء . ولكـــن التاجر القابع في محله يلصق هذه الأجزاء ببعضها وهو يعتقد ان غـــــاية الحياة تكمن في حصوله على سيارة اضخم . اما السياسي فيقرن غايتـــه بهدف الحزب الذي ينتمي اليه . ويربط رجال الدين هـــذه الاجزاء بقبولــه هداية كنيسته وكتابه المقدس . انهم جميعا يستخدمون انواعا مختلفة مـــن الصمغ ، ولكن لجميعهم غاية واحدة ... وهي اضفاء نظام مـــا ولفرض معنى ما . وكل هذه المحاولات لا تعدو ان تكون تزييفا . لو كنا مخلصـــين لاعترفنا بان الحياة لا معنى لها .
ــ وما نفع هذه الفكرة ؟
ــ قد تذهب عنا هذا الخمول والشعور بالقناعة والرضى . انها قـــد تحول حياتنا الى بحث عن معنى .
ــ ولكنك قلت الان انها خالية من المعنى ؟
ــ كل شيء يبقى عديم المعنى الى ان تكتشف معناه .
ــ الامر يختلف في هذه الحالة ! يختلف تماما عن القول بان الحياة

عديمة المعنى . لانه افرض ان هناك عددا من الناس ممـــن ادركوا المعنى ؟ اناس ارسل الله لهم الرؤى ..؟

ــ وما الفائدة التي اجنيها انا من ذلك ؟ لم اؤمن بما يقوله الاخرون؟ اريد ان ارى المعنى بنفسي .

كان ينظر اليها بتركيز شديد حتى انه جفل عندما فتحت البـــاب خلفه . وقالت كارولين :

ــ هل توافقون اناجلب السندويش معي هنا ؟ لنادع الفتات تسقط .

فقالت المس كوينسي :

ــ اجل ، يا عزيزتي .

كان صوتها اعتياديا لا أثر للامتعاض او الدهشة فيـــه . واحس سورم كأن هدوءها قد غلبه على امره . وقالت كارولين :

ــ شكرا . ودخلت الغرفة وهي تحمل طبقا . وقذفت المس كوينسي بابنسامة سريعة الى سورم تكاد تكون غنجة . وقالت :

ــ على كل حال ، هي شجاعة منك ان تحاول أن تضـع المسؤولية على عاتقك . ارجو لك النجاح فيما تبغيه .

واطل سورم بنظره الى كارولين ، وهو يشعر بالانفعال .وقالتكارولين:

ــ لمـاذا هو شجـاع ؟

فقـــال :

ــ لا شيء ...

وتذكر انه لم يقطع وعدا بعد للمس كوينسي بأنهسيحضر احد اجتماعاتها او أن « يتحدث » الى كارولين وسره ذلك .

وقـــالت كارولين :

ــ يبدو جيرارد جادا بفظاعة !

وابتسم سورم وقال :

ــ كنت اتحدث عن جميع الناس الذين سأقتلهم عندما اكون دكتاتورا .

ــ مـا دام اسمي ليس فى القائمة ...

ونظر اليها ، وشرع يقول : انت آخر من ارغب فى قتلهم ، ولكنه ردع نفسه . كانت تتصفح جريدة (الراديو تايمس) ، وهي تمضغ الساندويتش. وقـــالت فجـاة :

حقا ، لم لا نفتح الراديو ، ايتهاالعمة ؟ سيقرأ ديلان توماس شيئا مـــن

سعره فى الساعة العاشرة والربع .

ونظر سورم الى ساعته : كانت تشير الى الدقيقة العاشرة بعد العاشرة . وقـــال :

ــ أعتقد انه ينبغي على ان اغادركما الان فانكما تبكران فى النوم اليس كذلك؟

وقالت المس كوينسي :

ــ لا داعي للذهاب . انا لا انام عاده فى الساعة العاشرة ! كانت تلـــك الليلـــة شاذة .

وقـــالت كارولين :

ــ الا يعجبك ديلان توماس ، يا جيرارد ؟

فقـــال سورم :

ــ لم اقرا له شيئا على الاطلاق .

ونهض وقـــال :

ــ على كل حال ، يحسن بي ان ارحل .

كان يفضل ان يكون وحيدا مع احداهما ، اما ان يجلس مع الاثنتين فهو امر يشعره بالخيبة . وخامره احساس بانه قد توغل فى علاقته مع المس كوينسي وانها كانت تريده ان يبقى .

وقـــالت كـــارولين :

ــ ارجو الا تكون ذاهبا بسببي ؟

ــ كـــلا ابدا . انك لا تجعلين احدا يهرب ، اؤكد ذلك .

ــ اشكـــرك .

وقالت المس كوينسي :

ــ لدي كتاب قد يسليك . اعتقد انه ينبغي عليك ان تقراه .

ــ مـــن هو المؤلف ؟

ــ ان كتبنا لا تحمل اسم المؤلف دائما ، ولكن اتفق اني اعرف من الفه . انه من تأليف الاخ ماكاردل من مانجستر . تعرفت اليه مرة . انه رجل المعـــي متخصص فى الكيمياء الحيوية .

وكانت وهي تتكلم تفتش بين الكتب . وقالت :

ــ لا اجده هنا . يجب ان يكون فى الطابق العلوي . لن اغيب اكثر من لحظة .

وتبعها سورم خارج الغرفة ، ثم تناول معطف المطر من المشجب . وعاد الى غرفة الجلوس ليرتديه . فنظرت اليه كارولين ، وهي تلوك الطعام فـــي فمهـــا وقالت :

ــ يؤسفني انـــك ذاهب .

ـ قد يمكننا اللقاء ثـانية ؟
ـ اود ذلك كثيرا . اود ان تحدثني عن كتابك .
وحزم المعطف . وقال :
ـ متى تفرغين من العمل ؟
ـ كل يوم بعد الغروب . واحيانا فى وقت العصر .
كان يتعمد عدم المبالاة ، ولكنه كان يصغي باهتمام لئلا تعود المس كوينسي قبـل الاوان . وسألها :
ـ هل لديك موعد غدا مساء ؟
ـ لا اظن ذلك . واذا كنت مشغولة فأين يمكنني الاتصال بـك ؟
واعطاها رقم التلفون ، فسجلته فى دفتر ملاحظات اخرجته من حقيبتها وقـال :
ـ ايـن التقي بـك ؟
ـ ايـن تسكن ؟
ـ كـامدن تاون .
وتناهى اليهما وقع خطوات المس كوينسي . فقالت كارولين بسرعة :
ـ الساعة السادسة فى محطة نفق ساحة لستر ؟
طيـب .
وكانت كارولين ما زالت تضع الدفتر فى حقيبتها عنـدما دخلت المس كوينسي . وشعر سورم دون مبرر بالتوتر والارتباك . اما كارولين فـكانت محتفظة برباطة جاشها بصورة تامة ، واخذت تقضم طعامها . وقدمت لـه المس كوينسي كتابا ذا غلاف اخضر .
ـ هـل لديك نسخة من الكتاب المقدس ؟
ـ آ . . . نعم ، طبعـا .
ـ لم طبعا ، اكثر الناس ليس لديهم نسخة منه .
ـ لا ؟
ـ طبعا اكتشفت هذه الحقيقة رأسا عندما كنت اقوم بصحبة الاخ روبنز ببعض الاعمال التي تتطلب التردد على البيوت . وقمنا مرة بزيارة ثلاثين بيتا فى شارع واحد فى منطقة باتني ،فوجدنا الكتاب المقدس فى اثنين منها فقط .
ودس الكتاب فى جيب المعطف الداخلي . اذ لم يكن كبير الحجم .
ـ سترى اشارات فى محلات كثيرة منه . انه من احسن الكتب التـي نشرناها ، على ما اظن . فهو يقدم لك باختصار كل ما نؤمن به . فاذا اعتزمت ان تكتب عنا ، يجب ان تستند على هذا الكتاب . كما يجب ان تكون لديك نسخة

من الكتاب المقدس للرجوع اليه ايضا .

ـ اشكرك جدا ... و ... متى سأراك ثانية ؟

وشعر ، وهو يتكلم بحضور كارولين ، ان اختياره للالفاظ كان غير موفق الى حد سخيف .

ـ بعد ان تقرا هذا الكتاب . كلا ، لا اعنى ما اقول . انك على الرحب والسعة ان قراته ام لم تقراه. تعال فى اى وقت يعجبك . ما عدا نهاية الاسبوع.

ـ خلال هذا الاسبوع ؟

ـ نعم .. ما عدا يومي الاربعاء والجمعة ، الااذاكنت ترغب فى حضور احد الاجتماعات . اما فى يوم الخميس فسيرورني بعض المعارف . يمكنك المجيء غدا ان اردت .

ـ ليس غدا ، اظنني سأكون مشغولا .

ـ اذن ، فليكن يوم الاثنين القادم على اقل تقدير . هل يناسبك ذلك ؟

ـ نعم ، لا بأس .

والتفت عند الباب فالفى كارولين ما تزال تمضغ الطعام .

ـ وداعا .

ـ وداعا يا جيرارد .

وتعمد الا يدعوها باسمها الاول « كارولين » فقد كان يحس بالتقييد وهو امام المس كوينسي .

وقال عندما بلغ الباب الخارجي :

ـ اصغي ، ينتابني شعور بالذنب حول ذلك ...

ـ حول ماذا ؟

ـ حول قدومي والتهام طعامك . لا اريدك ان تحسي باني ... على كل حال ، تعرفين قصدي ...

ـ يا للهراء . انك لا تثقل علي . ستجد دائما مأكلا ومشربا فى اي وقت تعود . لا تشعر بالاثم .

وقال :

ـ قد ادعوك لتناول وجبة فى احد المحلات يوما ما .

وابتسمت وهزت كتفيها ، ثم واجهت عينيه فجأة ، وصعد الى وجنتيها لون باهت وقالت باقتضاب :

ـ حسنا ، بمكننا ان نتحدث عن ذلك .

وامسك بيدها .

ـ الى اللقاء .

ـ الى اللقـاء يـا جيرارد .

ولشد ما ادهشه انها اخذت يده بكلتا يديها واعتصرتها . واستـدار مسرعـا وانطلق عابرا الممر .

وقـالت لـه :

ـ هـل ترى طريقك جيـدا ؟

ـ اجـل . اشكرك .

وابتلعه الظلام . وانصفق الباب خلفه .

الفصل الخـامس

واستسلمت له حالا ، ولم تبد ايه دهشة . ولما حاول ان يدفع بها الى الحلف على الاريكة ، ابعدته عنها بلطف وقالت: ليس هنا . فقد يدخل الغرفة احد . وابتسمت واومأت براسها الى غرفة النوم . وابتدأت ، قبل ان تدخل باب الغرفه ، تنزع عنها بذلتها . فصفق الباب خلفه واقفله . وقال والسعاده بـادية عليـه :

ـ ربـاه ، لك جسم ناضر !

وسمع احدا يطرق باب الغرفه بعنف . وادهشه ذلك ، فقبل لحظـة واحدة لم يكن فى تلك الغرفة احد . وارتسم عليها الرعب ، ومدت يدهـا لتنتشل رداءها الداخلي الذي كانت قد القت به على السرير . وطرق الباب ثـانية . فقال سورم :

ـ لا تعيري الطرق اهتماما . فلنسرع .

ولكن الطرق على الباب اشتد الحاحا ، وسمع صوتا يهتف : نـداء تلفوني لـك . . .

وذهب الحلم . استيقظ سورم واعتدل فى الفراش والنعاس لم يزل عالقا به ، ونظر الى ساعته . ثم صاح :

ـ اشكرك جـدا .

وتلاشى وقع اقدام كارلوتة وهي تهبط السلم . فارتدى الروب ودس قدميه فى نعليه . لقد ذهب الحلم فى عالم الخيال ونسيه تماما قبل ان يتمكن من استعـادة تفاصيله .

وكان الباب الخارجى مفتوحا على مصراعيه ، فاغلقه سورم قبـل ان يلتقط سماعة التلفون . وسأل صوت عاملة البدالة : المستر سورم ؟

ـ يتكلـم .

ـ نـداء خاص مـن سويسرا .

فقــال :
ـ اللعنـة ! مرة اخرى ؟
ـ مـاذا قلت ؟
ـ لا شيء . ضعيني على الخط رجاء .
ـ جيرارد . اهـذا انت ؟
ـ نعـم .
ـ هـل ذهبت ؟
فترك سورم نبرة الامتعاض تبدو واضحة في صوته وقال :
ـ كلا . لقد استيقظت من النوم توا .
ـ اوه . آسف جدا . هـل ايقظتك ؟
ـ نعم ، لا تغتم . هل هذا ما طلبتني من اجله ؟
كان سورم في غير هذه الحالة مستعدا للاعتذار عن المضايقة التي قـد يسببها للاخرين عفوا ، ولكن النعاس كان قد كدره قبلا . وقال لن :
ـ هل يمكنك سماعي جيـدا ؟
ـ نعم . على احسن ما يكون .
ـ جيرارد ... ارجو ان تسدي لي معروفا . هل تفعل ذلك ؟
ـ نعم . ولكـن مـا هو ؟
ـ ارجوك ان تذهب الى غرفتي وتأخذ منها شيئا لي ؟ خذه الـى غرفتك . هـا ؟
ـ طبب . ولكن هل سيدعني البواب ادخل .
ـ نعم ولكن ليست غرفتي الاعتيادية ... انا لا اتحدث عن شقتي . اريدك ان تذهب الى عنوان اخر . هل لديك قلم؟
وتحسس جيبه فوجد قلم الحبر الجاف الذي يحتفظ به دائما هناك . ولم يكن معه دفتر العناوين ، ولكنه وجد غلاف علبة شوكولاتة، فمزقه وفتحه :
ـ حسنا . لدي قلم . استمر .
ـ العنوان هو ٢٣ كاننغ بليس . اي في كينسنغتن ، بالقرب من بـالاس كيت . هل تعرف المكـان ؟
ـ نعم . ثلاثة وعشرين . مـاذا تريدني ان افعل ؟
ـ هناك رجل يدعى فانيت ، هو المسؤول عن البيت . وهو صديق لي . اسأل عنه ، وهو الذي سيدخلك غرفتي .
ـ هل يفعـل ذلـك ؟
ـ نعم . سأكلمه تلفونيا الان .

ـ حسنا . ومـــاذا بعدئذ ؟
ـ عندما تدخل الغرفة ، تجد بعض الملابس فى زاوية بالقرب من المدفأة، فأحزمها كلها فى كيس وخذها معك الى المنزل . ولكن لاتدع جيرالد فانيت يراك . تأكد من انه لا يكون معك فى الغرفة . ومهما تفعل ، فلا تخبره بسبب دخولك الغرفة . سأخبره بأنك ستدخل لتبحث عن عنوان ما تركته انـــا هنـــاك . مفهوم ؟
ـ نعم ولكن لم هذا التستر ؟
ـ سأشرح لك فيما بعد . احتفظ بالملابس فى غرفتك ولا تخبر احدا .
ـ حسنا . شيء اخـر ؟
ـ نعم . قد تجد بعض الكتب ملقاة هنا وهناك فى الغرفة ، فالتقطهـا وضعها ثانية على الرفوف ، ها ؟ وتأكد من ان فانيت لا يراقبك . اجلس هناك، وهيء لنفسك الراحة كأنك سنقضي نصف النهار هناك . هلا فعلت ذلك ؟
ـ حسنـــا .
ـ ثم استأجر سيارة تاكسي ، وسأعطيك النقود عندما اعود ، او الافضل ان تتصل بسيارة سلفر للاجرة ، واذكر لهم رقم حسابي عندهم . وهو٧٢٣ . اطلب رجلا يدعى جاكي .
ـ لا بهم ، سأستخدم دراجتي .
ـ لا، ابدا . اطلب سيارة تاكسي بالتلفون . فلن اشعر بالارتياح اذا لم تفعل ذلك . ارجوك .
حسنـــا .
ـ اسمع يا جيرارد . يؤسفني ان ازعجك . ولكن ليس هناك من اثـق به غيرك . لا تنس . ارجوك الا تذكر سيئا لاحد ـ وبالاخص لفانيت . ها ؟
ـ كلا . حسنا . وهل لا زلت تريد أن ابعث اليك بالبرقية ؟
ـ نعم ارجوك . ان استطعت .
ـ متى اراك ثانية ؟
ـ غدا من المحتمل . لست واثقا ، ولكن من المحتمل .
ـ طيب ، يا اوسـن . امل ان اراك ...
وقابلته كارلوتة على السلم وقالت :
ـ يجب ان يكون صديقك غنيا جدا ليكلمك من سويسرا .
ـ انه غني فعلا ، وغريب الاطوار ايضا .
ولما صار فى غرفته اشعل النار الغازية ووضع عليها ابريق الماء ليسخن . وعاد الى فراشه الذى لم يزل دافئا واخذ يصغي الى وشوشة الغاز ، وازيـز

المـاء . واغلق عينيه وطفق يفكر فى اوستن ـ انسان واسع الثراء ، لديه من المال اكثر مما لديه من العقل . يبدو انه يسبب الكثير من المضايقات . اعجب لهذا التستر المفرط ؟ لا بمكنني الحكم بنسيء . للشاذين اراء غريبة . وبمايريد ان يخفي عن الناس شذوذه . لا يحتمل ذلك. فاكثرهم يعلنون عن شذوذهم . ايتق بي ؟ لماذا ؟ ربما لانني لا اعرف احدا فى دائرة معارفه .

وذابت افكاره هذه فيما يشبه الحلم ورأى اوستن مستلقيا خلـف حاجز صخري على قمةجبل، وكان يسير باصبعهالىبيت فى الوادي ويقول : « لا تظهر نفسك ، فله عينان ناقبتا البصر . استلق باستقامة . » وكانا فـي سويسرا : وكانت تربض خلفها على هضبة صغيرة طائرة اوستن . كـانت الطائرة تبدو مثل الـ (سبنفاير) التي رآها يوما بالقرب من بوابة مخيمالقوة الجوية عندما كان يرابط هناك اثناء الخدمة العسكرية .

واستيقظ من نومه فوجد الماء يغلي فى الابريق . واعد الشاي ثم عاد الى الفراش ثانية ليشربه ، وهو يرتدي الروب . ومديدهوتناول اقرب كتاب في المكتبة فكان كتاب (محاكمة جورج تسابمان) واخذ يحتسي الشاي ويدفعه فضول مريض للتحديق فى صورة الشخص الذي يدس السم والذي تحركه الميول السادية ، ذى الفك الكبير والعينين الغائرتين ، والوجه الذي يـلوح كثيـر النـدب .

* * *

وسأل سائق التاكسي :

ـ هل انت جـاكي ؟

ـ نعم ، يا سيدي ، ولكنك لست المستر نن !

ـ كلا ، انا لست المستر نن، ولكنه اتصل بي تلفونيا من سويسرا منـذ ساعة وطلب مني ان اقوم ببعض المهام له . هل تعرف عنوانه ؟

ـ صحيح . يا سيدي ، ولكن ليس من المناسب أن آخذك وانك لست المستر نن . فالحساب حسابه ، و . . .

ـ اعلم ذلك ، ولكنه فى سويسرا ، وقد اتصل بي قبل لحظة . واعطاني رقم الحساب .

ـ نعم ، ولكنى لا اعرف شيئا عن ذلك .

فقـال سورم بامتعاض :

ـ طلب مني نن ان اسألك انت بالذات لانك لا تصعب الامور !

فاكفهر وجه الرجل وقـال :

ـ حسنا ، ادخل ، سأغامر فى القضية .

ودخل سورم السيارة وهو يستم بصوت غير مسموع . فقد غضب واحس بالاهانة لانه كان موضع شك . غبر انه اخذ يشعر بتحسن عندما تحركت السيارة . فهو يركب التاكسي لاول مرة منذ مدة طويلة ، وغمره شعور بعدم الاكتراث والاسترخاء . ووضع قدميه على الحقيبة الجلدية التي جلبها معه ليضع فيها ملابس اوسنن ، واخذ يطلع باستمتاع الى السيارات العابرة . وتذكر كارولين ، وشعر ثانية بالرضى والسرور بنفسه . لا يحدث له هذا الاحساس مرارا ، فان ما يصاحب كل شيء يفكر فيه من النقد الذاتي والتحليل يجعل هذه اللحظات نادرة الوقوع . وكانت افكاره تعتمد على المنطق والكلمات ، كالكتابة او المخاطبة التلقائية ــ ولا يلعب الحدس فى عملياته العقلية دورا يذكر . وكان عندما يحس بالتعب ، يمقت فى نفسه هذا الاتجاه للحوار الذهني الذي يجري فى نفسه، ولكن لم تكن له القدرة على ايقافه . وراح يفكر وقد طغى عليه شعور بالفرح : حاولت أن اتجنب التعقيدات ولكنها تقبل علي مع هذا ، ولقد حاولت ان ابسط حياتي ، ان اركز على الشيء الوحيد المهم فيها ، ولكن البساطة تحطم قدرتي على التركيز . والان تحدث امور يجب أن تزيد الموقف تعقيدا وسوءا ولكني عوضا عن ذلك اشعر بالثقة .

واحس بالخيبة عندما وقف التاكسي مقابل محطة شارع غرنت يورتلاند. وسأل السائق :

ــ هذا كل ما فى الامر ؟

ــ كلا . فلدي مهمتان اخريان الاتنتظر؟

فقال السائق باستسلام :

ــ سمعا يا سيدي .

وهرع رجل يرتدي بزة حمراء لاستقباله حالما دخل من الباب الدوارة الى الصالة .

ــ اي مساعدة يا سيدي ؟

فقال سورم :

ــ انعمت صباحا . طلب مني المستر نن ان آتي لاتحقق اذا كانت وصلته اية رسائل .

واخذ الرجل يتصرف باحترام اكثر الى حد ملحوظ .

ــ انتظر لحظة يا سيدي . سأسأل فتاة البدالة . لن اجعلك تنتظر طويلا يا سيدي .

ـ اشكـــرك .
ثم التفت الرجل وهو يبتعد مسرعا وقـــال :
ـ هل تفضلت بالجلوس يـــا سيدي ؟
ـ اشكـــرك .
كانت الكراسي وثيرة مريحه ، كتلك التي نراها عاده في صالات الفنادق. وكان في الاصيص الذي يحتوي على سعف النخيل بالقرب من الكرسي كثيـــر من اعقاب السكاير ملقاه فيه . واخذ يراقب ، وهو في مجلسه ، المصعد وهو يهبط ، والرجل العجوز ذا الشارب الابيض والفتاة الصغيره التي ترتـــدى الفراء اللذين خرجا منه . وكانا يسيران برشاقة واتزان غير متكلفين ، لعلهما كانا بسبب عدم حاجتهما الى التفكير في النقود . ولم يكن سورم يشعـــــر بالحسد في تأمله لهما ، كان يشعر تجاههما بالمودة ، كأنهما ملكه . وشعر بأنـــه لم تكن هناك اي حاجز يقوم بينهما وبينه، على العكس ، فقد خامره احساس غريب بالامتياز عليهما . واخذت الفتاه ذراع الرجل العجوز وضغطت عليها. فأخذ سورم يفكر : هي اما عشيقته او ابنته ، او ربما حفيدته . وما انفـك ينظر اليهما بشيء من المودة فيما كانايمران به ويخرجان من الباب الدوارة . ثم حول اهتمامه الى صورته في المرآه المقابلة له . وانتابه شعور طفيــــف بالدهشة لانه لم يشعر بالفترة من الطريقة التي كان يعبس بها نـــــن . وراح يتأمل في ذلك الشعور ، وادرك انه يستند الى ايمانه بنفسه وثقته بقواه اللذين يكمنان في نفسه ولا يخرجان الى عقله الواعي الا نادرا . وابتسم لهذا الشعور في نفسه وقال بصوت خافت : اوهام الشعور بالعظمة ، واعراض واضحـــة لمرض البارانويا ؟ يجب وضع المريض سورم تحت المراقبة .
وعـــاد الرجل وقـــال :
ـ لدي بعض اسماء الذين اتصلوا تلفونيا ويطلبون الاتصال بهم .
ـ اشكرك . لا شيء آخر ؟ لم يأت احد ليسأل عنه ؟
ـ يسأل عنه ؟ كلا يا سيدى . لم ، يا سيدي ، هل انه يتوقع قدوم احد؟
ـ اعتقد ذلك . لا يهم على كل حال. اعطني الاسماء . سيتصل بـــي هذا المساء من سويسرا .
ـ بالتأكيد ، يا سيدى ، تقوم الفتاه باستنساخها الان . لن تتأخر كثيرا.
ـ شكـــرا .

واجتاز الغرفة ووقف امام المرآة لينظر الى نفسه عن كثب . كـــــان الشريطان الجلديان اللذان يحبطان بطرفي كمي سترته بارزان من تحت ردني المعطف . وكان سرواله الرمادى الخشن يبدلى كزوج من الاكياس ، وكـــانت

حافة احد الجزئين مقلوبة الى الاسفل . وقال فى نفسه يجب ان اقتني المزيد من السراويل وان احلق شعرى . ابدو فى حالة يرثى لها .

وفى التاكسي ، اخذ يتأمل قصاصتي الورق اللتين كتب فى اول كل منهما « نداءات تلفونية » . كانت النداءات مكتوبة بخط أنيق بقلم حبر جاف، وكانت عناوينها تبدأ منذ يوم الجمعة . « ارجو الاتصال تلفونيا بالمستر بومونت قبل العاشرة من مساء هذا اليوم » . « لن يتمكن المستر دينيس من العشاء مع المستر نن يوم الاربعاء » . وراح يقرأها جميعا ثم طوى الورقتين ووضعهما فى محفظته . ولم يضف ذلك شيئا جديدا الى معلوماته عن نن . بل انه صار موضع اهتمامه وفضوله اكثر فأكثر .

وعند مروره بدائرة بريد نوتنغ هيل كيت تذكر البرقية ، فنقر على الزجاجة وطلب من السائق الوقوف عند دائره البريد الاخرى . ونسي ما طلب منه نن ان يذكره فى البرقية ، وبعد ان فكر فى الامر قرر ان يكتب فى البرقية : لم يسأل عنك احد ، وذيله بتوقيعه : جيرارد .

وسأل السائق :

ـ ما هو الرقم يا سيدي ؟

ـ هل هذا المكان كاننغ بليس ؟

ـ نعم .

ـ ارجو السير حتى نهاية الشارع وانتظرني هناك . لن اتأخر اكثر من عشر دقائق .

ـ نهاية الشارع ؟ حسنا .

ولاحظ دهشة السائق ، وكاد ان يسرح له الامر ، ولكنه غضب لارتباكه الشديد ، وقال فى نفسه ان ذلك لم يكن من شأن هذا الرجل على اية حال . وترجل من السيارة وهو يقول :

ـ بعد ذلك سأعود الى كامدن تاون .

ـ سأبقي العداد مفتوحا ، يا سيدى .

ـ افعل ما شئت .

كان المسكن رقم ٢٣ فى منتصف المسافة بين رأسي الشارع . كان بيتا عاليا من الطراز الفكتوري امامه عدد من الدرجات تقود الى الباب الامامي . وعندما ضغط على الزر الذي كانت تحته رقعة كتب عليها « فانيت » ، تكلم صوت رجالي من خلف نافذة مستديرة ذات شبكة سلكية فوق لوحة الازرار :

ـ هلو . من القادم ؟

فاجاب سورم موجها كلامه باتجاه النافذة :

ـ اسمي سورم . طلب مني اوستن نـن القدوم .
ـ آوه . نعـــم .
وفتح الباب بقرقعة ، وقــال الصوت :
ـ الباب الثاني عــلى يمينــك .
ودخل سورم الرواق الذي كان رديء الاضاءة ، واغلق الباب خلفه . كتب على الباب بحروف بيضاء من البلاستيك : جيرالد فانيت .وعندما طرق الباب هتف الصوت :
ـ ادخـــل .
كان الرجل يهم بالنهوض من كرسي مريح عندما دخل سورم . وكان اقصر من سورم بست بوصات . كان مرتديا قميصا اخضر متهدلا وملفعـــة حريرية . وكان سرواله الصوفي مكويا متل حد السكين .
ـ حسنا ، يسرني ان اتعرف عليك ! انت مستر سورم . اتصل بـــي اوسنن قبــل ساعة . هل لك في شيء تسربه ؟
كان صوته حادا ذا نبرة عالية . وقال سورم بتردد ، وهو يفكر فـــي التاكسي الذي ينتظره :
ـ اشكرك عـــلى اللطف .
ـ هل انت على عجل ؟ قال اوستن انك قد تمكثهنا ساعة او ساعتين . هل هنـــاك تاكسي ينتظرك ؟
كان سورم على وشك أن يجيب بالايجاب . ولكنه تذكر تأكيد نـن عـــلى سرية القضية . فقال بسرعة :
ـ كلا . لست عــلى عجل .
ـ عظيم . فاجلس اذن . اخشى انتكون الغرفة في حـــالة تعسة . استيقظت اليوم متأخرا ، فقد اقمنا حفلة ليلة امس . ماذا تشرب ؟ وسكي ام جن ام مارتيني ؟ ليس لدى لسوء الحظ غير هذه الانواع ما عدا بعض النبيذ.
ـ جن ومارتيني اذن ، رجــاء .
ـ مركـــز ام مخفف ؟
وكانت حرارة الغرفة خانقة ، كانت هنالك مدفأتان تشتعلان . كـــانت الغرفة التي تجمع بين غرفتي النوم والجلوس واسعة مريحة . وكـــان بساط الغرفة ذا لون بني صرف فاتح ، يبدو نظيفا جدا . لم يكن في الغرفة ما يشير الى قيام حفلة او عدم الترتيبالذي يقترن بالنهوض المتأخر . وتناول سورم قدح الجن والمارتيني الايطالي ، وجلس على السرير . اما فانيت فتمدد على قطعة من الاثاث تجمع بين الكرسي ذي المساند والديوان وكانت ذاتانحناءات

تناسب الجسم . وابسم لسورم وهو يرفع القدح ، ثم رشف الشراب كأنه يشرب نخب سر مشترك بينهما . وقال :

ــ اقول ، ليس من عادة اوستن ان يبعث اصدقاءه للتعرف علي . انت صديق جديد نوعا ما ، صحيح ؟

فقــال سورم ؟

ــ تقريبــــا .

وكشر فانيت عن ابتسامة واخذ رشفة اخرى من الويسكى ، كأنه يعني ان حذفه لا يحتاج الى اسئلة اخرى . وقال برقــة :

ــ انى التقى بجميع اصدقاء اوستن عاجلا او آجلا . اين التقيت به ؟ فى « البلالايكا » ؟

ــ كلا . ما هي البلالايكا ؟

ــ اه ، اذن ، انت لم تلتق به منذ مدة طويلة ! سترى البلالايكا قريبا ، ولا ريب . اوه ، هى .. على كل حال ، ... انها نــاد .

وابتسم من فوق قدحه . وقال سورم :

ــ جيد ، اتمنى ان اقصد المكان يوما .

ــ ينبغى ان تذهب هناك غدا . الاربعاء ليلة عظيمة . اشهر من يقلـــد النساء فى العــالم ! يــا الهى !

نطق عبارته هذه بلهجة عامية خلال انفه ، وهو يحرك يده من الرسغ .

فقـــــال سورم :

ــ سأطلب من اوستن الذهاب ، اذا عاد .

ــ هل تتوقــع عودته ؟

ــ لست متأكـــدا .

ورمقته عينان زرقاوان بنظرة نافذة فترة قصيرة ثم انخفضتا خجلا ، وقـــال فـــانيت :

ــ طيب ، اذا رغبت فى الذهاب ، واذا لم يرجع اوستن ، استطيع انـــا ان اذهب بـــك .

ــ اشكرك جدا ، ولكنني استطيع ان اراه فى وقت اخر .

ــ هذا ما تعتقده انت ! هل تظن انهم يقومون به فى كل اسبوع ؟ عليهم ان يدبروا الامر اولا ، ثم يبثون كلمة السر فيما بينهم ، لكي لا تسمع الشرطة وتداهمهم . الا تفهم ، يا عزيزى ؟ ارجو الا يزعجك ان ادعوك عزيزي ، فالكلمة لا تعنى شيئا مطلقا ... فاذا رغبت فى مشاهدة العرض ، سأكون مسرورا ...

فاخرج سورم حشرجة واومأ براسه دون ان يربط نفسه بموعد . وراح

فانبت يحدق في قدحه ونظراته ترنو :
ــ هل اوسن في سويسرا وحده ؟
ــ حسب ما اعلم نعم . لماذا ؟
ــ اوه ، ارجو الا اكون متطفلا . ولكنه كان قد وضع عينيه على اكلة صغيرة شهية في البلالايكا يوم الجمعة .
فقال سورم :
ــ يوم الجمعة .
ــ اجل . . . لماذا ؟ كان يوم الجمعة ؟ نعم ، اذكر ذلك .
وقال سورم شارحا :
ــ كنت معه مساء الجمعة . ولكنه تركني قبل منتصف الليل .
ــ اوه ، كان ذلك بعد منتصف الليل بوقت ليس بالقصير . كانت نظراته شاردة . . . هل لك في سيكارة ؟
ــ كلا شكرا . قل لي ، هل البيت لك ؟
ــ نعم ، لماذا ؟ هل تبحث عن غرفة ؟
وللمرة الثانية كانت نظرته خجولة ذات معنى . وانهى سورم قدح المارتيني . وقال :
ــ لقد انتقلت قبل ايام قليلة الى غرفة جديدة في كامدن تاون . ولكن بيتك يبدو مهيبا ، بكل هذه التسهيلات .
ــ اشكرك . انك لتمس وترا حساسا . اني اعتز بهذا البيت . لدي منزلان اخران في هاينيت واسلنغتن ولكن قلبي متعلق بـ « ٢٣ كاننغبليس » . المزيد من الشراب ؟
ــ كلا ، شكرا . ينبغي ان ابدأ بالعمل .
وعرف سورم بغريزته أن قدحا من الشراب يعني ساعة اخرى من الحديث .
ــ كلا . انك على حق . فلن تستطيع بعدئذ أن تقوم بدراساتك .
ودوى ازيز جرس في الغرفة ، جعل سورم يقفز . فالتقط فانيت سماعة صغيرة كانت بالقرب من الكرسي وضغط على زر . وقال بوقاحة :
ــ اغرب عني . لدي زائر .
وابتسم لسورم ، وضغط على الزر ثانية . وشكا صوت قائلا :
ــ لا اريد ان انتزعك من الفراش . اريد فرانكي .
ــ انه غير موجود . لقد خرج منذ ساعات .
وسأل الصوت الصادر من السماعة :
ــ متى ؟

ـ مني ؟ لا تسألني . انا لست امه . خرج منذ ساعات . هل تريـد الدخول لتشرب معنا ؟
ـ كلا ، شكرا ! ليس بعد ما حدث ! عليه ان يقابل هذا المخرج حالا . الا نعلم . . . ؟
ـ نعم . جرب الشقة رقم ٧ ـ في ديلي .
ـ اوه ، ايها النفل الاخرق . لم لم تقل لي ذلك ؟
واعاد فانيت السماعة وقال :
ـ ما انفع هذه الاشياء ! انها توفر التعب على قدمي الشائختين . فكيف بالنسبة للشخص الذي يسكن الطابق العلوي . . . . اين كنا ؟
ـ كنت تقول شيئا عن دراساتي . لم افهم قصدك تماما . .
ـ اوه ، نعم . قال لي اوستن ان اتركك في غرفته لتقوم بدراسة او شيء اخر .
ـ سوف لن امكث طويلا هناك . هناك شيء اريد ان ابحث عنه .
ـ اوه ، لسوء الحظ . كنت اود لو تبقى معي وقت الغداء .
ـ كلا ، يجب ان اعود .
وقام على قدميه ليؤكد عزمه على الرحيل . ورفع فانيت نفسه من الكرسي المنحني وهو يبدي الاسف ، وقال :
ـ حسنا ، ما دمت ملزما بالذهاب .
وخشي سورم ان يكون قد جرح احساس الرجل ، ولكن الابتسامة الودية التي نطقت بها اسارير فانيت وهو يفتح الباب طمأنته ، حيث قال :
ـ اود ان اراك ثانية . واذا كنت تريد غرفة . . .
وتقدم سورم عبر القاعة وفتح الباب الامامي . فسأل سورم :
ـ وماذا عن شقة سورم ؟ فقال فانيت :
ـ انها في السرداب .
ولمح سورم بريقا من السرور في عيني فانيت ، وادرك ان فانيت كـان يدفعه الفضول لمعرفة هل ان سورم زار المكان قبلا . وتبعه سورم خارجا الى الشارع وخلال الباب الخارجي الى سياج البيت . واطل سورم بنظره الـى نهاية الشارع فوجد التاكسي لم يزل ينتظر . وقال فانيت :
ـ ان الشقة قائمة بذاتها لا يمكنك دخولها من البيت .
ـ ارى ذلك .
وفتح فانيت الباب الامامي . وهاجمت انفيهما على الفور رائحة عطرية فتعرف عليها سورم في الحال : كانت عطر المتسوكو الـذي شمه في معرض

دياغيليف .

ــ تفضل بالدخول . الباب على يسارك .

ــ كانت الغرفة تسبح في ظلام كثيف . فاخذ سورم يتلمس حوالـه بحثا عن زر الضياء . واستضاء مصباح وردي فاتح ، كشف عن غرفة تشبه غرفة فانيت ، للنوم والجلوس . وكانت رائحة النبغ الحاد تملأ الهواء . وجال سورم ببصره في زوايا الغرفة فلم يعثر على الملابس . فوضع الكيس الجلدي على الطاولة . وقال فانيت :

ــ ذلك هو المكان . هنالك غرفه اخرى تدخلها من هنا . سأتركك الان، وتأكد من انك اوصدت الباب عندما تغادر . منع نفسك .

ــ اشكرك .

ومد فانيت يديه ، وقال برقة تكاد تكون توسلا :

ــ اذا كنت ترغب في قدح اخر ، ولقمة من الطعام ، فتعال الى غرفتي بعد ان تغادر هــذه .

فقال سورم بشعور من عدم الارتياح :

ــ اشكرك . ولكن لا اظنني قادما هذه المرة . ربما في يوم اخر ...

ــ وداعا .... انا لا اعرف حتى اسمك الاول .

ــ جيرارد .

ــ انه يشبه اسمي ــ جيرالد ! آه ، حسنا ، وداعا يا جيرارد !

ــ وداعا وشكرا للشراب .

ــ زرني مرة اخرى .

وانغلق الباب الامامي بضجيج . واجتــاز سورم الغرفة حالا وفـــتح الباب الاخرى . واشتدت فجأة رائحة عطر المتسوكو . وفتـــح المصباح ، فاشتعلت اربعة مصابيح جدارية ملأت الغرفة بوهج ازرق .

كانت اصغر من الغرفة الاولى . وكانت الجدران تكاد تكون مخفيـــة تماما خلف ستائر من القطيفة تمتد من الارضية الى السقف . كانـــت الستائر سوداء ، اما البساط والديوان فكان لونهما احمر وشعر فجـــأة بالامتنان لان فانيت تركه لوحده ، فقد ازاح ذلك عنه عبء التعليق علـى الغرفة . وجلس على الديوان وطفق يجيل ناظريه حوله . كان جو الغرفـة يسحره ويقرفه في نفس الوقت . ورفع نظره الى السقف فالفاه مطليـــا باللون الازرق الداكن . ونهض ليتفرس عن كثب في الصورة التي كانت على الجدار بين كل ستارة واخرى . كانت هناك لوحتان لغوغان ، تبدوان كالاصل او كنسخة حاذقة . وعلى جانبي هاتين اللوحتين كانت هناك اربع صـــور

خليعة تحمل تواقيع او عناوين بالصينية او اليابانية . كانت تلوح هذه الصور مرسومة بفرشاة دقيقة مغموسة بالحبر الصيني ، وتبين رجلا عملاقا عاري الجسد ، ذا عضو تناسلي كبير نسبيا ، ينزل من عوامة على ساحل البحر ليقابل جمهورا من الغيد هرعن متضاحكات لاستقباله . وكانت الصورة الاخرى تظهر نفس الرجل يغادر الجزيرة ، كسيرا ذابلا ، بينما النساء يمزقن شعورهن ويندبن . اما الصورتان الاخريان فتظهران نفس الرجل وهو يقوم بحركات رياضية عنيفة : في الاولى يحطم وعاء نحاسيا بعضوه الضخم ، وفي الثانية يستوقف عصابة من قطاع الطرق باستعماله عضوه هراوة . ولاحظ ان الصور الاربعة تحمل في الزاوية السفلى اليسرى الحرفين الصغيرين : أ. غ.

وفتح باب المكتبة الزجاجي ، فوجد الرف الاسفل مخصصا لمؤلفات الماركيز دي ساد . وسحب الجزء المعنون (مائة وعشرون يوما في سدوم) . فوجد أن الصفحة الاولى لا تحمل اسم الناشر . اما الرفوف الاخرى فكانت تحوي على مجلدات بالفرنسية والالمانية مجلدة كلها باغلفة زرقاء عليها حروف فضية ، ونسخ من مطبوعات محدودة لمؤلفات بترونيوس وابوليوس وسافو ، وكلها تعج بالصور . اما الرف الاعلى فكان يحوي على كتب في الطب وعلم النفس من مؤلفات بلوخ وستيكل وكرافت ــ ايبنغ وهرشفيلد . وكانت الكتب الفرنسية والالمانية تلوح معظمها لمؤلفي القرن التاسع عشر الرومانسيين . وفتح مجلدا للمؤلف لوتريامون ، كان يعلوه غبار كثيف وبعض صفحاته غير مقطوعة .

وعاد الى الغرفة الاخرى واخذ يتفحص ابوابها . كانت احداهاالدولاب الملابس ، والاخرى تؤدي الى مطبخ واسع كان كل شيء فيه يلوح جديدا ، رغم انه بعد ان نظر اليه عن قرب ادرك من الغبار المستقر عليه ان احدا لم يستخدمه منذ زمن بعيد . وعلى الجانبالاخر من المطبخ ، كانت غرفة الحمام ، التي كان عبير المتسوكو فيها طاغيا ، كان العبير ينبعث من حوض الحمام حيث كانت فيه شظايا قنينة كبيرة . وفتح صنبور الماء ، فتدفق بعد قليل ماء حار ، فانتشرت حوله سحب من البخار المعطر . واستنتج من حجم شظايا القنينة انها كانت تسع اكثر من نصف لتر .

وتناهى اليه من مكان ما فوق راسه صوت تلفون ، فتذكر السبب الذي جاء من اجله الى غرفة نن . فاغلق صنبور الماء وعاد الى غرفة النوم .

ولاول وهلة ، لم يعثر على ما يدله علىالملابس التي ذكرها نن . فحاول ان يفتش عنها خلف الستائر ، فوجدها في الحال . كانت ملقاة قرب المدفأة

لتي كانت مسدودة بلوحة خشبية سوداء . كان في اعلى الكومة زوج من حوارب نسائية . كانت الكومة ، كما لاح له ، عدة نسائية كاملة . فادهشه ذلك ، حيث كان يتوقع ان تكون هذه ملابس من الخاصه .

وفتح الحقيبة الجلدية وحاول ان يدس الملابس كلها فيها . ولكنها كانت كومة ضخمة ، كان عليه ان يطويها واحدة واحدة ويضعها في الحقيبة . كانت الملابس تتألف من معطف للمطر ذى بطانة ممزقة ، وتنورة زرقاء رثة . وكان الجورب من النايلون الجيد ولكن بقية الملابس الداخلية كانت على ما يظهر غير جديدة . وكان هنالك زوج من الاحذية من الجوخ الاسود ، وقد كسر كعب احدهما وفقد . فحزم الاحذية هذه في قمة الكومة واطبق الحقيبة .

وضايقه ان يتذكر التاكسي الذي ينتظره ، فلم يكن يرغب في مغادرة الشقة فورا . فخرج اخيرا ، وطلب من صاحب التاكسي الانصراف قائلا له ان عليه ان يتأخر اكثر . واحس بالندم وهو يرى السيارة تبتعد ، ولكن الندم سرعان ما تحول الى شعور بالانبساط والارتياح عندما اغلق الباب الامامية خلفه . واورثته احاسيسه الثائرة شعورا بان هناك شيئا يعوم في احشائه .

وعندما دخل غرفة الجلوس اشعل النار الكهربائية ، وجثا على ركبتيه ليدفىء نفسه قليلا . ثم توجه الى الدولاب وفتحه فوجده يحتوي على صف من قناني المشروبات اكثرها مملوء او حتى النصف . واخرج الزجاجات الواحدة تلو الاخرى ، وهو يحس انه سيقضي النهار كله هنا ، ثم اخذ يشمها . واستطاع ان يميز بعضها ، غير ان معظمها لم يكن قد سمع بها ، او انه رآها فقط منظومه على الرفوف في البارات . ووجد في دولاب اخر رفا صطف عليه الاقداح ، فتناول عددا منها وصفها على الطاولة واخذ يسكب قليلا من الخمر في كل منها . وسحب كرسيا بالقرب من الدولاب ومضى يذوق كلا منها على التوالى — كافالدوس ، شارتريز ، بينيدكتاين ، شراب لانيسون ، ماراشين ، الاش . كان بعضها حسن المذاق مما جعله يصب المزيد منها . وادرك بعد عشر دقائق ان السكر اخذ يداعبه . وكانت هناك زجاجات لم يذقها بعد ، ولكنه قرر ان يدعها الى ما بعد قليل . واخذت الحرارة تنتشر في جو الغرفة فخلع سترته والقى بها على احد الكراسى . وقال بصوت عال : ايها النغل المحظوظ ، يا اوستن . ثم عاد الى الغرفة الاولى وابهجته برودها النسبية .

وسحب الستائر فوجدها تتحرك على عجلات صغيرة ، ويمكن عند الحاجة ان تغطي جدران الغرفة بأكملها . وسحبها كلها وجمعها في زوايا الغرفة ، فلم تتغير هيئة الجدار كبيرا ، لانه كان مطليا بالسواد ايضا . وكانت هنالك فى الزاوية باب مطلية باللون الاسود ايضا . وكان فراغ الشباك مسدودا ايضا مثل المدفأة بلوحة خشبية ، فكان يبدو من الجانب الاخر من الغرفة كأنه استمرار للجدار .

وكانت هناك لوحتان زيتيتان معلقتان على احد جدران الغرفة الذي كان مغطى باجمعه بالستائر . كانت الصورة الاولى لرجل في ملابس السهرة يسير في شارع مزدحم ويقود خنزيرا مربوطا بشريط ازرق ، وفي وسط جبينه عين كبيرة . اما الثانية فكانت لرجل يرتدي قميصا وهو مستلق على ظهره تحت شجرة تفاح في ضوء القمر . كانت الشجرة وفاكهتها مرسومة بالوان غامقة خضراء وحمراء وزرقاء ، كانت ضبابية شاعرية لا تنسجم والانسان الاصفر الراقد تحت الشجرة . وقد كتب عنوانا الصورتين باصباغ الزيت في اسفل الصورة ـ الاولى باللغة الفرنسية: « الغرامبات الصفراء » ، والثانية بالانكليزية « صورة ذاتية في ضوء القمر » . وكانت كلتا الصورتين تحملان توقيع « غلاسب » ومؤرختان في عام ١٩٤٨ .

كان الباب الاخر يقود الى حجرة صغيرة ، كان جدارها الخلفي مغطى برفوف الكتب . وفتح الضياء ليلقي نظرة عليها فوجدها تافهة . كان هناك الكثير من المؤلفات في الادب الانكليزي ، ومجلدات اخرى حسبها سورم من كتب نن المدرسية . كانت هناك ايضا كتب للاطفال ، واخرج سورم واحدا منها لا على التعيين ـ «كتاب قصص للاطفال» فوجده يحمل توقيع اوستن نن ١٩٣٥ ، داخل الغلاف . ووجد نسخة مختصرة من كتاب (الغصن الذهبي) لفريزر قد اعطيت هدية مدرسية له في عام ١٩٤٠ ، ويبدو ان قارىء الكتاب كان قد قراه باكمله حيث انه كان يحمل اشارات بقلم الرصاص . وقد انفتح الكتاب من تلقائه في احدى الصفحات في بدايته بينما كان سورم يتصفحه ، واقترب من الضياء ليقرأ الجزء المؤشر بالحبر الاحمر :

« أن فكرة الانسان الاله ، او الانسان الذي وهب القوى الالهية الخارقة للطبيعة ، ترجع في جوهرها الى مرحلة مبكرة من التاريخ الديني حيث ما زال الالهة والبشر ينظر اليهم باعتبارهم من صنف واحد . وقبل ان تفصل بينهما هوة شاسعة ، انفتحت بينهما بعد مراحل من التفكير

المتـــأخر » .

وحمل الكتاب معه الى غرفة النوم ، وجلس على الديوان ليقرأ فيه. واحس بوجود نن يهيمن عليه بصورة غريبة . ورفع راسه بهزة عنيفـــة كأنه يتوقع ان يرى نن واقفا في عتبة الباب ينظر اليه ، ثم قال بصـــوت عال : انا الامس واليوم والغد ، واني املك القدرة على ان اولد ثانية. ولطف صوته من التوتر الذي كان يحس به ، ولكنه خلف وراءه شيـئـا من الاضطراب الذي حيره وشعر وكأن شيئا كريها يوشك ان يقع ، شعور من يفيـــق اثر كابوس . ثم وقع بصره على الحقيبة الجلدية بالقرب من المدفأة. وشعر ان الاضطراب كان مقترنا بمنظر الملابس النسائية التي حزمها قبل قليل. وعندما حاول ان يحلل هذا الشعور تذكر ان اوستن قد طلب منه ان يعيد الى مكانه اي كتاب مفتوح يجده مبعثرا. ولكنهلم يتذكر انه رأى كتابا كهذا . واقلقه ذلك لسبب يجهله . وذهب الى الغرفة الاخرى ونظر حوله فلـــم يجد شيئا . وذهب الى غرفة النوم وسحب جميع الستائر والقى نظـــرة بين الديوان والجدار . واخيرا ، رفع حافة غطاء الديوان . ونظـــر فـــي المجال الضيق بينه وبين الارض ، فعثر على كتاب مفتوح ، ملقى علىوجهه على البساط . كان عنوان الكتاب : (الاجرام ، ظروفه ووسائله) . وقلب الكتاب فرأى صورة فوتوغرافية لامرأة مذبوحة من حنجرتها ، وقـــد كتب تحتها : لاحظ الجروح على يديها المتسببة اثناء الدفاع عن النفس . فالقى الكتاب على السرير ، واحس بدوار ، وذهب الى المطبخ .

وهناك في المطبخ اصلح ضوء النهار من حالته النفسية ففتح صنبور المـــاء ، وراح يحدق في الماء المنساب ، فشعر بالارتياح . لقد شعر بـــان الغرفة التي تركها لم تكن طاهرة ، واحس بالنفور منها . كانت هـــذه هي المرة الاولى التي يرى فيها صورة لموت العنف ، واحس وكأنها افســـدت الهواء الذي كان يستنشقه باشمئزاز ظاهر . وشعر وكأنه اكتشف جثـــة مقطعة الاوصال في دولاب نن .

وما لبث يقنع نفسه بانه مـــن السخف ان يشعر بالاشمئزاز وانـــه لا يحق له ان يصدمه منظر العنف . وبعد لأي ، عاد الى غرفة النوم وحمل نفسه على التقاط الكتاب ثانية . فلم يكن للصورة الاثر الاول الذي احدثته فيـــه . وجلس على السرير وهو يفتعل الشجاعة وراح يتطلع في الكتاب. كان كتابا مدرسيا معززا بالوثائق الجيدة لاستعمال الشرطة الامريكيـــة . كان يحتوي على فصل كامل عن السيارات المسروقة وفيه صور فوتوغرافية عن الاثار التي تتركها اطارات عجلات السيارات على الطين . وكان الفصل

الاحر نعالج موضوع طبع الاصابع واثار الاقدام . وكانت الفصول الاخبرة من الكتاب تلك التي تعالج اسباب الوفاة والتعرف على الجثث ، هي التي تحتوي على صور العنف . والفى سورم نفسه يقلب صفحات الكتاب وقد استبد به توتر وكأنه كان يتهيأ لتلقى ضربة على جسده . وحمل نفسه على قراءة الشروح المكتوبة تحت الصور قبل ان ينظر الى الصور نفسها . وبعد ان فرغ من تصفحه الكتاب أعاده الى الرف العلوي ، لتضعه بين الكتب التي تبحث في الطب العدلي . وراح سورم ، وهو يقف على الديوان ويسند الى الجدار ليحفظ توازنه ، يفتح بعض هذه الكتب ويلقى نظرات اليها . لم تعد تصدمه الصور ، ولكنه ظل يشعر بثقل في معدته ناجم عن الاشمئزاز الدائم . وعندما خفض نظره الى الرف الذي يليه والذي يحتوي على مؤلفات مالارميه ونرفال ودي ليل ادام وشوبنهاور ، اخذ يحس بتخطيه عالم الواقع . ولاح له أن هؤلاء الاشخاص لم يعرفوا شيئا عن حقيقة الموت عندما كتبوا ، وان تلك الصور قد ابرزت بطريقة ما هراء انغماس دى ساد وبودلير بالخطيئة .

واحس وهو في موقفه على السرير بعتمة في مشاعره كانقطاع الفلم السينمائي فجأة . وبقى لحظة ، وقد غمره احساس بعبث وجوده . لقد عادت رؤيا السنت التى هبطت عليه يوم الاحد الفائت اثناء الليل . احس وكأنه يراقب شيئا لا قوة له عليه ، فارعبه هذا الاحساس . وجلس على الديوان . واخذ هذا الشعور بالزوال . فحاول ان يعيده وهو يشعر بقوة بان عليه ان يواجهه وان يطغى عليه ويفحصه . ولكن الشعور كان قد اختفى تماما .

وتنبه سورم الى برودة الغرفة . كان جالسا يحدق في الفراغ مقطب الجبين ، وهو يحاول ان يحلل الخوف . كان ذلك عسيرا عليه ، ولكنه كان واثقا بان لهذا الخوف علاقة بتمييزه الذاتي . وانشأ يتأمل فيالكلمات التي طافت في ذهنه وهو يقف على الديوان : العبث . الوجود الذي يفرض نفسه فرضا . وقال بصوت عال : ذلك لانه من الممكن ان اكون اي شخص او اي شيء ، او ان لا اكون ابدا . ولكنى اذا لم اكن ... انا . انا اكون . انها تعني الشيء نفسه .

وراح يتمشى في الغرفة ، وهو يفكر بصوت عال ، كأنه يتحدث . كانت اشياء خداعة . انا . يخصني . ان الانا الشرعية لا تعترف بشيء يخصها . كل شيء غريب عنها ، حتى الوجود . يجب ان اتخلى عنالوجود ايضا . لاني اذا كنت موجودا ، معناه اني وقعت في الفخ .

وبزغت فى ذهنه فكرة جديدة:المحدودية . انا لا اريد الحدود . ان الحدود هي الغريبة عني . الكون ، المسافة ، الزمن ، الكينونة ــ يجب الا يكون هناك شيء محدود . انا الله . انا الامس والبوم . انا الالـه (طـم) صانع السماء ، خالق الاسماء الموجودة . ولو لم اكنه ، فالحياة لا معنى لها.
وتناول مجلدا فى الطب العدلي ، واخذ يحدق في صورة رجل قتل بحادث قطار . وعجزت الصورة عن اثارة رؤيا التستت ثانية . وشعر بان صورة الموت فى الكتاب لم تعد تمثل الواقع . انها ، مثل بودلير ودي‌ساد، لم تزل بعيدة عن الواقع بدرجتين .
وبعد ان غسل اقداح السراب وجففها ، خرج واتجه نحو بداية شارع كبنسنغتن وركب قطار النفق . وجعله الجمهور المتدفق في ساعة الغداء يحس بالسرور . لقد انهكه الصمت والاحساس بالحيرة .

* * *

وفتحت المرأة الاسكوتلاندية الباب ، ولما وقع بصرها عليه تجهم وجهها . وقال سورم على عجل :
ــ انه ينتظرني .
ــ كان ينتظرك . وقد حان وقت راحته الان .
واغضبه سلوكها ، ولكنه كظم غيظه وقال بأدب :
ــ آسف ساعود في يوم آخر .
فترددت ، وعادت وفتحت الباب :
ــ ادخل ، وسأرى حالته .
وقال بهدوء :
ــ شكـرا لـك .
لقد جعل صوته منخفضا لئلا يسمعه مونسيل ، فلم تكن له رغبة فى ان يراه في تلك اللحظة . وتوجهت المرأة الى الطابق الثـاني دون ان تكلف نفسها ادخاله الى غرفة الجلوس . وسره انها لم تسرف في الكلام . وعندما اقترب من الباب الزجاجي سمع لغطا من الجانب الاخر . فظل واقفا في الرواق المظلم ، مستندا الى حاجز السلم وظهرت المرأة في اعلى السلم ، واشارت اليه ان يصعد .
ــ انه لا يستطيع ان يمنحك اكثر من بضع دقائق . الان وقت نومه، فلم ينل شيئا من النوم طول النهار . فقال سورم يعدها :
ــ سوف لا اطيل البقاء .

وحالما لامست خياشيمه رائحة المادة المعقمة الباهتة في الرواق تذكر حديثه مع الاب في اليوم السابق ، واخذ يساوره شعور بالتوقع عندما كان يقترب من الباب . ولكن هذا الشعور اختفى تماما عندما رأى القسيس ووجهه القبيح بشكل غريب القابع فوق سترة المنامة ، وبدلا من ذلك ، احس بذلك الشعور الخافت بالخيبة الذي انتابه عند لقائه به لاول مرة .

كان الاب كارائرز يجلس على كرسي مريح قرب المدفأة . وكان نصفه الاسفل ملفعا بلحاف وغطاء صوفي .

ـ تعال اجلس . كيف حالك ؟

ووضع سورم معطف المطر على السرير وجلس على الكرسي الاخر .

ـ اني بخير ، ايها الاب . اني اتوقع عودة اوستن اما اليوم او غدا .

ـ طيب ، هل كتب اليك ؟

ـ اتصل بي تلفونيا مرتين منذ امس .

واخرج القسيس من فمه حشرجة وثبت نظره في سورم . وادرك سورم ما يدور في ذهنه ، وقال :

ـ لم تكن مجرد نداءات للسؤال عني . يلوح ان لديه شيئا يشغل فكره . هل يميل اوستن دائما الى الشعور بالاضطراب بدون مبرر ، ايها الاب ؟

ـ كيف ؟

ـ حسنا ... انه غريب الاطوار يميل الى كتمان افعاله . ويتصرف وكأنه يفعل شيئا في الخفاء . اشعر بالقلق عليه ..

ـ لم الحظ ذلك عليه قط . ما هي الغرابة في افعاله ؟

وقص سورم قصة النداءات التلفونية مختتما اياها بوصف للشقة . ولاحظ وهو يتحدث ان القس كان يصغي بكل جوارحه. وسأل القس اخيرا:

ـ اريد ان اعرف بالضبط السبب الذي يدفعك لتفضي الي بكل ذلك.

واضطرب سورم للسؤال . واجاب عليه بعد ان فكر في كلماته بعناية قائلا على مهل :

ـ ان اوستن ليسحرني ، ولكني لا اعرف تماما سبب ذلك . و... على كل حال فاني اميل اليه . واضح ؟

كادت لهجته ان تكون متحدية ، لانه لم يستطع ان يفكر بطريقة اخرى لالقائها . وابتسم القس ، وضاع القبح بين ثنيات الابتسامة الخيرة التي اشرقت في وجهه . وقال:

ـ فهمت .

ـ وبالاضافة لذلك ... شقته تلك ... جعلتني اشعر اني ازددت معرفة به . ولذا اريد ان ازداد معرفة به .

واغمض القس عينيه . واخذ يتحدث وقد ادار وجهه نحو المدفأة ، كأنه يحدث نفسه .

ـ ما حدثني عنه بشأن الشقة لم يسبق لي ان علمته ، وان الامر جاء مفاجأة لي الي حد ما . ولكن ، على اي حال ، قد لا يكون هنالك داع للدهشة هذه . كما انها ربما توضح السبب في انقطاع اوستن عن المجيء الي . الرومانتيكية ملاذ غير مؤتمن ، ولكنه ليس ذا خطورة ، ولن يمكث فيه احد طويلا .

وقاطعه سورم :

ـ هل تعتقد انه سيعود الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية في الاخير؟

ـ ما اظن ذلك امرا غير محتمل .

وطفق سورم يتأمل في كلمات القس ، وهو يحملق في النار . وبقيت العينان المزروعتان في وجه هذا الرجل المقعد الشاحب مغمضتين .

وقال سورم :

ـ الرومانتيكية ... فهمت ما تعنيه . فهذا يفسر وجود مؤلفات دي‌ليل ادام وهويزمان وغيرهما . ولكن ما قولك في صور الاجرام ؟ ودي ساد ؟

ـ لقد وضعت انت الجواب على سؤالك . دي ساد ـ رومانتيكي اخر. ان الصور السادية ...

ـ لا اعلم اذا كانت الصور سادية ام لا . كانت كريهة فقط .

ـ بالنسبة للشخص الذي تحركه الميول السادية ، الاشياء الكريهة تولد له اللذة .

ـ هل لاوستن هذه الميول السادية ، ايها الاب ؟

اطلق سورم السؤال بسرعة ومن دون تفكير . وسرعان ما خطر له انه تمادى في نقاشه . وفتح القس عينيه واخذ ينظر اليه ، وقال بصوت هادىء :

ـ فلنقل اذن ان اوستن له ... شيء من هذه الميول .

فقال اوسن بصلافة :

ـ اسمع ايها الاب . اذا كنت تظن اني اتحدث فيما لا يعنيني فقل لي ذلك . فلا اريد ان اتطفل .

فقال القس مبتسما :

ـ لم اكن اعرف شيئا عنك يوم امس . واليوم ، انك تعرف الكثير عن اوستن ، وانا اعرفك اكثر قليلا من قبل ، واعتقد انه يمكننا ان نتحدث الان بصراحة .

وانبسطت اسارير سورم ، فقد اسعره زوال الغموض بالارتياح .

فانفرج وجهه عن ابتسامة عريضة وقال :

ـ اشكرك ، ايها الاب . انك لرقيق . فكما ترى ، اني احس فعلا بشيء من المسؤولية الموقتة تجاه اوستن . وقد شعرت اني تأثرت عندما قال بأني الشخص الوحيد الذي يثق به .

ـ تماما .

ـ ولكني لم افهم شيئا من الامر على الاطلاق . فمثلا ، ملابس النساء هذه ...

ـ اين هي الان ؟

وقال سورم وقد ارتسم الامتعاض على وجهه فجاة :

ـ تركتها في الطابق الاسفل ، في الرواق .

ـ لا يهم ، فهي في مأمن تماما .

وعبس سورم وهو يتفرس في راحة يده . وقال مترددا :

ـ ايها الاب ، دعني اخبرك بما يدور في ذهني ، فاذا تبين لك انه مجرد هراء فلا تتردد في ان تخبرني بذلك .

ـ طيب .

ـ اسمع ، يبدو الامر كذلك ... صباح امس ، حاول اثنان من رجال الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن في البيت الذي اقيم فيه ... حول جرائم القتل التي وقعت في القطاع الشرقي من لندن . واني لواثق الان من انه لم يكن لدى الشرطة سبب خاص لهذا التحقيق ـ لم يكن لديهم ما يحدو بهم للارتياب فيه . كان مجرد انسان عجوز مخبول ، وربما كان يوما ما منهما بجنحة جنسية ، ولا شك انه واحد من العشرات الذين حققت معهم الشرطة . والان يطلب الي اوستن ان اخرج الملابس النسائية هذه من سقفه . ولنفرض انه يتوقع ان يحقق معه الشرطة ؟ ولنفرض انهم على علم بميوله السادية الا يبدو ذلك معقولا ؟

وقال القسيس :

ـ لا اخالك تظن جادا ان لتن علاقة بهذه الجرائم ؟

ـ يا للسماء ! كلا مطلقا ! بالطبع لا . ولكن الشرطة لن تدع بابا الا وتطرقه ، الست على صواب ؟ وهذه الملابس تخص امراة . فما رايك ؟

ـ هذا ممكن ... هذا ممكن . ولكن ذلك لا يفسر الكتمان الـــذي يحبط اوستن الامر به .

ـ لم لا ؟ محتمل جدا . على اي حال ، من المحتمل ان نن نفســه بحنسى سيئا من السرطة . على كل ، رجل مىله وله هذه الانحرافـــات يحمل ان يحدث بعض المتاعب للنرطة . كما يحتمل الا تكون الشرطة مـــا يخنساه اوسىن ، الا يجور ان احدا يستغل معلوماته عن أوستن فيهـــدده ليبنر امـــوالـــه ...

ونوقف عن الكلام ـ لقد احس ان الاسترسال في هذا التفـــكير لا يؤدي الى شيء . ورفع القس نظره الى وجهه ثم اخفضه تانية :

ـ قد تكون على صواب . بيد ان افضل طريقة لمعرفة حقيقة الامـــر هي ان ننتظر الى حين يعود اوستن ، ونستفسر منه . فليس من المستبعد مطلقا ان النىرطه قد تحقق معه حول جرائم ويتشبال ـ بالطبع اذا تبيـــن ان القابل منحرف جنسيا . فاذا كان القاتل ذا نوازع سادية فالنىرطـــة لا تنحرج ان نلقي شباكها في كل مكان . وليس لديهم حيلة اخرى ...

ـ ماذا نعني ، ايها الاب .

ـ تحدث الجرائم الاعتيادية بان يكون للقاتل دافع ، فالامر لا يتعدى محاولة اكتشاف ذلك الدافع . اما في الجرائم الجنسية ، فما لم يضبط الجاني متلبسا في الجريمة ، فليس للشرطة طريق يبدأون السير فيـــه . كنت في دوسلدورف عندما وقعت جرائم كورتن ، وقد بلغ عدد المشبوهين الدين حققت معهم السرطة خلال سنوات تلاث ما يزيد على مئات الالوف . فليس من العجيب او غير المحتمل ان يكون اوستن من بين من تريـــد السرطة التحقيق معهم .

وقال سورم مبتسما :

ـ او التحقيق معى ... او اي شخص اخر .

ـ بالضبط .

ونهض سورم وقال :

ـ اسمع ابها الاب ، لن اطيل معك اكنر من هذا ، فاني اعلم انالوقت وقت راحتك . وشكرا للاسنماع الي . كان علي ان اتحدث الى شخص ما عن ذلك والا كنت انفجرت .

ـ حسنا فعلت بمجيئك الي . ولكني ارجو ان تزورني يوما لتتحدث عـــن نفســـك .

ـ اشكرك ، ايها الاب .

ـ هنالك شيء اخر . لدي صديق ـ طبيب الماني ـ يعمل في سكوتلانديارد . فاذا تحدثت الى اوسنن وشعرت بانه يحتاج الى مساعدة فاجعله يتصل بي . قد يستطيع الدكتور شاين ان يوفر علينا بعض المتاعب.

ـ شكرا ، ايها الاب . سأفعل ذلك .

والتقط معطفه ثم فتح الباب . وفيما هو يفتح الباب تذكر سؤالا نسي ان يوجهه :

ـ وبالمناسبة ، ايها الاب ، هل تعرف رساما يدعى غلاسب ؟

ـ نعم ...

ـ لدى اوستن بعض صوره معلقة على الجدران . كم يبلغ من العمر؟

ـ لـ... لست متأكدا . حوالي السادسة والعشرين .

ـ السادسة والعشرين ؟ يجب ان يكون فنانا موهوبا . اثنتان من الصور مؤرختان في عام ١٩٤٨ ، ويعني ذلك انه كان في السابعة عشرة عندما رسمهما .

ـ انه موهوب جدا ـ او بالاحرى كان موهوبا . وهو فقير الحال جدا ، وقد ادخل كذلك مستشفى الامراض العقلية مرتين . ربما سيقدمك اوستن اليه .

ـ هل تعرف اين يسكن ؟

ـ كلا مع الاسف . لم التق به منذ سنوات . ربما تجد عنوانه لدى الاب راكوسي . سيقدمك اليه اوستن بالتأكيد .

ـ هل هو كاثوليكي ؟

ـ نعم ...

وفتحت الباب وهو واقف هناك ويده على المزلاج . واطلت المرأة الاسكوتلاندية .

ـ حان وقت راحتك ايها الاب .

فقال سورم :

ـ سأحاول المجيء قريبا ، ان استطعت ، ايها الاب . وداعا .

ـ وداعا .

والتقى في الصالة بالقسيس الهنغاري وقال :

ـ المعذرة . يقول الاب كاراثرز انك ربما تعرف عنوان رسام يدعى غلاسب .

ـ نعم . اتريده ؟

ـ ان لم يضايقك ذلك ، رجاء ؟

ـ انتظر لحظة . سأجده لك .
ودخل القسيس غرفة تجاور غرفة الانتظار ، وخرج بعد قليل حاملا دفتر ملاحظات :
ـ العنوان : ١٢ شارع داروارد .
فسجله سورم في دفتر العناوين وسأل :
ـ اين يقع الشارع ؟
ـ في القطاع الشرقي ، وايتشابل .
ـ هل تعرف اسمه الاول ؟
وبدت الدهشة في وجه القسيس :
ـ انك لا تعرفه ؟
ـ كلا ، ولكني رأيت بعض لوحاته . وظننت انني قد استطيع لقاءه في يوم من الايام .
ـ آه . ولكنك لن تجده حسن المعشر . اسمه الاول اوليفر . ليس من اليسير الحديث معه .
ودفع سورم الدفتر الى جيبه :
ـ اشكرك ايها الاب . ربما ابعث اليه برسالة . طاب مساؤك .
ولما خرج ، راح يبحث بصورة لا شعورية عن دراجته حتى تذكر انه قدم بقطار النفق . وسار باتجاه محطة (تشانسري لين) والحقيبة الجلدية تتأرجح في يده . لقد تيقن أن غلاسب هو الذي رسم تلك اللوحات ، فقد كانت تحمل الحروف ا.غ. ـ اى اوليفر غلاسب . ولكن ذلك بحد ذاته لا يعني شيئا . انه مجرد شظية واحدة من هذا اللغز الذي يحيط بنن .
لقد اكثر من التفكير في نن حتى اصبح وجود نن شيئا خياليا . وراح يتأمل : انني اميل الى السلبية ـ تلك هي المشكلة . انني سلبي، وقد اوليت اهتمامي بنن لانه ايجابي . انا كالبركة الراكدة ، اما نن فهو الحجر الذى حرك الزبد المستقر على سطحها .
وسار باتجاه كينغسواي ، وقد استفحل القلق والكآبة اللذان اسراه. وادرك ان بعض السبب يرجع الى انه لم يتناول شيئا منذ الفطور . كما ان مفعول المشروبات التى تناولها اخذ يتلاشى .
وكاد يأخذه النوم وهو جالس في قطار النفق ، ومسح بمنديله الدموع التي سالت من عينيه ثم فتح فاه متثائبا .
ـ متعب . تلك هي المشكلة . سآكل ثم انام عندما. اوه . يا للعنة.
وتذكر كارولين ، وتذكر ان عليه ان يلتقى بها بعد ساعتين . واحس

بالاكتئاب . وخطر له ان يتصل بها تلفونيا ليعتذر لها عن اللقيا ، وشعر ان هذه الفكرة اتعس من فكرة الذهاب الى ساحة ليستر في الساعة السادسة . واخيرا ، نزل من القطار في كامدن تاون ودخل حانوتا للملابس الجاهزة ليبتاع له سروالا .

* * *

وما كاد يمضي معها ربع ساعة حتى ادرك انه يميل اليها ، وان هذه الامسية ستكون ممتعة . ورفعا الكلفة فيما بينهما ، وشعر انها تعامله بصورة طبيعية ، كأنها تخرج معه للمرة العاشرة لا المرة الاولى . كانت تعامله دون تقيد ، كصديق قديم . كان في طريقتها ما يذكره بسلوك نن .

كان المطعم في الطابق السفلي على شارع (كينغس رود) ، والدخول اليه يكون خلال مقهى . وحالما دخلت هتفت بعض الاصوات تناديها ، وهب من مكانه شاب ذو لحية يرتدي معطفا سميكا واحاطها بذراعيه وقبلها وهو يصرخ :

ــ الو ، يا حبيبتي ، ما اسعدني بلقياك .

وقدمته الى سورم قائلة : هذا فرانك ، الشخص الذي يقوم بدور فرلين في المسرحية التي نمثلها .

كان هذا الشاب ذا وجه منتفخ لا يبدو عليه النضوج ، وكانت لحيته قليلة الشعر حريرية الشكل . ولم يستطع سورم ان يتصور شخصا اقل شبها بفرلين . وقال الشاب ، بلهجة عامية :

ــ كيف حالك ، ايها الشريك ؟ ارجو الا تكون جئت باحثا عن المتاعب، فليست معي غير ست رصاصات ! قهوة لكليكما ؟

فقالت كارولين :

ــ جئنا لنتناول الطعام في الطابق الاسفل . قد نراك فيما بعد .

ــ تعالا الى الحفلة . ستقام في المحل الذي سقطت فيه القنبلة امام مدرسة التمثيل . واجلبا معكما زجاجة شراب .

فقالت :

ــ ربما .

وشقا طريقهما بين جموع الفتيان والفتيات المزدحمين عند طاولة البار والمقاعد العالية التي تحاذي الجدران . وسمع سورم احدهم يقول :

ــ ها هي ملكة جمال بيدابل لعام ١٩٥٨ .

كان الطابع الاسفل منقسما الى جزئين بواسطة ستارة مشبكة ، وكان مضاء بمصابيح منضدية مصنوعة من قناني شراب الكيانتي . وعندما خف

اليهما الخادم ذو البشرة الزيتونية توقع سورم انه سيدعو كارولين باسمها الاول ، ولكنه قال فقط :

ــ طاولة لاثنين ، يا سيدي ؟

كانت قائمة الطعام كبيرة الحجم ، تكاد تكون بحجم صفحة من صفحات الجرائد :

ــ بعض الاصناف تكلف غاليا جدا .

ــ لا تكترثي ، فقد سطوت هذا الصباح على خزانة نقودي .

وراحت تتفحص القائمة وسألته اخيرا :

ــ هل تعجبك القواقع ؟

واعترف لها بانه لم يذق طعمها في حياته .

ــ هيا اذن لنطلب منها . وهل تشتهي الثوم ؟

ــ اموت فيه .

ــ حسنا . فلنكن خنازير ونطلب اثني عشر لكل منا .

وعندما وصلت اطباق القواقع اخذت تعلمه كيفية استعمال الملقط ، والحت عليه ان يشرب الزبد المنصهر من القوقعة نفسها بعد ان ينتزع منها قطعة الحلزون السوداء الطرية ويأكلها . وطلبا بعد ذلك المزيد من الجبن والليمون واتبعاهما بزجاجة نبيذ ابيض . وبدأ سورم يشعر بالاسترخاء واللامبالاة . واعترف لها :

ــ اني لم اكن اتطلع بشوق الى هذه الامسية مطلقا .

ــ كلا . لم لا ؟

ــ كنت قلقا اخشى الا ينسجم كلانا مع الاخر . هل تعلمين امرا ؟ اني لم اخرج مع فتاة خلال السنين الخمس الاخيرة .

ــ يا للسماء ! ماذا كنت تفعل ؟ كنت تلبس مسوح الرهبنة ؟

ــ كلا قضيتها في غرفتي على الغالب ، او احيانا في غرفة المطالعة في المتحف البريطاني .

ــ ولكن لماذا ؟ فانت لست خجولا ..

ــ لا . كنت ابحث عن شيء ما ... اذا فهمت قصدي ؟

وسألته ضاحكة : تبحث عن اى شيء ؟

ووصلت اطباق الدجاج المشوي ، فمنحته وقتا ليفكر في جواب . وقال اخيرا :

ــ الشيء الذي كان رامبو يبحث عنه : رؤيا .

فقالت على الفور :

ـ كنت احاول قراءة كتاب عنه ولكنه مليء بالنصوص الفرنسية . لقد كان يحاول ان يتلف حواسه ، او ان يفعل شيئا من هذا القبيل ، أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ هل حاولت ذلك انت ؟

ـ كلا . حاولت تطبيق نظام معين . ولكن لم يحدث شيء .

ـ وماذا تعتزم محاولته الان ؟

ـ من المضحك ، انا الان اقرب من السابق الى الرؤيا . هل تعرفين ما معنى كلمة العامل المساعد ؟

ـ كلا .

ـ هو الشيء الذي يسبب تفاعلا كيماويا دون ان يطرا عليه تحول . فيمكنك تحضير غاز حامض الكبريتيك بتسخين الاوكسجين وثاني اوكسيد الكاربون . ولكن يجب تسخين هذه المواد على الاسبست ذي البلاتين ، والا لن يحدث شيء ، غير ان الاسبست لا يتحول . اما انا ، فكانت في داخلي عناصر كثيرة لم تمتزج ، كانت لدي اكداس المعلومات التي لم تكن تعني اي شيء بالنسبة لي . ومنذ ان التقيت بنن يوم الجمعة الماضي ، بدات اشعر اني اعيش للمرة الاولى منذ سنين عديدة .

فمطت شفتيها وقالت :

ـ وانا ، أليس لي مكان في اطارك ؟

ـ بالطبع . لو لم التق باوستن لما تعرفت بك ، أليس ذلك صحيحا ؟

ـ كيف تعرفت باوستن ؟

وسرد لها القصة اثناء ما كان يأكل ، وكان لما يزال يحدثها بعد ان انهيا الطعام واخذا يرقبان السلم الى الطابق الارضي لتناول القهوة . ولما بلغا منتصف السلم توقفت والتفتت اليه وهمست :

ـ اتعلم ، اني ثملة قليلا .

ومالت الى الخلف قليلا ، فوضع يده حول خصرها ليسندها . فوضعت يديها على يديه وشدت عليهما ثم ارخت قبضتها . ولكنه كان يشعر بالشبع والنعاس الشديدين فلم تثره هذه الحركة ، ولكنها زادت من شعوره بالارتياح والاستقرار معها .

وفيما هما يحتسيان القهوة سالته فجأة :

ـ هل تعتقد ان جيرترود جذابة ؟

فحدق في الفنجان بصلابة وقال بلهجة ناقد فني :

ـ اجل ... انها جذابة .

فقالت بلهجة ايحائية :

ـ ولكنها ليست من طرازك .

ـ لا ... ليس هذا . ولكنها البساطة التي تنظر بها الى الاشياء . انها تحيرني .

ـ تحيرك ؟ ماذا بحق السماء يحيرك فيها ؟

ـ هي اما ان تكون مخادعة بارعة او بدائية في بساطة عقليتها الى درجة لا استطيع ان اميزها . وتذكري ، يمكنني ان افهم كيف يكون الانسان مسيحيا يؤمن بالكتاب المقدس ويعتقد ان الكتاب المقدس هو بداية الاشياء ونهايتها . ولكن انطباعي عنها انها ليست من ذوي هذا النوع من الذهن . انها تبدو وكأنها قرات مؤلفات فرجينيا وولف واخذت ترعى الادباء الشباب المحليين .

ـ انها تفعل ذلك !

ـ نعم ... اظنها تفعل ذلك . هل تعرفين شيئا عن حياتها قبل ان تأتي لتسكن في همبستيد ؟

ـ كلا ..لا تتحدث امي عنها ابدا . ولكن افلتت منها بعض العبارات يوما ظانة اني لم اكن اصغي . كان هنالك رجل في حياتها .

ـ وماذا حدث ؟

ـ لست ادري ، في الواقع . لم هذا الاهتمام ، هل ترسم الخطط لاقتناصها ؟

ـ انت التي اثرت موضوعها !

ـ اظن ذلك . على كل حال ، اظن انها ترسم الخطط لك .

ـ غفرانك رباه ، تعنين ...

ـ تعلم ، انها وحيدة هناك ، وذلك ما يجعلني اذهب احيانا لأمكث بصحبتها بعض الليالي . واعتقد انها تتمنى لو اكثرت من زياراتك لها .

ـ اليس لها اصدقاء مقربون اخرون ؟

ـ كلا . كان يزورها في وقت ما احد الرسامين ، ولكنه انقطع ..

ـ تعنين كان لهما علاقة ؟

ـ اوه ، كلا . كان عمره يعادل نصف عمرها . شاب يدعى غلاسب .

ـ اوليفر غلاسب ؟

ـ نعم ، لماذا ؟

ـ سمعت عنه . اعتقد انه صديق لاوستن .
ـ نعم ، واعتقد ان اوستن اخذه معه اليها لاول وهلة .
ـ ولماذا انقطع عن الذهاب اليها ؟ هل تعلمين ؟
ـ نعم . اصيب بانهيار عصبي فدخل مستشفى الامراض العقلية . انها لم تتحدث عنه كثيرا ، ولكنهما ، على ما اظن تخاصما ايضا .
وانهيا احتساء القهوة . وقال سورم :
ـ هل نغادر ؟
وانزلقت نازلة عن المقعد والتقطت قفازيها . وسألها :
ـ اين تودين الذهاب الان ؟ العودة الى سوهو لاحتساء بعض الشراب ؟
ـ لا يهمني . اين ترغب انت في الذهاب ؟
ـ فلنمش على كل حال . لقد افرطت في الاكل .
كانت الليلة باردة ، ساكنة الرياح . وكانت السماء لا نجوم فيها . وسألته :
ـ هل يضيرك زيارة اثنتين من صديقاتي ؟ انهما يسكنان في عوامة على قناة (تسيسي) .
ـ كيف نصل الى هناك ؟
ـ مسيرة عشرة دقائق .
ـ هل نشتري بعض الشراب لنأخذه معنا ؟
ـ فكرة طيبة . لا اعتقد ان لديهما شيئا من الشراب . انهما ممثلتان ، ولكنهما عاطلتان في الوقت الحاضر .
وابتاعا زجاجة من النبيذ الابيض من احد مخازن المشروبات وسارا عبر المجلس البلدي . وعلى بعد مائة ياردة شاهدا وهج نار .
ـ تلك هي الحفلة التي تحدث عنها فرانكي . لا نريد ان نذهب ، اليس كذلك ؟
ـ انا لا ارغب .
كانت النار قد اقيمت على قطعة من الارض الخربة التي كانت تنعزل عن الشارع بجدار واطيء . وكانت الارض نفسها تنخفض عن مستوى الشارع بحوالي عشرة اقدام . وكان الطلبة يزدحمون في المكان واكثرهم يمسك بيده بزجاجة او بقدح . وراح لفيف منهم يسحب جذع شجرة ليلقي به في النار . كان كبيرا لا يمكن وضعه مستلقيا على النار فصار كالجسر يمر وسطها ، ويستند من طرفه بفروعه .
ـ لنمر بالمكان لحظة واحدة ، يا جيرارد ؟

وجر سورم خطاه متبرما وهي تتجه الى حافة الشارع . كانت الارض تنحدر تدريجيا الى البقعة التي اقيم فيها الاحتفال . وسأل والريب يساوره :

ـ هل تعرفين الكثير منهم ؟

ـ قليلا . ولكنا لا نريد ان نختلط بهم . لندفيء ايدينا قليلا ونرحل .

وكان على مقربة منهم راديو يدوي يعزف موسيقى راقصة ، ولكن لم يكن هنالك من يحاول الرقص . واستلقى على العشب في الجوانب المظلمة قرب الجدار الفتيان والفتيات ، اثنين اثنين . ولكن اكثرهم احاط النار بدائرة واسعة . كانت النار شديدة الحرارة لا مجال للوقوف قريبا منها . وقد استطاع سورم ان يميز في وسط اللهيب اريكة بالية وبقايا باب . وفيما هما يقفان ، قفز احدهم على جذع الشجرة المنتصب فوق النار وقفز بحركة غير رشيقة الى الجانب الاخر واثار عاصفة من الشرر الاحمر . وانطلق عدد من الطلبة يهتفون له بطريقة عصبية . فاستدار الشاب وقفز الى الجانب الاول وهو يفتح ذراعيه في الهواء ويزعق اثناء القفز . فقال سورم باشمئزاز:

ـ احمق ملعون !

ـ اسمه ايفور فيشر . كنت اخرج معه .

وكظم سورم كلمات الغضب التي كادت ان تنطلق وادار رأسه وهز كتفيه . فتعلقت بذراعه وقالت :

ـ لنذهب .

وعندما بلغا مستوى الشارع قال وقد اكتأبت اساريره :

ـ هذا الضجيج يجعلني احس اني في الخمسين من العمر . انني امقت الطلاب .

ـ لا بأس بهم .

ـ كل على انفراده ربما . ولكنهم بمجموعهم يثيرون الاشمئزاز .

وبعد مسيرة قصيرة سمعا رنين اجراس بعيدة . واذا بعربة حريق تمر امامهما وتقف امام المكان . فقالت كارولين :

ـ جاؤوا لاطفاء الحريق ـ هيا نتفرج .

ولما عادا الى بقعة الارض وجداها خالية من الطلاب ، وقد تجمهروا خلف الجدار وهم ينظرون الى النار . ووقف سورم وكارولين في نهاية الجدار وهما يراقبان عمود الماء الابيض الذي كان يئز اثناء مروره بالعشب الى النار . وفي الحال ، صعدت سحب البخار وخبت السنة اللهيب . واصطدم الماء بجذع شجرة وتركها تتأرجح فوق العشب . وسرت زمجرة

بين الطلاب ، وصاح احدهم :
ـ يا مفسدي المرح ، ايها الاوغاد .
وانطفات النار ، ولم يستغرق ذلك ثلاث دقائق .
وعندما شرعا في السير ثانية ، احس سورم بالخجل من الامتعاض الذي شعر به قبل لحظات ، لا لانه تعاطف مع الطلاب ولكنه احتج بصورة تلقائية على فكرة قيام السلطة بانهاء احتفال . ونظرت الى وجهه اثناء مرورها تحت مصباح من مصابيح الشارع وسألت :
ـ ما الذي ازعجك ، يا جيرارد ؟
فضحك وقد احس فجأة انه كان مقطب الجبين .
ـ لا يزعجني شيء . ولكن اعتقد ان لا سبيل الى ارضائي .
ـ ماذا تعني ؟
ـ كرهت هؤلاء الطلاب لظهورهم بمظهر جماعة قذرة غير منتظمة من المراهقين . وهذا يجعل مني مؤمنا بالسلطة . ولكني بنفس الوقت اكره السلطات عندما تقف بملابسها الرسمية وتصدر الاوامر . ولهذا فانا فوضوي اي أني فوضوي يؤمن بالسلطة !
واتجها نحو (تشين دوك) . كان النسيم المقبل من النهر باردا . فقلبت ياقتها ومالت براسها على ذراعه . واجتازا الشارع الى الجدار المطل على النهر وتوقفا للتحديق في الماء . وكانت الاضواء المنبعثة من جسر البرت تتمايل في الظلام الداكن . وشعر انها كانت تنظر اليه . ومال اليها وطبع قبلة على شفتيها الباردتين واحس بارنبة انفها كالثلج على وجهه . وقالت :
ـ لا يهمني ما تكون .
ـ لا داعي للاهتمام . فانت لست مضطرة للعيش بالطريقة التي اعيش فيها .
وقالت بعناد :
ـ لا يهمني مطلقا ان اضطررت للعيش معك .
وقبلها ثانية وراح يتساءل ، وهو يقبلها ، كم قبلة طبعت على هذه الشفاه في الظلام ، وكم من الرجال . وامسك عن المضي في تفكيره هذا ، ولكنه لم يستطع ان يمنع شعوره بالنفور منها .
وعبرا الجسر الذي كان يؤدي الى مرفأ صغير ، كان يخرج منه ممر خشبي ضيق الى البيوت العوامة الراسية . وقال :
ـ يحسن بي ان اتقدمك . الليل اشد سوادا من قبعتك . اي عوامة منها ؟

ـ الثالثـة .
ـ وماذا نفعل ان لم نجدهما ؟
ـ اما ان ننتظرهما ، او نعود الى البيت .
وعندما وصل الى حافة العوامة الثالثة وجد الشبابيك مظلمة .
ـ يبدو انهما في الخارج . ماذا نفعل الان ؟
ـ لنذهب الى سطح العوامة ، لعل البا بمفتوح ؟
واجتازا طرف العوامة الى السطح وساعدها فى العبور . وسألت :
ـ هل لديك عـود ثقـاب ؟
فوجد علبة التقاب واشعل عودا . وسحب مزلاج الباب فاذا به يفتح.
ـ شكرا لله ! يمكننا الدخول على كل حال .
وتبعها بشيء من الفضول . وفتحا نورا كهربائيا كشف عـن مطبخ صغير مع اسطوانتين للغاز بالقرب من الموقد الغازي . فهتفت :
ـ هل هنا احد ؟ ووووو ! باربارا ! مادلين !
ولمح فتاحة قناني تتدلى من كلابة على الجدار .
ـ يمكننا ان نتناول بعض الشراب على كل حال :
ومزق الفلاف الرصاصي وفتح الزجاجة . لم يعثر علـى الاقـداح ، ولكنه وجد كوبين خزفيين على الرف . وقالت كارولين :
ـ هيا ادخل هنـا .
كانت غرفة صغيرة للنوم والجلوس تحتوي على سرير عريض واحـد وكرسـي كبير . ولم تتجاوز مساحة الغرفة ستة اقدام .
ـ هذه غرفة باربارا . اما غرفة مادلين فمجاورة ، ولكنها اصغر مـن هـذه .
ـ ايـن يتناولان الطعـام ؟
ـ فـي المطبـخ ؟
ـ واين يستقبـلان الضيوف ؟
ـ هنالك غرفة اخرى هناك ، ولكنهما يصبغانها فى الوقت الحاضر .
وناولها كوبا مليئا الى منتصفه بالنبيذ ، وسألت :
ـ اي نخب نشرب ؟ نخبنـا ؟
ـ نخبنـا .
والتقت نظراتهما عندما اخفضا قدحيهما ، فرفعت وجهـا متهيئـة لقبلته . وذاق طعم الخمر على شفتيها . وكانا ما يزالان ممسكين بالقدحين. وقـالـت :

ـ ماذا تقول العمة جيرترود لو راتنا الان ؟
ـ اخـاف ان افكـر .
وقذف بمعطفه على الكرسي وجلس على السرير .
ـ هل تظنين ان باربارا سوف تنزعج لجلوسي على السرير ؟
ـ كلا ابدا . ازحف قليـلا .
ـ وحـــذاءاي ؟
ـ اخلعهمـــا .
وفك شريــط حذاءيه ونزعهما ، وزحف نحو الحائط . فاستلقت حـالا الى جنبه واغلقت عينيها .
ـ الا تريديــن شرابــك ؟
ـ بعد قليل .
وانحنى فوقها وجعل شفتيه تتجول على وجهها الطري الذي لم يـزل بارعا . وقالت بنعومـة :
ـ مـا اجمـل ذلـك !
ولمست باطراف اصابعها مؤخرة رقبته ، ومدت لسانها بين شفتيه . فاعتـدل واخذ يتنفس عميقـا .
ـ علينا ان نتوقف ، اتعلمين ؟
ـ صحيـــح ؟
ـ اجل . قبـل ان يكون من المسـحيل !
ففتحت عينيها وابتسمت له :
ـ لا يضيرني ان تكون عشيقي .
ـ ولكن هذا العرض لا اخلاقي جـدا !
ـ كلا ابـدا . فانت الاول .
ـ ومع هذا فهو لا اخلاقي ! على كل حال ، انت اصغر من ان يكون لك عشيـــق .
ـ هذا سخف . فلست صغيرة . كاد ان يكون لي عشيق في العـام المـاضـــي .
ـ ومـاذا حـدث ؟
ـ طلب مني ان اذهب معه في نهاية الاسبوع الى برايتون . ووافقت .
ـ وهل ذهبـت ؟
ـ كلا . فقد اصبت بالتهاب الحنجرة قبل يوم فلزمت الفراش .
ـ طريقة رائعة للسلوك ! لقد صعقت !

فاعتدلت في جلستها ومدت يدها الى كوبها .

ــ هــل انت جــاد ؟

فقــال باهتمــام .

ــ هل كان ذلك الاخرق الذي كان يقفز فوق النــار ؟

ــ ايفور ! يا الهي ! كلا . هل اضطجع مع هذا الانسان ! كلا ، كان هذا ممتلا ، فى الخامسة والثلاثين من العمر طلق مرتين . ولقد جننت به ثلاثة اسابيع ، حسبت اني لا استطيع الحياة بدونه .

ــ ولــم يحدث اي شيء ؟

ــ كلا . تخاصمنا بعد عطلة الاسبوع تلك . ثم اضطر الى الرحيل ، فقد انتقلت فرقته الى ليفربول . وكان ما كان .

وشرب بقية الشراب ، وشرع يضحك .

ــ مــــاذا يضحكك ؟

ــ لا شيء . مجرد المقارنة بينك وبين عمتك .

فقالت بلهجــة مؤكــدة .

ــ حــاشا ان اكون مثلهــــا !

ــ لــن تكونــي مثلهــا .

ووضعت الكوب على الطاولة وتركت راسها يسقط على الوسادة ومدت شفتيها لسورم كي يقبلها . وقال :

ــ لا . ليس من المعقول . لقد ارتفع ضغط الدم والرغبة لان انــزع عنــك ملابسك .

ــ لا يمكنك ذلك . ليس هنا ، فقد تعود باربارا .

ــ انقفــل البــاب ؟

ــ لا يمكنك ذلك . لا يمكن غلق البــاب .

ــ كيــف علمــت ؟

ــ باربارا هي التي اخبرتني . عندما كان صديقها معها كان عليهما ان يضعا الكرسي خلــف البــاب .

ــ هل تعترض باربارا لو عادت ووجدتنا في سريرها ؟

ــ كلا . انها واسعة الصدر . على كل حال ، يمكننا سماع وقــع اقدامها من بعيد . فيمكنك الجلوس على ذلك الكرسي وتبدو محترما .

وقبلها ثانية ، ولم يبذل جهدا ليكبت التهيج الذي بدا يرتفع فيه . وفتحت شفتها السفلى عند التقبيل لكي يتذوق داخله الندى الاملس . وبعد دقائق قليلة رفع وجهه عنها واعتدل فى جلسته فسالت :

ـ مـاذا حـدث ؟

ـ لا يمكنني التمادي . اذا استمرينا على ذلك فسانفجر . هـل انت وانقة انها قد تعود قريبـا ؟

ـ لست ادري . لا ادري متى تعود .

واخذ يلبس حذائيـه .

ـ لنذهب الان . سنترك لهما السراب كهديه .

ـ ايـن تريـد ان تذهب ؟

ـ الى اي مكان . العودة الى سوهو . يمكننا ان نتناول قدحا مـن الشراب . ما تزال الساعة العاشرة .

ونهضت على قدميها الحافيتين الا من الجوارب . وكان عليـه ان ينحني ليصل الى رأسها . كان يحس بقلق وهو يقبلها . وادرك ان ذلك لن يجدي شيئا فى تلك اللحظة . وان اي اتصال اخر معها يحتم عليه ان يضبط عواطفه . وبدا له كأنها احست بذلك ، فافلتت منه برفق . وقالت :

ـ حسنـا ، لنذهـب .

* * *

بعد أن تركها في محطة نوتنهام كورت رود احس بالانبساط والرضى. وراح يتطلع من خلال زجاج نافذة الباص عند مروره بشارع (كوج) واطلق العنان لتفكيره ليتأمل فى هذه الفتاة وسرعة رضوخها . لم يكن ليخشى الوقوع فى غرامها ، فذلك امر بعيد الاحتمال . لقد افتتن بها وحسب . كانـت ساذجة جدا . وكانت عملياتها الذهنية اوضح من ان تدعه يأخذها علـى مأخذ الجد . ولم تتسم علاقتهما بعنصر الغموض او الانتشاء ، كمـا لم تعطه الفرصة لاي شكل من اشكال الجهاد من اجلها فقد جعلته يرى ، ومن دون اية مقدمات ، انه يثيرها وانها على استعداد لان تتدله فى غرامه اذا لم يكن لديه اي مانع . ولم يكن لديه اى مانع ، واطربته فكرة ان يكون عشيقها . كـان الامر ابسط من صفقة تجارية .

واخذ يتثاءب ، ويمسح عينيه النديتين بمنديله . ونهضت الفتـاة التي تجلس امامه في الباص وتركت كلبهـا الابيض الصغـير ينزل الى الارض . كانت حسنة الشكل انيقة اللباس . والقى اليها بنظرة ثـم ادار وجهه عنها وسره عدم الاكتراث الذي شعر به . وطاف في ذهنه انه يكاد لا يستطيع التحرر من الرغبة الجنسية ، فبمجرد التفكير في المراة فـي اي ساعة من ساعات الليل والنهار ، يعكر عليه استقراره ويثير فيـه الاستياء الذي تورثه الشهوة التي لا تجد اداة التنفيس عنها .

وعاد اليه الشعور الذي احس به ذلك الصباح بينما كان يراقب الفتاة التي خرجت من المصعد : شعور بالاطمئنان والقوة ، وانعدام الشعور بالغيرة انعداما تاما . كان يستطيع التفكير في ثن بموضوعية تامة ، ليس لانه يعتبر مزايا ثن طارئه او آنيه ، بل على العكس ، فهنالك احساس يثيره ثن هو ان المال والترف امران لا مفر منهما . ويبدو ان هذا بحد ذاته لا يثير الغيرة . كان في خياله يتصور ان ثن يمثل الوجود المادي ، الاحساس المباشر بالحياة الطبيعية . وان المحيط الطبيعي الذي يمكن لثن ان يعيش فيه هو تحت نظيف في البحر المتوسط ، او اشعة الشمس البيضاء في انعكاسها على الجليد بالقرب من تروندهايم ، والصخور الناتئة من ضفة النهر في (غالوى) حيث يصطادون سمك السلمون . واستجاب سورم لهذه الافكار كما استجاب لكارولين ، ولكنه شعر ان هناك شيئا خلف هذه الافكار يضيق عليه . في حياة الانسان الطبيعية عبث متأصل كان يلقي الرعب في نفسه .

واحس بالبرد عندما نزل من الباص في شارع (برنس اوف ويلز) واخذ يرتعش وتتشنج عضلات كتفيه ، فمشى مسرعا عبر الطريق . لقد اختفى الانبساط واخذ يحس بتوجس لا يجد مبررا له . وقد بدأ هذا التوجس يتبلور عندما ترك شارع (كنس تاون) ورأى سيارة من نوع جاكوار تقف خارج البيت .

وبحث على الطاولة الموجودة في الصالة عن رسائل او نداءات تلفونية . ووجد قصاصة من غلاف رسالة كتب عليه : المستر سورم ، لقد اتصل المستر ثن تلفونيا . كانت الرسالة موقعة بالحرف : ك.

ورأى الضياء المنبعث اسفل باب غرفته قبل ان يدخل . كانت الغرفة تختنق بالدخان . وقال :

ـ هلو ، اوستن . كم طال انتظارك ؟

الفصـــــل السادس

وقال نن :

ـ كنت على وشك الرحيل . خامرني الظن انك ستقضي ليلتـــك خـــارجا . كيف حـــالك ؟

ـ بخير . هل تناولت طعاما ؟

ـ منذ ساعات . وكنت اشرب ايضا . خذ شيئا من البراندي .

واشار الى قدح على الطاولة . كان يجلس على الكرسي الكبير ويمد قدميه على كرسي خشبي على الطرف الثاني من السجادة . كانت النـــار الغازية تشتعل بدرجة منخفضة . وجلس سورم على الكـــرسي المقابـــل وسكب قليلا من البراندي في قدح . وقال :

ـ من الجميل ان اراك . متى دخلت ؟

ـ في الساعة الخامسة . حاولت ان اتصل بك حال عودني ولكنك كنت غـــادرت .

ـ كان سورم خلال الايام الاربعة التي مرت منذ ان غادر نن ، قـــد نسي الكبر من الاشياء عن نن . نسي ان الصوت المهذب المفتعل كــــان يخدش اعصابه وان وجهه الذي تبدو عليه اثار الجدري كان يقرفه . كان نن الذي يجلس في مواجهة سورم تلك اللحظة يختلف تمام الاختلاف عن نن الذى كان سورم يفكر فبه في الباص . وقال سورم :

ـ كنت مع كارولين دينبيغ ـ ابنة اخ العمة جيرترود .

ـ من ؟ آه ، جيرترود . كارولين ! لا اظنني رأيتها منـــذ ان كنت صبيا . ولكنها فى الثالثة عشرة من العمر ، اليس كذلك ؟

ـ كلا ، انها في السابعة عشرة .

ـ اوه . هل وقعت في طريق سورم ؟

ـ لست ادرى .
وقال نن ، مسأوها :
ـ اعتقد ذلك ـ مىلها منلنا جميعا . هل ستضطجع معها ؟
ونظر اليه سورم بدقة : كان وجهه هادئا تشوبه السخرية .
ـ المسألة تعتمد ... قد آفعل .
وبرزت السخرية بصورة واضحه .
ـ وهل يمتعك ذلك ؟
فقـال سورم :
ـ اثرت نقطة جيدة . قد لا اسمتع . اوه ، ولكني قد اظفـر بالاحساس المىير . ولكن ماذا سئؤول اليه الامور ... لا ادري ان كنت مستعدا لنحمل النتائج .
وسكب نن المزيد من البراندي في قدحه .
ـ حسنا ، لنترك كارولين . لقد حصلت على الملابس ، كما ارى .
ـ اجل . هل بحنت عنها ؟
ـ نعم . اشكرك جدا . هل لقيت صعوبة في الحصول عليها ؟
ـ كلا ابدا . تعرفت على فانيت . وحاول اقناعي بان ابقى معـه للغداء . ولكني لم ابق .
ـ ذلك متوقع منه . ان لهذا النسخص فضول باندورا .
ـ نم امضيت ساعة في سقتك . اوه ، وقد جربت بعض انـواع مسروبـاتـك .
ـ حسنا فعلت . كان ينبغي علي ان اخبرك بان تمتع نفسك .
ـ والقيت نظرة على كتبك . قضيت ساعتين منيرتين هناك .
واحنى نن كنفيه ، وُوتر ذراعيه نم مدهما واخذ يتثاءب .
ـ اني اشعر بالامتنان لك يا جيرارد .
وغطس نن في كرسيه كأنه تلقى ضربة على رأسه ، وظلت عينـاه تحدقان في سورم بهدوء تأملي وقال :
ـ اعتقد انك متشوق لمعرفة هذا الامر الغامض ؟
فهز سورم كتفيه .
ـ ليس تمامـا .
وهبط عليه احساس غريب ، كأنهما انجرفا فى عملية ابطاء مفـاجيء في الزمن ، كأنهما يستطيعان الجلوس والتحديق في وجه كلمنهما ساعات او اياما دون ان تدفعهما الحاجة للاسراع . ولم يكن هذا الشعور من اثر

الشراب كلما . وقال نن بصوت خافت :
ــ انك لانسان كريم ، يا جرارد .
ــ كلا ابــدا .
ــ هل يعني انك غير مكترث بسقني ؟ وعن النداءات التلفونية ؟
وراح سورم يتأمل وقال :
ــ لا . لا اعني ذلك، ولكني مسوق الىمعرفتك انت معرفة افضل.
وابتسم نن له . وادرك سورم ان نن كان تعبا مكتئبا . كان الاجهاد يلوح في عينيه ، فلم تسارك بغتة وجهه في الابتسامه .
ــ ما الذي يسوقك الى معرفتي ؟
ــ احب ... احب كوننا نعيش . يلوح ذلك قولا مبتذلا ، ولكنــه صحيح لا انخلى قط عن التساؤل لماذا انا على قيد الحياة ، ولا انقطع عن القلق في احتمال وجود خطأ هناك ... ولكن مهما كانت الحياة ، فــاني احبها . غير ان المشكلة هي اني اصاب بالملل . اني افرط في التفكيـــر بالحياة ، واذا واتاني الحظ ، تعيد الي بعض الاشياء الاحساس بانني سعيد لاني اعيش : سنفونية لموتسارت ، قطعة سجق حارة في صمونة ، رائحـــة الاسيتون . انها تثير فضولي للحياة ، انها تعطيني معنى جديدا لكــونــي اعيش . واحيانا يخلق هذا الشعور كتاب ما . اما الاشخاص فلــن يولــدوا هذا الاحساس . اعتقد احيانا ان الناس اكثر الاشياء افتقارا الى اثــارة الاهتمام في العالم كله . انهم يعكسون الاندحار الذي احمله معي اينمـــا ذهبت . على كل ، فانك احد الناس القلائل الذين التقيت بهم ممن يثيرون اهتمامي . هنالك اشياء كثيرة احسها فيك تقلقني بعض الشيء ــ انك انسان غريب الاطوار ، انسان متعصب ، انسان شاذ .
ولاحظ الدهشة المفاجئة التي استولت عليه حين نطق بكلمة «شاذ». ولكنه لم يحفل بها . اذ كان على ثقة بما يعنيه . غير انه قلق للاجهــاد الذي كان يبدو على نن ، فقدكان يحس به طول الوقت . وفيما هو يتكلم رفــع نن غطاء الزجاجة واخذ يصب بعناية ما تبقى من البرانــدي فــي قدحيهما . ولاحت عيناه منطفئتين وهو يدفع بالقدح نحو سورم . وقال:
ــ لقد دعوتني متعصبا شاذا . هل تعرف بالضبط طبيعة شذوذي؟
واسرعت نبضات قلب سورم ، وثبت نظره في وجه اوستن ، ليخفي اضطرابه ، واحس بالحرارة تسري في رقبته ووجنتيه :
ــ كلا ، ولكن يمكنني الحدس .
ــ لا داعي للحدس ، سأخبرك انا . انني سادي .

واحس سورم بقلبه يخفق بعنف وخشي أن يطفر من بين ضلوعه . وقال وقد سبطر على نبرة صوته :

ــ كيف ؟ وافرغ نن قدحه وحدق فيه :

ــ انك تعرف ما هو السادي ؟

ــ اجل .

ــ فابتسم نن :

ــ اشك في انك تعرف . ماذا تعتقد ؟

ــ الشخص الذى ... يستمتع بالالم .

لقد ادرك سورم ان صوته سيرتعش ان هو غامر بجملة اطول . كانت اذناه تتوقدان حرارة .

ــ اجل ، يا جيرارد . ذلك هو السادي ، ولكن ليس هذا وحسب. هذا مجرد تعريف قاموسي له ، انه لا يدخل في الحساب اشياء كثيرة اخرى ، كالتوتر الذي يسبقه والخوف الذي يليه .

ولم يجتهد سورم للسيطرة على انفعاله الذى كاد ان يخنقه ، ولكنه ارتخى وهو يجلس على كرسيه وراح يتصور صوت نن ينبعث من غرامافون . وقال الصوت :

ــ أن الخوف لا يتوقف ابدا . انك تشعر كالبساط الذي سقطت عليه قطعة من الفحم المتأجج ــ مجرد فجوة حيث يجب ان يكون القلب ، فجوة محترقة الحواشي . ان الجنس يفترض فيه ان يكون الرغبة الطبيعية في الجسد ، ولكن ماذا يحدث فيه عندما يكون تراكما لحالات من التوتر لا سبيل الى ادراك كنهها ؟ وانك اذ تحس بها لا يمكنك تعريفها ، وعندما تنتهي ، تشعر بالخلو ، ولكنك لم تزل غير قادر على تعريفها .

وما لبث سورم ان احس بتحسن ، وقال :

ــ ارجو ان تغفر لي جهلي ، ولكن ما الذي يمنعك من ارضاءحاجاتك؟ لا بد وان هناك اناسا ... على كل ، يفعلون ذلك على سبيل المهنة .

ــ انك لا تفهم يا جيرارد . هنالك اناس كهؤلاء ، هذا صحيح ولكن ... لا استطيع التوضيح . اترى ما اعنيه ؟ اذا احسست بالرغبة الجنسية فانك موقن نوعا ما بانك ستجد المرأة التي تريد ان تأخذ ما يمكنك ان تمنحه ، بيد ان الحالة في السادية هي ... انها تريد ان تأخذ ما لا يريد ان يمنحه الاخر . وان اراد ان يمنحه ، فليس الشيء نفسه .

وقال سورم ليناقض قول نن :

ــ ولكني افهم تماما . اني كثيرا ما احس بالشيء نفسه . فليس

هنالك ما بمزق نفسى اكثر من امرأة تريد مني مغازلتها ، وحتى لو تضورت من الجوع الجنسى لستة اشهر لقتلني الغثيان اذا دلفت الى نفس الفراش الذى تضطجع فيه امرأة مغرمة بالجنس . واذا لبثت ستة شهور فى محاولة لاغواء فتاة ، واذا سمعتها وهى تئن قائلة : « خذني ، بالله عليك » بنصف دقيقة قبل ان اتهيأ لاخذها ، لفقدت رغبتي فيها على الفور . فلن اكون قادرا على مغازلتها . اليس هذا الشعور الشيء نفسه؟

— ليس تماما . انك تريد شريكة سلبية جدا ، ان من المحتمل ان هناك ملايين الفتيات اللواتى يرغبن ان يكن سلبيات .

فقال سورم مكشرا عن ضحكة :

— اتمنى ان اجدهن .

وطافت في ذهنه وهو يتفوه بهذه العبارة المس كوينسى وكارولين رغامره احساس باللذة وقد مرت بخاطره ذكرى تلك الامسية .

ولم يبتسم نن ، بل قال بصبر :

— مهما يكن من امر ، فهن موجودات .

وقاطعه سورم :

— انظر يا اوسن ، ألست تبالغ فى الامر ؟ يمكن لكل انسان ان يعيش بـ ... حاجاته ... على كل حال ، دون ان يعذب نفسه . لقد تعرفت ببعض ممن ينزعون الى الجنس المشابه ، وكانوا يجعلون من امرهم مأساة وقضوا وقتهم بأكمله يتحدثون عن الاضطهاد والخيبة . وقد عرفت ايضا بعض الشواذ منهم ، وقد صنعوا من مشكلتهم امرا عظيما وكانوا يستمتعون بكونهم من الشواذ . الا يحدث الشيء نفسه بالنسبة لك ؟ ان الامر ليس الاستسلام الى سلوكك الشاذ فحسب ؟

— ليست هذه هي المشكلة . المشكلة هي ان تجعل المجتمع يقر هـذا الامر .

ومد نن يده الى زجاجة ، فوجدها فارغة ، فترك يده تسقط ، كأنها متعبة . وقال بلهجة غير مألوفة بصورة واضحة :

— هل قرات مؤلفات دي ساد ، يا جيرارد ؟

— كلا ، بعض النصوص المبتورة فقط ، على كل حال .

— كان دى ساد محقا فيما قاله عن الساديين . لا يجد السادى تعبيرا تاما لنفسه الا ان يكون طاغية شرقيا . هل تفهم ؟ فليس هناك منح واخذ ، وانما الاخذ فقط .

— شيء سيء جدا بالنسبة لضحيته ، على ما اعتقد .

ــ اجل ، ولكن على المرء ان يكون قاسي القلب في هذا الامر .
ــ الست قاسي القلب ؟
ــ لست قاسيــا عــادة .
فقال سورم مبتسمــا :
ــ فاستخدم اذن فسلك هذا في الخلق . ذلك هو العلاج الكلاسيكي .
فاعتدل نن على كرسيه وقال فجأة :
ــ اسمع ، هيا نذهب لنبحث عن المزيد من الشراب .
ــ هل ترغب في المزيد فعــلا ؟
فقال نن بصوت فاتــر :
ــ لن انمكن من النوم هذه الليلة ان لم اشرب . اريد ان اتحدث اليك .
ــ حسنا ، ابن تريد ان تذهب ؟
ــ يمكننا الذهاب الى شقتي او الى ناد اعرفــه .
فهز سورم كتفيه ونهض . ولم يعد يشعر بالنعاس .
ــ طيب . ابهما تفضل .
ووضع نن يده على كتف سورم وهما يجتازان الغرفة الى الباب . وقال:
ــ انك تحتملني جيدا ، يا جيرارد .
ــ كــلا ابــدا .

كانت الريح باردة منعشة وهي تعبث بوجهه وهو في سيارة «الجاكوار» المفتوحة . كان الشارع هادئا ، ولم يشاهدا احدا على طول شارع (الباني ستريت) . واخذ بفتش عن الصلة بينه وبين فكرة القسوة . وكان مــــن العسر ان يجد مثل هذه الصلة فقد لاح وجهه في نور مصابيح الشـــارع شاحبا مضنى ، لا يتصف بالشهوانية بصورة خاصة .

ولم يلتقيا باحد في الممر المؤدى الى الشقق . وكانت الغرفة التي عليها العنوان « البواب » خالية . وارسل سورم نظره صوب الكرسي الذي كان قد اقتعده صباح ذلك اليوم ، وكان من الصعب عليه ان يدرك ان ذلك كان قبل اقل من خمس عشرة ساعة . كان يلوح له كأن اياما عديدة مضت منــذ ان راى ذلك الرجل العجوز ذا الشارب الابيض والفتاة التى كانت ترتــدي الفراء وهما يخرجان من المصعد .

ــ هل انت تعب ، يا جيرارد ؟
والفى نفسه يتثاءب .
ــ كلا . كــلا مطلقــا .

وتوقف المصعد عند الطابق الثالث . كان البلاط الابيض المرمري الذي

يغطي ارض الرواق وجدرانه يكسب الرواق مظهر المستشفى . وكان نـن بسبق سورم وهو يعبث بحزمة مفاتيح. وتوقف عند باب داكن مؤطر وادخل المفتاح . ووجد سورم نفسه يفضل السقة التي تقع تحت الارض في كـانـنغ بليس ، حيث كان الجو فيها اقل برودة .

ــ بعدك يا جيرارد .

وانارت المكان مصابيح نهارية وكسفت عن غرفة واسعة ونيرة الاثـاث تبدد الاحساس بالكآبة . وكان اثاثها يجتمع بين لونين : الخشبي الفـاتح والازرق السماوي . كان سقفها والبساط المفروش على ارضها من لون واحد هو الازرق السماوي وكان اثنان من الجدران من اللون الاسمر الفاتح . امـا الجداران الاخران ، فكانت تغطيهما رفوف الكتب التي كان لها نفس اللون ، وكان الاثاث اكثره من الجلد الازرق . وكان الجزء من الجدار الذي يعلـو الموقد مغطى بلوحة كبيرة لمايكلانجلو هي « الله يخلق آدم » وقال سورم :

ــ يا الهي ! ما افخم المكان ! انك لسعيد حقا !

ــ انه ليس لي . انه لوالدتي ، ولكنها لا تسكن فيه ابدا . هلا جلست .

واجتاز نن الغرفة في الحال الى دولاب المشروبات وفتحه . وقال :

ــ ماذا تشرب ؟ نفس الشيء مرة اخرى ، ام تفضل شيئا من النبيذ ؟

وفيما هو يتكلم صب من البراندي في قدح ثم ابتلع نن جرعة كبيرة . وقال سورم :

ــ بل افضل النبيذ ، اذا كان لديك شيء منه .

كان يجيل بصره في خزانة الكتب القريبة من الباب . كان يبدو انها لا تحتوي على غير الكتب الفلسفية . كانت هنالك طبعة لمؤلفات شليغـل بعشرة اجزاء ، ومجلدات لكنت وفيختة وشيلنغ باللغة الالمانية . وكان الرف الذي يعلو هذه الكتب يحتوي على صف من الكتب المجلدة التي تحمل كلهـا نفس العنوان : كريل . وتناول سورم الجزء الاول منها ، فوجده يبحث في الرياضيات . واقبل نن من المطبخ وهو يحمل زجاجة من نبيذ الراين .

ــ اخشى الا يكون باردا . فالثلاجة مطفأة .

ــ هل هذه الكتب جميعها لك ؟

ــ اجل . ورثتها عن عمي . اشياء ساحرة .

وناول سورم قدح شراب كبيرا ملبئا بالنبيذ الذي يلوح بلون التبن . ووضع الزجاجة على الطاولة قرب الاريكة ، وهو يقول :

ــ هيـا اشـرب .

وصب المزيد من البراندي في قدحه وتكوم على احد الكراسي ، وهو

يبدو كدمية محشوة بنشارة الخشب ، لا حياة فيها .

ــ اجلس ، يا جيرارد . ساريك كتبي في المرة القادمة عندما تزورني .

وجلس سورم على الاريكة واخذ يرشف الشراب . ولكي يتجنب ضرورة فتح موضوع للكلام تناول رشفة اخرى من قدحه .

وقــال نن :

ــ جيرارد ، افرض اني رحلت الى امريكا الجنوبية او اي مكان آخـر فهل ترافقني ؟

فنظر اليه سورم وقال بحــذر :

ــ هــل انــت جــاد ؟

ــ تماما . اود الذهاب الى بلد اخر ــ الى مكان اخر استطيع ان ابــدا الحياة فيه من جديــد .

ــ لمـــاذا ؟

ــ لانني . . . لانــني متعــب .

ــ ينبغي الا تكثر من التجوال. لم لا تحاول انتستأجر غرفة فيالقطاع الشرقي ــ واينسابل ، مثلا ــ ولا تخبر احدا بمحل اقامتك ؟

وبدا شيء في ابتسامة نن مما احدث توترا في نفسه . وقال نن :

ــ وايتسابــل ؟

ــ اوه . كلا ، لقد نسيت امر جرائم القتل هناك .

واخذ نن يحدق في وجهه مدة استغرقت ثلاثين ثانية كأنه يحاول ان يذكره بسؤال ما . وقال اخيرا :

ــ بالضبــط .

ومضى سورم يتساءل في نفسه ما مقدار ما يستطيع ان يشربه نن مــن البراندي دون ان يفقد قابليته على الكلام المتزن . فلم تبد على نن حتى ذلك الوقت علامات السكر رغم ان حركاته وكلماته كانت قد اضحت بطيئة بليدة كمن اضناه اجهاد هائل . اما سورم فلم يشعر الا بقليل من تأثير الشراب ، ولم تكن له الرغبة في اتمام قدحه ، كان طعم الشراب على لسانه كعصــير الليمون والماء . وقال نن :

ــ اريد الهرب في الحال ، بعيدا عن المدن . انها تقرفني . . .

ولم يقل سورم شيئا . لم يستطع ان يفكر بحجــة لا تدحضهــا ولا تفندها الحقائق . وقال في نفسه : انها مشكلته .

ــ اخبرني يا جيرارد ، الم تشعر يوما بأنك لا تهدف الى شيء ؟ كأنك لا تقدر ان تختار طريقا تعمل فيه لانك لا تعدو ان تكون طفاوة ؟

ـ نعم . ولكن لبس لمدة طويلة مع هذا .

فقال نن ، كأنه لم بنتبه لجواب سورم :

ـ انا اشعر بذلك . اتعلم ، عندما كنت في اوكسفورد كان لي صديق يدعى نبكل باركر . صبي رائع . اذكى انسان صادقته في حياتي . لاعب ممتاز للكريكيت ، ومتخصص في الدراسات الكلاسيكية ، وعالم في الرياضيات . كان احسن من يلم بجميع الالعاب الرياضية ، في كلية بيليول ، ولكنه لم يكن من هؤلاء اللاعبين الفارغة ادمغتهم . وقد حصل على جائزة في الشعر الاغريقي . وكنت اقسم بان حياة بديعة تنتظره ـ بلوح كمن خلق لصنع شيئا عظيما . ولكن الغبي سقط من فرسه يوما ، ودق عنقه . لم يمت ، ولكنه نصف مشلول الان . شيء مضحك . يجعلك تشعر ان الاشياء لا تسير على ما يرام .

فقال سورم :

ـ هل تعلم ما هي مشكلتك يا اوستن ؟ انك تحس اكثر مما ينبغي بانعدام قيمتك .

واوقف نن قدح البراندي الذي كان يهم باحتسائه ، واخذ يحملق في سورم والدهشة في اساريره :

ـ لقد اصبت كبد الحقيقة . الشعور بلا قيمي . بالضبط . اتعلم كان عندنا في بيليول قس يتحدث عن ذلك ... يقول لنا ان الاناس الذين لا يخدمون الله لن يجدوا طريقهم في الحياة .

وافرغ قدحه ، وبدا كأنه سرح في التأمل . وقال اخيرا :

ـ انك محق فيما قلته من اللاقيمة . واذا كان هنالك على الارض نغل لا قيمة له فهو انا . كنت شكسا مريض الاعصاب خلال طفولتي ، وقد زججت نفسي في كثير من المتاعب طوال ايام صباي . كنت دائما احطم سيارتي او اقتحم بها جدار حديقة احدهم . ولا بد ان يتبادر الى ذهنك انه اذا كانت هناك اية عدالة على الارض فيجب ان اقتل انا لا ان يصاب انسان مثل نيكل .

شعر سورم بالحراجة تجاه اتهامات نن لنفسه . فلم يكن في موقف يمكن به ان يردها عنه . وقال بتردد :

ـ على كل حال ، لك القابلية على الخلق ، فانك تؤلف الكتب .

فقال نن ساخرا :

ـ الكتب ! لا قيمة لكتبي حسب اي مقياس فني ، واني اعلم ذلك ، كما تعلمه انت .

ـ وماذا يهم ؟ انا لا اقول انها عديمة القيمة ، ولكن لنفرض انها كذلك ،

فماذا يهم ؟ انت لم تزل حرا ، يمكنك ان تؤلف الكتب الجيدة .
ـ هل استطيع ذلك ؟
ـ لم لا ؟ كثير من الكتاب بدأوا من هذا السعور باللاقيمة .. بودلير ودوستويفسكي ...
فقال نن بصوت خافت :
ـ بودلير . كل شيء فى العالم يفوح بالجريمة ...
وعندما حملق سورم فيه والحيرة فى عينيه ، قال فجأة :
ـ لا تكترث لكلماتي . اننى متعب قليلا ونمل .
وايدت عيناه قوله وقد استقر نظره على سورم : كانت عيناه خاويتين لا حياة فيهما . كان يبدو عليه انه يجهد ارادته ، فلاحت فيهما مسحة من البشر .
ـ وانك على ما يرام ، الست كذلك يا جيرارد؟ انك متزن ، عاقل، سوي؟
وارتاب سورم فى ان نن يخفي نكتة بين كلماته . فقال فى حذر :
ـ كلا ، انا لست متزنا . انني مجرد شخص راكد .
ـ اوه ، كفى ! لنترك هذا الكلام !
فقال سورم ، وهو يكشر عن ابتسامة :
ـ راكد ، كئيب ، جائع جنسيا .
ـ ينبغي الا تكون جائعا جنسيا ، على كل حال . انا واثق ان كارولين ستشعر بالامتنان ، او تلك الفتاة المكتنزة التي فتحت الباب لي .
ولاحظ سورم حدة صوته .
ـ بالطبع . ولكني قد لا اجد متعة فى ذلك . اتعلم ، كان لدينا تعبير عن ذلك عندما كنت اخدم فى القوة الجوية الملكية ، كنا ندعو العمل الجنسي : « نبذر حبوب الشوفان » ، فهذا التعبير يمثل الموقف تماما ـ العمل الجنسي المباشر ـ الدغدغة ثم ايلاج العضو .
ليس هذا ما يدعى بالجنس . الجنس هو شيء معاكس لكل ذلك . انه معاكس لهذا الشعور باللاقيمة واللاجدوى . انه شعور طاغ بالقوة والامان . انه الاختفاء التام للشعور بانك شيء عادى . انه ايمان غامض بانه لا شيء يهم، بان كل شيء هو جميل .
فقال نن باهتمام :
ـ هل يعني كل ذلك بالنسبة لك حقا ؟
ـ احيانا .
ـ انك سعيد الحظ اذن .
ـ ربما . ربما لست الوحيد المحظوظ . كل انسان يمكنه ان يكون

محظوظا لو عرف ذلك .

ــ بضمنهم الساديون ومختلو الاعصاب الدين لا يرجى منهم شيء .

ــ نعم . اتعلم ، تقول انك تشعر غالبا بان لا قيمة لك . وهذا ما اشعر به انا احيانا . ولكني اعلم بأني لست كذلك في الاساس . عندما كنت صغيرا ، كان والداي يقولان دائما انني ولدت سعيد الحظ . وما يضحك في الامر هو انى شعرت دائما بأني محظوظ ، في الاساس ...

ــ اذن فقد كنت سعيد الحظ فعلا ، يا جيرارد . اما انا فلم اكن . لقد مررت بطفولة مقيتة . كان والدي يضايقني ، وكانت والدتي تهيمن على كالدجاجة التي تجثم على بيضها . لقد خنقنني بكل معنى الكلمه . كانت مشاعري الكبرى في الطفولة هي الخجل والسر. هذا ما كانت عليه طفولتي فما رايك في ذلك ؟

ــ افهم ذلك . كنت كثيرا ما امر بمشاعرك هذه . كل الاطفال يفعلون ذلك ، الا اذا كنت تقضي جل اوقاتك في احلام اليقظة . انه مجرد الشعور بالانعدام التام للهدف لدى الطفل . انك لا تبدأ بامتلاك ذاتك الا عندما تكون في سن المراهقه . وهذا الاحساس بالغاية ، الذي يستحوذ عليك ، هو اعظم ما يمكن ان يقع للانسان .

وقال نن :

ــ على شرط الا تكون متمرغا الى اذنيك في لجة من الانفعالات .

ــ الق بها بعيدا . اخنقها . لقد فعلت ذلك انا . وعلى كل حال، فهنالك لحظات تهبط عليك تكون لديك بصيرة تنفذ بها الى اعماق نفسك ، فتعوض بذلك عن كل شيء .

ــ هذا ما يحدث لك انت ، ربما .

ــ اجل . اتعلم ان المصريين جميعهم كانوا يعتقدون انهم انحدروا من الالهة ؟ هذا هو الشعور الذي اقصده . لان المصريين كانوا يعتقدون ان الانسان هو ضرب من ضروب الالهة ــ اله في المنفى . اما بالنسبة للكنيسة المسيحية فالانسان روح خالدة ، متوازنة بين الجنة والنار . وفي العصر الحاضر ، الانسان هو مجرد عضو اجتماعي له واجبات تجاه الاخرين . ان قيمة البشر تتناقص باطراد . هذه وظيفتنا انا وانت يا اوستن ــ نحن الكتاب والشعراء . يمكننا ان نحارب هذا التضخم . وظيفتنا هي ان نرفع من كرامة الانسان ، ان نعود بها الى القيمة التي وضعها المصريون .

واخذ يشعر بالسعادة والحماس وهو يتكلم ، وبالامتنان لنن لانه اطلق في نفسه هذا الشعور بالثقة . كان نن يصغي والاهتمام باد في محياه ، ولكن

الاستجابة لم تكن تبدو في وجهه . ونحيله سورم وهو ينظر اليه كأن هنالك حرقا في داخله ، كنفرة يحدثها حرق في البساط . انه يسببه ذلك بالضبط . لقد احرق سيء داخل نن . لقد حرق الاثم والاجهاد قابليته على الاستجابة . ومهما سيتكلم سورم فلن يستطيع أن يلقى الاستجابة ، ليس هنالك ما يستجيب له نن . توقف سورم عن الكلام واخذ يحدق فيه وهو يحس بلا جدوى المزبد من الكلام . وقال اخيرا :

— اتعلم يا اوسن،اود لو نستطيع انتخبرني ماذا يقلقك الىهذا الحد؟

— لا سيء . لا سيء لا تعرف عنه شيئا .

— لا افهم ما تعنيه . ما فائدة تعذيب الضمير ؟ ان كنت فعلت شيئا فلا تبدد وقتك في الندم . وان كنت لا تستطيع ان تتحمل فعلتك فانسها ، اطردها من ذهنك . وابدأ بداية جديدة .

واعتدل نن في جلسته على الكرسي . وادرك سورم ما كلفه ذلك من الجهد . وابتسم لسورم ابتسامة تعبى .

— اسمع يا جيرارد . لننس الامر . لا يمكنني ان اشرح لك . ولكني سأشرحه لك يوما ما . لا يذهبن بذهنك أن الامر سر غامض . ولكن ارجو الا نتحدث عنه الان .

وقال سورم :

— اوسن ، سأتركك الان . تبدو شديد التعب .

— اجل ، سأتناول جرعة منومة قوية . هل يضرك الا اوصلك الى البيت بسيارتي .

— لا بالطبع .

— سأطلب تاكسي لك .

— كلا !

— نعم ، وباصرار .

— لا تكن احمق . اني استمتع بالمشي .

وعندما عاد من المرحاض بعد دقائق قليلة ، كان نن يضع سماعة التلفون في مكانها وقال : سيصل التاكسي بعد دقائق قليلة . سيكون على حسابي ، فلا تدفع له شيئا .

وتثاءب ، وتمطى ثم نظر الى نفسه في المرآة وهو يقول :

— شعر نسائي واسنان الليث . اشبه احد الوحوش في لوحة «الوحي» . لم خلقت بهذا القبح ؟

وجلس سورم والتقط قدح الشراب .

ــ انك معموه حقا يا أوستن .
فمد نــن يده ولمس شعر سورم قليلا . وقال :
ــ عزيزي جيــرارد .
والتقط سماعة التلفون ثانية واخذ يصغي بضع لحظات . ثم قال :
ــ هلو ، البواب الليلي يتكلم ؟ المستر غريفوري ؟ آه ، المستر نــــن يتكلم . هل تظن انه يمكنك ان تضع سيارتي فى الكراج ؟ هي فى الخارج الان ؟ كلا ، سأرسل المفتاح مع صديق لي بعد دقائق قليلة . اشكرك . طاب مساؤك .
وقــــال سورم .
ــ وبالمناسبة يا اوستن . هل بمكنك أن تحدثنى عن اولفر غلاسب ؟
فاشعل سيكارة وقــال :
ــ ماذا تريد أن تعرف ؟
ــ من هو ؟ يبدو انسانا موهوبا .
ــ هل اطلعت على اعمــاله ؟
ــ اللوحات التي فى شقتك فقط .
ــ قد تميل اليه . ولكنه اكبر مخاصم فى لندن . انه قليل الصبر .
ــ هل له . . . بعض الصفات الخاصة ؟
ــ انه ليس شاذا جنسيا ، اذا كان هذا ما تعنيه . لم احقق يوما عــــن حياته الجنسية . كان قد دخل مستشفيات الامراض العقلية ــ يميل الـــى الى الانطلاق والثورة ويلقي بالاشياء . وهو دائم التفكير فى الالم . كــــانت كلمة « الالم » الكلمة المفضلة لديه ــ على الاقل ، عندما تعرفت به . ثـــم تخاصمنا . لم استطع احتمال سرعة انفعاله . كان يحاول فى ذلك الوقت ان يعيش حياة متقشفة ــ ينام على حديد السرير . . . . الخ .
ورن جرس التلفون . فقال نــن :
ــ جــاء التاكسي .

* * *

ولما عاد الى غرفته التقط قنينة البراندي والاقداح وصعد بها الـــى المطبخ . كان المطبخ يتضوع برائحة الفواكه العبقة ، لقد كان على المنضدة وعاء يحتوي عـــلى التفاح .
واحس بتعب جسمي،وبانفعال غريب مع ذلك، فقد اوحى له الحديث مع نــن بالرغبة فى التغيير . وطفق يفكر ، بثقة تامة مفاجئة : لقد اضعــت سنوات خمسا ، وانا مقبور فى الغرفة . لقد كان العالم مفعما بالحياة . اما انــا ، فلم افعل شيئا .

مسكين انت يا اوسنن ! انت وميولك السادية ، شارد الذهن ، شهواني، لا يشغلك الا الاشخاص والامكنة . اني اكثر حرية منه ، ومع هذا فقد سلكت خلال الاعوام الخمسة كأنني سجين . لماذا ؟

وفتح نافذة المطبخ واطل منها. كان هواء الليل نقيا . واحس بالانتعاش بالحياة ، والبلاتة ملايين الذين يقطنون فى لندن ، والروائح التي تستقبله فى بالحباة ، والبلانة ملايين الذن بقطنون فى لندن ، والروائح النى تسنقبله فـي غرف البيوت العليا وفى الاسواق .

وسمع وهو فى موقفه ذاك بابا بغلق . فاستدار وراح يسترق السمع . كانت غرفة الرجل الفرنسى . ربما سيجيء كاليه الى المطبخ . ولم يستسغ فكرة التحدث فهبط السلم بهدوء ودلف الى غرفته .

وبدلا من أن يفتح الضياء اجتاز غرفته وفتح النافذة وتسلق سلم الحريق . وجلس هناك واخذ يحدق فى الظلام الذي كان يبدده نور خافت صادر من المصابيح ومن اضواء النيون على دار السينما . ولمع ضياء فوق راسه ، كان فى المطبخ . فرفع نظره ورأى طيف كاليه يمر على الزجاج . فغبط نفسه على فراسته ، ولكن الضياء ازعجه فقد جعله يشعر كأنه يتجنب كاليه. وبعد لحظة من التفكر ارتقى سلم الحريق الى الشرفة التي تقع امام غرفة الرجل العجوز . كان ذلك فى اعلى سلم الحريق ، فمن تلك النقطة كان هناك سلم حديدى يكمل المسافة الى السطح . واخذ سورم يهز السلم ليتأكد من قوته قبل ان يمسك بالقضبان ويتسلقه . وكان السلم ينحني فوق سور سطح البناية مؤديا الى السطح .

كان السور يرتفع قدما واحدا وكان يحيط بجانبين فقط من سطح العمارة ، الشمالى والشرقى . اما فى الجانب الغربي ، فكان يفصل ميزاب بين البلاطات فى الطوابق الخمسة من السطح الى الارض الخربة التي تقع بين البيت والكنيسة . كان النسيم باردا ، فمشى الى فوق زاوية السطح ليحفظ نفسه منه ، وجلس على البلاطات بحذر وقدماه تستندان الى السور . ونظر صوب كامدن تاون ، كانت اضواء مصنع البلاستيك الذي يعمل طوال الليل تنير السماء . وكان ما يزال يحس بالانتشاء ، ولكنه تحلل الى شعور بالهدوء والقوة . وعندما تناهى اليه صوت سيارة لوري ضخمة تمر فى شارع كنسى تاون رود اخذ سورم يسبق اللوري بذهنه خلال منطقتي وينستون وباريت ، نحو الشمال. كان يسيطر على افكاره بوضوح وتدبر. كانت المشاعر التي تسوقها تلوح كأنها تجري بانبة اكيدة . كانت تجري نحو مظهر من مظاهر الامتنان ، الخشوع والتأكيد كانت تبدو كأنها كاتدرائية، اكبر كاتدرائية عرفها،

رمز المجهول . واخذ يفكر : لقد استغرق ذلك خمس سنوات ، رؤيا بجمع المعرفة كلها ، وتتضمن الانجازات البشرية فى الخيال والشجاعة . ليست رؤيا المتصوفين ، بل رؤيا الفلاسفة ، المتحررين من التفاهة والعجلة . انا الاله الذي يسكن العين ، ولقد اتيت لامنح الحق والحقيقة الى (رع) ولكن كم مرة ؟ ست مرات خلال خمسة اعوام . والان يستنيرني انسان سادي شاذ جنسيا وفتاة متدلهة . لقد نجح نـن حيث فشل افلوطين .

واخذ يضحك ، وظهره يهتز على البلاطات،وقدماه على الحاجز . وادرك انه يحس ببرد شديد . وود لو جلب معه معطفه .

لا يمكنني ان اكون من اليوغا . لا املك الصبر الكافي . او انني احتاج الى مناخ اكثر دفئا . الحياة المركزة . دير فى جبال هملايا . وراح رجل عجوز يحدق فى الفجر ، وقد حفرت قوة ارادته خطوطا فى وجهه ، غير آبه للوادي الذي يهبط خمسة الاف قدم ، اشعياء ، او مايكلانجلو ، ويمسك بقبضته المتسددة ارادة العالم ، الى ما وراء المأساة . خط من الضياء لا يكاد يتميز يحاذي الافق الشرقي .

ـ اتغير . اتغير . الى مــاذا ؟

وطافت فى خاطره صورة كارولين ، واحس بشيء من النفور لبرهة وجيزة . هذا السيء اللامرئي ، تلك المغامرة الخيالية ـ هذه الاشياء بالذات ما لم تكن تمثلها كارولين . مثلها مثل كي ، الفتاة التي تعرف عليها فـي مدرسة (سليد) للفن ، انها تسيء الى المثالية . ذلك الجسد الدافيء الممتلىء ضراوة ، والرغبة فى ان تغتصب . كان شبقها الحيواني يبدد التوتر ، كالسلك الارضي الذي يقود الشحنة الكهربائية ليبددها في الارض .

ان اتغير . ولكن ليس تغيرا جسميا ، بل التركيز المستديم فى الخيال الذي لا يحتاج الى رمز الكاتدرائية لابقائه واستعادته . ايزويل غودي ، زوجة الفلاح ذات التدي الكبير ، تتنزى عرقا وتتلوى ازاء الظلام المجرد الـــذي يداخلها،والافرازات الدافئة التي تنساب لنعين شرا لا شكل له على الدخول . للهروب من بلادة الحياة فى مزرعة اسكتلاندية فى وضح النهار ، مصيــــده الزمن ، رمز اللامرئي . اللامرئي هو كل ما لا يمكنك رؤيته فى تلك اللحظه . الى ان يتمطى الوعي ليضم بين جوانحه كل المكان والتاريخ . اوزيريس يطلق غمامة عاصفة فى جسد السماء ، فيتحرر هو ، وحوروس يزداد قوة يوما بعد يوم . لم مصيدة الزمن هذه ؟ لم هذا السياج ؟ قيود غير مرئية ، قيود غيـر موجودة . البشر يحبون الخيول معصوبة العيون .

لقد نفذ البرد خلال سترته وسرواله ، فأحس بالعري . فأخذ يمــد

ويمط ـباطرافه ، ونفخ فى كفيه المكورتين . وجعلت برودة حديد السلم الخدر يسري فى اصابعه ثم اخفض نفسه من فوق سياج السطح، واخذ يبحث بقدميه عن درجات السلم . واخذ يحس بالخوف ، وهو ينزل ، من الخدر فى اصابعه ، وهو يعلم ان عليه ان يقفز الى الحافة الكونكريتية . وشعر بالارتياح عندما لمست قدماه الحافة الحديدية .

وعندما فتح الضياء الفى يديه وقد اسودتا من التراب ، وكانت على خديه لطخة من الخام ، حيث لمسه بيده . وذهب الى المطبخ ووجد اناء الماء مملوءا الى نصفه بالماء الساخن .

وبعد ان اغتسل ، وقت ساعته لتوقظه فى الثامنة . كانت الساعة انذاك تشير الى الثالثة والنصف صباحا . وسيطر عليه النوم حالما اغمض عينيه .

الفصـــل السابـــع

كان المغيب شاحبا في شهر كانون الاول هذا ، وقد جعله يتصبب عرقا وهو يقود دراجته في شارع ليدنهول ستريت . كان الشارع يعج بالسيارات ، وكان يعلم انه اذا سار بدراجته بين صف السيارات الواقفة من شدة الزحام وبين الرصيف يطير صواب سواق السيارات ، وقد لذ له ان يطير صوابهم . فكان يشعر وهو يقود دراجته بان كل واحد من هؤلاء السواق عـدو لدود لشخصـــه .

لقد اورثه نشاطه الذهني في الليلة الماضية شعورا بالتجدد فلم يزعجه ازدحام المرور . وعندما نزلت امراة ما من الرصيف وصارت امامه فاضطرته الى الوقوف فجأة ، ابتسم لها فقط وهز راسه عتابا . وخمن انها اجنبيـــة لانها كانت تلتفت عند العبور يسرة بدلا من يمنـــة .

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف قليلا عندما توقف عنـــد شارع الدغيت هاي ستريت . واسند دراجته الى جدار مطعم ليونس كورنر هاوس واقفل عجلتها الخلفية . كان المطعم الذي يخدم فيه الزبون نفســـه خاويا من الرواد تقريبا . وطلب قدحا من الشاي وقطعتين من الخبزالمحمص وجلس الى طاولة قريبة من النافذة . وكانت هناك امراة في متوسط العمـــر ترتدي رداء ورديا تجمع الاكواب الملوثة من الموائد . ورد على ابتسامتها وشعر وهو يفعل ذلك كأنه يتوقع شيئا ، كالنقاهة من مرض . المطعم كله يعج بروائح طعامه ، والعامل الذي يجلس مقـــابلا لـــه يقرا الجريـــدة ، والمرور المزدحم فـــي الشارع خـــارجا ــ كلهـــا مست اوتـــار الحنين والذكريـــات فـــي نفسه . شعر كأنه استيقظ من نوم طويل . واخرج دفتره ذا الغلاف الجلدي وانبرى يكتب:«واتشابل»الاول من كانون الاول.انياقوم بدور فاوستمعاصر. سجين في غرفتي ، افكر اكثر مما ينبغي . ودخـــل اوستن مفيستوفيليس ،

وهو يبرم نهايتي شاربيه ... ولكن من هي غريتشن ؟ »
فانقطع عن الكتابة ، وهو يفكر ان كارولين او جرترود قد تريان الدفتر .
كان على وشك ان يطنب فى شرح السؤال ، ولكنه بدلا من ذلك كتب: «اوستن، مثل مفيستو فيليس ، يبيعني الحب او الحياة . اما موقفي من الصفقة فلم يزل غامضا . »

وعلى الجانب المقابل من الشارع بدا صندوق موسيقى بالعزف . كان صوته معدنيا ، كل نغمة فيه تدندن كعلبة من القصدير الصدىء ملقاة من ارتفاع . واثارت فى نفسه ذكريات تشبه ما اثاره احساسه باللون والرائحة . وافلتت هذه الذكريات من ذهنه فترة وجيزة ثم عادت : مكتب فى المدينة ، رائحة دفاتر الحسابات ، ورائحة التبغ الفرنسي الذي كان يستعمله ذلك الموظف الاسكوتلاندي المخاصم الذي كان يقطن فى ساوثيند .

كان اخر مرة سمع بها هذا اللحن « قلبي يتفتح لصوتك » هو فى امسية يوم من ايام الخميس منذ خمس سنوات ، عندما ترك العمل فى الدائرة دون ان يعطي انذارا بذلك، وقد طوى بعناية تامة رسالة محاميه ووضعها فى محفظة . ثم خرج الى زحمة المرور ونور الشمس فى منطقة بيشوب غيت ، ولم تزل تسيطر عليه نشوة الانطلاق من القيود .

وادهشه ان يستعيد تلك الذكرى بكل دقائقها والاحاسيس التي اثارتها، حتى لقد اعادت اليه الاحساس برائحة دخان السيارات فى تلك الامسية الحارة ، والرطوبة فى مدخل الدائرة حيث كان يضع دراجته . وخطر له لبعض الوقت أن يتمشى الى هاوس ديتش ليلقي نظرة الى بناية دائرته ثانية ، ولكنه ابعد الفكرة اذ تذكر ما تراكم فى نفسه من الضجر والاحتقار الذاتي وقد قضى اكثر من سنة هناك .

وتلاشى على الفور شعوره بالرضا والاستقرار . لقد تذكر ذلك الكاتب الاسكوتلاندى بوجنتيه الورديتين وشاربه الاشقر الذي يشبه حزمة من القش . واثارت الذكرى في نفسه الخجل والغضب. كان هذا الاسكوتلاندي يضمر كرها عنيفا للساميين ، وكان يسمي منطقتي همبستيد وكولدرز جرين مستعمرتين يهوديتين . وكانت مناقشاته مع سورم تنتهي دائما بان يعلن كل منهما ازدراءه للاخر ، وتترك فى نفسه شعورا بالتفاهة . كانت هذه المناقشات وعلاقة عاطفية فاشلة مع فتاة في نفس المكتب كل ما علق في ذهن سورم من ذكرياته عن العام الذي قضاه في تلك الدائرة . كان اسم الفتاة مارلين ، كانت مكتنزة الجسم ، ليست ذات جاذبية متميزة، وكانت قد جاءت من مدينة ستيبن غربن . وكانت تميل الى ارتداء ملابس

تكاد تكون شفافة مع اقل ما يمكن من الملابس الداخلية تحتها . وكانت اذا انحنت على درج الملفات تتراءى خطوط لباسها الداخلي من خلال ردائها ، وكان الكتبة الثلاثة يختلسون النظر حتى تعتدل ثانية . ودعاها اخيرا ان يخرج معها ليذهبا الى المسرح ثم ليشربا شيئا بعدئذ . وقد علم فيما بعد ، من نفس تلك الليلة ، وهما في حديقة فيكتوريا ، انه لم يكن يرغب في امتلاكها ، وان ما حسبه رغبة جنسية تجاهها لم تكن الا وهما اورثه اياه الضجر والتلميحات الجنسية التي تدور اثناء الحديث في الدائرة . وربما اعتقدت الفتاة انه بدافع من الشهامة عاد وانزل طرف تنورتها برفق بعد ان رفعته له . واحس بالفرح ، وبعد ثلاثة ايام ، عندما ترك الدائرة دون ان يراها ، ثم شعر بالاحتقار لنفسه لانه احس بالفرح .

وولدت هذه الذكرى في نفسه شعورا بالقلق والخجل . فانهى قطعة الخبز المحمص ثم خرج .

ومضى على الرصيف وهو يدفع دراجته الى جنبه الى ان وصل الى شارع مدلسيكس ، ثم امتطى الدراجة وقادها على مهل صوب بيسوبس فيت . وصرف عن ذهنه تلك الذكريات وراح يتعمد التفكير في كارولين وجرترود ، فسرعان ما تحسنت حالته النفسية . وعندما صار في شارع وايدغيت جعل يحدق باهتمام في امرأة حبلى كانت تدفع عربة صغيرة مهدمة محملة بالغسيل واحس بانطلاق توتره الداخلي الذي يولده اللون والرائحة . وبتجدد في توقد عواطفه . واستدار نحو سوق سبيتالفيلد وترجل ، فقد كان من المستحيل السير بالدراجة بين الحشود المزدحمة بين سيارات اللوري الواقفة وبناية السوق . ورأى على الفور رجلا يرتدي قميصا يقذف بشبكة مليئة بالملفوف من اعلى اللوري وكادت تصيب رأس سورم قيد شعرة . فكسر الرجل وصاح : خذ حذرك ! فكشر سورم بدوره ثم توقف لحظة يتفادى عربة موسوقة باكياس البطاطا . كان الدفء الذي يحس به في داخله ، كشعور بالسكر ، ولكن من دون القيود التي يفرضها السكر .

وفي زاوية شارع برشفيلد ، توقف ليلقي نظرة على خارطة لندن التي يحملها في حقيبة دراجته . كان خط المترو في شارع كومرشيال كالسيل المتدفق الذي لا ينقطع ، يملأ الهواء بالضجيج وبرائحة الدخان .

* * *

كان رصيف شارع داروارد يكاد لا يزيد على القدمين عرضا . وكانت السقوف واعتاب النوافذ وحافة الرصيف ، كلها تسير في خطوط متوازية

بالنسبة للناظر من احدى نهايتي الشارع . كان الشارع مقفرا .
وتوقف امام الباب الذي يحمل الرقم ١٢ وكان الدهان البني على الباب الامامى قد تحول بمفعول الجو الى حراشف .
وظل في موقفه امام النافذة يأمل ان يسمع حركة في الداخل قد تبدد تردده .. واذ هو يهم بطرق الباب ، تذكر تعليق نن عن غلاسب وما حذره منه ذلك القسيس الهنغاري . واخذ يحاول ان يفكر في الكلمات التي سيقدم بها نفسه . واخيرا ، نقر على الباب بقوة ، ولبث ينتظر .
وفتحت نافذة فوق راسه . فرجع الى الخلف لينظر ، وهو يأمل ان يجد غلاسب . كانت نافذة البيت المجاور . وسألته امرأة :
ـ هل تبحث عن المسز غرينبرغ ام النزيل ؟
فقال سورم :
ـ رجل يدعى غلاسب .
واحس بالحراجة ، كأن سرا مخجلا قد انكسف للشارع كله .
فقالت المرأة :
ـ النزيل اذن . لن يطول غيابه . انه يخرج في هذا الوقت عادة لتناول الفطور . ولا اعلم الى اى مطعم يذهب .
ـ لا يهم ، سأعود فيما بعد .
وانغلق الباب ثانية بقوة . وجذبت انتباهه ستائر البيت المقابل كأن احدهم كان يراقبه . وعاد ممتطيا دراجته وهو يشعر بالغضب من نفسه ومن تلك المرأة التي تسكن البيت المجاور لتدخلها فيما لا يعنيها . فقد جعله تصرفها يسعر كأنه متطفل .
وترجل عن دراجته في نهاية الشارع واسندها الى الجدار تحت لافتة كتب عليها (ممنوع الدخول) . غير ان فكرة البحث عن غلاسب في المطاعم المحلية لم ترق له . ونظر الى ساعته وقرر ان يتمشى في تلك المنطقة . لقد مضى وقت طويل منذ ان تمشى في وايتشابل ، وهو يفكر في جرائم ماك السفاك . والان وهو يحس بقابلية على تقبل الاشياء لذت له فكرة الذهاب . فوضع القفل فى الدراجة بعد ان لف السلسلة مرتين حول العجلة .
وكان بنصب مقابل نهاية شارع داروارد هيكل لبناية مسرح تحطمت عوارضه واسودت جدرانه . فوقف هناك ، واخذ يجيل بصره فيه وهو وهو يحس برغبة في تسلق الحاجز الخشبي الذي كان يحيط بالطابق الاسفل ، وشق طريقه بين الالواح الارضية البالية ، ليشم رائحة الرطوبة

والعفن المنبعثة من اكوام الانقاض . لقد كان ما يحسه يكاد يكون حاجة جسمية . ولقد اذهله ذلك . كانت هنالك امور تجري فى اعماقه من العسير عليه ان يعيها ، كأن اعصابه تفككت ثم عادت وارتبطت في نظام اخر فولدت لديه شهوات جديدة واحاسيس جديدة . ثم استدار وسار في شارع فالانس رود مبتعدا عن الشارع العام . وشق طريقه عبر الارض التي كانت موضع وقوع القنبلة وهو يحذر الا يطأ اطواق البراميل الصدئة . ورأى على الجانب الثاني من الشارع مبنى مدرسة يلوح مقفرا مثل ذلك المسرح المهدم . وقد كتب على جدران المدرسة بحروف كبيرة : النقابة ستتخلص من الحمر . وعلى طرفي هذه العبارة دائرة في داخلها رمز للصاعقة . ثم عبر الشارع المحاذي للمدرسة الى قطعة اخرى من الارض الخربة تحفها بيوت خاوية وبقايا جدران مهدمة ، وتوقف هناك لحظة ليطل خلال فتحة لا شباك فيها لاحدى البنايات المتفطرة . كانت الارضية مغطاة بالركام والجرائد القديمة التي قضمتها الجرذان وكان هناك مشد صدر وردي ممزق . وكان هناك سلم لم تمسه القنابل يلتف حول الجدار المقابل . وفيما هو ينظر رأى جرذا يركض من تحت الجرائد ويختفي في جحر في لوحة قريبة . لقد ذكر له احدهم هذا البيت قبلا : ففي عام ١٩٤٣ ، وجدت جثة ملاح فنلندي ملقاة في الطابق العلوي عندما كان بعض الاطفال يلعبون لعبة « الاستغماية » لقد سرقوه وتركوه ليموت بعد ان هشموا رأسه بآجرة مدلاة بجورب نسائي حريري .

كان البيت المجاور ما يزال مسكونا . كان بابه الامامي مفتوحا،تنبعث منه رائحة السجق المقلي.وكانت امام الباب عربة صغيرة يرقد فيها طفل.

وراح سورم يطوف الشوارع القذرة ، دون ما هدف . وفي شارع هانبري ستريت بدت له الشقق الجديدة وساحات لعب الاطفال ناشزة المظهر . وتوقف ثانية خارج دكان الحلاق في البناء رقم ٢٩ . كانت ثالثة جرائم جاك السفاك قد وقعت في الساحة الواقعة خلف الدكان . وقد رأى مرة صورة للمحل التقطت بعد حادثة القتل مباشرة . فرأى البقعة لم تتغير على الاطلاق خلال السبعين سنة التي مرت عليها . ورفع الحلاق بصره من زبون كان يقوم بحلاقته . بينما كان سورم يقف عند الباب . وهتف الحلاق :

— هلو . لم ارك منذ مدة طويلة .

فقال سورم : كيف حالك ؟

— بخير . الا تأتي للحلاقة هذه الايام ؟

ـ لا اسكن هذه الاصقاع الان .

وفي نهاية شارع هانبري ستريت الــفى نفسه يواجـــه ســوق سبيتالفيلدس ثانية . وعندما مر بكنيسة رين ، رأى رجلا يخــرج مـــن المراحيض العامة ، ثم التفت الرجل وتمتم :

ـ هل تترفق علي بقدح شاي ؟

ومد سورم يده الي جيبه ، وقد لوى بنظره بعيدا لكي لا يرى القطرة التي تتــدلى في طرف أنف الــرجل . وتنــاول الرجل بيديــه اليابسنين المغضنتين قطع النقود ، ثم تلفت حوله لئلا يلمحه احد رجال الشرطــة . واستقرت يد الرجل على ذراع سورم . فلم يدرك سورم مراد الرجــل فأخذ ينظر في عينيه الزرقاوين النديتين . كان الرجل يتمتــم بكلمـــات غير مفهومة ويشير الى قدميه اللتين ينتعل فيهما حذاء باليا . فافترض سورم ان الرجل يطلب المزيد من المال ، فاخذ يفتش في جيبه عن قطـــع صغيرة اخرى ـ واستوقفته كلمات الرجل : ... وقد عشت هنا مـــا يقرب من السبعين سنة .

ـ سبعيـــن سنـــة ؟

ـ نعم ، سبعين سنة تقريبا .. عشت هنا .

ثم مسح انفه بكم معطفه فاختفت القطرة. فحلت محلها قطرة اخرى على الفور . فادار سورم راسه . كان المعطف طويلا جدا وكان طرفه يمس الارض . وقال سورم بأدب :

ـ انك لا تبدو مسنا الى هذا الحد .

ـ بلى . عمري ثلاث وسبعون سنة ، قضيت كل يوم منها بالعمل .

وادرك سورم ان الرجل لم يكن ثملا ، وانما كان يتحدث ليبـــدد وحدته او ربما امتنانا لقطعة النقود . ولم تكد كلماته تتميز . وقال سورم:

ـ لا بد وانك كنت حيا في ايام جرائم جاك السفاك ؟

ـ من ؟ جاك السفاك ؟ نعم . ويمكنني ان اقول لك شيئا عنه.كانت اخر جريمة اقترفها هناك ..

ـ ميلرز كورت !

ـ اجل . هناك ، قبل بناء السوق في البقعة ، كانت تدعى انــذاك شارع دورسيت ستريت . اعلم ذلك لاني كنت أبيع الصحف هناك .

فقال سورم بدهشة :

ـ كم كنت تبلغ من العمر انذاك ؟

ـ كم كان عمري ؟ دعني افكر ...

وركز الرجل بصره بعينيه النديتين . وسقطت القطرة الشفافة من انفه الى الرصيف . وقال اخيرا :

ـ كنت في العاشرة .

فأخذ سورم يحسب بسرعة . المدة بين سنة ١٨٨٨ و ١٩٥٦ ـ ثمانية وستين سنة . وقال :

ـ وتقول انك في الثالثة والسبعين ؟

ـ اجل . التالثة والسبعين وسأبلغ الرابعة والسبعين فيشهر نيسان القادم . كنت آخذ الصحف صباح كل يوم الى ميلرز كورت. وفي صبيحة يوم من الايام وجدت هناك جمهورا محتشدا من الناس امام الباب . فقال لي احد رجال الشرطة : انها لن تريد الصحف بعد اليوم يا بني . لا تأت بالصحف بعد اليوم . تلك هي الطريقة التي علمت بها كيف قتلت . كان القاتل جاك السفاك . فنظر سورم الى ساعنه وقال :

ـ امر مدهش ! طيب ، يجب ان ارحل الان . وداعا . .

ورفع الرجل يده محييا وهو يهم بالسير . واتجه سورم نحو شارع فورنيير وهو يفكر : اما ان تكون سنه اكبر مما يعتقد بخمس سنوات، او يكذب . واخذ يسرع الخطى ، متخذا اقصر الطرق ليعود الى حيث خلف دراجته .

وفك القفل عن العجلة ، وحل السلسلة ، وراح يسنم عندما تلوثت اصابعه بالزيت من اعواد العجلة . ومسحها بمنديله ثم مشى وهو يدفع بالدراجة في شارع داروارد ستريت . وكان الشارع ذا ممر واحد يقود الى النقطة التي يتفرع فيها ـ وكان احد رجال الشرطة يقف فيركن الشارع.

وقبل ان يتقدم اكثر من مائة يارد في شارع داروارد ستريت اخذ يرقب المراة العجوز التي اقبلت نحوه من الطرف الاخر من الشارع . كانت تحمل قطعة من الخبز تحت ذراعها وترتدي ثوبا من الصوف الارجواني الذي يشبه الكيس . وتوقفت وادخلت المفتاح في الباب . فوضع قدمه اليمنى على قضيب القدم في الدراجة فانطلقت به مسافة بضعة امتار اوصلته الى المراة ، فوقف خلفها بينما هي تفتح الباب وقال : المعذرة . .

فدخلت البيت دون ان تلتفت اليه . فظنها صماء ، فمد يده ولمس كتفها ، فالتفتت اليه والفزع يلوح في وجهها . فقال بصوت عال :

ـ لطفا . هل يسكن المستر غلاسب هنا ؟

وحدجته المراة بنظرة ساهمة من عينيها المتعبتين اللتين احمرت

زواياهما ، فكرر السؤال . فالتفتت ولوحت بيدها نحو السلم بحركة تدل على اللامبالاة المطلقة وقالت :

ــ نعم . هنا ، اصعد .

فارتسم على وجهه الشك ، وهو ينظر الى الغرفة المظلمة التي تفوح منها رائحة القدم واثاث العصر الفكتوري . فصاح : فوق ؟

ولكنها كانت قد استدارت واجتازت الغرفة ، تاركة اياه وحده ليغلق الباب خلفه . ولما وصلت الجانب الاخر من الغرفة قالت مَن فوق كتفها :

ــ ربما تجده نائما .

وارتقى سورم السلم بحذر ، مائلا بجسمه الى الامام متحسسا بيديه الالواح الخشبية العارية التي يغطي القماش المتسمع بعض اجزائها وتعثر وهو يصل اعلى السلم ، فاطلق شتيمة بصوت خافت . كان المكان يسبح في الظلام ، ويفوح برائحة زيت البارافين الشديدة . وبينما هو واقف هناك ، يتطلع في الظلام ، فتح باب على يمناه وقال صوت رجل :

ــ هلو ، من هنا ؟

فقال سورم :

ــ المستر غلاسب ؟

ــ نعم .

كان الصوت يتميز بشيء من لكنة يوركتساير .

ــ اسمي جيرارد سورم . رأيت لوحاتك امس وقد رغبت في التعرف بك .

ــ هل انت رسام .

ــ كلا ، كاتب .

وقال الصوت بسماجة :

ــ الافضل ان تدخل ــ فليس لدي وقت طويل .

ــ لن اطيل مكوثي ..

وشعر بالارتباك قليلا ، فلم يكن على استعداد ليقف وجها لوجه مع غلاسب على هذه الصورة المفاجئة . كان يود لو منح بضع لحظات ليقرر ما سيقوله . كما ان لهجة غلاسب دلت على ان المقابلة ستكون قصيرة . وقال غلاسب :

ــ تفضل بالجلوس .

كانت الغرفة واسعة ، يلوح انها كانت في الاصل تتألف من غرفتين هدم الجدار الذي يفصل بينهما فصارت غرفة واحدة . كانت بشكل

حرف « ل » غير منتظم ، ولها بابان كل على طرف من طرفيها . كان اثاثها الوحيد سريرا قديم الطراز له قضبان نحاسية ومقعد وطاولة صغيرة. كانت هنالك الواح كثيرة تستند الى الجدران . وكان امام النافذة منصة للرسم من النوع الذي يستعمل في المدارس وعليها لوحة اخرى. وجلس سورم على المقعد بالقرب من النافذة ، في وضع يستطيع منه ان يرى الغرفة كلها . وكانت هناك بالقرب من المقعد مدفأة نفطية تشتعل ، فوضع سورم يديه بصورة تلقائية لتدفئتها . وقال غلاسب :

ـ حسنا ، ماذا يمكنني تأديته لك ؟

كانت لهجته غليظة يبدو عليها الانفعال . كان واقفا بالقرب من السرير يستند الى حافته : كان رجلا بارز العظام ، كث الشعر ، لم يحلق ذقنه . وكان ثوبه الازرق قد تصلب لكثرة بقع الصبغ عليه .

وقال سورم معتذرا :

ـ انظر . انا اعلم اني تطفلت وجئت لتقديم نفسي اليك بهذا الشكل. فاذا كنت تعتقد اني اضيع وقتك فلا تتردد في ان تخبرني بذلك، وسأغادر.

فبدت الدهشة على غلاسب ، ولكنه لم يحس بضعف في موقفه ، وقال بصوت اجش :

ـ كيف لي ان اعرف هل انك تضيع وقتي قبل ان اعرف ماذا تريد؟

ـ لا اريد شيئا غير مجرد الرغبة في لقائك . رايت اثنتين من لوحاتك يوم امس واعجبت بهما .

فقال غلاسب ، بلهجة ساخرة :

ـ يظهر انك مشغول جدا ، تذهب لزيارة كل رسام تعجبك صوره.

فرفض ان يحمل هذه اللهجة على محمل الاستياء وقال :

ـ انك مخطيء في التعبير ، أن المسألة ليست مسألة « اعجاب » فقط . اعتقد ان الصور غريبة جدا .

وظل وجه غلاسب خاليا من دلائل البشر ، وان ارتسم شيء في محياه ، فانما هو قليل من الاستياء . وقال :

ـ هل لي ان اسألك اين رايتها ؟

ـ في شقة تخص اوستن نن . .

ـ اوه ، انك اذن صديق لاوستن ؟

وبدت لهجة السخرية واضحة لا لبس فيها هذه المرة .

ـ نعم .

ـ واحد من حماة الفن ، ان جاز التعبير ؟

فقال سورم بصوت حازم : كلا . وهو يحاول ان يكظم نورته . واردف :

ــ انا لا اشتري الصور ، لا يسمح ايرادي بذلك . اردت ان اتعرف بك فقط .

وحاول ان يجعل صوته طبيعيا ، وهو يتهيأ لينهض ويترك الغرفة . لقد اخذت لهجة غلاسب تثير اشمئزازه ، وقد غضب على نفسه لانه وضعها في موضع المتطفل على غلاسب .

والتقط غلاسب من الارض كوزا عليه خطوط زرقاء وبيضاء واخذ يرتشف منه . ثم جلس على حافة السرير وقال :

ــ طيب ، سأكون صريحا معك . انا اسكن هذا المكان لاني لا اريد مقابلة الناس . وكذلك ، بالطبع ، لانه رخيص ، ولكن السبب هو بالدرجة الاولى لاني لا ارغب في الناس كثيرا ..

ــ لماذا ؟

ــ لم لا أحب الناس ؟ لنفس السبب الذي اكره من اجله رائحة شراب الروم او الشاي الصيني ، على ما اعتقد .

كان سورم يحاول جاهدا ان يكون عنه فكرة . كان في نبرة غلاسب شيء من الاستهجان المكتوم مما جعل سورم يعتقد بانه مريض بداء العظمة والشيء الوحيد الذي كبح رغبته في ترك الغرفة هو انه كره ان يشعر بالاندحار التام . وحاول ان يقوم بمجهود أخر . واصطنع البشاشة وقال مبتسما :

ــ في الحقيقة ، كان اوستن والاب راكوسي كلاهما ينصحاني بألا آتي لزيارتك .

ــ لماذا ؟

ــ يبدو ان انطباعهما عنك هو انك انسان فظ .

فزمجر غلاسب ورشف جرعة اخرى من الكوز . فنهض سورم وقال:

ــ حسنا ، لك مطلق الحق ان تظل لوحدك . ولذا سأتركك .

كان غلاسب يحدق في الكوز الذي كان يضعه بين كلتا يديه في حضنه . ولم يتحرك . وقال :

ــ لم اردت مقابلتي ؟

واحس سورم ثانية بضعف اسبابه ، وقال :

ــ ظننت انه قد يمكنك ان تخبرني بشيء عن اوستن .

فرفع غلاسب بصره اليه ، وقال وهو يكشر بابتسامة :

ـ لماذا ، هل تريد ابتزاز امواله بالتحايل عليه ؟
ـ كــلا .
ـ هل انت شاذ جنسيا ؟
ـ كــلا .
ـ فلمــاذا اذن ؟

لم يعد غلاسب يتخذ سلوكا معاديا بشكل صارخ ، كان يبدو حياديا غير مبال واحس سورم بانه اثار فضول غلاسب . فقال بتعقل :

ـ اصغ . انك تتعمد في تعقيد الامور بالنسبة لي ، اليس كذلك ؟ كل ما في الامر هو ان صورك اعجبتني فاردت لقاءك . وكذلك علمت انك من اصدقاء اوستن . واني مهتم باوستن ايضا . فاذا كنت تكره مقابلــة الاخرين ، واذا كنت لا تشعر بالميل الى الحديث عن اوسنن ، فقــل لي ذلــك ، وسأخرج .

فنظر اليه غلاسب . كانت تعابير وجهه تأملية جامدة ، كالتعابيــر التي تظهر على وجه شخص على وشك ان يشتري بضاعة يريد ان يقلــل من قيمتها . ومد يده وتناول لوحة الالوان من الطاولة واخذ ينظفهــا بسكين مائدة . وقال دون أن يرفع رأسه :

ـ ليس لدي الكثير عن اوستن . لم اكن على معرفة تامة به ابدا ، ولم اعجب به يوما . فلماذا يثير اهتمامك اذا لم تكن منحرفا ؟
ـ لنفس السبب الذي يثير اهتمامي فيك .
ـ ما هي الصفات التي اشترك فيها مع اوستن ؟

واحس سورم بالحاجة ليقول شيئا مقنعا ، ولكنه لم يهتد الى شيء. فقذف باول ما خطر في ذهنه من الكلمات :

ـ اعتقد من لوحاتك ... هناك نوع من التعصب .

فادرك على الفور انه أصاب ما كان يريد قوله . فقال غلاسب :

ـ وتظن ان اوستن متعصب ايضا؟ انه لم يسرك لدي هذا الانطباع قط .
ـ من الصعب ان اشرح . لست اعرفه جيدا ، ولكني اتوجس ذلك.
ـ ولم يثير ذلك اهتمامك ؟
ـ من الصعب ان اشرح هذا ايضا . كنت دائما مولعا بفكرة الحيــاة وحيدا . وكنت افكر في دخول احد الاديرة ..

فقاطعه غلاسب قــائلا :

ـ انت لست كاثوليكيا ؟
ـ كــلا .

ـ فلم لم تمض في فكرة الدير هذه ؟

ـ لم ار في ذلك جدوى . وفضلا عن ذلك . فلم اكن واثقا من اني سأستمتع بكوني راهبا . واشك في ان اهداف مجتمع الرهبان هي نفس الاهداف التي ابغيها .

ـ وما هي اهدافك ؟

ونظر سورم اليه واحس بالارتياح للاهتمام السافر الذي يبديه غلاسب . وقال :

ـ لا ادري ... اعتقد اني اردت ان ارى الرؤى .

فنهض غلاسب ، وقال :

ـ وماذا حدث ؟

ـ لم يحدث ما يدعو الى الاهتمام . امضيت عاما واحدا في قراءة افلاطون والقديس فرانسيس دي‌سال وغيرهما ... ولكني شعرت بأني افتقد شيئا ما ، بدات احس ان خيالي قد مات ، واخذت اشعر باني في حاجة الى الجنس والى الاجتماع بالناس . فكونت لي بعض الاصدقاء وارتبطت بعلاقات مع فنانين لفترة قصيرة . فلم يساعدني ذلك كثيرا ، لاني لم اكن ارغب في هذه الامور ايضا . فاخذت افكر بأني فقدت كل رغبة في البقاء حيا . وشعرت باني مللت الكتب ، ومللت الناس ...

فقال غلاسب :

ـ اني اعلم بهذا الشعور .

واخذ يعصر انبوبة الاصباغ على لوحة الالوان . واخرج الفرشاة من قارورة المربى التي كانت على عتبة الشباك ، واخذ يرسم . وقال بهدوء :

ـ مررت بكل هذه الحالات . هنالك علاج واحد ... هو العمل .

ـ فكرة لا بأس بها اذا كنت تعرف ما تريد ان تفعل . اما انا فلم اكن اعرف .

ـ تقول لم تكن تعرف ، فهل تعرف الان ؟

ـ على كل ... نعم . التقيت باوستن منذ اسبوع ـ بل اقل من اسبوع . واني احس بالاسف له في كثير من النواحي . انه يشبهني ايضا ، ولكن ... لا استطيع ان اوضح . ولكن فجأة ، اخذت احس ان شيئا مهما صار يحدث في نفسي ـ شيئا كضياء النهار ينساب في .

فقال غلاسب :

ـ ولماذا تخصص اوستن ؟ اعتقد ان هذا هو ما تسمونه ، انتم السادة الادباء ، الهوة بعد الذروة !

فقال سورم :
ـ لست أعرف . بل انه ليلوح لي انه يشبهني تماما بصورة غريبة..
فأجابه غلاسب :-
ـ حقـــا ؟
وكان صوته ينم عن شكه في الامر :
ـ اجل . ترى هل اتيح لك ان تزور شقته في كوينس غيت ؟
ـ لم اكن اعرف ان له شقة في كوينس غيت ؟
ـ لقد ذهبت اليها بالامس وادهشتني . لقد لاحت وكأنها من نسيج خيال ادجار الان بو ، ستائر القطيفة السوداء ، ودولاب المسكرات،ومؤلفات دي‌ساد ومازوك ، ولوحانك ...
فقال غلاسب بدهشة :
ـ آه ، لقد رأيتها هنالك اذن ، حسنا ...
كان يبتسم حين استمر على الرسم واضاف :
ـ تلك ناحية جديدة من شخصية اوستن : غلاسب ودي‌ساد ، هه؟ اللوحتان اللتان اشتراهما مني ..
ـ لديه ايضا لوحات يابانية مطبوعة وموقعة بتوقيع ا.غ.
ـ انها كورية وقد استنسختها من مجموعة في المتحف البريطاني.
وطفق يرسم بصمت فترة من الزمن ، ثم تراجع الى‌الخلف لينظر الى ما رسم . وقال دون أن ينظر الى سورم :
ـ مهما يكن الامر فلست اجد شيئا مشتركا بين ذوقيكما ...
ـ كلا . ولكن .... هنالك تشابها في الهدف ، ما عدا ...
ـ مـــا عدا مـــاذا ؟
ـ انني لاتساءل احيانا هل ان الامر لا يعدو ان يكون الرغبـــة فـــي الاقدام على المغامرة . انا لا اشاركه اذواقه ، ولكنني اشاركه الرغبة فـــي الاقدام على التجارب . يبدو ان الامر جيد بحد ذاته ...
ـ تعني ملاحقة الاولاد الصغار ؟
ـ كلا لم اكن افكر في ذلك . كنت افكر في السادية .
وتوقف غلاسب عن الرسم واخذ يحدق في وجهه :
ـ هل هو سادي ؟ لم اكن اعرف ذلك .
ـ الم تكن تعرف ؟ ظننت انك تعرفه جيدا .
فقال غلاسب ، وهو يستأنف الرسم :
ـ كلا . ليست لي معرفة جيدة به مطلقا ، كمـــا يظهـــر . كيـــف

اكتشفت ذلـك ؟
ــ قال لي ذلك بنفسه . والاب كارانرز يعرف ذلك عنه ايضا .
ــ ما هي الافعال التي يقوم بها ؟
وظهرت لهجة يوركشاير في كلام غلاسب فجاة بشكل صارخ . وكان يلوح عليه انه ركز اهتمامه في اللوحة . وقال سورم :
ــ لا اعلم . ليست اشياء خاصة ، على ما اعتقد . ربما يستخـــدم الضرب مع اصدقائه الاولاد .
وفي الغرفة المجاورة ، بدأ البخار ينبق من ابريق ماء كان على الموقد الغازي ، واخذ الماء يبقبق ويفيض على ارضية الغرفة المكسوة بالالـــواح العارية . فذهب سورم ورفع الابريق . وقال غلاسب :
ــ هل لك في قدح من الشاي ؟
ــ نعم ، شكرا ،
وضع غلاسب لوحة الالوان على الطاولة واعاد الفراشى الى قارورة المربى .
ــ ما لا يمكنني فهمه هي فكرتك ان لك شبها باوستـــن . فمـــن حدينك الى لا يبدو ان لديكما اسياء منشتركة .
ــ كلا ؟ اعتقد ان أوجه السبه بيننا كبيره . فكــلانا غـير راض ، وكلانا مولعان بالتجارب ، بيد انه تمادى في تجاربه اكثر مما يمكنني حـتى ان احلـم بـه .
كان غلاسب يغسل ابريق شاى من الالمنيوم على المغسلة في الغرفة الثانيـة . وقـــال :
ــ لا ؟ تعني انك تريد ان تستخدم الضرب مع صديقاتك الفتيات ؟
فقال سورم ضاحكا :
ــ كلا ، انا واثق اني لا اضربهن ... على كل ...
ــ ولم اردت مقابلتي ؟ هل تصورتني واحدا من ...
ــ واحـدا ممن ؟
ــ من هؤلاء الذين يصلحون للتجربة عليهم ؟
ــ ظننت انه ربما تكون واحدا منهم .
فقال غلاسب مبتسما :
ــ ولنفرض انك مصيب في ظنك ، فماذا بعد ذلك ؟
فقـــال سورم :
ــ لا شيء بعد ذلك . ربما ..
وتناول كوب الشاي ووضع فيه بضع ملاعق من السكر . ولاحـظ

ان غلاسب عندما يبتسم تتقلص جبهته وترتعش بحركات تلوح لا ارادية عصبية . ورأى غلاسب ان سورم لاحظ ذلك ، فقال سورم ليبعد اهتمامه عن ذلك :

ـ لك يدان واسعتان ، تشبهان يدي اوستن .

وضع غلاسب السكر في الشاي واخذ يحركه . كانت يداه كبيرتين قبيحتين ، مفاصل اصابعهما بارزة . كانتا تلوحان سوداوين قليلا ، وقد ارتسمت عليهما شبكة من الالوان من بقايا الاصباغ التي اخترقت المسامات. وقال بالفرنسية :

ـ يدا تروبمان .

ـ من ؟

ـ تروبمان . الا تعرف شيئا عنه ؟ جان‌بابتيست تروبمان ، القاتل بالجملة .

ـ كلا . من كان ضحيته ؟

ـ عائلة كاملة ، تتألف من ثمانية اشخاص .

ـ لاي سبب بالله ؟

ـ المال . لقد حصل على بضع مئات من الفرنكات من هذه الصفقة. كانت يداه ضخمتين . ولهذا لا يزال الناس يسمون الايدي الكبيرة « يدا تروبمان » فى بعض انحاء فرنسا . واعتقد ان أفراد اسرته تميزوا بهذه الصفة. لهم اكبر مما يحتاجونه من الايدى .

ـ هل كان ساديا ؟

ـ لا اعتقد ذلك . كان ينزع جنسيا الى الجنس المشابه ، وبه هوس لجمع المال .

كان الشاي مركزا حارا . ووقف غلاسب على عتبة النافذة وظل يرسم . وسأله سورم :

ـ هل تهتم باخبار جرائم القتل ؟

ـ احيانا .

ـ متى ؟

فاجاب غلاسب ، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة غريبة

ـ الجريمة تسري في عروق عائلتنا .. بطريقة ما .

فقال سورم مبتسما :

ـ هل انحدرت من عائلة من اللصوص ؟

ـ ليس تماما .

وابتسم بدوره لسورم وهو يسرب الشاي . وارتعشت جبهتـــه ثانية . واردف قائلا :

ـ بقدر معرفتي بالامر ، فان علاقتنا بالجرائم كانتدائما غير مباشرة. كانت احدى عماتي اخر ضحية لجاك السفاك . وقد تناولت والدتي الطعام يومـا مع لاندرو في باريس . وكان جدي الاكبر على معرفةبتنسارلي بيس.

ـ هل كانت والدتك تعلم ان الشخص هو لاندرو ؟

ـ كلا . لم تكن تعرف شيئا عنه . قال لها انه كان مهندسا اسمـه كوسيه وحاول ان يدعوها لقضاء عطلة الاسبوع معه . وتعرفت علىصورته بعد عدة اشهر عندما القى القبض عليه . قالت ان تصرفاته كانت عـلى احسن ما يكون عليه التصرف . . .

ـ مـدهش !

ـ بعض الناس تجذبهم الجريمة ، وهناك اخرون يجذبون الجريمة . كانت عائلتي من النوع الثاني . ويمكنك ملاحظة ذلك . فحـالما جئـت للاستقرار في وايتسابل بدأت فيها موجة من الاجرام . ذلك من تقاليـد العـائـلة .

ودقق سورم النظر فيه ، واستشعر الجد في كلامه . واحس لاول مرة بشيء من التوتر في نظرة غلاسب ، وظهرت ايضا في ارتعـاشة جبهتـه . سأل :

ـ هل انت جاد فيما تقوله عن العمة التي راحتضحية جاك السفاك؟

ـ اجل . كانت اخر ضحاياه .

ـ هل كانت تلك المراة التي قتلت في غرفتها في ميلرز كورت ؟

ـ كلا . كانت هناك جريمة اخرى : امرأة قتلت تحت مصباح الشارع في كاسل آلي ، كانت هذه العمة الكبرى سالي مكنزي . لا اعرف الكثيـر عن هذه العمة سوى انها كانت على ما يبدو لا تتمتع بحب العائلة .

ـ لم اسمع ابدا بتلك الجريمة .

ـ وراح سورم يتساءل هل ان القصة كلها من نسيج خيال غلاسب. وقـال مبتسما :

ـ يبدو انك انحدرت من عائلة من الضحايا .

ـ صحيح ، كلهم ضحايا . مازوكيون دون علم منهم ، ما عداي ، اذ اني ماروكي بارادتي .

ـ أصحيح انك ماروكي ؟

وابتسم غلاسب للدهشة التي ارتسمت في عيني سورم وقال :

ـ ليس بالمعنى الذي يمله اوسن . انني لا اميل الى ذلك .

وحرك سورم مقعده الى قرب الجدار ليسند ظهره اليه وهو يرقب غلاسب . كان غلاسب يرسم بضربات نلوح مرتجة مسددة ، وهو يبدي تركيزا شديدا على لوحته . وبدا لسورم كأنه لاعب سيف . وقال سورم:

ـ لا اريد ان اطيل الحديث ، فقد يؤخرك ذلك عن اعمالك

فقال غلاسب :

ـ لا يهم .

وظل سورم يراقبه بضع دقائق ، وقال :

ـ الا يضيرك ان القى نظرة على بعض لوحاتك ؟

وشعر بالتردد باديا في وجه غلاسب ثانية . وكان على وشك ان يقول لغلاسب : لا حاجة لذلك ... ولكن غلاسب قال :

ـ تفضل . ولكن لا تعلق شيئا بصددها .

ـ حسنا .

وذهب سورم الى الغرفة الثانية واخذ ينظر الى اللوحات المسندة على الجدران . وكان اول ما لفت نظره في هذه الصور الوانها التي كانت اكثر خشونة من تلك اللوحات التي رآها في شقة نن . لقد اختفت الالوان الزرقاء والخضراء وجو الاحلام الذي كان يحمل اثر شاغال . الخطوط في هذه الصور خشنة عنيفة ، كانت تبرز الاثر الناشز الذي تحدثه الالوان الاساسية المستعملة مباشرة دون مزجها . كانت اكثر الصور دراسات لمناظر طبيعية : اشجار ، باقة من ازهار السوسن ، جدار نما عليه العشب . وكانت هنالك لوحة تبين سياجا حديديا ومصباح الشارع ، وقد رسمت اللوحة دون اي اثر رومانسي او حتى المحاولة لاظهار جو المنظر . كانت اللوحات تغطي احد جدران الغرفة بكامله .

وكانت على جانب الموقد ، في رف داخلي عريض . لوحة هائلة الحجم ، غير تامة . كانت اكبر من اي شيء اخر في الغرفة باربع مرات ، حيث كان ارتفاعها ستة اقدام وعرضها اربعة اقدام . وقد ظنها سورم لاول وهلة صورة لصلب المسيح . كانت تبين رجلا مشدودا الى صليب بالمسامير يتدلى من نافذة مفتوحة . وكان الصليب يبدو معلقا بسلاسل عديدة ، كما كانت تظهر مكبرة خلال النافذة . وكانت احدى يدي الرجل المثبتة بمسمار تتدلى الى جنبه .

وكبح سورم رغبته في الاستفسار عما تمثله اللوحة . فتراجع الى الوراء واخذ يحدق فيها . وفيما هو يقف هناك ، سمع غلاسب يترك لوحته

ويخرج من الغرفـــة .

كانت صورة الرجل المصلوب معلقة عاليا على الجدار . وكان تحتها ، في الرف الداخلي عدد من اللوحات تستند الواحدة على الاخرى . وكانت اللوحة الامامية تبين وجها كبيرا لصبي يرتسم الرعب في محياه ، وكـــان خلف راسه ، في اعلى الزاوية اليسرى ، دولاب فيه ثلاثة ادراج مفتوحـــة ويندلى من الدرج العلوي ما يبدو من الملابس الداخلية النسائية الورديـــة اللون . وكانت تبرز من خلف راس الصبي يد عارية ، كأنها لشخص مستلق على الارض وجهه الى الاسفل . وسحب سورم اللوحة الى الامام واخـــذ ينظر الى اللوحة التي خلفها . وكانت هذه تبدو من لوحات غلاسب الاولى. كانت صورة جميلة رقيقة لفتاة عارية تبدو في العاشرة من العمر وكانت تقف امام الموقد وهي تمسك بكلتا يديها منديلا تمده ليجف . كانت نحيفة الذراعين والساقين ، وكان جسدها ينم عن نقص في الغذاء ، ولكن غلاسب نجح في الاستفادة من هذه النحافة فمزجها مع وهج الموقـــد البرتقـــالي وظلال الغرفـــة الزرقـــاء لينقل هذا الاحساس بالرفق والحنين . لقـــد وجد سورم هذه اللوحة مؤثرة الى حد غريب ، وقد طاب له ان يخـــرج الصورة من بين الصور الاخرى ويضعها حيث يمكنه دراستها بدقة اكثر. وقبل ان يهم بذلك ، سمع صوت الماء المندفق من حوض الماء في مرحاض شقة مجاورة . وسحب هذه الصورة ، وراح يطل الى الصورة التي خلفها. كانت لوحة لحياة جامدة اخرى ناشزة الالوان منكسرة الخطوط . وتـــرك الصور تستند الى الجدار القريب من المغسلة . وجاء غلاسب الى الغرفـــة الاخـــرى وقـــال :

ــ حسنـــا ؟

ــ انك غيرت طريقتك بالتأكيد ، اليس كذلك ؟

ــ آمل في ذلك . هل تعجبك هذه الصور ؟

ــ تعجبني جدا. انها تترك اثارا عنيفة. يجب ان تضع صورك في معرض.

ــ لا اريد ازعاج نفسي . انهم جميعهم اوغاد . يجب ان تستخـــــدم نفوذك وتزلفك لينسني لك ذلك .

واقبل غلاسب ووقف بجانب سورم ، فقال سورم ، وهو يشير الـــى الرجل المصلوب :

ــ مـــا هـــذه ؟

ــ هذه صورة مانيو لوفات . قضبة محاولة الانتحار القديمة .

ــ متـــى ؟

ــ اوه ، لا اعلم متى بالضبط . كان مابيو صانع احذية فى جنيف فى زمن ما فى القرن الثامن عشر ، وقد اصيب بهوس الموت على الصليب كالمسيح . فقام بثلاث محاولات ، انتهت كلها بالفشل . وفى المرة الثالثة نبت بكرة فى غرفة نومه التي تطل على السوق وعلق الصليب بطريقة يمكن ان يندلى فيها خارج النافذة . وكانت مشكلته الرئيسية هى كيف ينبت المسامير فى اطرافه . لقد كان فى امكانه ان يدق المسامير فى قدميه واحدى يديه ، ولكنه احتار فى اليد الاخرى . واخيرا اهتدى الى حل تلك المشكلة بأن عمل ثقبا فى الصليب ثم غرز المسمار فى يده اولا . ثم امسك مطرقة باليد التي غرز فيها المسمار ودق بواسطتها المسامير فى قدميه واحدى يديه . وبعد أن فعل ذلك فك البكرة فانطلق الصليب خارج النافذة ليتدلى فوق السوق . ولكن لسوء حظه اكان فى تلك اللحظة اضعف من ان يستطيع أن يدخل يده التي فيها المسمار بالثقب الذي عمله على الصليب ، وهكذا بقي معلقا على هذه الصورة .

واشار غلاسب الى الصورة حيث كان الرجل يتدلى كأنه بتروشكا (١) منفوخ . وقال سورم :

ــ هل مات ؟

ــ كلا . انزلوه فعاش حتى ناهز الثمانين . ولم يقم بهذه المحاولة بعد ذلك .

ــ هل ستنتهي اللوحة ؟

ــ نعم . عندما يكون لدي وقت .

ــ وما رأيك فى هذه ؟

واشار سورم الى الصورة التي تبين رأس الصبي . فقال غلاسب وهو يهز كتفه :

ــ انها لا تعجبني . انها صورة هايرنز ، القاتل فى شيكاغو .

ــ لم اسمع به ابدا . من كان هذا ؟

ــ صبي فى السابعة عشرة من العمر . كان يتسلل خلال النوافذ ليسرق ملابس النساء الداخلية ، فاذا استوقفته احداهنّ كان يقتلها . وقد كتب بأحمر الشفاه على الجدار بالقرب من احدى ضحاياه بالله عليكم القوا القبض علي قبل ان اقتل ثانية .

فكشر سورم وقال :

ــ الا تعتقد انه موضوع فظيع للوحة زيتية ، الا تعتقد انه موضوع يوحي بالاحاسيس المريضة ؟

ــ بالطبع . ان الحالة نفسها مريضة .

---

(١) بتروشكا : دمية ، بطل رقصة باليه لسترافنسكي . ــ المترجم ــ

واستدار وعاد الى الغرفة الاخرى ، وقال سورم :

ـ وما رايك فى الصور الاخرى خلف هذه ؟ هل لي ان اراها ؟

فالتفت غلاسب وقال بلهجه حادة :

ـ لا . الافضل الا تراها ، فهى لا تعجبنى .

فتبعه سورم الى الغرفة ، وكان قدح شايه ما يزال على المقعد ، لم ينهه بعد . فشربه جرعة واحده . واحس انه لم بعد فى استطاعته التعبير عن اعجابه بلوحات غلاسب ، فقد وضع غلاسب نفسه فى موضع يبدو فيه بوضوح انه لا يكترث اللوم او المديح . وقال سورم اخيرا :

ـ اشكرك للسماح لى بان انظر الى صورك .

ـ لا شيء .

ولم يكن سورم يدرى ماذا يضيف من الكلمات ، فاجال بصره فى الغرفة، فاستوقفته صوره لفان غوخ معلقة فوق سريره . لقد كانت معلقة فى موضع لم يكن فى امكانه ان يراها من مكانه على المقعد .

ـ هل انت معجب بفان غوخ ؟

فقال غلاسب :

ـ نعم .

ثم التفت ثانية الى الصورة ، كانت اضاءتها رديئة، فقد كانت معلقة على نفس الجدار الذي فيه الشباك ، مقابل الباب .

وقال غلاسب :

ـ تلك هي فكرتى عن اللوحة الزيتية العظيمة .

ـ ما الذي يجعلك تعتقد ذلك ؟

ـ السبب عينه الذى اعتبر من اجله لوحتى ماتيو لوفات ووليم هابرنز فاشلتين . هذه اللوحة هى اكثر من لوحة زيتية فحسب ـ انها مأساة فان غوخ يرقب مأساته . فى حين أن صوري تتطلب منك ان تعرف كل تفاصيل قصتى لوفات وهابرنز لتعى ما نعبر عنه الصورة ... صوري هي صور ادبية . بينما تعبر تلك اللوحة عن نفسها . انك لا تحتاج الى ان تعرف ان فان غوخ قطع احدى اذنيه . فعنوان الصورة يكفي : صورة ذاتية ، الرجل ذو الاذن المبتورة . هذا ما ينبغى أن يكون عليه الرسم ، وهذا ما يجعل رسومي حقيرة . هل رأيت صورة كوربيير يقود خنزيرا على شريط؟ لقد اعجب بها اوستن . علمت انها ستعجبه ...

فقاطعه سورم بقوله :

ـ لا اتفق معك . أعتقد انك تقسو على نفسك . ان صورتك لكوربيير عظمة الامر حتى اذا لم يسمع المرء بكوربيير ، والشيء عينه ينطبق على لوقات وهايرنز ...

وقاطعه غلاسب قبل أن يستطيع المضى فى كلامه :

ـ اشكرك . يسرني انها اعجبتك ...

فقرر سورم أن يترك الموضوع .

فقال غلاسب بصورة ميكانيكية : لا شيء .

فاتجه سورم نحو الباب وقال :

ـ لم لا تأتى معي لتناول الطعام ؟ لتكون لدى فرصة الحديث معك .

وكان واثقا وهو يتكلم من ان غلاسب سيجيب بالرفض ، ولكن غلاسب قال:

ـ شكرا ، اود ذلك . اين تسكن ؟

ـ فى كامدن تاون . تبدل القطار فى موركبت . هل يمكنك المجيء هذا الاسبوع ؟

ـ اظن ذلك .

ـ فى اى يوم نحن ؟ ... الاربعاء . غدا او الجمعة يروقان لى .

وتوقف غلاسب عن الرسم . وقال بعد فترة من الصمت :

ـ طيب ، لا بأس . اي يوم ؟

ـ الجمعة ؟ سأعطيك عنواني .

وجلس على السرير ليكتب العنوان ، ثم رسم مخططا ليبين الطريق من محطة نفق كنتس تاون الى مسكنه . ثم اقتطع الورقة من دفتر الملاحظات وتركها على الوسادة ، ثم تأمل قليلا وعاد وكتب رقم التلفون .

ـ تعال فى حوالي الساعة السادسة ، اذا ناسبك ذلك . اذن ؟

فقال غلاسب دون أن يرفع نظره عن اللوحة :

ـ حسنا .

كان السلم غارقا فى ظلام كثيف ، فاخذ يتحسس طريقه بحذر . وكانت رائحة زيت البارافين حادة عند السلم ، واكتشف سبب ذلك عندما وطأ فوق بركة من الزيت المنسكب على اللوحات الخشبية وكاد ان ينزلق من السلم .

* * *

رهز الرجل ذو البذلة الرسمية الذي كان يقف فى باب غرفة المطالعة رأسه وابتسم عندما مر به سورم . وفك سورم ياقته وفتح سترته : لقد شعر بالحر من جراء الياقة . كانت تسير امامه امرأة ترتدي بذلة سباحة من الطراز الفكتوري . ودفعت الباب ودخلت ، فرجع الباب اليه بعنف

قصده بقدمه .

وابتسم له الرجل ذو البدلة الرمادية وذو النظرة الجادة الذي يقف في نافذة الاستعلامات ، وقال :

ـ مرحبا بك . لم ارك منذ زمن .

ـ اهلا رونى . كيف تسير الاحوال ؟

والقت المرأة بنظرة حادة من فوق كتفها كأنها ارتابت فى انهما كانا يتحدثان عنها . وتبعها سورم بنظره وقال معلقا :

ـ يبدو ان هذه الفاجرة قذرة المزاج . كادت ان تهشمني بالباب .

ـ نعم ، كانت على هذه الحال منذ يومين . تخاصم معها احدهم قبل ايام لانها احتلت منضدتين فضربته بمظلتها . ومنذ ذلك اليوم اعلنتها حربا على الجميع .

فقال سورم متضاحكا :

ـ كم اتمنى لو رأيت المشهد !

ـ اين كنت هذه الايام ؟

ـ اوه ، كنت انتقل من مسكني ، واشياء اخرى مختلفة . ولكن انظر ، يا رونى ، هل يمكنك اسداء العون لى ؟ اريد الرجوع الى كتب تبحث فى السادية .

ـ الا تعتقد انك تقوم بطفرة من علم الالوهيات التصوفي ؟

فقال سورم محترسا :

ـ انها مجرد فكرة للقصة التى اكتبها ، خطر لي ان ادخل فيها شخصية سادية .

ـ اه ، طيب ، هنالك الكتب المعروفة ـ كرافت ايبنغ ، وسنيكل وغيرهما ، فما رأيك فيها ؟

ـ هذه كتب اولية ، ولا بد ان هناك مؤلفين اخرين عديدين .

ـ اجل . ولكن كثيرا من البحوث عن هذا الموضوع مكتوب بلغات اجنبية وتجده فى مجلات طبية . عليك ان تلقي نظرة على المصادر الوحيدة فى أحد الكتب الرئيسية فى الموضوع ـ كتب بلوخ او غيره ... انظر فى قائمة المواضيع تحت عنوان « علم النفس » هل تريدنى ان انظر لك ؟

ـ نعم ارجوك . ان هذه القوائم تربكني . انا ذاهب للبحث عن كرسي .

ووضع معطف المطر على ظهر الكرسي وترك كتابين للمراجع على الطاولة لئلا يحتلها شخص اخر . وفى المرحاض الذي يقع فى الطابق الاسفل غسل يديه ووجهه بالماء الساخن وعاد الى غرفة المطالعة وهو يحس بالانتعاش . لم ير أحدا فى نافذة الاستعلامات ولكنه شاهد على طاولته كومة من كتب المراجع

فسها قصاصات من الورق تبين الصفحات التي يجب البحث فيها . وقضى ربع ساعة اخرى يبحث عن عناوين الكتب فى قوائم اسماء المؤلفين ويهيء بطاقات الاستعارة لها . ثم ناولها للموظف واخذ معطفه وخرج من المتحف البريطاني . واخذ يحس بالجوع ثانية .

وفى احدى حانات شارع تشيرنك كروس تناول قطعة ساندويتش من لحم البقر وشرب زجاجة من البيرة . كانت الساعة لم تتعد الواحدة الا ربعا . ولم يكن يتوقع وصول كتبه قبل الساعة الثانية . وامضى الساعة التالية يتمشى بين دكاكين الكتب المستعملة واخيرا اقتنى الجزء الاول من « العالم ارادة وفكرة » . كانت نسخة قديمة تمزق غلافها بشدة . واحس بالسرور فى نفسه وهو يسير عائدا الى المتحف . كان بحاجة الى الكتاب منذ سنين ، ولكن اسعار النسخ الجديدة منه كانت تمنعه من شرائها .

كانت الكتب قد وصلت عندما عاد . وكانت غرفة المطالعة شديدة الزحام الان وقد انتهت فترة الغداء . كان جوها حارا خانقا بصورة اشد من قبل . فخلع معطفه وسترته واستقر فى مجلسه واخذ ينظر فى الكتب التي كانت تؤلف حاجزا بين طاولته وطاولة شخص اخر كان يجلس الى يمينه.

وبعد مضي وقت ما أخذ الدفء يشيع النعاس فى نفسه . فدفع عنه مجلدا عن حوادث القتل فى دوسيلدورف وراح يمطي ذراعيه وساقيه . وقرر ان يذهب الى المرحاض ليغسل وجهه مرة اخرى .

وحالما انتصب واقفا راى نن . كان يخطو نحو الطاولة الوسطى وهو يحمل مجموعة من الكتب . فظل سورم واقفا يرقبه يدفع بكومة الكتب على الطاولة الى ناظر المكتبة . وفى تلك اللحظة ، وكأنه شعر بنظرة سورم ، التفت برأسه . فابتسم فى الحال ولوح بيده ، ولوح سورم له بدوره وتقدم نحوه .

ــ جيرارد ! ماذا كنت تفعل بحق السماء ؟

ــ اقــرا .

ــ ما اعجب الامر ! منذ متى وانت هنا ؟

ــ منذ الثانية عشرة والنصف .

ــ انا ايضا كنت منذ ذلك الوقت . ما اجمل ان اراك . هل انت على استعداد لمغادرة القاعة ؟ لنذهب ونشرب الشاي .

كان سورم على وشك الموافقة ولكنه تذكر الكتب . فاذا اعادها اثناء وجود نن ، فليس هناك شك فى ان نن سيقرأ عناوينها . ولم يكن يرغب فى ان يعلم نن شيئا عن فضوله الجديد . وقــال :

ــ لا . . . لا استطيع الان . اريد ان اتم كتابي .

ـ مـــا هو كتابـــك ؟
ـ حياة القديسة تيريزا دي ليزييه ، اريد ان اتم الكتاب هذا اليوم . اسمع ، لم لا نتقابل بعد نصف ساعة في محل ما ؟
ـ آسف على أن اذهب لمقابلة احد الناشرين قبل الساعة الخامسة . ماذا ستفعـــل الليلة ؟
ـ لا شيء .
ـ اذن فيمكنني المجيء اليك في حوالى الساعة السابعة؟يمكننا بعدئذ ان نذهب فنشرب .
ـ حسنـــا . هـــذا رائع .
وعاد الى كتبه وقد خامره احساس بالذنب . هنالك شيء طفولي يحيط بنن . وقد زاد من شعوره بالذنب الطريقة التلقائية التي اخذ بها سورم . لقد افتتن سورم بطريقة نـــن هذه واعجب بها . واستبعد ان تكون بسبـــب الميل الجنسي الشاذ فقط . ووجد انه من العسير عليه ان يمضي في قـــراءة ذلك الكتاب عن كورتن دون شعور ، لا منطقي بالطبع ، بانه يخون نـــن . وظل يقرأ مدة ربع ساعة اخرى ثم اعاد الكتب الى ناظر المكتبة . وطوى بطاقـــات المطالعة ووضعها في محفظته . وفيما هو يخرج من غرفة المطالعة قال لـــــه المشرف على المكتبـــة :
ـ امغادر انت يا جيرارد ؟
ـ اهلا يا روني . شكرا للمصادر .
ـ هل وجدت الكتب التي كنت تبحث عنها ؟
فقـــال بعبوس :
ـ نعم شكرا . ولكني وجدتها فظيعة .
ـ لا يدهشني ذلك . اما تزال عازما على ادخال شخصية سادية في قصـــك ؟
ـ اظن ذلك . ولكني لا اعتقد اني ساجعلها على شاكلة واحد من هؤلاء . فيبدو ان جميعهم يفتقرون الى الانسانية .
ومشى بدراجته في الشارع القبطي وهو يطل في محلات شرب الشـــاي اثناء مروره بها لعله يرى نـــن . واخيرا ، اسند الدراجة الى شباك مطعـــم لاينس كورنر هاوس واطل بنظره في الداخل . واحس لسبب من الاسبـــاب بالامتعاض من نفسه ، فقد اورثته مقابلته مع نـــن شعورا بالتوقع . وبدت له فكرة العودة الى مسكنه اشبه بالانتكاسة . واتجه نـــــحو شارع بلومزبري ستريت ومضى يتخيل غرفته ويستحضر جوها ومظهرها كيما يقرر هل هـــو

يرغب فعلا بالعودة اليها . وقرر على الفور انه لم يكن راغبا . ثم تذكر دعوة المس كوينسي لزيارتها . كانت الساعة تشير الى النصف بعد الثالثة ولم يزل الوقت مناسبا لمشاركتها الشاي . وفى محطة كامدن تاون اجتاز اضواء المرور بدلا من الاستدارة الى اليمين باتجاه كنتش تاون . وعندما بلغ منتصف الطريق الى هافرستوك هيل ترجل من الدراجة وراح يدفعها ، واحس بحرارة شديدة ، وضايقه المرور ، فلم يرهق نفسه بركوب الدراجة صاعدا الطريق .

وفى زاوية فيل اوف هيلت اخذ يرسل بصره محدقا خلف الفتاة التي كانت تبتعد عنه صاعدة التل . لقد احس فيها شيئا مألوفا . فامتطى دراجته وتبعها . وقبل ان يصل على بعد عشر ياردات منها تيقن من هويتها . فهتف :

ـ هلو ، كارولين !

فالتفتت كارولين وصاحت :

ـ هلو ، جيرارد ! ماذا تفعل هنا ؟

ـ انا ذاهب فى زيارة لجيرترود .

ـ انها ليست فى البيت . كنت هناك توا .

ـ وماذا تفعلين انت هنا ؟

ـ جئت لامضي ليلتى هنا . وقد طلبت اجازة هذا المساء . تبدو شديد الحرارة .

كان يلهث بشدة . واسند الدراجة الى حافة الرصيف .

ـ أجل . اكاد اموت من الحرارة . الى اين تذهبين ؟

ـ لتناول قدح من الشاي فى المقهى . هل يمكنك التسلق ؟

ـ قليلا ، لماذا ؟

ـ نتسلق اذن من فوق الباب الخلفي لبيت العمة جيرترود وانظر اذا كانت قد وضعت المفتاح الاخر هناك . فهي تضعه عادة فى سقيفة ادوات الحديقة .

ـ حسنا لنذهب ونلقي نظرة .

وتناول يدها وهما يمشيان نحو فيل اوف هيلت، ولكنها سحبتها على الفور:

ـ ينبغي الا تفعل ذلك . ربما تأتي العمة خلفنا بسيارة .

ـ هل يهم ذلك ؟

ـ ليس بالنسبة لي . ولكن لا حاجة بها ان تعرف اكثر مما ينبغي .

ونظر اليها وقد ادهشته صلابة نبرتها وتعقلها . فارسلت له قبلة بشفتيها وهي تبتسم :

واسند دراجته الى جدار الدار . واشارت الى سياج خشبي عال

فيـــه بوابـــة .
ـ هل يمكنك تسلقه ؟
ـ اظـــن ذلـك .
واسند الدراجة الى السياج ووقف على عارضة الدراجة . فاستطاع ان يفرج ساقيه ويعبر من فوق البوابة وبتسلق نازلا الجانب الاخر من البوابة . فصـــاحت :
ـ هل باب السقيفة مقفـــل ؟
فتحسس البـــاب وقـــال :
ـ كــــلا .
ـ طيب . افتحـــه اذن .
ورفع مزلاج الباب وفتحه لها . فدخلت السقيفة وخرجت بعد لحظة وهي تحمل المفتاح . واجال طرفه فى ارجاء الحديقة ، كان يراها لاول مرة فى ضوء النهار . كانت هنالك اسيجة من النبات وممر مبلط بالاسمنت يمر عبر ساحة الحشيش باتجاه اشجار التفاح فى الجانب الاخر ، وكانت فى وسط كل ساحة قطع مستديرة مزروعة بالازهار . وقال :
ـ الا تكترث ؟ اعنى ، الا يزعجها ان ندخل بهذه الطريقة ؟
ـ كلا ابدا . انها تتوقع مجيئي على اية حال . هيا ادخل .
وفتحت الباب الخلفي . وقال :
ـ ما اسعد حظها ان تمتلك مثل هذا البيت .
ـ لم لا تطلب يدها ؟ فربما تنتقل انت ايضا الى هذا البيت .
ـ لا تكوني حمقـــاء .
وخلع معطف المطر وعلقه فى اسفل السلم . اما هى فقد اخذت تمـــلأ الابريق بالماء لتضعه على الموقد الغازي . وقالت :
ـ انا لست حمقاء . لو كنت رجلا لفعلت ذلك .
واقبل سورم الى خلفها واحاط خصرها بذراعه .
ـ اتمنى لو تسكن انت هنا .
والقت براسها الى الوراء وجعلته يقبل فمها . وترك يديه تستقران على جسدها لتتحسس تسطح فخذيها وكلابات جواربها . وقالت :
ـ اوه يكفي ! يجب ان نسلك بتعقل .
ـ لمـــاذا ؟
ـ ربمـــا تأتي العمـــة .
ـ طيـــب

وافترق عنها وهو يشعر بتوتر فى معدته من جراء الدفء الذي ولده الاحتكاك بها . وقالت بصوت ناعم :

ـ انا لا اريدك ان تكف .

وخلع سترته ، وقد احس فجأة بالتعب . وقال :

ـ سأذهب لاغتسل . احس اني قذر .

وفى الحمام خلع بلوزه الصوفي وقميصه واخذ بغسل صدره ورقبته بالماء الدافىء . ثم اتكأ على الحائط واخذ يتثاءب بعمق . وسمع صوت كارولين تتحرك فى الغرفة المجاورة . وكان قميصه مبللا بالعرق . فدسه فى بنطلونه واخذ يمشط شعره وبدأ يشعر بتحسن . وكان قد غسل وجهه بأسفنجة تكاد تكون جافة . ونظر الى نفسه فى المرآة ، فوجد انه بحاجة الى حلاقة ذقنه .

وانفتح باب غرفة نومها . فقال :

ـ مـاذا تفعلين ؟

ـ اغيـر مـلابسى .

ـ هـل استطيع الدخول ؟

كانت ترتدي بذلة قطنية مزينة بالازهار . فوقف خلفها بينما هى تسرح شعرها وهى جالسة امام المرآة .

ـ هل تحتفظين بملابسك هنـا ؟

ـ بعضها . واكثرها قديمة .

ـ لا يبدو هذا قديما .

ومال فوقها وجعل يمر بشفتيه على اذنها . وقال :

ـ كان يجب ان ادخل قبل بضع دقائق .

وابتسمت له فى المرآة ثم وقفت . وحاول ان يضع ذراعيه حول خصرها ولكنهـا دفعتهما .

ـ لا . يجـب ان ننزل .

ـ لمـاذا ؟

ـ قـد تأتي العمـة .

ـ يمكننـا سماع السيـارة .

ـ والابريق اخذ يغلي .

وادارها ومن ثم جذبها نحوه . لم تكن تلبس حذاء ، فكان عليه ان ينحني ليقبلها . فاحاطت رقبته بكلتا ذراعيها . وكان لو اعتدل بموقفه لتعلقت على ارتفاع ست بوصات عن الارض . واحس بدفء شفتها السفلى التي كانت قد مدتها ، ثم احس بشفتيها ترتخيان فتفترقان . وكان جسدها مائلا الـى

الخلف بين ذراعيه ، وقــــال :

ــ انــك قصيرة جــدا .

فقالت ضاحكة :

ــ انــك طويــل جدا .

وضغط على خصرها وشد به نحوه ورفعها عن الارض .

ــ ستتصلب رقبتي او بقبب منحنبا على هذه الشاكلة !

وحملها خطوتين الى الوراء ثم اخفضها الى السرير ، فلمست ركبتاها من الخلف حافة السرير فجعلت جسدها يسقط على السرير . وقالت بلهجة حزينــــــة :

ــ يجب ان تسلك بتعقل . ربمــا تأتي .

فرفع ساقيها ودفع بهما على الفراش ورقد بجانبها وقبلها ثانيــة . وشعر بنفس حالة الهيجان والتوتر التي احس بها في الليلة الماضية ، ومر بــه احساس بالتكرار ثم اكتشف بصورة غريزية انها لم تكن متهيجة مثله ، فقبلها بعنف اكثر وهو يدعك ثديها الايسر باليد الاخرى . وما عادت تقاومه ودعته يغطيها الى منتصفها بجسده . فلما توقف عن تقبيلها قالت :

ــ انك لجريء حقا . يجب الا . . .

وطمس كلماتها بقبلة وشعر بها تتوتر تحت ثقله ــ ثم استرخى واضطجع بجانبها ، ووجهه على الوسادة . فقالت بتوسل :

ــ لسنا في المكان المناسب . يجب أن آتي لزيارتك . لا نفع هنا .

فقــــال :

ــ طيـــــب .

وادهشته البحة في صوته . فسعل لينظف حنجرته واخذ ينظر فــي وجهها. كانت ذقنها محمره، فتذكر انه لم يحلق وجهه،كانت تضطجع وحدها على ذراعها الايمن ولم تكن تحاول ان تتحرك بالرغم من انه لم يكن ممسكـــــا بها . وكانت حافة تنورتها العريضة مفروشة خلفها على الفراش . فــــدس ذراعه الايسر تحت رقبتها وسحبها نحوه مره اخرى . وتمكنت من ان تحس بتهيجه . وشعر بدقات قلبها بينما كان يقبلها . ثم ضغط بيده اليمنى على فخذها من الخلف ثم حركها الى ردفها واخذ يتحسس نعومة لباسها الداخلي باطراف انامله وقــالت :

ــ ليس الان ارجوك ، يا جيرارد . . .

وانتبها في وقت واحد الى صوت سيارة . وقال مزمجرا :

ــ يا لله . ما اتعس الحظ !

فجلست على حافة السرير وانزلت رداءها . واطلت فى المرآة واخذت تعدل شعرها باناملها . ونظرت الى وجهه الذى يعبر عن الضراوة والكـــآبة وانحنت لتقبله .

ـ هيا ، انهض . يجب ان اسوي الفراش .

فدحرج نفسه على مضض وهو يدمدم . وقالت ضاحكة :

ـ يكفي عبوسا واذهب لتهيئة الشاى .

وسمعا صوت باب سيارة تغلق . وقال :

ـ لا استطيع.انا مستعد لاغتصاب اول فتاة التقي بها.حتىجيرترود.

ـ سيكون من دواعى سرورها على ما اظن !

وركضت خارجة من غرفة النوم وهبطت السلم . اما هو فقد دخـــل الحمام وجلس على حافة مقعد المرحاض وهو يحدق فى قدميه . وما لبث ان خفت الهيجان الذي كان يحس به فى كتفيه وفخذيه . وسمع صوت مفـــتاح يولج فى الباب الامامي ثم الباب يفتح .

وهتف صوت كارولين :

ـ هـــلو ، اينها العمـــــة .

فقالت المس كوينسي :

ـ هلو ، ايتها العزيزة ، كيف دخلت ؟

ـ استطاع جيرارد ان يجلب مفتاح الباب الخلفي .

ـ جيـــــرارد . . . ؟

وتقهقرت اصواتهما الى المطبخ.ونظر الى نفسه فيالمرآة، وسرح شعره واراد ان يخلق سببا لوجوده فى الطابق العلوى فسحب سلسلة المرحاض ، ثم تأكد من هندامه وخرج نازلا .

كانت كارولين وحدها فى المطبخ تسكب الماء فى وعاء الشاى . وعندمـــا رمقها بنظرة تساؤل ، اشارت الى الباب . فذهب الى الغرفة الاخرى فوجـــد المس كوينسي تخرج عددا من الكتب من حقيبة يدها وتنضدها فى المكتبة . وقالت بلهجة مشرقة :

ـ هلو جيرارد . ماذا جاء بك الى هنا ؟

ـ كنت آمل فى مشاركتك شرب الشاي .

ـ هل هناك امر هام ؟

ـ كلا . . . كنت في المتحف البريطانى هذا المساء ، وتعبت من القراءة فخطر لي ان آتي لزيارتك .

ـ جميل منك . كان يجب ان تتصل بي تلفونيا . كم مضى عليك هنا .

ــ خمس دقائق فقط . التقيت بكارولين فى نهاية الشارع ...
فابتسمت له .
ــ على كل ، يجب ان تاتي فى امسية اخرى . هل تبقى للعشاءهذهالليلة .
ــ ومـاذا عن اجتماعك ؟
ــ لا داعي للمجيء اذا لم ترغب . يمكنك ان تذهب مع كارولين فى نزهة في منطقة « هيث » . ينتهي الاجتماع في التاسعة .
ــ كلا . اود ذلك ولكني على موعد مع اوستن ... على كل حال ، ليس لدينا الكثير مما نقوله لبعضنا ، اليس كذلك ؟
فقـالت بصوت مرح :
ــ كلا . اعتقد انك على حق .
وضعت يدها على ذراعه وعصرتها وهي تمر به وتبتسم . وراح يتساءل ما الذي جعلها بهذا المزاج اللطيف . وجعله ذلك الشعور الطفيف بـالذنب حول كارولين يشعر انه كان سعيد الحظ الى حد غريب مهما تكن الاسباب .
وعندما سمعها تتحدث الى كارولين فى المطبخ احس بالفرح لانه سيرى اوستن فيما بعد . فلم يكن لديه عذر للبقاء . لقد كان يشعر وهو مع المراتين معا فى نفس الغرفة باحساس من الانقسام الذاتي يستنزفه ، وكان يحس بأنه يقع ضحية .

الفصـــل الثـــامن

ـ بالله عليك ! يكفينا ما شربناه من الوسكي ! ستورم عينـاى قبـل الوصول الـى النادى .

فقـال نـن :

ـ اشرب ما فى استطاعتك .

وناول سورم قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي . وقال نـن :

ـ والان . حان وقت الطعام . لنر ما عندنا فى الثلاجة .

ـ هل تسمح لي بالقاء نظرة على مطبخك ؟

ـ تفضـــل .

وتبع نـن خارج الغرفة وظل واقفا فى باب المطبخ يرقبه وهو يخـرج الطعام من الثلاجة ويصفه على عربة صغيرة . وقـال :

ـ ما اوسع مطبخك ! ويكفي لتجزئته الى اربع مطابخ .

ـ كان لعمي ، وكان عمي يميل الى اقامة حفلات العشاء الكبيرة الـتي تستلزم عددا من الطباخين . انه فى الواقع اوسع مما احتاج ، ولكن يعجبني ان يكون هناك مجال واسع اثناء الطبخ .

وكان الانطباع الذي يتركه المطبخ هو انه كان فى الاصل معرضا لادوات المطبخ او انه نقل مباشرة من «معرض البيت المثالي» . كانت رفوف الاطباق الزجاجيه والخزفيه وقدور القلي المصطفة وحتى الطاولة الخشبية الكبيرة التي تتوسط الغرفة كانت كلها تدل على ان المطبخ لم يستعمل ابدا . وكان فى المصطبة المطلية باللون الابيض القريبة من المدفأة الغازية عدد مـن الازرار الكهربائيه مبثتة على حافتها . وكانت الاشكال المرسومة على الجدران باللونين الاصفر والابيض تتكرر نفسها على الرخام فى ارضية الغرفة . وقال سورم :

ـ الا تلتقي ابدا بالفتيات اللواتي يحاولن الزواج ب لكللاستمتاع بهـذا المطبـــخ ؟

حدث ذلك فعلا . ولكن منذ مدة طويلة . ولذا لا ادع الفتيات يرينــه بعد . هل يعجبك الهليون ؟

ـ لا اعتقد اني ذقته فى حياتي .

ـ حقا ؟ اذن فابدأ بـــه .

ـ ما هو رأي جيرترود فى هذا المكان ؟

ـ تأتي احيانا وتستعمل هذا المطبخ ، عندما تريد ان تهيء طعاما غريبا. فهناك اجهزة توقيت كهربائية لكل شيء . . . خــذ !

ودفـــع العربة فجأة دفعة جعلتها تنطلق نحو سورم. فقال سورم ضاحكا:

ـ مخبـــول !

وامسك بها قبل ان ترتطم بالجدار . كانت تحمل صحنا عليه اعـواد الهليون وفرخ دجاج بارد انتزع احد فخذيه . وكان هناك ايضا وعاء زجاجي فيه سلطة ميونيز تبدو جامدة من البرودة . وقال سورم :

ـ ماذا كنت ستفعل لو لم استطع مسكها ؟

ـ لكنت ذهبت بك الى احد المطاعم . هلا دفعت العربة هناك ؟ اني اضع الربد على الخبز . وباشر بالاكل ، ستجد الصحون وغير ذلـــك تحت . وسأجلب انا السلطـــة .

وفى غرفة الطعام انتزع سورم جناح الفرخ واخذ يقطعه الى شرائـــح عديدة وترك الفخذ لاوستن . وملأ صحنه بالهليون ثم تناول بالملعقة قليلا من الميونيز الجامد ووضعه على جانب الصحن . ثم اسند احد الكتب علـــى الوسائد واخذ يطالع . وسمع فى المطبخ صوت فلينة تنطلق من زجاجة .

واقبل نـــن اليه بينما كان يقرأ وكوم شيئا من السلطة فى صحنـــه . وقـــال نـــن :

ـ وجدت بعض الشمبانيا .

ـ حسنا . ولكن لم يزل لدي قدح الوسكي ذاك .

ـ اشربه فيما بعـــد .

وتوقف سورم عن القراءة عندما ترنح الصحن وكاد يسقط من عـلى ركبتيه . وقـــال نـــن :

ـ انتظر . سأحضر لك صينية .

وبعد ان اجال بصره حوله قليلا ، قال :

ـ لا اجد واحدة . استعمل هذا .

وسحب كتابا كبير الحجم رقيقا من المكتبة وناوله لسورم. فسأل سورم:
ـ مـــا هذا الكتاب ؟
وفتحه فوجد اوراقا موسيقية كتبت بقلم الرصاص وقد رسمت رموز غريبة الشكل بيـــن السطـــور .
ـ هل يمكنك معرفته ؟
ـ كلا . فلا استطيع قراءة الرموز الموسيقية .
ـ انها ليست مجرد نوطة موسيقية . انها النسخة الخطية الاصليـــة لـ « طقوس الربيع » لنجنسكي . وهذه الرموز المضحكة هى نوطة الرقص التي استنبطها هو . هذا خطه فى أعلى الصفحة .
ـ اين حصلت عليـــه ؟
ـ من احـــد بائعي التحف .
واستأنف سورم تناول الطعام . وترك المخطوط مفتوحا على الوسائـــد بقربـــه . فقال نن مبتسما :
ـ الا تستطيع الاكل دون النظر اليـــه ؟
ـ انه احساس غريب ... ان تعلم انه كتب كل ذلك بيده .
ـ هذه الكلمات المكتوبة بالحبر الاخضر على الغلاف هي بخط سترافنسكي .
ـ صحيـــح ؟
ـ لاحظ ، لا تأكل عود الهليون بأكمله !
ـ اليس المفروض ذلـــك ؟
ـ كـــلا . كل الى الجزء الصلب . مثلي .
ـ آه ، بهـــذا الشكل . شكرا .
ومد يده ليتناول قدح الشمبانيا . وقال :
ـ لنشرب نخب فاسلاف .
وافرغ القدح جرعة واحدة . وانساب فى اعماقه احساس بالـــدفء والبهجة كتيار كهربائي ضئيل . واعـــاد نـــن الكلمات :
ـ نخب فاسلاف نجنسكي .
ثم شرب الكأس . وقال سورم :
ـ اعتقد انه من اللطيف ان يكون المرء غنيا .
فعبس نـــن :
ـ افضل من ان يكون المرء معدما . ولكن الغنى لا يضمن لك شيئا .
ـ كـــلا ؟
وضحك وهو يحس انه ينبغي عليه ان يعبر عن السرور الذي يشعر به .

وقـــال نـن بفضول :

ـ لمـــاذا تضحك ؟

ـ كنت جـــائعا .

ولكنه لم يخبر نـن بالسبب الحقيقي لضحكه : ذلك انه احس فجـأة بانه على وفاق مع وجوده ، في وسعه ان يزن وجوده ، وان يلخصه ، ولايسعر بغير الامتنان . لقد كان يسره ان ينقل هذا الاحساس الـى نـن ، لشعوره بالامتنان له لانه كان السبب في تبصره في اعماق نفسه ، ولكن مجرد نقلـــه بالكلمات لم يكن ليعني شيئا . ونهض سورم وصب المزيد من الشمبانيا في كـلا القدحين . وقال :

ـ يدهشني انك شديد الحماس لنجنسكي . انك لـم تره يرقص .

فهز سورم كتفيـه :

ـ ليس ذلك . هنالك شيء اخر ... الاستقلال . نوع من الحيويـة المجـــردة .

ـ ويدهشني انك لا تفضل عليه شخصا مثل د.ه. لورنس الـــذي يعبر عن ذلك بوضوح اكثـــر .

ـ كلا . لا يمكنني التعلق بلورنس . انه بالنسبة الي يمثل ما كـــان يمثله نجنسكي ولكن بطريقة مخففة محلولة . انه دائما يولد لدي الشعور بانه يكترث كثيرا للاشخاص . انهم يساكسونه وهو لا يحبهم كثيرا . على كل حال ، فقد كان مخطئا في كل ما قاله عن الجنس .

ـ اظن اني لا اتفق معك . اني لشديد الاعجاب بـه .

ـ طيب . لندع النقاش حوله . قل لي ، ما هو سبب هيام جيرترودبك؟

ـ لست ادري . يعرف واحدنا الاخر منذ مدة طويلـة ...

وابتلع آخر لقمة من فخذ الدجاجة ووضع العظمة بعناية على جـانب الصحن وقال ، وكلماته في غير محلها بصورة واضحة :

ـ يسرني ان امورك تسير على ما يرام مع جيرترود .

ـ انها رائعة ، ولكن ما يزعجني هو انغماسها في الدين .

ـ لا تدع ذلك يزعجك . انها تميل اليك .

ـ هل تعتقد انه كانت لها اية تجربة مع الرجال ؟

ـ قليلا جدا ، ربما . لماذا ؟ هل تجدها جذابة ؟

فقـال سورم معترفـا :

ـ انها النوع الذي يعجبني . رشيقة . جميلة القوام .

ـ ولكن ارجوك الا تضطجع معها . فان ذلك سيجلب لها الضرر .

ـ لمـــاذا ؟

ـ لانها تحمل كل الامور على محمل الجد واذا كانت بحاجة الى رجـل وهي في هذا العمر المتأخر ، فينبغي لها الزواج .

فقـــال سورم باكتئاب :

ـ اقول انك على حق .

وندم لانه فتح الموضوع ، فانه لم يكن على يقين من نفسه فيما اذا كان جادا في علاقته مع جيرترود كوينسي . وبدا له الحديث عنها سابقا لاوانـــه .

وقـــال نـــن ، كأنه قرأ افكار سورم :

ـ لا تغتم ! فلست ارتاب في نواياك تجاه جيرترود . على كل حال ، انها كبيرة السن بالنسبة لك . وليس هذا سبب رغبتك في زيارتها ، اليس كذلك؟

ونظر سورم اليه باهتمام :

ـ كلا . ليس هذا . ماذا تعتقد انت ان يكون السبب ؟

ـ شيئا يتعلق بمعتقداتها . لا يمكنك الاستنتاج هل انها غير مخلصـة في معتقداتها .

ـ تخمين لا بأس به ! ولكن الامر لا يتعلق بجيرترود فقط . . . انـــه يتعلق بي . اريد ان اعرف النقاط التي اختلف فيها معها . اتعلم . . . يجب ان يصيبني انهيار عصبي او يجب ان تجري عملية غسل ذهنية او شيء اخر قبل ان استمرىء ذلك الهراء عن ان الكتاب المقدس هو المرجع الاخير عن كل شيء . . . لا يمكنني فهم ذلك ابدا . اعني . . . هل نشأت على هذا الاعتقاد؟ هل ذلك هو السبب ؟ فهي تبدو على جانب من الذكاء في النواحي الاخرى . هل تفهم ما اعنيه ؟ لو انها وضعت على راسها شعرا مستعارا وادعت انهـا مدام دي بومبادور لما حيرني امرها . . . فيمكنني ان اتصور شخصا في راسه افكار غريبة . ولكنها تبدو تامة الاتزان . انها ليست من طراز اوليفـــر غلاسب . . .

ـ اوليفر ؟ هل تعرف اوليفر ؟

وتوقف سورم ، واحس ، لفترة قصيرة ، كأنه افشى سرا . ثم استعاد حالته وقال :

ـ نعم . ذهبت بالامس لزيارته .

وبدت الدهشة واضحة في وجه نـــن :

ـ لم زرته ، باللـــه ؟

ـ كان ما اخبرتني به عنه اثار فضولي . ثم اني اعجبت برسومه . وقد اعطاني الاب راكوسي عنوانـــه .

ونظر اليـــه نـــن باهتمام :
ــ انك لغريب الاطوار حقا ! لم لم تخبرني بذلك ؟
ــ نويت ان اخبرك . فليس في الامر سر .
ــ وعـــــم تحدثتما ؟
ــ لم نتحدث كثيرا . وظننت انه سيكون فظا قبل كل شيء . وزمجر كـــــالكلب .
ــ هذا ما يتصف بـــه اوليفر !
ــ ثم تحدثتنا عن . . . اوه ، الدين والتقشف ، واخيرا عن الفتل . . .
ــ هذا ما يتصف بـــه اوليفر ايضا !
ــ لماذا ؟ هل الحديث عن القتل من المواضيع المفضلة لديه ؟
ــ اجل . انه من مواضيعه المفضلة .
ــ يدهشـني ذلك . لمـــاذا ؟
ــ لا اعلم . انه دائم التفكير في الالم والعذاب . لنه يدع هده الافكـــار تقوده الى الشرود احيانا . وهو يتأمل في هذه الامور اكثر مما ينبغي . عندما التقيت به لاول وهلة ، كانت لديه نظرية ما . . . دعني افكر . . . اجل . . كان يعتقد ان الحياة انما هي استعداد للعذاب الابدي . وقد هيأ كل تفاصيل هذه النظرية . يعمل الجسد على صد الالم ، ولكننا مع هذا نتألم طـــــول الوقت . وعندما نتحرر من الجسد لا يوجد هناك ما يصد الالم . . . فيبقـى الالم الابدي . وقد استنتج من تلك الفكرة أن على الانسان ان يعرض نفسه للعذاب دائما . . على سبيل التمرين للعذاب الابدي . واعتقد انه كان برتدى دائما قميصا مطعما بالمسامير .
ــ حقا ؟ لم اتوقـــع ذلك .
ــ ولكنه لا يعدو ان يكون مخبولا ،اوليفر هذا . اعتقد ان له فـــــدرة على التنبوء حقـــــا .
ــ هل انت جاد في قولك ؟
ــ تماما . اتعرف انه من عائلة ارلندية ؟
ــ ظننته من يوركساير ؟
ــ من لانكساير . ايرلندي من ليفربول . لا اعتقد انه زار ارلندة يوما . وقد اخبرني احدهم مرة ــ اعتقد انه الاب كارانرز ــ بأن جدة اوليفر كـــانت امراة معروفة تجمع بين عمل السحر والقداسة في كاونتي كلير . . . انهـــــا تقوم بالتنبوء والوساطة وغير ذلك . وتظهر هذه الاعراض على اوليفر احيانا .
ــ كيـــــف ؟

ـ عدني الا تخبره بذلـــك .

ـ اعـــدك .

ـ طيب . لقد اضطرب نومه مرة واخذ يرى الكوابيس . فأخبر صاحبة البيت فى صبيحة احد الايام ان شخصا يدعى توماس سيموت فنـلا فى ذلـك الليلة . فظنت صاحبة البيت انه مصاب بخبل . وفى تلك الليلة نصب كمين لرجل يدعى توماس فعلا وحاول اللصوص سرقة محفظة نقوده ، ولكـــن ضربتهم كانت قاسية جدا فقضت عليه . وقد راى اوليفر الحادث فى حلمـه كمـــا وقع بالضبـــط .

واحس سورم ان شعره ينتصب على جلدة رأسه . وقال :

ـ يـــا الهي !

ـ ولم يستطع اوليفر الرقاد فى الليلة التالية ـ فقد الحت عليه الاحلام. ولحسن الحظ ، فقد ارسلته صاحبة البيت لمراجعة طبيب فأرسله الطبيب بدوره الى طبيب نفساني . وهيأ له الاب كارثرز المـــال ليدخل مستشفى الامراض العقلية فترة من الزمن . فشفي بعد ذلك . ولكن حلمه بحادثـــة القتل قبل وقوعها ما يزال حقيقة واقعة .

ـ هل انت متأكد من انه حلم بالحادث قبل وقوعه ؟ اقصد ، هل هناك دليـل على ذلـــك ؟ هل حاول الاتصال بالشرطة مثلا ؟

ـ لا اظن ذلك ، حسب ما اعلم . ماذا كان يمكنه ان يفعل ؟ ان كلابهـام كومون منطقة واسعة وهناك الاف من الناس فى لندن يحملون اسم توماس .

ـ من قال لك ذلك ؟ اوليفر نفسه ؟

ـ كلا . الاب كارثرز .

ووزع آخر ما بقي من الشمبانيا على القدحين . وقال :

ـ والان ، ما رأيك فى فاكهة ؟ هل تريد خوخا ام بوظة ؟

ـ لا اريد شيئا ، شكرا . كان الطعام لذيذا .

ـ لم تنه قـدح الوسكي .

ـ لم ابـــدأ بـــه بعد !

ونظر نـــن الـــى ساعته .

ـ النصف بعد العاشرة . الوقت لم يزل مبكرا للذهاب الى البلالايكا . يجب ان لا نكون هناك قبل الساعة الحادية عشرة والنصف. هل يضيرك ان افرغ من بعض النداءات التلفونية ؟

ـ كلا ابدا . اخشى ان اكون فى طريقك ؟

ـ كلا ، سأذهب لاستخدم تلفون غرفة النوم . انظر، اشرب قليلا مـــن

الوسكي ان اردت . لن اتأخر ...

وغاب في غرفة النوم . وتثاءب سورم ثم تمطى . كان يحس بقليل من السكر . وانتظر حتى سمع رنين جرس التلفون عندما رفع نـن السماعة من قاعدتها وسكب كمية كبيرة من قدح الوسكي في القنينة . كان ينتظر هـذه الفرصة منذ ان صبه له نـن . ثم جلس ثانية وامسك بالقدح الذي كـان لا يحتوي اكثر من ربع بوصة من الكحول واحس كأنه في حلم غريب،كأنه لا جسد له ، وراح يتصفح مخطوط نجنسكي .

* * *

وفتح عينيه عندما اجتازت السيارة شارع ايجوير رود ، ثم اغلقهمـا ثانية . وقـال نـن :

ـ هل تتذكر سقراط في محاورة « المأدبة » ؟ عندما زحف جميـع السكيرين المتمترسين تحت الطاولة ، ظل متيقظا يتحدث عن المأساة . كـان نيتشه يمقته ، غير انه كان يحمل صفات السوبرمان . هل جرفك النوم ؟

ـ كـلا .

ـ لا تنـم . هـا قد وصلنا .

ونشطت حيوية نـن في الساعة الاخيرة . وبالرغم من اصرار سورم على الا يشرب المزيد من الخمر فقد قبل قدح وسكي آخر واخذ يصغي الـى نـن وهو يتحدث عن ابيه . وشعر سورم انه ازداد سكرا ، فقد اخذت متـاعب نهاره تظهر فيه . وقد ساعد هواء الليل على انعاشه .

وتوقفت السيارة في شارع ضيق ووقفت بين بوابات احد المصانع وصف من البيوت القذرة . ومد سورم يده الى قبضة الباب . وقال نـن :

ـ انتظر ، سأرجع بالسيارة الى تلك الارض الخالية .

ولمح نـن شظايا الزجاج المهشم تعكس ضياء السيارة الخلفي ، وصعدت السيارة الرصيف برجة . وتناهت اليهما سعلات البخار الصادرة من قطار يسيـر ببطء . واغلق سورم الباب ونزل مترنحا . فامسك نـن بمرفقه :

ـ سر باعتدال ، ايها الصبي ! الى الامام !

فرفع سورم عصاه الى مستوى كتفه وهو يؤشر .

ـ كم يبعد المكـان ؟

ـ مسيرة عشر دقائق . انها ستوقظك . هيا ، ايها الصبي !

فقال سورم مكشرا عن اسنانه :

ـ انك تناديني كأني كلب الراسي .

ـ لم اكن اقصد ذلك . هل سبق ان ذهبت الى ماخور ؟

ـ هل نحن ذاهبان الى ماخور ؟
ـ تقريبا . لا تقلق ، انهم قوم مهذبون .
ـ هل ذاك الذي يقف هناك رجل ؟
ـ يبـــدو كذلـــك .
كان الرجل مستلقيا على الرصيف وراسه في مجرى القاذورات . كـان ساكنا بلا حراك ، ولكنه تململ عندما اجتازا الشارع باتجاهه . وقال نـــن مخاطبـــا الرجـل :
ـ هـل انت بخير ؟
ووخز عجزه بعصاه . فقال الرجل بصوت غليظ غير واضح :
ـ يا حبيبي . اذهبوا عني بالله عليكم .
ـ لقد اغلقت الحانات . حان وقت عودتك الى البيت .
ورفع الرجل جسده وجلس على ركبتيه وراح يزحف على الرصيف . وجلس بعنف فارتطم راسه بالجدار . وقال :
ـ يا حبيبي . اذهبوا عني . للنوم .
فقـــال نـــن :
ـ سمعـــا وطاعـــة .
وداس نـــن على ساقي الرجل الممتدتين ، وقال :
ـ فرجيل يقود دانتي الى الدائرة الثانية .
ثم اردف بالايطالية : حيث تصمت الشمس . ثم اتم عبارتهبالانكليزية : حيث تغلق الشمس مصيدتها .
فقال سورم ضاحكا :
ـ ليس فرجيل وانما مفيستوفيليس .
ـ ما اجمل الافكار التي في راسك ! اود ان ارتدي الملابس الداخليـــة الحمـــــــراء .
وسأل الرجل الذي يقف خلف الباب : اعضاء ؟
فأجـــاب نـــن :
ـ انـا عضو .
ـ هل تحمل بطاقتـــك ؟
ـ ما هذا اللغو ، يا سام . الا تعرفني ؟
ـ اسف ، لا يسمح بالدخول بعد منتصف الليل بدون بطاقة .
ـ لم احمل بطاقة في حياتي .
ومال نن الى الامام وهمس شيئا في اذن الرجل . واستقرت نظـرة

الرجل على المحفظة التي نقر نـن عليها بعصاه . ثم التفت الى سورم ، وقال :
ـ هل هو على ما يرام ؟
ـ بالطبع . اكثر وعيا مني .
عشرة شلنات لكل منكما . العضو وضيفه . وقعا السجل رجاء .
كان السلم ضيقا . وتذكر سورم محلات شرب القهوة العديدة فى سوهر وتشلسي . ورأى لافتة على الباب كتب عليها : نادي بلالايكا : للاعضاء فقط . وكانت هناك صور آلة البانجو تحت الكتابة .
كان اول ما وقع بصر سورم عليه هو قاعة واسعة تزدحم بالرجال والنساء . وكانت الاضواء مغلفة بالاوراق الوردية . وكان يقف على ارضية عالية اربعة من الزنوج يعزفون على الاتهم موسيقى مرتجة غليظة تؤذي الاعصاب ، وهرع لاستقبالهما رجل طويل القامة يرتدي سترة العشاء. وقال:
ـ طاب مساؤك يا مستر نـن . كيف حالك ؟
ـ بخير ، اشكرك ، يا متزي . الليلة رواد كثيرون .
ـ اه ، نعم . كانت الليلة مزدحمة . هذه طاولتك يا سيدي .
وتقدمهما عبر حلبة الرقص الى مائدة فى زاوية القاعة . وسحب نـن المائدة لسورم قائلا :
ـ اجلس انت فى الداخل ، يا جيرارد .
وسأل الرجل :
ـ ماذا تطلبان !
ـ شامبانيا ، كما اعتقد . الا تعتقد ذلك يا جيرارد ؟
فقال سورم :
ـ اي شيء .
كان يفضل الصودا فقط ، ولكنه لم يشأ ان يطلب .
ـ شامبانيا ، ارجوك يا متزي .
وبينما كان نن يوجه الطلب ، سنحت الفرصة لسورم ان يجيل بصره . لم ير شيئا يستوقف نظره فى الصالة او فى الاشخاص الذين كانوا يرقصون . ولم يكن يلوح على احد منهم السكر. وكان على مقربة منه رجل يرتدي بذلة مسائية يقبل فتاة دافعا براسها الى الجدار . وكانت احدى يديه، التي غطى جزء منها غطاء المائدة ، مستقرة على فخذها . ثم تخلصت منه وقالت بصورت رجالي غليظ :
ـ ابتعد عني ، هيه ؟
واشاح سورم بعينيه بسرعة ، فوجد نـن يرمقه باستمتاع .

ـ كيف تجد المكان ، يا جيرارد ؟
ـ لم ار شيئا بعـــد .
ـ اسمع ، يا جيرارد . لم لا نهرب ؟ بعيدا عن انكلترا ؟ نذهب الـــى بلـــد اخر .
ـ لقد اقترحت علي ذلك تلك الليلة .
ـ صحيح ؟ وماذا كان جوابك ؟
ـ لا اتذكر . ولكن الخطة غير عملية .
ـ لمـــاذا ؟
ـ لاسباب عديدة . قبل كل شيء ، لا املك النقود .
ـ اعرف ذلك ! ولم اكن اتوقع انك ستنفق شيئا !
ـ هذا ما يجعل المسألة اصعب !
ـ لمـاذا ؟
ـ اوه . . . لا يمكنني ان آخذ نقودك . وثانيا ، لا اريد ان اضيع وقتـي مطوفا حول العالم . افضل البقاء فى لندن للعمل .
ـ يمكننا العمل على ظهر السفينة . هنالك متسع من الوقت . يمكننا الذهاب الى الهند . . .
ـ قلت لي اميركا الجنوبية فى ذلك اليوم !
ـ كلا ، الهند . لنذهب الى الهند . اتعلم ، يا جيرارد ، ارغب فى الالتحاق بدير للبوذيين فترة من الزمن . . . يمكنك العمل هناك !
ـ افضل البقاء فى لندن .
ـ ولكن لم ؟ لقد اعترفت لي قبلا بانك مللت لندن .
ـ كنت مللتها . هذا صحيح .
ـ الا زلت تشعر بالملل ؟
ـ ذلك هو الغريب فى الامر يا اوستن . منذ ان التقيت بك اخـــذت اشعر احسن من قبل . . . اخذت احس بوجود غاية .
ـ ولكن الملل سيصيبك ثانية عندما ارحل الى الهند !
ـ انـك لا تفهم .
ـ طيب اشرح الامر لي . . .

واخذ سورم يجتهد للتغلب على سكره . كانت افكاره واضحة ، ولكنه احس بالمجهود الذي ينبغي عليه ان يبذله ليعبر عن هذه الافكار دون ان تترنح فى فمـــه الكلمـات .

ـ الا ترى ، يا اوستن ، ان الامر هكذا . قبل ان التقي بك ، كنت اشعر

... كلا ، ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هو ... كنت احس باللاهدفية . تلاحظ ؟ كنت اعيش من يوم لاخر ... لماذا ؟ لانني كنت حيا ، وما دمت حيا فمن الايسر ان تعيش من ان تفعل اي شيء اخر . ولم يكن الامر كذلكدائما . فكما تعلم ، عندما كنت اعمل كنت اعتقد بان رغبتي الوحيدة فى الحياة هي ان اكون حرا ، ان اكون حرا فى عملي وفى فعل ما اريده . وكنت اقضي الامسيات احيانا بقراءة كتاب او الاستماع الى موسيقى سمفونية وعندما يحين موعد النوم كنت اشعر بالانفعال و ... اشعر باني واثق تماما مما اريد عمله في حياتي الى حد لا يمكنني فيه النوم ، مجرد انني لا استطيع النوم . واعتقدت باني لو لم اكن مضطرا للعمل طوال اليوم لاستطعت ان افعل كل ما ارغبفى فعله . هل تفهم ؟ كنت استطعت اناقرأ الكتب وان استمع تلك السمفونيات فى الساعة العاشرة صباحا فأشعر بالسعادة وتنتابني تلك الانفعالات قبل ان ينتصف النهار ، وبعدئذ يمكنني التفرغ للكتابة كالمجنون بقية النهار ، ما دام الوحي موجودا . هذا ما اعتقدت اني كنت سأفعله ...

ــ ولكن الامر لم يكن كذلك ، صحيح ؟

ــ كلا ، لم يكن كذلك . لقد اخبرتك كيف كان الامر . لقد بلغت مرحلة اعيش فيها كالحيوان ــ مجرد الاكل والنوم وشعور بالازدراء لنفسي يلتصق بي كالسخام . كنت اعلم بانه لو كان لدي المال الكافي لانفقت ايامي كلها اقتني الكتب والاسطوانات ــ او ربما منلك اذهب الى باريس لسماع محاضرة لسارتر، او اذهب الى ميلان لاسمع غناء ماريا كالاس .

فتمتم اوستن :

ــ انت مرهف الحس ايها الولد العزيز .

ــ حسنا ، يكفينا ذلك . اعتقد اني نسيت كيف اعيش . لقد انزلقت الى هاوية القذارة والضجر ، هذا كل ما فى الامر . ومنذ ان التقيت بك بدا ذلك الشعور القديم بوجود غاية يعود الي . اوه ، ولكنه ليس شعورا واضح المعالم . انه مجرد شعور بالانفعال والحماسة كأنك على وشك ان تكتشف شيئا . ولكنه شعور صادق . لقد كنت انت الذي حركت هذا الشعور ، غير انه لا يمسك من الناحية الشخصية .

ــ اوه ، بهذا الشكل ...

ــ لا تأخذ المسألة مأخذا شخصيا . سيؤلمني كثيرا ان تغادر ...

فقال نن وقد اكفهر وجهه :

ــ احترس . فى يوم من الايام سيسعدك ان تهرب من لمحات الغائيةهذه .

ــ لماذا ؟

وبدا على نن انه صحا فجأة من السكر ــ وراح يحدق في غطاء المائدة . وقــــال :

ــ الامر يعتمد على مقدار ما تنفقه للحصول عليها . . . ماذا حدث لــك؟ تبـــدو شاحبا .

ــ احس بجيشان ومرض . اعتقد ان الحر هو السبب .

ــ هل آتي لك بدواء ؟ خذ حبة من الانفوستورا . اني اتناول فرصــا منها كلما احس بالغثيان .

ــ كلا شكرا ، اعتقد من الافضل ان اخرج الى الهواء الطلق . . .

ــ هنالك باب بالقرب من غرفة التواليت ، تخرج الى الساحة الخلفية. يمكنــك الجلوس هنــاك .

فقـــال سورم :

ــ شكـــرا .

وتوقف الرقص ، ونهض سورم آملا ان يجد طريقه الى الباب دون ان يعيقه احد . ولكن لسوء الحظ ابتدأت الموسيقى بالعزف ثانية على الفور . وقـــال نــن :

ــ اسمع يا جيرارد . اذا كنت تشعر بجيشان في معدتك فاصعد سلــم الحريق الى الباب التاني الى اليسار ، فتجد حماما هناك .

ــ شكرا ، يـــا اوستن .

وشق طريقه بين الراقصين الى الباب ، وهو يحس بالعرق يتصبب على وجهه . كان الهواء الليلي باردا ، وشعر بتحسن وهو في الساحة . واخــذ يحس كأن مخلوقا حيا مسطحا ، مخلوقا له ساقان ، راح ينقلب على قفاه في اعمـــاق معدتــــه .

كانت الساحة تسبح في ظلام دامس عندما خرج . ورای سلم الحريــق فجلس على الدرجة الاولى ، فسمع حركة وهمسا في ركن بعيد من اركـــان الساحة . ولكن حالته لم تكن تسمح له حتى بأن يكترث وهو يضع خده عــلى قضيب الحديــد البارد .

ومر قطار على الجانب الاخر من الجدار وصفر ونفث البخار فجفــل سورم . وسقطت على وجهه بضع قطرات من الماء . وكانت السماء صافيــة مليئة بالنجوم . وتناهى اليه من الداخل صوت الموسيقى ، متعبة غير مترابطة.

وتقدم اليه احدهم عبر الساحة . وسمع صوتا رجاليا :

ــ اسمع ، الا تخرج من هنا ، بالله عليك ؟

واقترب الوجه منه ، كان زفيره يفوح بالتبغ والثوم . كان اكثر مما

يمكنه ان يتحمله . فقفز على قدميه وادار ظهره الى الرجل حالما لامست انفه تلك الروائح . كانت معدته تجيش ، فشد براسه على الحائط وهو يحس فى فمه بطعم الشمبانيا والوسكي والهليون فى وقت واحد . وانتابته حالة من عدم التصديق ، ودهش كيف امكنه ازدراد هذه الاشياء كلها ، اشياء تبدو كلها كريهة برمتها ، اشياء لا يمكنه ان يتخيل انه سيجدها لذيذة الطعم فى اي وقت . وطفى عليه كذلك الشعور بغبائه ، فكيف يشرب الشمبانيا في الوقت الذي لا رغبة له في شربها . وسمع وقع اقدام الرجل عائدا عبر الساحة . وهو يقول :

ــ اوه ، يا للمسيح ! انه مريض ، لنحرح .

وسمع اصوات اقدام تمسي . وقال صوت رجالي اخر :

ــ لنذهب الى محل اخر .

وخرجا من الباب. وشعر بالمقت يتأجج فى صدره لهذين الرجلين لوجودهما هناك ، واحس بالارتياح الشديد عندما غادرا .

وعاد مترنحا الى سلم الحريق وجلس هنالك ثانية ، مبتهجا للبرودة التي كانت تنفذ خلال ملابسه . ولكن معدته ظلت تتقلب وهو يحاول ان يتناساها . وبصق ثم مسح بيديه العرق من وجهه . وعرف ان الجيشان سيرتفع فى معدته ثانية ، وتمنى لو استطاع ان يتقيأ كل ما فى معدته مرة واحدة، وادرك مدى تمرد معدته على كمية الكحول التي تناولها . وعندما احس مرة اخرى بالغثيان نهض واستند الى القضيب الحديدي واحس بموجات من الحرارة ترتفع من معدته كالحمى . وظل واقفا بضع دقائق وهو يسعل محاولا ان يهدىء نفسه ، وهو يفكر : لن افعل ذلك ثانية ، لن افعل ذلك ثانية ، لن افعل ذلك ثانية . واحس بالدموع باردة على اهدابه . واخيرا ، اقتعد السلم مرة اخرى ، وشعر بالعرق يبرد فى رقبته وعلى بطنه . وسمع صوتا في الدهليز وخشي ان يأتي احد الى الساحة . ولم يأت احد ، ولكن مجرد الفكرة اقلقته . ونهض ، محاولا ان يتذكر تعليمات نن بشأن الوصول الى الحمام . كان الباب الذى فى نهاية المنعطف الاول من السلم مقفلا ، فارتقى السلم ببطء الى المنعطف الثاني متوقفا مرة لينظر الى السكة الحديدية التي كان باستطاعته ان يراها الان . كان الباب مفتوحا ، فدلف منه الى رواق مضاء . وكان باب الحمام مفتوحا ايضا . فدخل وجلس على قرص المرحاض واتكأ على انبوب الماء . واحس بالرغبة فى الجلوس على هذه الصورة بقية الليل . كانت الحرارة ما تزال تتدفق من معدته وكانت غرفة الحمام تتضوع برائحة الورد، ولكنه احس بالنفور منها . وجعلت ارتعاشات معدته انفاسه تتشنج وجلس هناك حوالي ربع الساعة ، لا يرغب فى التحرك ، وهو يحدق فى خطوط الدهان

الثلاثة المتوازية على وجه حوض الحمام المطلي بالميناء المتفطر . وعاد الجيشان الى معدته فجثا على الارض واخذ يتقيأ فى المرحاض فـلا يخرج شيء سوى كميات قليلة من سائل مر كان يبصقها على رسوم الازهار الزرقاء التي كـانت تزين الجزء الداخلي من المرحاض . وراح يفكر : يا الهي ، ماذا فعلت بمعدتي فيكون هذا جزاؤها لي ؟ واخذ يحس بألم فى ركبتيه فسحب قطعة من حصير الحمام ذات نتوءات مطاطية ووضعها تحت ركبتيه . وعندما تلاشى الجيشان سحب سلسلة المرحاض وتمدد على الارض مسندا رأسه على حصير الحمام. وسمع احدا يحاول فتح باب الحمام ثم يذهب فى سبيله وظل راقدا بلا حراك مدة عشر دقائق اخرى فكادت ان تأخذه غفوة .

وصاح صوت نـن :

ـ جيرارد . هــل انت هنا ؟

ـ نعـــم .

ـ هـــل تحس بخيــر ؟

فكشر وقـــال :

ـ كـــلا .

ـ هـــل ادخل ؟

فجر نفسه جرا ونهض واقفا وهو يتمنى لو يذهب نن عنه ، وفتح الباب. فدخـــل نـــن :

ـ هـــل انت بخير ؟

فقال سورم بصوت غليظ :

ـ تقيأت ثلاث مرات . واتوقع ان اتقيأ ثلاث مرات اخرى .

وجلس على حافة حوض الحمام .

ـ هل تريدني ان اوصلك الى البيت ؟

ـ كل ما اريده هو ان ابقى هنا. فترة قصيرة .

ـ مسكين يا جيرارد ! انا آسف تبدو مريضا .

ففكر سورم وهو يتميز غيظا : تعليق سخيف . وقال لنــن :

ـ ارجو ان تتركني لوحدي قليلا .

ـ حسنا . انظر ، لدى فكرة . سأعود بعد قليل . اغلق الباب .

ومال سورم الى الامام واغلق الباب خلفه . وجلس على الارض ثانيـة ودفن وجهه بين يديه . ولاحظ ان يديه قذرتان ، ربما بسبب التراب الذي علق بهما من سلم الانقاذ ، وادرك انه قد لوث وجهــه به . ولـم يحس بالرغبة في النهوض والتأكد من ذلك بالنظر الى المرآة . كانت الغرفة باردة،

وكان تيار الهواء يدخل الغرفة من تحت الباب . وسره ذلك . كان يخشى أن يحس بالغثيان مرة اخرى ، فقد تململت معدته كأنها تهدده عندما مرت بخاطره عرضا ذكرى الطعام .

وهتــــف نـــن :

ــ انـــا نـــن . هـــل ادخل ؟

وفتح الباب مرة اخرى فلمح وجهه لمحة خاطفة فى مرآة للحلاقة . كان يبدو كعامل منجم للفحم . كانت الدموع قد اختطت الاخاديد من بين القذارة.

ــ اسمع يا جيرارد . لقد رتبت لك النوم هنا ، فلديهم غرفة للنوم . هل يمكنك الصعود اليها الان ؟

ــ يحسن بي أن اغسل وجهي .

ــ لا تهتم . هنالك طشت للغسيل فى غرفتك . تعال .

وتبعه سورم ليصعدا السلم . وقـــال :

ــ ما كان ينبغي أن تزعج نفسك . سأكون بخير بعـد نصف ساعة . ويمكنني العودة الى البيت .

ــ لا حاجة لذلك . لقد رتبنا كل شيء .

والتفت نـــن وقال بصوت خافت :

ــ انا باق ايضا ، على كل حال .

ولم يجب سورم ، كان يفكر : ارجو الا يكون قريبا مني .

واضاف نـــن وكأنه احس بهواجس سورم :

ــ سأمكث فى الغرفة التى تقع تحت غرفتك . فأضرب عـــلى الارض ان احتجت شيئـــا .

واحس سورم فجأة بالخجل من الشعور بالكراهية الذي اخـــــذ يصيبــــه ، وقـــال :

ــ اشكـــرك .

* * *

وكانت الحال افضل فى الظلام . وسكنت نوبة الغثيان بعد نصف ساعة وتركته فى حالة من الارتياح التام . كان صمتا غريبا ، مزيجا من التعب والقوة. لقد سره أن يرقد هناك على السرير المعد لشخصين وتصل الى سمعه نتـف من الانغام الموسيقية ، نحاسية بعيدة . كانت هنالك نافذة فى السقف فوق رأسه ولكنه لم يستطع ان يتبين النجوم خلالها من جراء الغبار المستقر على زجاجها . وبالرغم من التعب فلم يزل يحس بالقوة الداخلية التي لازمـــــه

الاحساس بها طوال النهار . كما اصابه شعور بالانقطاع ، كأن جميع ما حدث له في الماضي لم يحدث في الحقيقة . وراح يتأمل : عنوان جديد للكتاب : « الاشياء لا تحدث » . واحس بأن حتى ادراكه بأنه سيموت لم يحرك فيه شيئا ، فهو موقن بأنه لن يقع شيء نهائي لا سبيل الى تغييره . وعندما خطر نن بباله احس بالرثاء له ، وفكر : نن مستبك اكثر مما ينبغي . انه سوف لن يكون حرا . انه لا يدرك أن الاشياء لا تحدث ، وانه ليس هناك شخص هو هو في الحقيقة ، وان الانسان هو الله في صندوق .

وكانت اغطية الفراش رقيقة خفيفة ، ولكنه لم يشعر بالبرد . ثم غاب عن وعيه قليلا ولكنه استيقظ ثانية وهو يحس انه من العبث ان ينام فيبدد شعوره باليقين . ولكن النوم داهمه بعد لحظات قليلة على كل حال ، ورأى نن في حلمه : كان نن يقف على سطح احد البيوت في باركلي سكوير وهو يصرخ مثل بتروشكا في السماء الليلية . واستيقظ فجأة ، وصورة نن امامه ، كأنه موجود في الغرفة . لم يكن هناك احد . رأى نن في حلمه يقف على السطح يلوح بذراعيه ، وهو يصرخ بشيء في وجه السماء ، وعلى الارض تقف الجماهير وهي تراقب تلك القامة السوداء المتمردة وكان الكثير منهم يصيح به ويحثه على القفز . ولكن نن لا يقفز . كان سورم واثقا من ذلك وادخل وثوقه هذا السرور في نفسه . وكان سورم يقف في فناء الدار ، فهرع مرتقيا السلم العاري ليصل قبل ان يلقي نن بنفسه وهو يحس بانفعال مبهج ، لتيقنه من ان نورا من النبوءة سينبثق فوق مدينة لندن من اسلنغتون الى ماريلبون ، ومن بريمروزهيل الى سنت جونس وود ، ويتدلى فوق حدائق كنسنغتن كالشمس الحمراء . ان نن لن يقفز . انه سيظل واقفا هناك ، اوسنن ، فاسلاف ، بتروشكا ، على سطوح المنازل . ولكنه لم يكن في بيت خال . كان في ماخور وهو يضطجع في احدى غرفه العليا . وكان اوستن معه .

كان يقف بالقرب من الشباك ، وهو يحدق من خلاله ، وكان ذلك الجسد الكبير العاري يبدو ، في نور الفسق ، كتمثال مرمري . كان الكتفان عريضين ، ملفوفي العضل ، مثل كتفي راقص .

ولم يستطع سورم ان يرى عينيه . كانتا عينين صخريتين ، ليستا مغلقتين لتبدوا ساكنتين في دكنة الفجر ، ولم تكن كعيني القسيس الرمادية في وجه تمثال حجري قبيح . وعندما اغلق سورم عينيه رأى الراقص وجسده الكبير يتحرك دونما مجهود في الهواء ، يتحرك ببطء ، يتحرك دون أن يلقى مقاومة ، ثم يعود الى الارض ، صامتا كالطيف . كانت معالمه واضحة جدا . كان الوجه نحيفا عضليا ، ينحني اليه ، وقد ضفرت بخصلات شعره مسبحة

من اوراق الورد ، كان وجه حيوان اسطوري ، وكانت عبنا هـــذا الحيوان البنية تبتسم له ، متخطية حدود الخير والنىر .

باردا كان نور الفسق على السطوح المرمرية ، اكثر اتصالا بالواقع مـــن موسيقى الجاز . انك ستفقدينني يا عزيزتي . اروقة زجاجية تقود الى حيث لا يعلم أحد . .

ثم تلك القفزة ، اعنف من هطول نور الشمس على الجليد ، الى مـا وراء السرير ، عائمة من دون ضجيج ، الى الامام ، من خلال النافذة المفتوحة .

واضطرمت الانفعالات فى صدره كالنار . ذلك اللون الرمادي ، السواد الدموي فى النور الفضي ، بدأ ينحول الى لون احمر اخذ يصبغ الفجر الذي راح يتنفس فوق سطوح بادنغتن . حانت الخاتمة . والقيت بوردة من احدى النوافذ المفتوحة ، فراحت تتلوى فوق سطوح لندن التي تململت متيقظة، ثم سقطت ، وقد تفتحت اوراقها ، فى نهر التايمس الملوث باللون الرمادي .

واراد أن يطلقها صرخة ، بكل ما فى صدمة الذهول الذي اصابه من عنف : اذن ، فهـــذا مـــن تكون !

كان على يقين لم يسبق له مثيل من أن الشبه تام .

وعندما استيقظ كان ما يزال يحس بالسرور والدهشة اللذين ولدهما هذا الاكتشاف ، ولكنهما تلاشيا فيما هو يجيل بصره فى الغرفة المضيئـــة . وقال بصوت عـــال : فاسلاف .

القسم الثاني

الفصل الاول

واحس بالغرفة باردة ، تلوح وكانها مهجورة . واشعل موقد الغاز تحت ابريق الماء ، واستلقى على السرير مغلق العينين . كانت الساعة تشير الى الربع بعد السابعة لقد استغرق ساعة وبعض الساعة ليقطع المسافة مشيا من بادنفتون . كان يحس بالضعف والتعب ، وباطمئنان غريب . وتساءل هل سيجد نن الرسالة التي تركها له على الوسادة ، فلم ير احدا عندما كان يغادر البيت .

كان الراديو مفتوحا في الغرفة التي تحته . وسمع صوت رجل يهتف . ماذا فعلت بزر ماكنة الحلاقة الكهربائية ؟ وكانت السماء تلوح خارج النافذه داكنة بالغيوم وبلون الفجر . كان يستيقظ مبكرا لاول مرة منذ شهور ، وقد صاحب هذا الاحساس شعور بالانتعاش وراح يتخيل في ذهنه خادمات مايل ايندرود وهن ينتظرن سيارات الباص ويتصور رجالا بملابس العمل يحملون علب طعام الغداء . وانخفضت سحب المطر كالدخان .

وهيأ الشاي وجلس على السرير ليحتسيه وقد غطى ركبتيه بالغطاء . كانت الغرفة قارسة البرد ، بالرغم من اشتعال الموقد الغازي . وظل يقرأ الى ان وصل سمعه اشارة الوقت مشيرة الى الثامنة من الراديو في الغرفة السفلى .

والتقى بالفتاة الالمانية عندما عاد من الحمام . وقالت :
ــ هنالك رسالة لك على المنضدة .
ــ اوه ، شكرا .
كانت الكلمات مكتوبة على الغلاف بخط انيق غير مألوف ، ولكنه عرف العنوان في اعلى الورقة . وكانت الرسالة مطبوعة على الالة الكاتبة كما يلي :
هنالك شيء اريد أن احدثك عنه . هل يمكنك الاتصال بي تلفونيا عندما تستلم الرسالة ، رجاء ؟ جيرترود كوينسي .
ومر به نزيل الطابق الاول وكان يحمل حقيبة يدوية ، فاحتك به وقال متضايقا : عفوا . فتحرك سورم بصورة تلقائية وهو يحدق في السطرين المكتوبين على الالة الكاتبة ، وهو يعبس ويجتهد في تخمين ما كانت تبغيه المس كوينسي . واخرج من جيبه حفنة من قطع النقود الصغيرة وانتقى اربعة بنسات . وعندما رن التلفون خامره تردد مفاجيء لتبكيره في المخابرة . وقال صوت نسائي :
ــ هلو ؟
ــ جيرترود ؟
ــ من المتكلم ؟
ــ جيرارد سورم .
ــ هلو ، جيرارد ! كارولين تتكلم .
ــ اهلا ، يا عزيزتي . ماذا تفعلين هناك .
ــ اتناول الفطور في هذه اللحظة .
ــ ابن عمتك ؟
ــ في الحديقة . ابق على الخط ساناديها . . .
ــ انتظري . لا تذهبي . متى اراك ؟
ــ الامر يتعلق بك .
ــ هل يمكننا اللقاء غدا مساء .
ــ انا . . . . ها قد جاءت العمة جيرترود .
وسمعها تقول : انه جيرارد ، ايتها العمة . وقال صوت المس كوينسي
ــ هلو جيرارد .
ــ استلمت رسالتك توا .
ــ نعم . اشكرك على المخابرة . متى يمكنك المجيء الينا ؟
كان صوتها طبيعيا كصوت سكرتيرة تهيء موعدا .
ــ متى تشائين . . . الى حد ما .

ـ هل يمكنك المجيء عند الغداء ؟
ـ اظن ذلك ، هل الامر مهم ؟
ـ ساشرحه عندما اراك .
ـ حسنا . ساراك اذن . وبالمناسبة . . .
ـ نعم ؟
ـ هل سيكون معنا احد ؟
ـ كلا .
ـ اه . . . حسنا ، ساراك فيما بعد . وداعا

واعاد السماعة الى محلها وهو يسعر انه في موقف احمق . واخذت بعض السكوك تساوره في ان يكون سبب الدعوة هو للاجتماع باحد زملائها ممن ينتمون الى شهود يهوه .

ومرت بجواره الفتاة ، وهي تحمل ملء ذراعيها اغطية .

وقالت :

ـ اراك بكرت في النهوض هذا اليوم .

ـ اريد ان اصلح حياني ـ حياة نظيفة ، صحية .

واغلق باب غرفته خلفه واستلقى على السرير . واحس فجأة بالتعب . ولم تسره فكرة تناول الغداء مع المس كوينسي ، كما لم ترق له فكرة زيارة اوليفر غلاسب له وتناول العشاء معه . لان عليه ان يبتاع بعض الطعام والسراب ، وان يذهب الى البنك ، او ان يكنس غرفته ويرتبها .

وبينما هو غارق في هذه الافكار ، جرفه النوم .

وعندما استيقظ ، كانت الساعة تشير الى النصف بعد الثانية عشرة . وظل لحظة لا يعي الوقت ولا يدري ماذا كان يفعل هناك . وعندما تذكر موعد الغداء مع المس كوينسي لم يشعر بالرغبة في ترك الفراش . واخيرا ، جلس على حافة السرير ومر باصابعه خلال شعره وكانت النار الفازية ما زالت مشتعلة ، والغرفة خانقة الهواء . واستوقف نظره ، وهو في مجلسه ذاك ، شيء ابيض تحت عقب الباب . فاجتاز الغرفة وهو يمشي متثاقلا كالمثل والتقطه ، ووجد علبة سكاير ممزقة كتب على ظهرها : لقد اتصلت المس دينيع تلفونيا ، وستأتي مساء غد .

وفي الحمام غطس وجهه في طاس فيه ماء بارد واخذ يتمخط بعنف ليحس بالنقاء في راسه ثم تعرى الى خصره واخذ يتغسل.ثم ابدل قميصه وسرواله وخرج مسرعا من البيت . كانت الساعة تشير الى الواحدةالا خمس دقائق . وشعر بخفة وكانه قد نهض توا من رقدة ستة اسابيع في مستشفى.

وكره ضوء النهار وصخب المرور. واحس كأن شيئا في اعماقه يتكرر فيصبح كرة متوترة . وفي البنك سحب خمسة باونات ، ولكن بعد ان نبهه الصراف بانه نسي توقيع الصك .

وقرع جرس الباب على المس كوينسي بضربة عنيفة بابهامه ، وهو يحس دون مبرر بانها اغتصبت وقته . وحالما وقع بصره عليها تلاشى توتـــره . واسرف وجهها بابتسامة فرحه وقالت :

ــ هلو ، جيرارد . لقد اتصلت بوا بمسكنك لانحقق الا تكون نسيت الموعـــد .

ــ انني سديد الاسف . رحت في غفوة ولم استيقظ الا قبل نصـــف ساعـــة .

ــلا بهم . اخلع معطفك . هل جئت على دراجتك ؟ هـيا اجلس . قـــدح شيري ؟

ــ كلا ، شكرا . اعتقد من الافضل ان استغني عن الشراب اليوم .

ــ لماذا ؟

ــ احس بالضعف . بقيت مستيقظا يوم امس حتى ساعة متأخرة .

ــ مع اوستن ؟

ــ نعم .

وراح يتساءل في نفسه عن معنى نظرتها التي حدجته بها . وقالت :

ــ طيب ، اجلس على كل حال . ساحضر لك بعض الحساء .

كان الراديو يذيع حفلة موسيقية . واغلق عينيه ليصغي الى احـــدى كونسرتات موزارت ، وتمنى لو كان في تلك اللحظة في بيته مستلقيـــــا في الفراش . وتذكر كارولين . ولكن فكرة مجيئها الى بيته لم توح له بالسرور. انها ذكرته فقط بان عليه ان يبدل اغطية الفراش ، ويعني هذا بالنسبة لـــه الذهاب على دراجته الى احد محلات غسيل الملابس . ثم انتقل تفكيره الى نن ، والحلم الذي راه في الليلة السابقة . وبدا له ذلك الحلم لا معنى له . وشعر بالامتعاض منهم جميعا ، المس كوينسي ، واوســــتن ، وكارولين ، وغلاسب . واخذ يفكر ، وهو مغلق العينين : مالي ولهؤلاء المجانين ؟

وصاحب هذا الشعور بالكراهية حنين الى العزلة ورغبة غامضة في حياة اكثر تركيزا .

ــ حساء ؟

ــ شكرا . الا تأكلين انت ؟

ــ بعد قليل ، فقد تناولت حسائي . هل تريد صينية ؟

ـ لا شكرا ، سأجلس الى المائدة .

واثارت فيه اول ملعقة من حساء الطماطة شعورا حادا باللذة كـــاد ان يدفعه للضحك وانبسطت معدته بامتنان ، وغمره احساس بالطمأنينــة الداخلية مر عليه كالنسيم ، كأن سرا ومض بــه فاكتسفه . وسألت المس كوينسي :

ـ الا يضيرك ان تأتي لتناول الطعام في المطبخ ؟ بعد ان تنهي حساءك بالطبــع .

ـ شكرا .

كان المطبخ دافئا ، والسبابيك معتمة من تكثف البخار على زجاجهــا وكانت الموسيقى ما تزال مسموعة من مكبر للصوت موضوع فوق المائدة .

ـ ارجو ان تعجبك « الكلاوي » ؟ انها فطيرة كلاوي .

وابتلع اول لقمة فاستلذ بها . وقال :

ـ متى تخبرني عن سبب استدعائك لي ؟

ـ فيما بعــد .

ونظر اليها ، وهو يحس في صوتها تسرعا ولده القلق المكبوت . وقال:

ـ لا بأس .

ومضت تأكل دون ان ترفع نظرها . كان رداؤها يتلـــوى حسب انحناءات جسمها وينير فيه الانطباع بان وجهها كان اكبر سنا من جسدها. ورفعت نظرها فجأة وباغتته وهو يحدق فيها .

وقالت بلهجة ناقدة : ـ لا تبدو بصحة جيــدة .

ـ اشعر بخير .

كانت على حق ، فقد كان ما زال يحس بالاعياء والرغبة في ان يغلــق عينيه ويتخلص من ضرورة تركيز اهتمامه .

ـ اين كنت في الليلة الماضية ؟

ـ في احد النوادي الليلية ...

ـ اي نــاد ؟

ـ مجرد احد النوادي الليلية .

ـ ينبغي الا تدع اوستن يجرك الى النوادي .

ـ كــلا .

ـ انه يعاني من حالة من الضجر الدائم . عليك ان تدرك ذلك .

ـ احسبك على حق .

واعلن المذيع بان الجزء الاخير من البرنامج سيكـــون السمفونيـــة

الخامسة لبروكوفييف . فقال سورم :

ـ جيد . انها سمفونيتي المفضلة . هل يمكن رفع الصوت في السماعة؟

كان يريد عذرا لانهاء وجبته دون كلام . ومدت المس كوينسي يدها طائعة ورفعت الصوت ثم مضت تأكل دون أن تنبس بكلمة . وومض في نفسه حب مفاجىء لهذه المرأة ، وهو ينظر اليها وقد لوت وجهها جانبا ، واحس بانه من اليسير له أن يؤلمها .

وبعد ان انهى الاكل ، قالت : فواكه ؟

ـ لا شكرا . لقد شبعت ، واستمتعت بالطعام .

ـ طيب .

وحاول ان يصوغ عبارة يمدح بها مقدرتها على الطبخ ، ولكنه ما لبث ان تخلى عن المحاولة . وخيل اليه بشيء من الكآبة ، وهو يرقبها تملأ الابريق بالشاي ، بان جودة طبخها قد منحتها حق القاء محاضرة عليه . كما اضحى من المستحيل ، بعد مثل هذه الوجبة ، ان يرفض حضور اجتماع واحد على الاقل من اجتماعا تشهود يهوة . وتوصل اخيرا الى ان هذا هو ما تريد ان تتحدث به معه .

ـ اتريد سماع الموسيقى في الغرفة الاخرى؟ سأجلب القهوة بعد قليل.

وعندما جاءت بعد عشرين دقيقة الفته نائما بالقرب من المدفأة الكهربائية . كان الراديو يذيع حديثا لاحدهم عن البستنة ، فاستيقظ حالما اغلقت الراديو . فوصل اليهما صوت المطر ينقر زجاج النوافذ . كانت الرياح ترشق المطر على دفعات . وقال والندم في نبرته :

ـ اني ضيف عديم النفع ، أكاد لا استطيع البقاء يقظا .

ووضع في قهوته السكر الذي تناوله من اناء كانت تمسكه بيدها .

ـ ماذا حدث الليلة الماضية ؟

ـ أوه ، شربت اكثر مما يجب . . . فاصبت بالغثيان .

ـ هذا كل ما في الامر ؟

وحدجها بنظرة من الدهشة .

ـ نعم ، فماذا تظنين ؟

ـ لا اعلم .

لم يكن بوسعه ان يرى وجهها بوضوح من حيث كانت تجلس . كان نور امسيات شهر كانون الاول الباهتة يملأ الغرفة ظلالا . وظل يرقبها ، ينتظر ان تبدأ الكلام . كان من العسير عليه الا يبقي نظراته خفيضة . وطال الصمت . وسأل اخيرا :

ـ الا يهمك ان اوجه اليك بعض الاسئلة الصريحة ؟
ـ كلا . هيا اسألي .
كان يحس بترددها اكثر مما يراه . وخامره شيء من الشك ومض في رأسه :
ـ ما مدى معرفتك بنن ؟
فقال بامانة :
ـ لست ادرى . لماذا ؟
واخذت تحرك قهوتها بسرعة واضطراب . وحدقت في وجهه . وقال:
ـ ماذا ينبغي على في اعتقادك ان اعرفه عن اوستن ؟
وعندما تكلمت اخذت انفاسها تلهث قليلا . تشعر كأنها كانت تنظر الى اسفل من علو شاهق ادخل الرعب في نفسها .
ـ هل تعلم ... لم لم يحاول اوستن ان يتزوج ؟
واعتدل في جلسته على الكرسى ، وقد اتسع الشك في رأسه فاستحال الى دهشة وعدم تصديق . فاجاب على عجل :
ـ اعتقد انه لا يميل الى الفتيات .
وراح يراقبها وقد تيقظ تماما وهو يتوقع ماذاكان على وشك ان يحدث بينهما ، ولا يحس برغبة فى معاونتها . اراد ان يرى كيف ستدبر الحديث، وسألت ، بعد صمت :
ـ هل تفهمني ؟
ـ لست واثقا . ما هو سؤالك ؟
ـ انا .. من الصعب بالنسبة لى ...
ـ طيب لم لا تدخلين في صميم الموضوع مباشرة ؟ من كان يحدثك مؤخرا عن اوستن ؟
ـ يجب الا تذكر ذلك له .
ـ كلا .
ـ حسنا ... الاخ روبنز .
ـ بالله ماذا يعرف عنه ؟
ولاح عليها السرور وقد عادت تتحدث عن بعض الاشياء الملموسة .
ـ كان عليه ان يقوم باعمال اجتماعية كثيرة ـ يذهب من بيت الى بيت . وعندما التقى باوستن لاول وهلة ـ منذ اسبوعين ـ ظن انه رآه قبلا . ولم يخبرني بذلك فى اول الامر ، ولكنه راح يجري التحقيق ...
ـ نعم .

ـ ... فاكتشف ان اوستن معروف لدى جماعات معينة .. معروفة لدى الشرطـة .

ـ مجرميـن ؟

ـ اوه ، كـلا !

ونفد صبر سورم ، فاطلقها صريحة :

ـ تعنين من الشواذ جنسيـا ؟

فقالت بصوت واهن : ـ نعم .

فقال سورم بجفاء :

ـ يبدو ان زميلك الاخ روبنز ثرثار سخيف .

ـ اوه ، كلا . اعتقد بانه ينبغي علي ان ...

تلاشت بقية الكلمات في شفتيها . كان المجهود الذى بذلته للتحدث في هذه المسألة قد جعل صوتها يرتعش بصورة ملحوظة . وسألت اخيرا :

ـ هل ذلك صحيح اذن ؟

ـ نعـم .

ـ وكنت تعلم بذلك طول الوقت .

ـ اكثر الوقت . وهل في ذلك ضير ؟

كانت تنظر اليه نظرة ثابتة ، واستطاع ان يرى في وجهها خليطا من المشاعر تحاول جاهدة ان تجد تعبيرا لها وقال :

ـ دعيني اجب على السؤال الذي يقوم في ذهنك . انا لست منحرفا جنسيـا .

فقالت وقد احمرت وجنتاها :

ـ كنت اعلم بذلـك .

ـ صحيح ؟ كيـف ؟

ـ انا ... انت ...

واخذ يتساءل فجأة هل كانت تشعر بالنظرات التأملية التي كـان يختلسها في تقاطيع جسمها . ومضت تتكلم،وفي صوتها نبرة من اليأس:

ـ ربما لم اكن اعلم ، ولكني افترضت ذلك فقط .

وتلاشى موقفه العدائي منها ازاء حيرتها هذه . وشعر بالميل الى ان يطوقها بذراعيه . وقـال :

ـ اسمعي . لا داعي للانفعال في موضوع كهذا . كنت اعرف ذلـك عن اوستن منذ التقيت به ، ولكن الامر لم يقلقني،انه من شأنه فقط . اني اميل اليه لانه ... على كل حال ، فكلانا مولعان بالتأليف ، ولدينا اشيـاء

مشتركة كثيرة . و . . . هو شخص لطيف المعشر .

ــ ولكن . . . الا تعتقد ان للامر اهميته فعلا ؟

ــ تعنين ، هل ان الامر في اعتقادي ضرب من الاثم ؟ كــلا ، ليس كذلك بالذات . اني سعيد لاني لست نزاعا جنسيا الى الجنس المشابــه ، ولكن المسألة على كل حال مسألة ذوق . واني لاعلم بان هذا النوع مــن الانحراف الجنسي لدى بعض الناس انما هو ولد التفاهة المجردة ، غيــر ان هناك من يبدو انه ولد ليكون كذلك . . .

وكان اثناء حديثه يتذكر القلق الذى احس به اخر مرة زار فيهــا المس كوينسي ، والضيق الذى انتابه امام ثقتها بنفسها. ولقد انهارت هذه الثقة الان ، ولم يشعر بانه افضل حالا لذلك . لقد انعكست الاية بينهمــا انعكاسا تــامــا .

ــ هل هناك اناس ولدوا على هذه الصورة ؟

ــ بالطبع ! الم تعلمي بذلك ؟

ــ كلا ، انا . . . لم التق باحد من هؤلاء قبلا . هل تظن أن اوستن كــان دائما هكــذا ؟

ــ من المحتمل جدا . لست على معرفة تامة به . كيف كانت طفولته؟ هل كان الطفل المفضل لدى امه ؟

ــ اوه ، نعم . كانت تدلله كثيرا . لماذا ؟

ــ اوه ، لذلك علاقة بالامر .

ومضى يتحدث ، وهو يحاول ان يكون موضوعيا بقدر المستطــــاع عن الاحصاءات حول الشذوذ الجنسي هذا وعوامل تأثير الطفولة فيه وعن الغدد الجنسية ، وهو يحاول أن يرى وجهها في النور الخافت . وظــلت تصغي اليه دون مقاطعة . وعندما توقف لينتظرها تتحدث ، قالت فجأة :

ــ الا يمكن شفاؤه ؟

ــ لا اعلم . لقد فات الاوان . ومن المحتمل انه لا يريــــد ان يشفى منه . وبالاضافة لذلك ، قد لا تكون هذه مشكلة تن الحقيقية ، فانه راض بها ، وهناك شيء يقلقه .

ــ مــاذا تظن يقلقــه ؟

ــ لست ادري . كثير من المنحرفين جنسيا يحيون حياة عادية . وقد يعيش الواحد منهم مع صديق له من نفس الجنس ويستقر معه كأي زوجين .

ــ الا يلاحظ الناس ذلك ؟

ــ احيانا . ولكن لا غرابة عادة في رجلين يشتركان في شقة .

ـ هل تعتقد أن اوستن يشعر بانه اثم ؟
ـ كلا . ولكن هنالك شيئا يجعله عصبيا مضطربا . لا اعلم ما هو. شيء ما يعذبه . ومهما يكن هذا الشيء فانه نقوده الى حالة كحالة الذئب الوحيد . لا اعتقد انه سيستطيع يوما ان يعيش مع احد .
فقالت بدهشة :
ـ امل الا يعيش مع احد ! فماذا سيظن والده بذلك ؟
فقال مبتسما :
ـ هذا سؤال اخر لا يمكنني الاجابة عليه . يمكنني فقط ان اقول لك ما يقوله اي طبيب او نفساني ـ ان المسألة ليست بالضرورة مسألة فساد خلقي .
فقالت بتردد :
ـ ان الكتاب المقدس يحرم ذلك ...
ـ بلا شك . الكتا بالمقدس يحرم الزنى واشياء اخرى كثيرة يقترفها الناس دائما .
ـ هذا لا يعني انهم على حق !
ـ كلا . انك على حق . لا يجعلهم محقين . ولكن الرجال والنساء يمكنهم الزواج وجعل علاقتهم امرا مشروعا . اما المنحرفون جنسيا فلا يمكنهم ذلك . فما العمل اذن ؟

وجلست وراحت تحملق فى قضبان المدفأة المحمرة . وكان الصوت الوحيد الذي يسمع فى الغرفة صوت وقع قطرات المطر . وارسل سورم طرفه الى الحديقة ، وكان من حيث يجلس يمكنه أن يرى دراجته وهي ملفعة بغطائها الاصفر . وبدت الحديقة ، تحت السماء المبتة ، وقد انتشرت عليها الاوراق الذابلة ، بدت مخيفة كأنها ارض مجهولة . غير ان الظلام والمطر اثارا فيه احساسا بالراحة . وراح يتأمل ، وهو ينظر الى المس كوينسي ، هل فى امكانه ان يقبلها ، لمجرد أن يرى كيف سيكون رد فعلها ، واثارت فيه الانطباع بانها تواجه مشكلة لا سبيل الى السيطرة عليها ، وبانه لم يعد هنالك بعد ما يثير دهشتها . وسألت :
ـ الا يمكننا اقناعه بمراجعة طبيب نفساني ؟ لمجرد احتمال ان ينجح العلاج ؟
ـ فى الإمكان المحاولة .
ـ لا ادري هل يشك فيه ابواه ؟ ولكن لا ، لا يمكنهما ...
ـ قد يشكان .

وكانت كأنها تتحدث الى نفسها . وكان يجيب لمجرد رغبته فى مجاملتها. وقـــــالت :

ــ كان دائما طفلا غريب الاطوار . كان يميل الى القسوة .

فسأل سورم باهتمـــام :

ــ صحيح ؟ كيف ؟

ــ ليس قسوة حقيقية ، وانما دافعا لها فقط . . .

ــ كيـــــف ؟

ــ دفع مرة ابن البستاني من سطح الزريبة فسقط الطفـــل وكسرت ساقـــه . وكان يكره الدمى الى حد غريب .

ــ هـــل كان يقسو غالبا ؟

ــ ليس غالبا ، كـــلا . وانما كان له نوع من . . . الجانب المظلم فـــي نفسيته . كانت تصيبه حالات يظل فيها اياما عبوسا مقطبا ويرفض ايـــة محاولة لاخراجه منها . ولم يكن يسعه قط الاحتفاظ باللعب اكثر من بضع ساعات ــ كان يكسرها . ولم يكن على ما يرام مع بقية الاطفال لانه كان احيانا يؤذيهم او يحطم لعبهم . كان يكره الاطفال مثل كرهه للدمى .

ــ لمن كانت تعود الـــدمى ؟

ــ لاية فتاة . فقد هشم فى احدى المرات دمية جميلة لابنة عمه جين . كانت دمية كبيرة جاءوا بها من النمسا . هشمها بمطرقة . وقد كسر جميـــع الدمى التي كانت عندي . . .

فسأل سورم مبتسما :

ــ كنت تلعبين بالدمى ؟

ــ ليس فى ذلك الوقت . ولكن كان لدي بعضها وكنت احتفظ بها فـــي دولاب قديم . فوجدها اوستن ومزقها اربا .

ــ يلوح اوستن كطفـــل جانح .

ــ كلا ، ابدا . لم يكن دائما بهذا الشكل . كان يحدث ذلك احيانـــــا

ــ كأن الشيطان يدخل فيه . وعندما كان ذلك يحدث ، كان يبدو وكأنـــه شخص اخـــــر .

ــ وما هو سبب تحطيمه الدمى فى اعتقادك ؟

ــ لا اعلم . انه سريع الملل ، وعندما ينتابه الضجر تحدوه الرغبة فى فعل شيء عنيف . ومن السهل عليه ان يطلب منك أن تحزم امتعتك وتذهب معـــه فى رحلة الى الطرف الاخر من العالم .

ــ لقد طلب مني ذلـــــك فعـــلا !

ـ وبماذا اجبتـــه ؟
ـ رفضت ، فلدي امور اخرى افعلها .
ـ طيب ، لا بد وانك صارم معه ، ويمكنك لهذا ان تؤثر فيه ... اذا لم يدعــك تقتفي خطـــاه .
ـ لا يمكنه أن يقودني الى ابعد مما اريد ان اذهب !
وبدت كأنها استشعرت في كلماته تهديدا لها . وسألت بتسكك :
ـ ألا تظن انه من الافضل التوقف عن اللقاء به ؟
ـ وماذا افعل بدلا من ذلك ؟ آتي لالتقي بك ؟
وقال عبارته هذه ليستفزها مازحا ، ولكنها ، لدهشته اجابتهبرزانة :
ـ يمكنـــك ان اردت .
وحدق فيها، محاولا جهده أن يرى التعبير الذي ارتسم في وجهها . وقال:
ـ يسرني ذلـــك .
ـ ولكن ما الذي ستفعله بسأن اوستن ؟
ـ لا افهمك . ليس هناك ما يمكننا عمله . على كل حال ، ينبغي علـي ان ارحـــل الان .
ـ في هــذه اللحظة ؟ ولكن المطر لم يزل يهطل .
ـ كنت اريد ... ان استحم . اشعر كأني حزمة من القش . وعلي ان اهيء طعام العشاء فيما بعد لاحد الاصدقاء . فأرجو المعذرة .
ونهض وترك الغرفة .
وعندما خرج من غرفة التواليت ، نادته :
ـ بالمناسبة يـا جيرارد ؟
ـ لم لا تأخذ حماما هنـــا ؟
ـ كلا ، اشكرك ...
واحس لسبب ما ان اقتراحها احرجه .
ـ هل من السهل لك ان تأخذ حماما في محل سكناك ؟ هل يتوفر المـاء الحـــار دائمـــا ؟
ـ هناك مرجل غازي ـ اضع فيه شلنا و ...
وعندما تذكر الحمام ، وبابه ذا الزجاج البني ، والحوض العميق العتيق الذي يمتليء بالماء ببطء لا متناه من مرجل الماء ذي المزاج المتقلب، اخذ يشعر بان اقتراح المس كوينسي لا يخلو من الصواب . وقـــالت :
ـ يبدو ان حمامك مزعج الى حد مضحك . ما اسهل الامر هنـــا .
ـ الا يضايقك ابدا ان استحم هنـــا ؟

ـ كــلا ابــدا .
ـ حسنا ـ فى هذه الحالة ، شكرا ...
وراح يتخيل وهو يخلع ملابسه ان جيرترود كوينسي قد اضحت خليلته، وانه يسكن معها الان . ووجد لسبب يجهله أن من اليسير عليه ان يتخيل صورة كهذه . ما عدا بالطبع وجود كارولين ... لقد كانت كارولين حجـر العثرة . وطفق يتأمل فى الامر فيما هو يسترخي بحذر فى الماء الدافيء . خمس سنين من الامتناع عن الجنس وقليل من الضجر والمحاولة غيـر الموفقـة ليجني ثمار انعزاله . ثم فجأة يجد نفسه متشبكا مع اناس كثيرين ، ومـع امرأتين يمكن ان يتخذ منهما خليلتين . لقد منحته كارولين نفسها بصراحة عجيبة ـ من الاشياء التي لا يتخيلها الشخص تحدث الا فى احلام اليقظة ، فأذا ما حدثت ، فمن المستحيل مقاومتها . ومع ذلك ، كانت جيرترود افضل الاثنتين من نواح عديده . كانت تنطوى على تحد اقوى .

وتناول بعض المساحيق المستعملة فى الحمام من بين صف العلب عـلى عتبة النافذة . كانت تنبعث منها رائحة الليمون . وعندما اعاد العلبة الـى موضعها تناهى اليه صوت غناء . وراح يستمع باهتمام فادرك انه صـوت المس كوينسي . وتوقفت بعد لحظة . وظل جالسا ، مرهفا اذنيه ليميـز صوتها من خلال ضجيج الماء الذى يعود ليملأ حوض الماء الحار . كان مـن العسير عليه ان يتصور المس كوينسي تغنى لنفسها ، وخصوصا بعد الحديث الـذي جرى بينهما .

وفيما هو يجفف جسده ، سمعها تتنقل فى الغرفة المجاورة . كانت تلك الغرفة التي تنام فيها كارولين . واخذ يمسط شعره وهو يترنم فى لحـن من سمفونية بروكرفييف . ومضى يتساءل كيف يتوصل الى معرفة جيرترود كوينسي معرفــة افضل .

وفتح الباب ووضع قدمه على ارضية الغرفة . وسمع حركتها فى الغرفة التي تقع عند نهاية الرواق . فراح يمشى صوبها ، وهو يطأ الارض بهـدوء علـى البساط السميـك .

فقالت : اوه ، لقـد افزعتني !
ـ آسـف .
ـ كيـف تشعر الان ؟
ـ عظيـم . افضل كثيـرا .

وانتهت من نشر الغطاء ثم سوينه . وفيما هي تلتفت امسك بهـا مـن خصرها ورفعها عن الارض ودار بها دورة حول نفسه قبل ان يعيدها ثانيـة

علـــى الارض . وقــــال :
ــ ينبغي ان اغتسل مرارا اكتـــر .
وأثاره لمس جسدها . اما هي فقد توردت وجنتاها . وقالت :
ــ يسرني أنك تشعر بتحسن .
ورأى من الصعب عليه ألا يمد يده اليها ثانية . وقبل أن يعتزم ان يكرر العملية ، خرجت من الغرفة وهي تقــول :
ــ تعال . يجب الا تكون هنا .
ــ لــــم لا ؟
ــ لانهــــا غرفة نومي .
ــ ليس هــــذا سببــا معقولا .
فقـــــالت :
ــ لن يروق ذلك للاخرين .
وتبعها هابطا السلم . وقال :
ــ لن يعلم الناس بذلك . كما انه ليس من شأنهم ، على اية حال .
ــ من المحتمــل الا .
وسبقته الى المطبخ . واخذ سورم يحس كأنه يلاحقها ، فأمسك عــن تتبعها وذهب بدلا من ذلك الى غرفة الجلوس . وجلس هناك وحاول أن يقرأ الصحيفة ، على حين كانت افكاره تقوده باستمرار الى الاحساس الذي يثيره فيه لمسها والى عدم مقاومتها محاولته . وجعلته شكوكه يحس بالقلق ، ومــا لبث ان شعر بالامتعاض من نفسه . وبعد هنيهة ، فتحت الكوة بين المطبــخ وغرفة الجلوس وسألت :
ــ اترغب في قدح من الشاي قبل مغادرتك ؟
ــ اه . . . شكرا . ماذا تفعلين الان ؟
ــ اغسل الصحون .
ــ هل تريدين مساعدة .
ــ كلا . شكرا . انهيت كل شيء تقريبا .
وذهب الى المطبخ فالفاها تقف الى المغسلة وقد ارتدت صدرية مــن البلاستيك . وقـــالت :
ــ ما كان ينبغي لك أن تأتي .
ــ لا ؟
وقف خلفها واحاطها بذراعيه من الوراء ، وقـــال :
ــ أردت ان آتي . وبعد تلك الوجبة الفاخرة . . .

ـ توقــــف ، يا جيرارد !

ولم تبد اية محاولة لازاحة يديه . فأخفض راسه حتى استقر ذقنـه علــى قمــة رأسها .

ـ هــل تعارضيني ؟

ـ بالطبع اعارض . توقف ، ارجوك .

فخلى سبيلها وتناول منشفة صغيرة .

ـ هل يغضبك ان يلمسك احد ؟

ـ كلا . . . ولكنه عمل لا معنى له ، اليس كذلك ؟

لم تكن لهجتها مشجعة ، ولكنه كان قد اتخذقرارا . وقال بلهجة مرحة :

ـ اوه ، لا اعلم . ولكن ينبغي ان اعترف باني استمتع بــه .

ـ لا تكــن سخيفا .

ـ سخيــف ، لمـــاذا ؟

ـ ينبغي الا تغازلني لمجرد دعوتك للغداء معي .

وتناول اخر شوكة منها واخذ يجففها .

ـ انبئيني ، يا جيرترود . . . شهود يهوه هؤلاء الذين يزورونك . . . الا يغازلونك ابدا ؟ اعني الرجال منهم ، بالطبع .

ـ اكثرهم متزوجون .

ـ همممممم . وكيف الحال مع اصدقائك الفنانين .

ـ اي فنــــانين ؟

ـ اخبرني اوستن بان لك اصدقاء متأدبين كثيرين .

فنظرت اليـــه بدهشة :

ـ لست افهم عم تتحدث . اعرف واحدا أو اثنين ممن يسكنــون في همبستيد ـ ضابط متقاعد ، ومراجع لدى احد الناشرين .

وارتاب سورم فى انها تحاول ان تتعمد فى جعل الحديث لا يتركز فــي موضوع معين . وكان ابريق الماء قد اخذ يغلي ، فبدأ تبتهيئة الشاي . وقال:

ـ وهل تعارضين فى ان يغازلك احد ؟

ـ لا تكــن سخيفــا .

ـ ليس هذا بجواب .

فابتدرته بقولها فجاة :

ـ كلا، لايهمني . ولكنه لا معنى له ، اليس كذلك ؟

ـ لا اعلــم .

كان يجلس على حافة الطاولة . وعندما استدارت حاول ان يمسك بها

مرة اخرى . ولكنها لوت نفسها بعيدا ودفعت ذراعيه .
ـ كفى ، يا جيرارد ! في الواقع لا أدري ما الذي يدفعك الى هذا السلوك.
فقـــال ضاحكـا :
ـ منذ نصف ساعة كنت تظنينني اميل الى الجنس المشابه جنسيا!
ـ كلا لم اظن ذلك ! لم اظن ذلك لحظة واحدة .
ـ طيب . ما دمت واثقا منـــك .
وصبت الحليب من القنينة الى الاناء بحركة من يدها تنم عن الغيـظ. فتدفق الحليب وارتطم بحافة الاناء وانسكب الى الصينية . وقالت :
ـ اوه ، جيرارد ، حقا !
كان يهم ان يقول : «الخطأ خطأك» عندما التفت اليه فجأة . ولدهشته وجد الدموع تكاد تطفر من عينيها . وقالت :
ـ كفى ارجـــوك !
ـ طيب . . . انا آسف . لم اكن ابغي ازعاجك .
وبدأ يشك في انها تستمتع في دخيلة نفسها بمحاولاته لمغازلتها . ولكـن كآبتها اذهلته . فاستدار ومضى الى الغرفة الاخرى والقى بنفسه على الاريكة. لم يكن موقفها يخلو من الفوائد . فقد حطم على الاقل تلك التشكيلات التـي اضجرته في المرة الماضية . والتقط الصحيفة وحاول التركيز . كـان المقـال الذي انبرى يقرأه يفيد بأن الناس يستخدمون من عضلات الوجه عنـــد التعبيس ثلاثة اضعاف ما يستخدمونه عند الابتسام ، ولهذا فيخزن الانسان طاقته عند الابتسام . فطوى الصحيفة وقذف بها الى الكرسي المقابل ومضى يعبث في قضبان النار ويتساءل ماذا سيقول لها عندما تعود . وتأخرت كثيرا في احضار الشاي . وطفق يتساءل هل تريده أن يغادر المنزل دون ان يراها. ودخلت بعد لحظة وهي تدفع عربة صغيرة .
ـ آسفة للتأخر .
فقال بصورة تلقائيـــة :
ـ لـــــم تتأخري .
ومضى يرقبها تصب الشاي دون ان يتكلم . وعندما ناولته الكوب قال :
ـ في الحقيقة اني لا افهمك .
فوضعت السكر في كوبها دون ان ترفع نظرها اليه . وقالت :
ـ لا افهمك انت .
ـ هل تستفظعين حقا ان يلمسك احد .
ـ بالطبع لا ! ولكن ان الامر مجرد . . . انه من السخف ان نبدأ بالتصرف عـــلى هـــذا الوجه .

وقال ، وقد اعتزم الا يتعاون معها فى الاجابة :
ـ على اي وجــــه ؟
ـ افضل ان نتحدث .. كما فعلنا فى الليلة السابقة ... عن اشيــــاء معقولـــــة .
فقـــــال بتعقل :
ـ انا يعجبني الحديث معك ايضا .
فلنستمر كما كنا !
ـ ولكني ارغب فى ان المسك . يلذ لي ذلـك .
وشعر بترددها .. فحاول ان يستخلص ما امكنه من الفائدة مـن هذا الحديث ، فمال اليها وقال مبتسما :
ـ وحتى في تلك الليلة ، عندما كنا نتحدث . ظللت افكر كم من الملذ ان احيط خصرك بذراعي .
واخفضت عينيها الى الكوب .
ـ ولـــكن لم ؟
ـ لاني اراك جـــذابة جـدا .
ونظرت فى وجهه بجد ، وقد اختفى الضجر من عينيها . وقالت :
ـ ولكنه امر سخيف ، يا جيرارد !
ـ لمـــاذا ؟
ـ لانــه ... مـــا جدواه ؟
فهز كتفيه وقـــال : ـ لست ادري .
ـ لا جدوى فيه . لا شيء البتة . اود ان اكون صديقتك ولكنك اصغر مني اعوامـا كثيرة ...
وقرر فجأة ان يتمادى فى المسألة :
ـ هل تريدين مني ان انقطع عن المجيء هنا ؟
ـ لا ، بالطبع ، لا اريد ذلك ! يعجبني ان اتحدث اليك . اعتقـــد ... اعتقد بانك شخص جاد وانك تبحث عن شيء ... واود ان اساعدك فـــي العثور عليه . لانني اكبر منك سنا و ... لانني مررت انا نفسي بهـــــذه المرحلة ... واستطيع فعلا ان اعاونك ... ولكننا يجب ان نكون جـــادين فى ذلـــك .
فقال وهو يهز بكتفيه :
ـ ففي هذه الحالة ، لم يعد هنالك ما نتحدث عنه .
ـ لمـــاذا ؟

وانهى قدح الشاي . وشعر بان المحادثة قد بلغت خاتمتها الطبيعية ، وبانه لم يعد هنالك مبرر للاستمرار في الحديث . فقال بلهجة صريحة جازمة :

ـ كنت وحيدا منذ خمس سنين ، ويمكنني ان امضي في وحدتي خمس سنين اخرى ، او خمسين سنة اخرى اذا كان لابد من ذلك . انا لا احتاج الى العون ، ولم احتج اليه قط . واني ارغب في أن التقي بك ، ولكنك اذا شرعت ترسمين الخطوط وتضعين الحدود ، فالافضل ان استغني عن الامر كله .

وضع الكوب على الصينية . فسألت :

ـ المزيد من الشاي ؟

فنظر الى ساعته وقال :

ـ كلا ، شكرا . يجدر بي ان ارحل .

فقالت بهدوء :

ـ يجب الا نتخاصم .

ـ حسنا .

ولم يكترث لشعوره بأن علاقتهما قد بلغت خاتمتها . وقالت :

ـ تناول قدحا اخر من الشاي .

ـ حسنا .

فصبت الشاي وناولته اياه . فشربه بصمت . وبدات تتكلم ، بلهجة مترددة :

ـ اعلم انك كنت وحيدا . وانا لا اريد ان ... احاول ان اتدخل لقد اعتدت انت الى شعورك بأن عليك ان تخوض المعركة وحيدا حتى اصبحت تشك في الاخرين . لقد صممت اذنيك عنهم . ولكني اعلم بأنك لست في الحقيقة بهذه الصلابة ... اعلم بأنك مفعم بالاحاسيس ... وربما تخشى ان يؤذيك احد ...

وجعله ميلها لاستعمال تعابير مثل « تبحث عن شيء » و « تخوض المعركة » ان ينتفض في داخله وان يزيد من ضجره . وراح يتساءل هل كانت تنظر الى محاولاته للتغزل بها على انها عملية معقدة يدافع بها عن نفسه ضدها . وقاطعها بقوله :

ـ ان رغبتي في مجانبة جماعتك من شهود يهوه ليست لاني اخاف الاذى انه الخوف من ان اصاب بالسأم .

وظل لحظة يتساءل هل تمادى في كلامه . ولكن لم تبد على وجهها دلائل التأثر . وقالت بلهجة عاقلة :

ـ لم اسع في ان اجعلك تقابل واحدا منهم ، أليس كذلك ؟

ـ صحيح جدا .

ونهض وقال :

ـ يجب ان اغادر الان .

كان الاضطراب باديا في وجهها وهي تنظر اليه ، واستشف من سورم انها كانت تحاول ان تقيس مقدار امتعاضه منها . وقالت بتردد :

ـ انك لتفهم ، هه ؟

ـ اجل ، افهم .

ـ ولن تخبر اوستن ؟..

ـ كلا .

وتبعته وهو يخرج الى الصالة . واحكم ازرار معطف المطر ولف الحزام حول خصره ثم انتزع غطاء الراس « البيرية » من جيبه . وهيمن عليهما الصمت ، الصمت الذي كانت تملؤه عادة كلمات الشكر والرد عليها والتفاهم الغامض على اللقاء مرة اخرى . وبدا له الموقف منطويا على مهزلة كبيرة ، غابت عن المس كوينسي تماما ، ولم يستطع ان يكبح ابتسامته . وقالت له وهو يفتح الباب : وداعا ، يا جيرارد .

ـ وداعا .

والتفت اليها وامسك بها من خصرها وسحبها اليه . واحس بها تتصلب برهة بين يديه ثم ترتخي . ولوت بوجهها قليلا حتى تلمس شفتاه وجنتها . وظل ملصقا شفتيه بوجنتها لحظة واحدة وهو يحس بدفء الانتصار يتحرك فيه ، ثم خلى سبيلها . واستدار مبتعدا عنها وخرج من الباب دون ان يلتفت الى الوراء . وسار بحذر على العشب المبتل كي لا يتزحلق فيفسد خاتمة الفصل .

وبينما كانت الدراجة تنحدر من تلقائها الى اسفل طريق ايست هيث احس بنشوة صرفة . وقال بصوت عال : ايتها الحمقاء،حان وقت نضوجك!

* * *

دقت ساعة الكنيسة معلنة الرابعة عندما كان يمر بمحطة نفق تشوك فارم . وذكره منظر حوانيت البقالين بانه لم يزل عليه ان يبتاع الطعام لغلاسب . واشترى نصف باون من لحم الخنزير المقدد واربع علب من الخضراوات وكدسها في حقيبة الدراجة .

وعندما هم بركوب الدراجة ثانية وقع بصره على عنوان الصحيفة المسائية في داخل المحطة . فرمى بعدد من قطع النقود في علبة النقود وتناول واحدة منها . كان عنوان الصحيفة البارز يقول : « هل انتقل

القاتل الى غرينتش » ؟

وشعر بالقلق يتحرك في احشائه ، فاتكأ على الجدار ومضى يقرأ .

« عثر على جثة امرأة شابة في مستودع للبضائع مهجور يقع بالقرب من طريق غرينتش صباح اليوم . وقد شخصت الجثة في وقت مبكر من هذا المساء من قبل زوجها واتضح انها دوريس اليزابت مار التي تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما وتسكن في شارع البحري في ديبتفورد . وقد افاد زوجها الى البوليس ، ويدعى ريجينالد مار ويبلغ من العمر ٢٦ عاما ويعمل ليلا في محل غسيل ديبتفورد ، بأن زوجته قد خرجت في الساعة العاشرة من الليلة الماضية لزيارة امها في وولويتش .. »

وانتقل بنظره الى اسفل العمود : « ان السؤال الذي يوجهه الى انفسهم القاطنون جنوب النهر هو : هل قرر مجرم وايتشابل الانتقال ؟ »

وشعر باحساس كريه الى حد غريب يوخزه ويثير فيه الاشمئزاز ، احس بحرارة وبشعور لزج في منطقة معدته .

وابتاع في محطة كنتش تاون الصحيفتين المسائيتين الاخريين ولفهما ودسهما في جيبه . وكان يصاحب هذا الشعور بالاشمئزاز ، بطريقة ما ، احساسه بالرضى كلما كان يفكر في المس كوينسي . واستعصى عليه فهم هذا الاحساس بالتطير الذي اورثته اياه قراءة الخبر .

ولما عاد الى غرفته ، جلس على السرير وطفق يقرأ بترو التقارير الثلاثة المنشورة عن حادثة القتل . وقد نشرت احدى الصحف مقالا مفصلا عن الحديث معززا بمخطط يبين موقع الجريمة ، وتساءل كاتب المقال كيف انحرفت المرأة عن الطريق المعتاد من ديبتفورد الى وولويتش ، وكان يميل الى الشك في ان يكون قاتل هذه المرأة هو نفسه مجرم وايتشابل .

كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة الثلاثين فقط . ولا يتوقع وصول غلاسب قبل ساعتين . وعندما اغلق عينيه ، طاف في مخيلته وجه المس كوينسي ذات الفم الناعم والعينين الفزعتين قليلا . كانت تلك النظرة هي ما تبدو عليه المرأة قبل ان تدرك النية التي تكمن وراء العنف الذي يظهره الرجل الذي اعتزم قتلها . وحاول جاهدا أن يبعد وجهها عن ذهنه والفاه يبزغ من جديد كلما اغلق عينيه . واهتز جسده رثاء لها وقرفا منها ، فمد يده الى المكتبة وتناول اول كتاب لمسته انامله ، فكان كتاب « الجيل ذو القصص السبع » تأليف ميرتن . وشرع يقرأ ، ولكنه وجد من العسير عليه ان يركز عليه . واخيرا ، وضع الكتاب على الأرض واغلق عينيه ثانية .

لم ير شيئا في اول الامر . كان نوما نقيا لم تتخلله الاخيلة . ولكنه ما لبث ان راى المنظر : في الظلام الباهت ، في مستودع البضائع ، كان هنالك حيوان يسبه السرطان ، شيء مسطح له اطراف ذات مخالب ، ولم يكن يحس بوجود اي شيء سوى هذا الحيوان الذي يتسبه السرطان ، يتحرك بصمت في تلك العتمة ، يتحرك بطريقة غريبة ، مائلة ، ولكنه ينحرك نحو الهدف ، والهدف هو ذاته ، وقد امتلكه دافع ما ، وهدا الدافع هو ذاته ، هو تماسك ذاته التام برغبة واحدة ، بسهوة واحدة ، وبيقين واحد. لم يكن هذا انسانا ، كان ما يكمن في اعماق الانسان اذ هو ينتظر .

* * *

وسمع سورم طرقا على الباب في الطابق الاسفل بينما كان يقشر البطاطا . فهتف : هلو !

فاجابه صوت غلاسب : اه ، لقد قصدت المكان الصحيح ، اذن !

فقال سورم :

ــ طيب . اصعد . لقد بدات توا بتهيئة العشاء .

وارتقى غلاسب السلم بحذر ، واخفض راسه عندما وصل عطفة السلم . وانجز سورم تقطيع البطاطا الى شرائح والقى بها في السمن النباتي الذي كان يئز في القدر . وتناول غلاسب جريدة قديمة من الطاولة وطفق يمر بنظره على الصفحة الامامية دونما اهتمام . كان يجلس وقد مد قدميه الى الامام وكتفاه ملتصقان بالجدار . وكان وجهه كما كان عليه في اليوم السابق شاحبا غير حليق . ولاحظ سورم ان جوربيه كانا من لونين مختلفين . وقال :

ــ يظهر ان مجرم وايتشابل قد غير بقعة نشاطه ...

ــ ماذا ؟

ــ الم تقرا الصحف ؟

ــ كلا ؟

ــ تصدى احدهم الى امراة في غرينتش وقتلها . ويظهر ان السرطة يعتقدون انه الرجل نفسه ...

فقال غلاسب :

ــ غرينتس ؟ لا اصدق ذلك . لا يمكن ان يكون الرجل نفسه .

ــ لم لا ؟ ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه ملازم لسبيتالفيلدز ؟

فهز غلاسب كتفيه :

ــ لا اعلم . ولكنه لازم تلك البقعة الى الان ، اليس كذلك ؟

ــ نعم ، ولكن هذا بالتأكيد سبب جيد ليجعله ينتقل. اذ ان وايتشابل سرعان ما ستصبح اكثر حرارة مما يمكنه احتماله . وماذا يدفعك الى الاعتقاد بانه يريد ان يبقى هناك ؟ هل تعتقد انه يبحث عن شيء ما في وايتشابل ؟

فقال غلاسب :

ــ والان ، كيف لي ان اعرف ؟ ان حدسك ليس افضل من حدسي. لقد سمعت اليوم احدهم يقول ان الفاشست فعلوا ذلك لارهاب اليهود .

ــ اين سمعت بهذا ؟

ــ شخص ما يقف على الرصيف . انه شيوعي .

ــ هل كانت احدى الضحايا من اليهود ؟

ــ لست ادري . لا اظن ذلك .

ــ ولكنك لا تظن ان قاتل غرينتش هو نفس الشخص ؟

فقال غلاسب وقد نفد صبره :

ــ اوه ،ارجو الا تسألني ! فلست ادري .

واحس سورم بان الامتعاض الذي بدا على غلاسب لم يقصد به الاساءة . فكبح سورم وخزة الانزعاج التي ولدها غلاسب . وتوصل الى ان هذه الفظاظة الظاهرية في سلوك غلاسب انما هي وليدة حياة الوحدة مدة طويلة . وقال :

ــ آمل ان يقبضوا على القاتل ، لنعرف من هو .

ورفع غلاسب نظره اليه ، وقال بلهجة ساخرة :

ــ اعتقد ان الكثيرين من الناس يشعرون بهذاالشعور .

ــ اي شعور ؟

ــ يريدون ان يلقى القبض على القاتل ليرضوا فضولهم ، وليس لانه يقتل النساء .

فقال سورم بجد :

ــ انك لعلى حق . على كل حال ، كيف لاحدنا ان يقرن نفسهبالعاهرات اللواتي يقطن فيالقطاع الشرقي من لندن ؟ ربما يعتقد اكثر الناس ان القاتل اجدر بالرثاء من ضحاياه . على الاقل انه يفعل ما في وسع اكثر الناسفعله. . .

ــ هل تعتقد ان اكثر الناس مجرمون ؟

ــ اجل . نحن لم نزل حيوانات ذات شهوات مفاجئة عنيفة . لا يمكنني ان احصي المرات التي امر فيها بامراة في الشارع فأتمنى لو استطعت ان انالها في الظلام . الم تمر بمثل هذه الحالات ؟

ــ احسب ذلك . ولكن امر هذا القاتل اكثر من مجرد الاغتصاب . اما

انا فاريد ان يمسك بالقاتل لانه مصدر رعب فى الجزء الذي اسكن فيه . فربما يجهز غدا على شخص لي معرفة به .

وبرزت لكنة غلاسب الشمالية بصورة اوضح . واثرت نبرته فى سورم بجديتهـــا . وقـــال :

ــ احسبك على حق . وهذا سبب اخر نأمل من اجله ان ينتقل الـى غرينـــتش .

ــ وما هو الاختلاف فى الامر ؟ اينما يتحرك ، تندمر حياة اناس . عـلى الناس ان يموتوا لمجرد ان هناك انسانا له اسوا من صفات الانسان ، حيوان قذر ، مخلوق لا يفكر الا بلذته ، معدوم الحس الاخلاقي .

كان غلاسب ثائرا حادا فى لهجته الى حد جعل سورم يقرر ان يغيـــر الموضوع . وسجل ملاحظة فى ذهنه ان يثير الموضوعتانية عندما يكـــون غلاسب فى حالة نفسية افضل . وقال :

ــ طيب . لنتأمل ان يلقى القبض عليه عاجلا . هل تعود الى الغرفة؟ تحتاج شرائح البطاطا هذه الى عشر دقائق اخرى .

وفتح زجاجة من النبيذ الاحمر وصب محتوياتها فى قدحين . وتلمظ غـــلاسب بشفتيه قائلا :

ــ هذا النبيذ من النوع الجيد . لطيف جدا . ما نوعه ؟

وتناول الزجاجة ونظر الى رقعة العنوان . وقال سورم :

ــ احب الشراب ، عندما يمكنني شراؤه .

ــ اوافقك على ذلك . اما انا فلم استطع خلال السنين الخمس الماضية اقتنـــاء شيء سوى الشراب الاسباني الذي يشبه الماء العكر .

ــ سأتركك لحظة . تتصفح كتبي . وهناك بعض الاسطوانات اذا كنت تهوى الموسيقـــى .

وفتح الباب فاذا به يصطدم بكارولين التي كانت قد رفعت يدهـــا لتطرقـــه . وقـــال :

ــ هلو ، ايتها العزيزة ! لم اكن اتوقع مجيئك .

ــ لم آت للبقـــاء ، فـــلا تخف .

وصارت في داخل الغرفة ، وقال سورم :

ــ انكما لم تتعرفا على بعضكما، ها؟ اوليفر غلاسب ، كارولين دينبغ.

فقالت كـــارولين :

ــ اوه ، انت اوليفر غلاسب المعروف ! التقيت بك قبلا فى محل مـــا اليس كذلـــك ؟

كان غلاسب يحدق فيها ، وفي وجهه تعبير غريب كئيب . وقال :
ــ لا اعلم .
واتسعت لكنته فاصبحت متعمدة كلكنة ممثل هزلي من يوركساير .
ووجد سورم وهو ينظر الى كارولين انه من المستحيل ان يتصور السببالذي يدفع غلاسب الى السخط . كانت مرتدية معطفا من الفراء له غطاء رأس من الفراء ايضا يكاد يغطي وجهها . وكان وجهها الذي تحيط به خصلات من الشعر الاشقر ، يبدو ورديا مدورا كوجه دمية . وقال :
ــ هل لك في قدح نبيذ ، ايتها العزيزة ؟
ــ اوه ، لا بـــأس .
وازاحت غطاء الراس الى الخلف لتحتسي اول رشفة من النبيذ. كانت ترتدي قفازا اسود . وقـال سورم :
ــ يجب أن اذهب الى المطبخ لقلي بعض البطاطا . تعالي معي .
وعندما كانا لوحدهما في المطبخ ، قالت :
ــ لا اظنه يميل الي كثيرا .
ــ اوه ، لست ادري . انه خشن السلوك دائما . ولكنه لا بأس بـــه عندما يكون الانسان على معرفة وثيقة بـــه .
ــ اليس الجــو حارا هنــا ؟
ــ اخلعي معطفـــك .
ــ كلا ، يا عزيزي . انا في طريقي الى التمرين وقد خطر لي ان امر بـك لاسلم عليك . لا يبدأ التمرين قبل الثامنة . اردت ان اتحقق من انك لستمع نساء اخريـــات .
ــ مـــن اين اقبلت ؟
ــ من عند العمة جيرترود . سأنام عندها الليلة .
ــ اوه ، نعم . كيـف حالهـــا ؟
ــ انها بخير . لماذا ارادت رؤيتك ؟
ــ حـــول اوستـــن .
ــ آه . نعـــم !
ــ لمـاذا ، ماذا ظننت ..؟
ــ اوه ، لا اعلم . انها تريد ان تزج بك بين شهود يهوه .
ــ كيـــف علمت ؟
ــ اوه ، ان الامر واضح ، ماذا ارادت ان تعرف عن اوستن ؟
ــ لقد اكتشفت انه منحرف جنسيا . واعتقد بانها كانت تريـــد ان

تعرف هل اني مثلـــه .

ــ ومـــاذا قلت لها ؟

ــ دفعت بها الى الفراش بعنف وجعلتها تعتقد بأني عنز مقنع .

ــ لا تكن سخيفا ! ماذا قلت لهـــا ؟

ــ اوه ، لا شيء . . حاولت فقط ان اقنعها بأن لا جدوى في القاءمحاضرة على اوستن عن قوانين النبي موسى . تلقت الامر بصورة حسنة عموما .

ــ اخبرني ما جرى بينكما بالتفصيل .

وحدثها عما جرى بينه وبين المس كوينسي عندما كان يغلي قطع لحم الخنزير المقدد ، وانهى قصته عند الحد الذي ذهب به ليستحم . وقـالت :

ــ كانت تبدو مشوشة عندما عدت الى البيت . وقلت ترى ماذا جرى!

ــ كم كـــانت الساعة ؟

ــ اوه ، حوالي الرابعـــة .

واخذ يهز قطع البطاطا في السلة السلكية فارتفعت القطع السمراء الـى الاعلى ، ثم غمرها مرة اخرى في السمن الذي كان يغلي وقال :

ــ هل تعلم جيرترود انك آتية الي ؟

ــ كلا . خامرني شعور بانها ستحس بالغيرة .

ــ لماذا ؟ هل تعتقدين انها تلاحقني ؟

ــ لا اظن ذلـــك .

ــ لم اذن ؟

ــ لانها اكتشفتك قبلي . واعتقد انهاتريدك ان تحضر اجتماعاتها الدينية .

ــ همممم . . .

والقت بمعطفها على كرسي المطبخ . كانت ترتدي بذلة حمراء صرفة لها شريـط من الفراء حول الرقبة . فانحنى وقبلها واحس ببرودة شفتيهـــا اللتين انفرجتا حالا عن داخل فمهـــا .

ــ ليس الان . لديك زائر فيغرفتك!

ــ لن يكون لدي زائر غدا ليلا .

ــ فعليك ان تنتظر الى الغد ، اذن ، ها ؟

ــ واحس برعشة من البهجة بصراحتها . وقال :

ــ يمكنك العودة فيما بعد هذه الليلة . . .

ــ لا استطيع . قد تساور العمة جيرترود الشكوك ، فينبغي علي بعـد ذلك ان اذهب الى البيت في ويمبلدون كل مساء . . .

واخذ غطاء القدر يهتز بقوة عندما كان يدفع به البخار . وتركها وهـو يحس بالاسف وعاد الى المطبخ . وقـالت :

ـ اتعلم ، لقد التقيت بهذا الرجل فى محل مـا . . .

ـ ايـــن ؟

ـ لا اعلم . دعني اتذكر . سانت مارتنز . . . سانت مارتنز . . .

ـ مدرسة الرسم ؟

ـ كلا ، أ . . . انه شيء . . . آه تذكرت . فى ساحة اللهو فى طريـــق تشيرنك كروس . رأيته هناك .

ـ لا يبدو على اوليفر انه يرتاد مثل تلك المحلات !

ـ بلى ، كان هو . اني واثقة . كانت تصحبه فتاة صغيرة ، وقد اثـار شجارا حول احدى الالات ـ لم تشتغل . كان يرتدي معطفا سميكا قذرا .

ـ كيف كانت الفتاة ؟

ـ لست ادري . لم الاحظها فى الواقع . كانت فتاة صغيرة ـ فى العاشرة او الحادية عشرة مثـلا .

ـ جميلـــة ؟

ـ مـــاذا ، بهذه السن ! لا اخالك تظنه يميل الى فتيات بهذا السن ؟

ـ لست اظن ذلك . ولكني رأيت لوحة زيتية رسمها لفتـاة صغيرة ، ربمـــا تكون هي .

واستدار واطل الى اسفل الدرج ليتحقق هل يصل صوتهما الى غلاسب فاستبعد ذلك . وسألت :

ـ كم الساعة الان ، يا جيرارد ؟

ـ السابعة والدقيقة العـــاشرة .

ـ ينبغي أن اذهب .

ـ الا ترغبين فى شيء من العشاء ؟

ـ كـلا ، شكرا ، تناولت الشاي .

واخرج الصحون الدافئة من تحت الشبكـــــة الحديدية واستخدم سكين السمك ليضع عليها لحم الخنزير . ثم هز قطع البطاطا ليخلصها من السمن وافرغ البطاطا من السلة السلكية ووضعها على الصحون . وقـــالت كارولين مستحسنة عمله :

ـ ممممم ! انك طباخ ماهر . اذا حدث وتزوجنا فستكون نافعا جدا .

وسألهـــــا :

ـ اتريدين الـــــزواج ؟
ففركت كتفه براسها :
ـ لن ارفض الزواج بـك .
ـ مـاذا ! بعد معرفة اقل من اسبوع ؟
وعندما التفت ليواجهها احاطت رقبته بكلتا ذراعيها ، وقالت بصوت نـاعم كأنها تدافع عن نفسها :
ـ لا حاجة بي ان اكون على معرفة بك مدة طويلة . اني اعرفك الان جيدا .
ـ صحيح ؟ ماذا تعرفين عني ؟
ـ على كل ، انك لطيف المزاج . . . وستحقق يوما ما نجاحا هائلا .
ـ هممم . لا اعرف شيئا عن لطف المزاج هذا .
وسحبت راسه اليها . وبعد ان قبلها قالت :
ـ هل افضي لك بسي ؟ قررت ان ارسم الخطة لان احظى بك منـــذ اللحظة التي رأيتك فيها عند العمة جيرترود . ما كان ينبغي لي ان اقول لك ذلك .
ـ لــم لا ؟
ـ يشعرك ذلك بانك ملاحـــق .
ـ ولكني عفيف . (١)
ـ انا لا اقصد ذلك ، سخيف ! اعني قد يجعلك تشعر انك ملاحق .
ـ انـا فعلا ملاحق .
ـ صحيح انك كذلك ـ فهل يضيرك في شيء ؟
ـ كـــلا مطلقا . انظري ، أيتها العزيزة ، يجب ان اذهب بالعشاء الـى اوليفر . فتعالي وتناولي شيئا من السراب .
ـ كلا ، فلم اتم هذا بعد . وعلى كل حال ، لا اريد ان ادخل الغرفـــة مرة اخرى . لذا اقول لك وداعا الان . لا ترافقني الى الاسفل .
وعندما قبلها، الصقت جسدها به ونفثت فيه الدفء . ولما خرجت استنشق الهواء بملء رئتيه واطلق زفرة طويلة . واحس بألم في صدره وظهره كأنه تلقى ضربة بوسادة . وكان يحس بالشهوة تخفق وتخبو .
وكان غلاسب يجلس على السرير وهو يقرأ في احد مجلدات « محاكمات بريطانية شهيرة » . وتسرع ياكل بسرعة وشراهة . وبعد ان ابتلع لقمتيـن من الطعام قال بصوت غريب مبحوح :
ـ وااااه ! كنت احتضر من الجوع !

---

(١) هناك تشابه لفظي في اللغه الانكليزية بين كلمتي « ملاحق » و « عفيف »

فقال سورم مبتسما :

ـ عظيم .

كان سورم اكثر انصرافا الى التفكير في كارولين من رغبنه في الكلام . وظلا يتناولان الطعام بصمت مدة عشر دقائق وملأ سورم القدحين للمرة الثانية . ووضع غلاسب صحنه الفارغ على الارض وجذب انتباه سورم نحوه بزمجرة حيوانية قائلا :

ـ قلت انك لم تسمع باخر جريمة قتل ارتكبها جاك السفاك ؟

ـ صحيح .

ـ ولكنها مذكورة هنا .

وابتلع غلاسب ما تبقى من الطعام من فمه ، وسعل لينقي حنجرته واخذ يقرأ :

« في صبيحة يوم ١٨ تموز عام١٨٨٩ وجدت امرأة مجهولة الهوية قتيلة في زقاق كاسل في وايتشابل وكانت الجروح التي اصيبت بها نشبه تلك التي وجدت على جثث الضحايا السابقة وفي الساعة الثانية عشرة والربع من الصباح الذي ارتكبت فيه الجريمة دخل الزقاق احد رجال الشرطة وتناول عشاء خفيفا تحت مصباح الشارع . ونرك الزقاق في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين ليتحدث الى شرطي اخر من نفس النوبة . ولما عاد في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين وجدت امرأة قتيلة تحت مصباح الشارع حيث وقف سابقا . وكانت الارض تحت الجثة يابسة بالرغم من ان ملابس المرأة كانت مبتلة . فقد انهمر زخة من المطر في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين . وعليه فقد حدثت جريمة القتل هذه بين الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين والساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين ، عندما اخذ المطر بالهطول ... »

وقال سورم :

ـ لم اقرأ هذا قبلا . ما هو الكتاب ؟

ـ محاكمة جورج تشابمان .

ـ اه ، نعم وجدت الكتاب في الغرفة عندما انتقلت اليها يوم السبت الماضي ، ولكن الا يذكر الكتاب فيما اذا عرفت المرأة ؟

ـ نعم . كانت العمة سالي . سالي مكنزي .

كانت قنينة الشراب تكاد ان تفرغ . وفتح سورم قنينة اخرى . واسترخى غلاسب مستندا الى الجدار ، ومد ساقيه على الفراش وهو يتثاءب . وقال :

ـ كانت وجبة شهية . انك سعيد الحظ ، يا جيرارد .
ـ لماذا ؟
ـ اوه ، لديك مال كاف لتفعل ما تشاء .
ـ وانت ؟
ـ كلا ، ابدا . ان دخلي اليسير يانيني من تاجر حقير يمتص دمي حتى ينضب !
ـ هل ياخذ جميع لوحاتك ؟
ـ كلا . فقط تلك التي يستطيع بيعها . مثل مناظر في الشارع او مناظر طبيعية مزوقة .
ـ وتعتمد في معيشتك عليها . شيء عظيم .
ـ لا تدر ربحا يذكر .
ـ على كل حال ،كيف اكون انا سعيد الحظ ببضع مئات من الجنيهات سنويا ؟ الانسان السعيد الحظ هو فقط الانسان الذى له القابلية على الخلق. اما انا فقد تسمرت الى الكتاب نفسه منذ خمس سنين .
ـ لم لا تتمه ؟
ـ لا استطيع . ولكنني مستمر في المحاولة . هناك شيء افتقد اليه .
ـ ما هو ؟
ـ اوه ... الوحي ، على ما اعتقد .
ـ اهذا كل شيء ؟
ونظر سورم اليه . كان واضحا ان الطعام قد لطف من مزاج غلاسب الى حد كبير . وقال سورم :
ـ لا ، ليس هذا كل شيء . لدي مشاكل اخرى ايضا .
ـ مثلا ؟
فقال سورم مبتسما :
ـ لا ادري اذا شرحتها لك هل تفلت زمام نفسك .
فقال غلاسب :
ـ ايه ؟ انا ؟ ماذا تعني ؟
ـ اوه ... اعني حالتك عندما كنت ابحث معك جرائم وايتشابل اول ما اتيت .
ـ اوه ، الامر يختلف هنا ...
ـ لا يختلف كثيرا . لاني اجد بعض جوانب نفسي يعكسها ذلك القاتل. الا تلمسها انت ؟

ـ كلا . وعلى كل حال ، فما علاقة ذلك باكمال كتابك ؟

ـ طيب ساحاول ان اشرح .اني اسأل نفسي : لم يقترف الانسان جريمة جنسية ؟ انا اعلم ان بعض السبب يعود الى محض الضعف . ولكن هذا لا يجيب على السؤال . وقد قرات قبل ايام ان سبعين في المائة من الجرائم الجنسية فى الولايات المتحدة يقترفها مراهقون . فما هو فى اعتقادك السبب ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

ـ لان سيطرتهم على انفسهم افل في تلك السن .

ـ ليس هذا فقط . لانهم يظنون بانهم سيحصلون على اكثر مما يحصلون عليه عادة . قرات مرة عن قضية شاب كان يسوق سيارة لوري ومر بفتاة في طريق مقفر . فاستدار بسيارته وصدم بها الفتاة ثم اغتصبها فى مؤخرة سيارته . وبعد ذلك القى جثتها في بئر هناك ومن ثم نسفالبئر بالديناميت . واخيرا القي القبض عليه وارسل الى الكرسي الكهربائي .

ونوقف سورم عن الكلام ليفسح المجال الى غلاسب لببدي رأيه . ولما راى سورم ينظر اليه قال غلاسب :

ـ حسنا ، نال عقابه ، اليس كذلك ؟

ـ نعم ، ولكن ليس هذا ما يستوقفني . ان الذي اثر في هو حماقة العمل ، والتفريط بالانسان ، والموقف الذي يثير العطف . حاول ان تضع نفسك في محله . . . هل نستطيع ؟

ـ اظن ذلك .

ـ افرض انه افلت بفعلته هذه . فما هو شعورك نحو فعلتك هذه ، وانت تعود بذاكرتك اليها . . . حتى ولو كنت لا تخشى ان ينكشف امرك ؟ الا نشعر بالفراغ السخيف بين الدافع الذي حدا بك الى ارتكاب الجريمة وبين ما ظفرت به فعلا منها ؟ فقد راى هذا الانسان فتاة مغرية على قارعة الطريق . وفجاة ، احس بانها تمثل لديه كل ما فرضه عليه سن المراهقة من محرمات وضروب الفشل . فيحس بانه ينبغي عليه بالحاح ان يظفر بهذه الفتاة . اتذكر ، في الميثولوجيا الاغريقية ، كيف ان الاله زيوس مضى يغتصب كل من يراها ـ وكيف حول نفسه الى اوزة ثم الى حمامة ثم الى نور ؟ جعل شقيقته ديميتر تلد له ابنة ثم اغتصب تلك الابنة ايضا . . .اتفهم ما اعنيه ؟ لقد شعر هذا المراهق بذلك تماما . . . شعر بان له ما للاله من امتيازات . انه يتمرد على قيوده فيستدبر بسيارته . . . ولكنه ليس الها ، وهو يعيش في دولة لها قوانين ، فتحكم عليه القوانين بالموت .

ـ كان غلاسب قد بدأ يبتسم بينما كان سورم يتكلم . ثم قاطعه بقوله:
ـ ولكنه ليس بالذكاء الذي تتصوره . هل تظن بان لديه اية فكرة عن زيوس وعن ليدا عندما استدار بسيارته ؟
ـ كلا ، ولكني احاول ان اصف مشاعره ، بالرغم من انه لا يستطيع التعبير عنها . . .
ـ اعلم . ولكن ذلك غير صحيح . قد لا يعدو ان يكون هذا الشخص قرويا سمجا كالثور الهائج لا يفكر الا بعدد الفتيات اللواتي يمكنه ان يثقبهن خلف جدران المراقص في امسيات ايام السبت . وهو عندما يغتصب الفتاة ، لا يحس باية شفقة عليها لانه قتلها بسيارته . انه لا يشعر بذلك ، اذ لو كان يرغب فيها حقا لاستطاع بكل سهولة ان يتعرف عليها وان يغويها دون ان يلجأ الى قتلها . ان حياتها لا تعني شيئا بالنسبة له ، ولا مشاعر ذويها . انه يضع كل ذلك في كفة وشهوته العمياء في كفة اخرى ، ويدع شهوته تربح . فهل نشعر باي تعاطف معه بعد كل ذلك ؟
ـ اتفق معك ، انك على حق. ولكن مع ذلك ، ليست هذه هي الحقيقة كامله . اصغ . في يوم من الايام كنت اقود دراجتي على الشارع المحاذي الى النهر فرايت فتاة بصحبة احد الجنود ينظران الى النهر . كان يوما عاصف الرياح ، وفجأة اطارت الرياح رداءها فارتفع الى فوق رأسها . واقول لك، شعرت كانني تلقيت رفسة في معدتي . وظللت عدة اسابيع بعد ذلك ينتابني شيء يشبه الحمى كلما فكرت بالحادث .
فقاطعه غلاسب :
ـ يلوح شعورك هذا حرمانا جنسيا معتادا !
ـ اعلم . ولكن ما الذي كان سيشبعه ؟ لو كانت الفتاة لوحدها ،اظنني كنت تعرفت بها ،وكنت اقنعتها في الاخير ان اجرها الى الفراش . ولكن ذلك وحده لن يرضي هذه الرغبة . انها اعنف جدا واكثر نزوعا للاشباع الآني من مجرد الرغبة في الانغماس في علاقة غرامية . انها حنين مفاجيء الى حرية اوسع بكثير مما نملك فعلا . انها بصيرة الى الحرية ـ ولذا فهي رغبة جامحة . وفضلا عن ذلك ، فهي لا ترتبط بشيء في الشهوة الاعتيادية . كانت لي في يوم من الايام صديقة. . .عندما كنت اعيش في الطابق السفلي على مقربة من شارع ماريلبون . على كل ، التقيت بها في يوم من ايام الاحاد وضاجعتها اكثر مما كنت اتصور اني استطيع ـ حتى شعرت كانني خرقة مبللة من شدة التعب . وانتابني شعور باني لن اتوق بعد الى المراة طوال

حياتي ، وباني قد افرغت كل ما في نفسي . ثم خرجت من الباب الامامي لاجلب قنينة الحليب ، ورأيت فتاة عابرة تمشي على الرصيف الى اعلى وهي ترتدي تنورة فضفاضة كانت تتأرجح فتكشف عن ساقيها وفخذيها. واعلم، احسست بشوق لان اختطفها واركض بها راسا الى السرير . ولقد ادهشني ان ادرك باني لم استنزف بعد ما في نفسي من الرغبة . وانما استنزفت فقط رغبتي تجاه فتاة معينة . كانت شهوتي للنساء عامة لم تتأثر .

كان غلاسب مقطب الجبين . ولم يكن قد مس قدحه منذ ان مــلاه سورم ثانية . وقال :

ـ لست افهم ماذا تحاول ان تثبت . لا افهم ما تعنيه بالبصيــرة في الحرية .

ـ لا اتمكن من شرح المسألة بسهولة . انها شيء كهذا : ضرب مــن الرؤيا لحياة اكثر . تجعلك تحس كأن سلطات الاله قد سلبت منك . كأننــا نحن انفسنا الالهة ، كاننا حقا احرار ، ولكن دون أن يدرك هذا احد. ويعود الينا هذا الادراك مرارا خلال الجنس .

فتمتم غلاسب : د. هـ. لورنس وفصيلته .

ـ كلا ، ليس هذا وحسب . لا يعنينا من هذا مجرد الجماع الجنسي. لدي صديق يشتغل في الصحافة له ولع لا يكل كولع كازانوفا في ملاحــقة النساء واغوائهن . ولكنه لا يلذ له في الواقع مضاجعتهن . حيث ان هذاالجزء من العلاقة يضجره . انه يريد فقط ان يحس بالنصر ، أن يحس بمقدرته على مضاجعة النساء ان هو اراد ذلك . لايمكنني شرح هذا .. ولكني احس كاننا مدعوون لان نكون الهة ، كان حرية الالهة ينبغي ان تعود لنا وانها من حقنا الطبيعي ولكن شيئا جردنا منها .

فابتسم غلاسب وقال : لك ميزات الكاثوليك ، مع هذا .

ـ اشك في ذلك . انا اشعر فقط بان عبوديتنا الى الجنس هي مجــرد الحاجة لاعادة شيء كان من حقنا الطبيعي ان نمتلكه . انها حالة داخلية من التركيز الهائل . وفي هذه الحالة لن تكون بعد جرائم جنسية . انها جالــة من القوة الداخلية التي تجعل من الاخرين اشياء زائدة عن الحــاجة . ان حاجتنا للمرأة هي حاجتنا لاعادة ذلك التركيز الداخلي لبرهة من الزمن ..

ومد غلاسب يده ليسكت سورم . فسأل سورم :

ـ ما الخبر ؟

فقال غلاسب :

ـ شخص يناديك .

ونهض سورم وذهب الى الباب ، فسمع صوت الفتاة يهتف :

ـ تلفون ! ايها المستر سورم .

فصاح : شكرا .

ونزل السلم مسرعا وهو يحس بالدفء الذي ياتي من الرضى الذي يولده الطعام والشراب . كانت سماعة التلفون على طاولة الصالة . وقال :

ـ هلو ؟

ـ جيرارد ؟ اوستن يتكلم .

ـ اهلا ، اوستن ! كيف حالك ؟

ـ بخير اشكرك جدا . ماذا نفعل الان ؟

ـ فرغت توا من تناول العشاء .

ـ الست مشغولا ؟

ـ بلى . اوليفر غلاسب معي .

ـ اوه ...

واستشف سورم الخيبة في نبرة اوستن . وراح يتساءل هل تنطوي على كراهية نن لغلاسب وقال :

ـ ماذا هناك ؟

ـ لا شيء . متى يذهب ؟

ـ اوه ، خلال ساعتين . لقد وصل قبل قليل .

ـ اوه .

ـ لماذا ؟ هل اردت ان اتي لزيارتك ؟

ـ نعم ، في الواقع . الا يمكنك التخلص منه ؟

ـ كلا ، في الحقيقة ، الا اذا صرت فظا معه . وانك تعلم بانه سريع التأثر . هل الامر مهم .

ـ كلا . اود ان اراك فقط . هل يمكنك المجيء بعد ساعتين ؟

فقال سورم متأوها :

ـ كلا ، يا اوستن . اكاد اموت من التعب ، ولم استطع ان افتح عيني من التعب طوال اليوم . وعندما يذهب اريد ان انام .

ـ ولكني لن ابقيك طول الليل ، اعدك بذلك .

وكاد سورم ان يستسلم لالحاح نن ، ولكنه تذكر مشقة الذهاب الى شارع الباني واحس بيقين داخلي مفاجىء بانه لا يريد الذهاب ، فقال :

ـ ليس هذا . ولكني منهوك تماما . ولن تفيد مني شيئا اذا جئت.

فقال نن ولم يستطع ان يخفي امتعاضه : اوه ،حسنا !

ـ لنلتقي غدا او في مرة اخرى .
ـ سانصل بك ثانية .
وانقطع الخط ، فبقي سورم يصيخ السمع قليلا لايدري هل قطع الخط من البدالة . ثم اعاد السماعة الى مكانها وعاد الى غرفته . وقال :
ـ اوستن انصل بي الان .
فقال غلاسب :
ـ نعم ، وماذا اراد ؟
ـ ليسأل عني فقط . بقينا حتى وقت متأخر من الليلة الماضية .
ـ هل اراد ان يراك الان ؟
ـ اقترح علي ذلك ، فقلت له باني لا استطيع .
كان غلاسب منحنيا على صندوق الاسطوانات . وقال :
ـ اعتقد بانك ستجد المستر نن شخصا شديد الالحاح قبل ان تتم .....
ـ نعم ؟
كان غلاسب جالسا عند نهاية السرير وقد نشر جميع الاسطوانات على غطاء الفراش . وقال :
ـ انه مثل بقية الضعفاء يستخدم اصدقاءه عكازات له .
ـ اتظنه ضعيفا ؟
ـ الا تظنه انت كذلك ؟
ـ لست .... واثقا .
فقال غلاسب :
ـ ستكتشف ذلك .
وانتقى احدى الاسطوانات وقال :
ـ الا اذا كنت تريد ان تتحدث ، فما رايك في سماع موزارت ؟
ـ بالتأكيد . المزيد من الشراب ؟
ـ كلا ، شكرا . ولكن بعد ذلك ، ان وافقت ، فنذهب الى اقرب حانة لارد لك بقليل من البرندي بعض الكرم الذي ابديته تجاهي ...
ـ لا داعي ان تفعل ذلك .
ـ ومع ذلك ، فاود ان افعل .
كان غلاسب قد اتخذ لهجة غريبة متحذلقة واسلوبا راقيا فى الكلام ، فقال سورم ضاحكا :
ـ امر رائع بالنسبة لي .

ووضع الاسطوانة في الفرامافون ثم استرخى في كرسيه واغمض عينيه. وما لبثت حوادث الاربع وعسرين ساعة الماضية تدور في ذهنه فيما هو يصغي الى الموسيقى . وشعر كان الحوادث وقعت لشخص اخر .

* * *

كان الليل قارس البرد . واخذ وهو يخرج من محطة نفق كنتش ناون يشد اللفاعة حول رقبته ويحكم ازرار معطف المطر عند ذقنه . كان غلاسب ثملا تماما عندما دخل قطار النفق ولكنه رفض عرض سورم أن يرافقه الى مورغيت . وشعر بالدفء داخليا ، وبالتعب الملذ ، ولكنه لم يكن ثملا .

ولما بلغ منتصف السلم سمع رنين جرس التلفون . فاستدار وعاد نازلا . وانفتح باب الطابق السفلي ولكنه صاح :

ــ لا تتعبي نفسك ، يا كارلوته . سارد عليه انا .

ــ وقال الصوت :

ــ هل يمكنني الكلام مع المستر سورم ، رجاء ؟

ــ يتكلم !

ــ جيرارد ؟ لم اميز صوتك ! بيل يتكلم .

ــ هلو ، ايها الصبي . اين انت ؟

ــ جئت توا الى الجريدة لامضي الليلة . اننا سنعد تقريرا صحفيا عن حادثة القتل في غرينتش ، اتود المجيء ؟

ــ ما هو نوع التقرير ؟

ــ اوه ، انك تعرف هذه الاشياء . . نذهب للتجول مع شرطة العسس وناخذ الصور الفوتوغرافية . ايروق لك ذلك ؟

ــ والله . . لا ادري . كنت ساتي ولكني شديد النعاس . لم ادخل الفراش حتى الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم .

ــ طيب ، لنترك الموضوع . لدينا مقعد خال في السيارة اذا اردت المجيء . هل تعرف المصور ، تيد بيلينكس ؟

ــ اوه ، نعم ، اسمع ، اشكرك جدا لعرضك هذا ، وساكون مسرورا لمصاحبتكم في اية ليلة اخرى . . ولكني في الواقع منهك القوى . ولكن اسمع ، يا بيل ، اذا حدث شيء مهم فاخبرني . فيسرني ان آتي الى هناك . غير اني شديد النعاس الان . .

ــ طيب ، ايها الصبي . لا تكترث . ساتصل بك في ليلة اخرى . ظننتك تريد المجيء . سأراك فيما بعد .

وفيما هو يخلع ملابسه احس بالاسف لتعبه الشديد . لقد كان يود

مصاحبة بين في اعداد التقرير . وخشي ان يحرم عليه التفكير في هـذا الموضوع النوم .

وحالما كان على السرير ، شعر انه احسن صنعا برفض الخروج . وراح يداعبه سيل من الدفء . ومضغ حبة « الكالين » ثم ابتلعها ليقي نفسه من اثار الشراب وضغط براسه على الوسادة . وطافت في مخيلته صورة كارولين واثارت في نفسه احساسا باللذة نتيجة تذكره انه طلب منها قضاء الليلة معه وادراكه بانه حتى لو قبلت هي فسوف لن يكون في امكانه مضاجعتها . وكان الاحساس ايضا وليد الشعور بالتوقع .

واستيقظ وراح يحدق في الباب . وظل برهة من الزمن في حـيرة هل كانت ذروة احد الاحلام هي التي ايقظته بهذه المفاجأة . وفيما هو يصغي سمع همهمة . واطل خلال الظلام في ساعته المضيئة فوجدها تشير الـى السادسة . وانقلب على جنبه ودفن وجهه بين اغطية الفراش ، وبعد لحظة سمع صوت وقع اقدام على السلم . فرفع راسه ليصغي . وطرق احـد الباب عليه . فصاح : نعم ؟

وانفتح الباب قليلا ، وقال صوت رجالي :

ــ احدهم يطلبك على التلفون . انت المستر سورم ؟

ــ نعم . . اشكرك . يا الهي . . في هذه الساعة المبكرة ! انا اسف جدا .

ولبس الروب وخرج من الغرفة . كان الرجل يسبقه نازلا السلم ، وهو يقول :

ــ التلفون امام غرفتي . لقد ايقظني .

ــ انا في الحقيقة اسف جدا . . .

كان سورم يفكر مع نفسه : انه اوستن ابن الـــــــ !

ــ يقول الشخص ان الامر مستعجل . . .

وذهب نحو التلفون وهو يقول في نفسه: سأخبره بانهم سيطردونني اذا استمر على هذا النحو . . . الساعة السادسة . . . يا للاحمق .

واختطف سماعة التلفون وكبت الرغبة في ان يصرخ بها ، وضبط نفسه وقال : هلو ؟

ــ هلو جيرارد . بيل بين يتكلم .

ــ بيل ! ماذا تريد ؟

ــ طلبت مني ان اتصل بك اذا ما حـدث شيء . حادثـــتا قتل في وايتشابل . . .

وارتعد شعره كأن تيارا كهربائيا سرى بجسده . وتدلت يده الـتي

تحمل السماعة الى جنبه لحظة ، وسمع صوت بين كأنه يصدر من بعيد . ورفع السماعة بعد قليل وسمع بين يقول :

ـ . . . كان ذلك منذ ساعة . ولذا ، اذا اردت المجيء فتعال على الفور .

ـ اين ؟

ـ شارع مايتر .على اليسار من محطة اولدغيت . هنالك مقهى صغيرة على مسافة قليلة من المحطة . ساراك هناك .

فقال سورم :

ـ حسنا . ساتيك باسرع ما يمكن .

واعاد السماعة وجلس على حافة الطاولة . ولم يكترث لبرودة الجو . وبدا له كأن صوت دقات قلبه يصل الى كل نزلاء البيت .

الفصـــــل الثـــــاني

وبالرغم من ارتدائه القفاز ، احس بالخدر في يديه قبل ان يصل هولبورن. وخلع القفاز عن يده اليسرى وراح يقود دراجته ويده في جيب السروال يشد بها على تقعر فخذه . كانت شوارع المدينة مهجورة . لقد ايقظه البرد ، ولكنه كان يحس بانهاك داخلي يكاد ان يكون خمولا مترفا كأن عواطفه كلها تيـــــار كهربائي اصيب بعطب . واحس بحرية غريبة . وقبل ان يصل نهاية شارع ليدنهول نسي سبب خروجه في هذا الصباح الباكر . واثار فيه منظر رجل عجوز ، يجلس القرفصاء في احد مواقف الباصات ، وقد تلفع بمعطفه، سيلا من الافكار عن مشاق الحياة البشرية وعن ميل الانسان لتعقيد هذه الحيـــاة باتيان حركات لا فائدة منها . وعندما تخيل هذه الشوارع التي ستزدحم خلال ثلاث ساعات بحشود من الناس الذين لا يحركهم دافع اخر غير العمل اليومي، ولا يقودهم يقين عميق لمواجهة هذا الاضطراب ، شعر بالامتنان لصمت هذه الشوارع والصمت الداخلي الذي تسبب عن اعيائه الداخلي .

واستطـــاع أن يميز بيـــن واقفا الى جانب مدخل قطار النفق . كـــان يشعل سيكارة ويضرب بقدميه عى الارض ليدفئهما .

وصاح سورم :

ــ هلو ، بيـــــل !

ــ هلو جيرارد ــ يسرني انك توفقت في المجيء .

واسند سورم دراجته الى الجدار وراح يبحث في الحقيبة عن السلسلة :

ــ حسبتك ستنتظر في المقهى ؟

ــ لقد خرجت منذ دقيقة فقط ، طلبا للهواء . هل ستترك دراجتك هنا؟

ــ اظن ذلك . ليس في الامر ضرر .

ـ طيب . هيـا لنذهب ، اذن .
ـ اين يقع المحـل ؟
ـ مايتر سكوير . على الجانب الاخر من هاوندسديتش .
ـ مـاذا حـدث ؟
ـ لا اعلم بعد . عثر على امراة اخرى . وقبل ذلك بنصف ساعة كانوا قد وجدوا امراة اخرى في شارع برنر اي في الجانب الاخر من الشارع التجاري .
ـ يبدو ان القاتل كان يحيي مهرجـانا !
ـ سيخلق هذا الامر بعض المصاعب ، يا جيرارد . ستكون اكبر قضية بحث عن قاتل عرفتها انكلترا ، فلن تجروء الشرطة على ان تتركه يفلت الان .
ـ هـل رايت الجثتين ؟
ـ القيت نظرة على الجثة التي وجدت في مايتر سكوير . اما الاخـرى فقـد نقلت .
ـ في اي ساعـة وجدت ؟
ـ هذه الاخيرة ؟ منذ حوالي الساعة . كنا في طريقنا الى المكتب عندما وصلنا النبأ . ولقد خففنا مسرعين الى هذا المكان قبل ان يصل احد اخر .
ـ شكرا عـلى مخابرتك لي .
ـ لا شيء . فأمور كهذه لها فائدتها بالنسبة لمؤلف مثلك . في الواقع ، هذه اول حادثة قتل اراها عن كثب . ولكن ، اتعلم يا جيرارد ، ان الامر فـي غايـة الغرابة . لا بد انه قتل المراة في شارع برنر ثم جاء مباشرة الى هنا ليقترف جريمته الثانية خلال خمس عشرة دقيقة .
ـ هل اتصلت تلفونيا بمكتبك لتنقل اليهم القصة ؟
ـ بالطبع . نكاد ان نحصل على سبق صحفي . اول من يصل الـى موقع الجريمة ؟ وقد اخذنا صورا وغيرها ...
كان سورم مندفعا للكلام بصورة منفعلة ، فقد احتشدت في راسه عشرات الاسئلة تبغي كلها مخرجا في آن واحد . وقـال :
ـ حدثني عن الجريمة بالتفصيل . قل لي ماذا وقع بالضبط .
ـ لا استطيع فنحن انفسنا لا نعرف القصة كاملة بعد .
ـ اقصد ـ حدثني ماذا حدث لك طوال الليل .
ـ انتظر لحظة . فنحن على وشك الوصول .
ـ كيف قتلت ؟
ـ الاخيرة ؟ ذبحت من حنجرتها . ولكن جثتها مثل بها تمثيلا فظيعا .
ـ كيـف ؟

ـ اشبع وجهها طعنا وتمزيقا .
ـ يـــــا للمسيـــح !
وقال بين بعبارة قصيرة : جعلني المنظر اشعر بالغثيان .
ودلفا الى شارع ضيق ، ونظر سورم الى الرقعة التي كتب عليها اسم الشارع ، فقرأ : شارع ديوك . وقال بين :
ـ ايه ! بدأ الناس بالاحتشاد من الان .
ورأيا فى نور الغسق الخافت اناسا متجمهرين على طوال الجزء الثـاني من الشارع . وقال بين :
ـ يحسن بنا ان نذهب من الطريق الاخر . هنالك زقاق ضيق يؤدي الى الساحة من هذا الجانب .
وسأل سورم :
ـ مـاذا تظن سيحدث الان ؟ لا شك ان الامر سيثير الرعب العام .
ـ لا استطيع التكهن . واني لارتاب فى ان الحكومة تريد ان تجعـل الصحف تنشر اخبار هذه الجرائم بعناوين بارزة لتصرف اهتمـام النـاس عن الموقـــف الدولي .
ـ فكرة مثيرة ! انك تعتقـــد بان وزارة الخارجية هي وراء حوادث القتـــل هذه ؟
ـ لا يدهشني ذلك ! يقولون ان الوزارة مليئة بالمنحرفين الجنسيين ... ليس من النوع الذي يميل الى النساء ، على كل حال .
ثم استدارا ثانية تاركين شارع اولدغيت ودلفا فى الشارع الذي كـان يسير باتجاه شارع ديوك . كان شارعا ضيقا وقد احتشد فيه الناس مـن الرصيف الى الرصيف .
وقـــال بيـن بيأس :
ـ اخشى انه لا يمكنك رؤية شيء . كان عليك ان ترافقني ليلة امس.
وشعر سورم بالخوف والانفعال يحركان احشاءه . كان الصمت مطبقا على الشارع ، وقد اثار فيه هذا الصمت جوا من التوتر والتوجس . وعندما اقتربا من الجموع ، وجد سورم انهم كانوا يتهامسون فيمـا بينهم باصوات خفيضة ، وقد تجمعوا كتلا كتلا . وكانت اكبر هذه الكتل جمعا من المصورين الفوتوغرافيين حاملين الات التصوير ذات المصابيح الوامضة . فاقترب بيـن منهـم وقـــال :
ـ هل وقع شيء ، يا تيـــد ؟
فاجاب رجل بدين قصير القامة احمر الوجه :

ـ هلو ! هل عدت ؟ كلا ـ لم يحدث شيء بعد .

كان الرجل يدفن يديه عميقا في جيوب معطفه الضخم . وكان يعقد حول عنقه لفاعة صوفية ذات خطوط ملونة ، كتلك التي يلبسها طلاب المدارس .

ـ هل وصل ماكمردو ؟

ـ اجل . جاء منذ عشر دقائق . ذلك هو .

واشار برأسه الى الحبل الذي يفصل الساحة عن الشارع :

ـ هل اخذت صورة له .

ـ نعم . ولكنه استاء لذلك .

فقال احد المصورين :

ـ لقد آن له ان يعتاد على ذلك !

ثم بصق في مجرى الميـــاه .

واقترب سورم من الحاجز ، ولم يكن من الصعب الوصول اليه ، فالحشد لم يكن متلاصقا . ولكنه لم ير ما يستحق المساهدة . كان على يسار الساحة مستودع للبضائع عال يحمل اسم « كيرلي وتونج » . وكان المخرج الوحيـــد من هذه الساحة زقاقا ضيقا في طرف الزاوية اليمنى . وكان رجال الشرطة متجمهرين هناك ، وكان اثنان من الشرطة يجلسان القرفصاء على الرصيـــف ويقومان ببعض القياسات بواسطة شريط القياس . وقد استطاع ســـورم ان يرى ، من خلال سيقان الشرطة ، جثة القتيلة مغطاة بالقماش .

وكانت على احد جوانب الساحة البعيدة امرأة تولول ، لم تكن تصرخ ، ولكنها كانت تنتحب بصوت خشن . وبدا الاهتمام على الناس المحيطيـــن بسورم . وقـــال احدهم :

ـ هه ! هه هل تعرف عليها احدهم ؟

فأجابت امـــرأة :

ـ كلا . لم يقترب من الجثة احد .

وانقطع العويل فجأة . واقترب بين من جيرارد وقال :

ـ هل فهمت ما حدث ، يا جيرارد ؟

ـ كلا . صدر الصوت من ذاك الزقاق .

وتقدم بين الى احد رجال الشرطة الذي كان يقف بجوار الحاجز وابرز هويته الصحفية وسأل :

ـ هل استطيع المرور ؟

ـ كـلا ، مع الاسف يا سيدي . لدي امر الا ادع احدا يمر حتـــى يصـــل الطبيب .

ـ نعم . وقد تأخر كثيرا .
ـ من الطبيب ؟ سيمبسن ؟
ـ لست ادري ، يا سيدي . كل ما اعلمه انه تأخر كثيرا .
وتقدم شرطي اخر من بين الجماعة التي تقف في الزاوية . وسأله بين :
ـ هل لديك فكرة عن سبب النحيب ؟
وكان الشرطي عريفا في متوسط العمر وقال بعدم اكتراث :
ـ مجرد امرأة اصيبت بنوبة هستيرية .
وشق احد الواقفين قرب الحاجز طريقه متدافعا بوقاحة وقال :
ـ واني لاعتقد ذلك ايضا . بالله ماذا تعملون ايها السادة لقاء ما تتقاضونه من اجور ؟ اريد ان اعرف .
وقالت امرأة بدينة كانت تضع شالا على راسها :
ـ رويدك يا بيرت ، لا تكن قذر اللسان . انهم يفعلون ما في وسعهم .
فقال الرجل وقد تصلب برايه :
ـ انا لست قذر اللسان . بصفتي مواطنا يدفع الضرائب لي الحق ان اعرف لماذا يقف الشرطة مكتوفي الايدي . اليس كذلك ؟
ولم يبد الامتعاض في وجه العريف .
وتقدم صحفي اخر شاقا طريقه خلف سورم . وسأل :
ـ هل تعرف من هي ، ايها العريف ؟
ـ كلا .
ـ طيب ، لماذا يستمر قتل النساء ؟ هذا ما اريد معرفته .
ثم اشترك في النقاش رجل طويل القامة هزيل كان يقف وراء المرأة ذات الشال . كان صوته عصبيا حادا . والتفت اليه العريف ببطء ، ثم هز كتفيه وقال :
ـ هذا ما نريد معرفته كلنا .
ثم استدار وراح يمشي لينضم الى جماعته . فصاح الرجل خلفه :
ـ فهذا ما تتقاضون اجوركم عليه ايها الحمقى ـ لمجرد اكتشاف السبب !
وهمس بين في اذن سورم :
ـ هنالك شعور شديد ضد الشرطة .
ـ لا يدهشني ذلك .
واخذ بين يحاول التخلص من بين الحشد . وقال :
ـ هلم ، ليس هنالك ما يستحق المشاهدة .
وتقدم رجل ضخم الجثة له شارب اشقر ووقف خلف بين ولطمه

على كتفه . فقال بين :
ـ هلو ، توم ! وصلت الان فقط ؟
فقهقه الرجل الضخم وقال :
ـ ربما . كنتَ هنا قبل ان تنهض انت من النوم .
ـ انك لم تكن هنا ، اتعلم ! كنا اول من وصل الى محل الحادث . فقد كنا في وايتشابل عندما وصلنا النبأ .
ـ صحيح ؟ فاني اعتذر في هذه الحالة .
ـ لا تفتم ، ايها الصبي . سلني ما تشاء من الاسئلة . ولكني اتقاضى منها اجرا طفيفا بالطبع .
والتفت بين الى سورم وقال :
ـ انك لم تتعرف بتوم موزلي ، أليس كذلك يا جيرارد ؟ توم ، اقدم لك جيرارد سورم .
ـ هل يشتغل للصحيفة ايضا ؟.
ـ كلا . جيرارد مؤلف . .
فقاطعه موزلي بقوله :
ـ بالمناسبة ، هل سمعت صراخ تلك المراة ؟
ـ نعم ، ماذا كان السبب ؟
ـ اشاع احدهم بان الشرطة عثرت على قضيب حديدي ملطخ بالدماء، فصرخت المراة : كنت اقف على بعد قليل منها . جعلت شعر راسي ينتصب.
ـ هل وجدوا فعلا قضيبا ملوثا ؟
ـ كلا . كان الامر مجرد اشاعة . هل رايت الجثة الاخرى ؟
ـ نعم . كنا هناك عندما وصلتنا انباء هذه الجريمة .
ـ هل صحيح ان راسها وجد مهشما ؟
ـ نعم . ولكن يبدو انه تلقى ضربة واحدة فقط .
ـ هممم . . . لا يلوح ان صاحبنا هو الذي فعل ذلك ، هه ؟
ـ لست ادري . ربما اضطر الى ان يقطع جريمته .
وقال سورم :
ـ ماذا حدث ؟
وقبل ان يستطيع بين الاجابة ، اخذ احدهم يصيح :
ـ افتحوا الطريق !
واقتربت عربة اسعاف من الحاجز . وراحت ومضات آلات التصوير تنطلق فتضيء الساحة برهة كأنها البرق . وقال بين :

ـ يظهر ان ستار وصل .
ـ مــن ؟
ـ الطبيب .

ونظر سورم باهتمام الى الرجل العريض المنكبين ذي الوجه الـذي يبدو لين الطبع كوجه مزارع . وكان يشق طريقه ليصل الى الساحـة . وتبعه بين فورا وهو يمسك بسورم من كمه . فاوقفهما الشرطي واعـاد الحبل الى محله . فالتأم الجمع ثانية في كتلة متراصة في مدخل الساحة وقـال بين :

ـ اردت ان اجد مكانا لاراقب الامور من هنا .
ـ ماذا سيحدث الان ؟
ـ لا شيء . انهم سيرفعون الجثـة فقط . راقب وجـوه بعض هـؤلاء النـاس .

ونظر سورم حوله بحذر فوجد وجوها جامدة لا يبدو عليها التاثر . ولم يكن فيها شيء من التطلع والانفعال المريض الذي كان يتوقعه . وهمس:

ـ يبدون معبسي الوجوه .

واومأ بين براسه باقتضاب وهو يحدق عبر الساحة . وقد شكـل رجال الشرطة دائرة حول الجثة وقد جثا الطبيب الى جوارها . واجـرى فحصا مختصرا للجثة ثم املى شيئا الى فتاة كانت تسطر بعض الكلمـات على دفتر . ثم نهض الطبيب واشار الى رجال سيارة الاسعاف الذين كانوا يحملون صندوقا معدنيا رمادي اللون فوضعوه بالقرب من الجثة . ولكن سيقانهم حجبت الجثة عندما حملوها ، ولم ير سورم غير حافة تنـورة ممزقة كانت تجرجر على الارض عندما كانت الجثة ترتفع الى الصندوق . وبعد لحظة ، انغلق باب سيارة الاسعاف ، وتحركت السيارة . فـازاح الشرطي الحبل ثانية وهو يقول : افسحوا المجال !

وبدأ الحشد يتفرق . وخرج من مستودع البضائع على الجـانب الاخر من الساحة رجل عجوز يحمل سطلا وفرشاة . واخذ يرش المـاء على الرصيف حيث كانت الجثة ملقاة ثم يفركها بالفرشاة . وخرجت سيارة الاسعاف من الساحة ببطء . وسرت رعدة في ظهر سورم ارتعش لهـا . فاستدار ومر امام شباك حانوت صغير فواجهته ابتسامة فتاة في أعـلان لمعجون الاسنان . وطاف في ذهنه ، لبرهة وجيزة ، حدس لحالة القاتـل الذهنية ، فتمرد على التلميحات المجردة ، والوجوه المقطبة الازلية والرسوم الخشبية التي تطل من لوحات الاعلان التي تهيمن على عربات القطـار

والمستودعات التي تقع على جانب الطريق .
وقـــال بين :
ـ لنذهب ونتناول شيئا من الشاي .
فقال موزلي :
ـ فكرة طيبــة .
ـ اتأتي معنا ، يا جيرارد ؟
ـ اجل .
ـ يلوح عليك التعب .
ـ قليــلا .

وكان يتقدمهم رهط من المصورين . كانت السماء قد استنارت الان وتأخر سورم قليلا وراء الجماعتين ، اذ كان يتوق الى ان يركز عـــلى بصيرته التى طافت في ذهنه حتى تلاشت ، وهو يعلم انــه لا يستطيـــع التعبير عنها بالكلمات . كان جائعا ، وقرر ان يتناول شيئا في المقهى. كيف يتسنى لابة بصيرة ان تبقى بعد المد والجزر اللانهائيين اللذين يعتـــوران الدم ، وبعد تقلبات الفصول الجسدية ؟ لقد خسر المعركة مقدما .

وقـــال بين :
ـ اجلس انت يا جيرارد . اما انا فذاهب لاحضار الساي .
ـ اريد شيئا اكله ايضا .
ـ حسنا . سأجلب لك شيئا . سندويتش جبن ؟

وجلس سورم بجوار موزلي الى طاولة في احد اركـــان المقهـــى . واخذ المخبر يدون بعض الملاحظات بالكتابة المختزلة . وشغـــل المصورون الطارلة التي تقع قرب النافذة . وشعر سورم بالتعب ، وقد ثبطت عزيمته فكرة العودة بدراجته الى كامدن تاون . ورفع موزلي بصره اليه فجأة :

ـ مـــا رأيك ؟
ـ فيم ؟
ـ الطريقة التي تصرف بها كل واحد من الناس ؟
ـ يبدو انهم جميعا كبحوا جماح عواطفهم ، هذا ما ينبغي ان اقوله.
ـ بالضبط . كبحوا جماح عواطفهم .

وجلس بين في مواجهتهما . وقال :
ـ الا يدهسكما ذلك ؟ هذه الجريمة ترفع العدد الى ست جـــرائم خلال اشهر قليلة . ان الناس ليتساءلون كم جريمة تنتظرهم .
ـ هل تعتقد ان التقصير هو من الشرطة ؟

ـ ماذا يمكنهم ان يفعلوا ؟ انهم لا يستطيعون سوى ان يتتبعـــوا الدلائل ويأملوا بانه سيقع في الفخ .

وقال موزلي :

ـ كما حدث في قضية كومنز .

فسأل سورم :

ـ ومـا هي تلك القضية ؟

ـ اثناء الحرب . كان كومنز مصابا بجنون الاجرام الجنسي . قتل اربع نساء ـ اكثرهن مومسات ـ في منطقة سوهو . واخيرا ، باغتـه احدهم حينما كان يخنق فتاة في مدخل احد البيوت في هايماركت . ففر هاربا وترك كمامته الغازية فاستطاعوا ان ينالوه ... ولكن ما يلذ في الامر هو انه عندما فوجيء في قضيته الاخيرة هرب على الفور ووجد فتـاة اخرى في بادنغتن وحاول ان يقتلها ايضا . ولكنها تخلصت منه .

وقال بين :

ـ حدث ذلك قبل ان ابدأ انا بالعمل . على كل حال ، هل تعتقـدان ان هذا القاتل مصاب بجنون الاجرام الجنسى ؟

فهز مورلي كتفيه وقـال :

ـ انه مصاب بالجنون على كل حال .

واقبل سورم على سندويتش الجبن بنراهة ، ولما اتمها اجتاز الـى طاولة البار وطلب اخرى . وعندما عاد الى طاولته ، الفى بين يقول :

ـ ... ووجد شخصا ينحني فوق الجثة . وصاح : هل وقع شيء؟ وقال الرجل : نعم ، اعتقد انها ميتة . اذهب واستدع احد رجال الشرطة، اسرع ! وعندما عاد الرجل بعد خمس دقائق وجد الشخص قد هرب ولم ير غير جثة المرأة .

فسأل سورم :

ـ ما الخبر ؟

ـ عن حادثة القتل الاولى في الليلة الماضية ؟

ـ هل يعتقدون ان ذلك الشخص كان هو القاتل ؟

ـ لست ادري . ولكن الامر يبدو محتملا .

وقال مـوزلي :

ـ سيكتشفون ذلك حالما يعرفون الوقت الذي فارقت فيه الحياة .

وسأل سورم :

ـ هل يستطيع الرجل ان يصف ذلك الشخص الذي طلب منـه

الذهاب لاستدعاء الشرطة ؟

ــ كلا . حدث ذلك في الظـلام ، ويقول الرجل انه لم يقترب مـن الرجل اقل من عشرة ياردا ت. ولا يدهسني ان يكـون ذلـك الشخص هـو القـاتل !

ــ كيف قتلت ؟

ــ بضربة على رأسها . لا بد انها كانت ضربة شديدة سددت الـى رأسها بقضيب ما .

ــ وهل وجدت الاخرى ذبحة من حنجرتها ؟ انه يلجأ الى وسائـل متنوعة بالتأكيد !

وسأل سورم :

ــ هل تظن ان القاتل هو نفسه الذي اقترف جريمة غرينتش ؟

وهز موزلى رأسه :

ــ أشك فى ذلك . وانك تعرف الجرائم التي اقترفها هذا القاتل ، أليس كذلك ؟

فقاطعه بين :

ــ كأن القاتل مل عناوين الصحف التي تتساءل:هل توغل جنوب النهر؟

ــ بالضبط .

وشرب ثلاثتهم الشاي بصمت .

وقـال موزلى اخيرا :

ــ ما لا يمكننى فهمه هو هذا . لا بد وان ملابسه تلوثت بالدماء بعد الجريمة الثانية . ولا بد وانه مر باحد الشرطة اثناء هروبه ، فقد كـان ذلك المكان يزخر بهم . فكيف تم له ذلك ؟

فقـال سورم :

ــ من المحتمل انه كانت لديه سيارة تقف قرب موقع الجريمة .

ــ ذلك خطر جدا . ان رجال الشرطة يسجلون ارقام جميع السيارات التي تقف فى هذه الاصقاع ليلا .

فقـال بين :

ــ لا يهمنا من يكون القاتل ، ولكنه اما ان يكون ذا شجاعة مـذهلة او انـه مجنـون .

ــ مجنـون ؟

ــ ولكنه لا بد وان يبغى شيئا فى واينسابل ... اما ذلك ، او انـه يسكن فى هذه المنطقة . والا فلم يلتصق بهذه البقعة ؟

فقال موزلي :

ـ انه لا يبغي شيئا . كيف يبغي شيئا وهو لا يختار ضحاياه ، وانما يتناول كل من يعترض طريقه ؟ هل سمعت بفكرة الفوطة الجلدية ؟

ـ كلا . مـا هي ؟

ـ اوه . يعتقد الكثير من الناس انها رجل يدعي « الفوطة الجلدية » ولا يعلم احد من هو وماذا يفعل سوى انه رجـل اجنبـي يـرهب بعض العاهرات اللواتي يتجولن هنـا .

وسأل بين :

ـ هل ذكرته في تقريرك ؟

ـ نعم . ولا اعتقد ان الامر سيتمخض عن شيء ، ولكني سمعـت اسمه يذكر عدة مرات هذا الصباح .

ـ وهل وجهت اية اسئلة ؟

ـ بالطبع . ولكني لم اتوفق . يبدو انه مجرد اسم .

فقـال بين :

ـ قد يكون من النافع تعقيب الاسم .

ـ هل سمعت قصة الخبراء الاجانب في الجرائم ؟ يقولون ان هنـاك عددا منهم يعملون في هذه القضية .

فقـال سورم :

ـ سمعت بذلك . يقال ان هناك خبيرا المانيا ... نسيت اسمه .

فقال موزلي :

ـ بالمناسبة ، هل قرأت رسالة في صحيفة التايمس يوم امس ؟

ـ كـلا .

ـ من الممتع جدا ان تقرأها فيلوح انه قد حدثت عدة جرائم قتل فى محل يدعى بوكوم في المانيا بعد الحرب ـ جرائم مثل هذه تماما . ويلـوح ان الرجل كتب رسالة الى الشرطة يخبرهم فيها بانه سوف يقتـل ست نساء اخريات ثم يتوقف . وتوقفت جرائم القتل حالا بعد رسالته .

ـ ولم يقبضوا عليه ابدا ؟

ـ كـلا .

فاطلق بين ضحكة ناعمة :

ـ سمعت بنظرية تقول ان القاتل تركي قتل عدة نساء في اسطنبول ينبغي ان يتفرغ فرغ خاص من الامم المتحدة ليتعقب هذه القصص !

واتم سورم احتساء قدح الشاي ، وراح يحدق في فتات الخـبز

التي تركها في صحنه . كان يحاول ان يتخيل ما سيفعله لو انه التقى بالقاتل في احدى الليالي القاتمة في وايتشابل . وراح يتخيله رجلا نحيفا فيمتوسط العمر ، اصلع الراس ، اصفر الشفاه ، له عيون المتعصبين . وعندما طفق يتصور القاتل ، في تلك اللحظة ، في احدى نواحي لندن، طليقا ، وربما يتناول الشاي مع امراة ما في احدى المقاهي ، او متشبثا بالكلابة الجلدية المتدلاة وهو في قطار النفق ، احس بحركة خفية فيمعدته.

ونهض موزلي فجأة وقال:

ــ اوه ، طيب ، لنعد الى العمل ! هل تأتي يا بيل ؟

ــ كلا سأتناول قدحا اخر من الشاي اولا .

ونهض سورم وهو يدفع كرسيه الى الامام ليفسح المجال الى موزلي ليمر . وقال موزلي :

ــ شكرا ، ايها الرجل . حسنا ، وداعا . اذا ما وصلتك اية معلومات عن الفوطة الجلدية فاخبرني ...

فقال بين :

ــ سأفعل . ما عليك الا ان تعود الى مكتبك وتتناول قسطا كافيا من النوم ، واترك الامر الى بين .

وبينما كان موزلي خارجا ، ذهب بين نحو طاولة البار وهو يقول :

ــ قدحا اخر من الشاي يا جيرارد ؟

ــ ارجوك . دعني اقتنيهما .

ــ لا ! هذا جزء من مصاريف العمل .

واحضر قدحي الشاي السميكين ووضعهما على الطاولة التي كان يكسوها مطاط مخدش عكر اللون . وتمطى بين ثم تثاءب .

ــ يجب ان اعود لانام قليلا . كيف تشعر يا جيرارد ؟

ــ كالميت .

ــ هل انت نادم لاني اخرجتك من مخدعك باكرا ؟

ــ كلا . بل يسرني ذلك . كان شيئا ممتعا ..

ــ لماذا ؟

ــ كل ما يمنحك احساسا بالواقع شيء ممتع . فاني لم استطع ان ادرك لسبب من الاسباب ان هذه الجرائم حدثت فعلا . لم تعتقد ، يا بيل ، ان الانسان يقدم على فعلة كهذه ؟

ــ الامر يعتمد ، يعتمد على الشخص ومن يكون . فالاسباب تختلف اذا كان القاتل استاذا في جامعة او اذا كان بحارا سكيرا او مراهقا استبد

بـه الجنس ...

وقال سورم :

ـ لا يهمنا من يكون ، ولكنه الان حي في احد اطراف لندن ... وله اصدقاء ربما لا يرتابون فيه مطلقا ..

* * *

وفجأه ، بينما كان يمر بسوق سميثفيلد قرر ان يقوم بزيارة للاب كاراثرز . كان قراره عفويا ، لم تتخذ بدافع معين يمكنه تحديده .

وفتح القس الهنغاري الباب . كان سورم يتوقع ان الوقت الـذي اختاره للزيارة لم يكن مناسبا ، ولكن الاب راكوسي لم يبد ايـة دهشة . ولم يطل جلوسه لحظات معدودات في غرفة الانتظار الباردة الـتي تثير الكآبة حتى عاد الاب .

ـ يود الاب كاراثرز ان يراك الان .

ـ اشكرك . اسف لازعاجك .

ورد عليه القس بابتسامة حيية .

كان الاب كاراثرز يقف بجوار المكتبة ، مرتديا روبا مطعما باللـون الاحمر . وكان يلوح وهو واقف صغير الحجم ، كأنه قزم . ولكنـه كـان يبدو احسن مما كان عليه في المره السابقة .

ـ اه ، جيرارد . كيف حالك ؟

ـ بخير شكرا . تبدو احسن هذه المرة .

ـ بل اني احسن اليوم ... طيب ، ان الساعة مبكرة جدا للزيـارة نوعا ما . هل من امر خطير ؟

ـ ليس شيئا خاصا . ايها الاب .

ـ لمـاذا ؟

ـ دعاني صديق لي يعمل صحفيا . اسمعت عن الجريمة المضاعفة ؟

ـ كـلا . ماذا حدث .

واقتعد الاب الكرسي الكبير ومد ساقيه باتجاه نار الفحم التي كانت تخنق الغرفة بحرارتها . وقال سورم :

ـ قتلت امراتان في الليلة الماضية ـ وقعت الجريمة الثانية بعـد الاولى بنصف ساعة .

ـ ولم ذهبت الى وايتشابل ؟

وادرك سورم ان السؤال كان في محله . وقال وقد شعر بالاحراج:

ـ أوه ... لمجرد ان صديقي خطر له ان يدعوني لمصاحبته ... فمن

المـلد بالنسـبة لكاتب مسلي ...
كان سورم ، وهو ينفوه بهذه الكلمات ، يعلم بانه غير صادق فـي قوله ، وشعر ايضا بيقين غريب بان القسيس عرف ايضا انه غير صادق. بيد ان ذلك الوجه القبيح البالي لم يظهر ما ينم عن عدم التصديق . وقال القسيس فقط :
ـ تبدو متعبا .
ـ صحيـــح .
وسمعا طرقا على الباب . فصاح القسيس : هلو ؟
فأطل رجل قصير القامة ابيض الشعر برأسه من الباب . كانت عيناه تنتقلان بين الاب كارابرز وسورم .
ـ صباح الخير يا لاري . اخشى ان اكون قاطعتكما ؟
كان صوته عميقا رنانا ، وكان ينطق بلهجة المانية واضحة . وقال القسيس:
ـ هلو ، فرانز . كلا ، انك لا تقاطعنا . تفضل بالدخول .
ودخل الرجل الالماني واغلق الباب خلفه بعناية. وامسك يدي القسيس بيديه وهزهما ببطء رزين ، سائلا :
ـ طيب ، وكيف حال صديقي اليوم ؟ انك تبدو احسن حالا .
ـ اشعر احسن هذا اليوم ، اشكرك يا فرانز ، دعني اقدم لك جيرارد سورم ـ البروفسور شتاين من دوسلدورف .
والتفت شتاين الى سورم وانحنى له قليلا . كان وجه الرجل العجوز الذي يفيض بالشوق عريضا واضح التقاطيع . كانت شفته، التي تعلو ذقنه البارزة ، مستقيمة مزمومة . وكانت عيناه صلبتين صافيتين كأنهما الزجاج الازرق . وكانت خصلة الشعر الابيض التي بالاشتراك مع بقية تقاطيع وجهه تكسبه مظهر انسان ذي قوة عظيمة تلوح غير منسجمة مع جسمه القصير البدين.
وصافح سورم يد الرجل والفى نفسه ينحني قليلا ردا لتحيته . وقال شتاين:
ـ آمل الا اكون قد قطعت الحديث بينكمـا ؟
ـ كلا ، ابدا . انى اقوم بزيارة عرضية فقط .
ـ فقـــال شتايـن .
ـ كمـا افعل انـا ، اذن .
واطلق ابتسامة ساحرة لسورم وشرع يصارع معطفه ليخلعه عنه . ولما اخذ يعاونه في خلعه قال :
ـ الجو هنا حـار الى حد فظيع يا لاري . انا واثق ان الحرارة لا تفيدك.
آه ... اشكرك يا سيدي .

وبدا استعماله للكلمات الدارجة بلهجته الالمانية مضحكا . ووضع سورم المعطف على السرير . وقـال شتاين :

ــ عن اذنك يا لاري ، اريد أن اجلس الى جوار معطفي ، فلا ارغب ان اجعل من نفسي قطعة شواء .

وقال القسيس بلطف :

ــ الشبـاك مفتوح .

واخرج شتاين من جيبه منديلا وراح ينمخط بصوت عال ، كصوت البوق . ثم فتح علبة سعوط وقدمها الى القسيس ثم الى سورم . وقال سورم:

ــ كـلا اشكرك .

وراح يرقب الرجلين باستمتاع خفي وهما يتنشقان السعوط كأنهما من الذواقة . واخذ القسيس يمسح بعض ما سقط من هذا المسحوق عـلى ملابسه . وقـال :

ــ حسنا يا فرانز ، اذن كنت انت ايضا تطوف فى وايتشابل ؟

وبدت الدهشة فى وجه شتاين .

ــ انك سمعت بها ؟ لم يخطر ببالي انك قرات الصحف .

ــ انا لا اقرا الصحف . كان صديقنا جيرارد هناك .

ونظر شتاين الى سورم ، وسأل وقد قطب جبينه :

ــ هل تسكن هناك ؟

فقـال سورم :

ــ كلا . لكنني ذهبت ... عندما سمعت بالحادثتين .

ــ لا شك وانك سمعت بهما فى وقت مبكر !

ــ أجل لي صديق يعمل صحفيا اتصل بي فى الساعة السادسة صباحا. ارجو المعذرة ، هل لك علاقة ما بالتحقيق بهذه الجرائم .

ــ انا ... ا ... لي علاقة بهم ... بطريقة معينة . انا طبيب فى علم الامراض بالاضافة لكوني عالما نفسيا . ولكن قل لي ، لم اردت ... ا ... ان تزور المحل الذي وقعت فيـه الجرائم ؟

واحس سورم بالدم يصعد الى وجهه . كان يحس بالقسيس يشخص ببصره اليه وهـو يجيب :

ــ انا مؤلف . وهذه تجربة تثير اهتمامي ...

وقـال شتاين بلهجة مؤكدة :

ــ بكل تأكيد . ان تجربة مثل هذه ذات قيمة عظيمة لدى الكاتب . لقد سمعت هاينريخ مان مرة يدلي بهذه الملاحظة ... قال ان قليلا من الكتـاب

الجادين يبحثون القتل بالصدق اللازم ــ ما عدا زولا ، ربما . هل قــرات قصته « تيريز راكان » ؟

ــ كــــلا .

والتفت شتاين الى القسيس وقال :

ــ لكن هذه الجرائم شيء فظيع حقا ! انك تتحدث عن الشرور البشرية، ايها الصديق ولكنك لو قضيت ثلاثين حولا ، كما فعلت انا ، تبحث فيالجريمة والعنف لما تحدثت بغير المرض البشري .

وانتظر سورم ان يجيب القس ولما اكتفى بالابتسام ، قال سورم :

ــ هل تعتقد ان القاتل انسان مجنون ؟

ونقل شتاين نظرته النفاذة نحو سورم :

ــ كيف لنا ان نعرف ، ما لم نمسك به ؟ ان الجرائم التي قام بها تنبت شيئا واحدا ــ هي ان حالته مرضية .

وقــــال القسيس :

ــ هل تعتقد ان الشرطة على وشك القاء القبض عليه ؟

ــ من يدري ؟ لقد استلموا رسالتين كتبهما رجل يدعي بأنه القاتل . فد يساعد هذا فى معرفته .

وقال سورم وقد لاح عليه الاهتمام :

ــ صحيح ؟ وهل نشرت الرسالتان ؟

ــ اعتقد بانهما نشرتا اليوم . انا شخصيا اعتقد انهما مجرد لغو .

ــ وماذا فى الرسالتين ؟

ــ أوه . . . انهما تسخران من رجال الشرطة لفشلهم فى التوصل الــى معرفته ، وتنذرانهم بجرائم أخرى . وقد وصلت الرسالة الثانية صباح هذا اليوم ، بعد ساعات قلائل من جريمة القتل الثانية .

ــ يبدو ان القاتل هو الذي كتبها .

ــ لماذا ؟ كان فى امكان اي شخص من وايتشابل ان يكتب هذه الرسالة فى ذلك الوقت، حتى انت . تقول انك سمعت بالجريمة فى الساعة السادسة؟ القيت الرسالة في صندوق بريد سكوتلانديارد في حوالي السابعة .

فقال سورم مبتسما :

ــ فهمت وجهة نظرك . ولكن ما كنت اعنيه هو انه يبدو ان من ميزات القاتــل ان يكتب الى الشرطة .

ــ ولماذا تقول ذلك ؟

ــ كانت صحف الامس تتساءل اذا كان قد انتقل الى غرينتش . وفــي

الليلة الماضية تجده يرتكب جريمتي قتل فى وايتشابل . انه لينسبه شخصا يعرف انه قد اصبح مسهورا بين الجماهير .

فقال شناين باسما :

ــ هذا صحيح . ومع ذلك فانني اشك ان فى الامر نكتة مؤذية .

وقال سورم متسائلا :

ــ الديك سبب معين لذلك ؟

كان سورم يحاول ان يسبغ على حديثه التأدب والحذر ، وكان يدرك انه كان في موقف ممتاز لانه كان في وسعه ان يوجه الاسئلة الى شتاين، بيدانه كان يحاول ان يبدي فضوله . وعقدستاين اصابعه وراح يحملق بجد فى ركبتيه ، ولاح عليه انه كان يعتبر اسئلة سورم طبيعية تماما .

ــ لنبدأ بالقول بان المصاب بمرض القتل لا يفخر فى الغالب بما يقوم به من اعمال . وهكذا ترى ان جرائمه تصدر دائما عن دافع شديد الالحاح ؛ فاذا اختفى هذا الدافع فانه قد يصبح شخصا مختلفا . ونحن نطلق اسما معينا على هذا النوع من الجرائم فى المانيا . اننا نسميه Instmort

ــ القاتل الذي يحس بالاستمتاع . القاتل الذى يحس بالاستمتاع دون ان يكون لديه حافز ما . ومثل هذا القاتل لا يكون عادة فخورا بالدافع الذي يحوله الى حيوان وحشي بين حين واخر . هل رأيت ما اعنيه ؟

فقال القس بنعومة :

ــ ولكن ، اذا لم تخني الذاكرة ، اعتقد ان صديقك كورتن قد بعث برسالة الى الشرطة .

ــ هذا صحيح ، ولكنه لم يفعل ذلك ليفخر ــ وانما ليجتذب الانتباه الى جثة . ولعلك تذكر ايضا قضية القاتل فى شيكاغو ــ الذي نسيت اسمه ــ فقد كتب رقعة وضعها على احد ضحاياه : امنعوني قبل أن اقتل ثانية .

فتمتم سورم قائلا :

ــ هايرينز .

ــ آه ، انت اذن تعرف القضية ! حسنا . انك لترى ان هذا هوالقاتل المريض بالشيزوفرينيا .

فالتفت الى القس وارتسمت على وجهه ابتسامة شريرة وقال :

ــ ها انت ترى يا لاري لماذا تعين علي ان اصبح طبيبا نفسيا بدلا من ان اكون قسيسا . اذ كيف استطيع ان افرض عقوبات على الخطايا حين لا اكون واثقا من ان الشخص الذي يعاني من العقوبة هو نفسه ذلك الذي يقترف الخطايا . تلك هي مشكلة لا يمكنك أن تجيبني عليها .

وقــال القس باسما :

ــ اننا نعترف بامال شخصيتك المنقسمة فى الكنيسـة ، كما نعرف يـا فرانز ، ولكننا نتحدث عن الخطيئة والندم بدلا من ذلك ، وليس هنالك خلاف بين هذا وذاك ...

فندت من شتاين ضحكة مختنقة ، كان يلوح واضحا انه كان يستمتع باستدراج القس الى النقاش . وقال شتاين :

ــ كلا ، كلا ، يا لاري . انه ليس السيء نفسه ابدا . فانك عندما تصف العقاب تفترض ان الشخص الذى اقترف الخطيئة هو نفسه الذي سيجرى عليه العقاب . ولكن ما قولك اذا كانا هما فى الواقع شخصين مختلفين ، هه ؟ مـا قولك في ذلك ؟

وقـــال القسيس بهدوء :

ــ اني لا افرض العقاب على انسان كهذا .

فقال ستاين وهو يرفع حاجبيه الكثين :

ــ كلا ؟ وماذا كنت تفعل اذن ؟

ــ احاول ان اساعده ، كما تفعل انت تماما .

ــ كيف يمكنك مساعدته اذا كان التعريف الوحيد الذي تطلقه على حالته هو انهـــا خطيئة .

فقــال القسيس :

ــ انى لا احتاج الا الى كلمتين لفهم حالته ــ الروح والمادة .

فقـــال شتاين مبتسما :

ــ وليس الله والشيطان ؟

ــ وليس الله والشيطان !

ــ فقل لي اذن ، يا سيدي ، كيف تفسر سلوك انسان مثل كورتن حسب هذيـــن المفهوميـــن ؟

ــ ينبغي أن افكر فى الامر اولا ...

ــ اه ! قلت ذلك فى اخر مرة دخلنا فيها بنقاش !

والتفت الى سورم وغمز له بعينيه وقال :

ــ انه انسان من العسير الجدال معه . ان جميع هـــؤلاء القسس الدرمينيكان سواسية ... عندما تحصرهم فى زاوية ، يطلبون وقتا للتفكير !

وبقي التعبير المرتسم فى وجه القسيس هادئا تأمليا . ثم قال ببطء :

ــ طيب ، ان اردت مني المحاولة فى الشرح ... فأنني اعبر عنها على هذا النحو . يعرف الانسان نفسه على انه جسد ، وما يعرفه عن الروح يصل اليه

عن طريق النعمة الالهية ، اي ما يسميه الشاعر بالوحي . غير ان الروح ترسل نفحاتها حين تشاء ، وليس للانسان سيطرة على وحيه . فاذا حركت قطعة موسيقية او قصيدة شعرية عواطفه مرة ، فليس بوسعه قط ان يكون على يقين من انهما ستحركانه مرة ثانية . ولكن الانسان يكره التفكير فى انه يفتقر الى السيطرة على روحه . لان هذا يثبط من شجاعته كثيراً . انه يميل الى الاعتقاد بأن فى امكانه ان يستحضر روحه بطريقة اعتيادية . وبدلا من بذل الجهود ليهيء نفسه لها بالتزام نظام صارم وبالصلاة ، يحاول ان يستحضرها بطريقة غير منتظمة وبالصدفة عن طريق عملية مادية ــ كأن يحتسي بيرة دوسلدورف ، مثلا . . .

فقال شتاين مقهقها :

ــ وهي الطريق التي يستقدم بها جميع سكان دوسلدورف الطيبون ارواحهم ، ما دامت بيرتهم افضل بيرة فى جميع المانيا .

وضحك القسيس معه . ومر بسورم لبرهة من الزمن انطباع غريب كأنه يصغي الى نقاش بين طالبين في اوائل دراستهما الجامعية بدلا من رجلين فى العقد السابع من عمرهما. دفن نفسه فى كرسيه لكي يغيب عنهما وجوده. وكان القس اول من توقف عن الضحك ولمح سورم تلك النظرة التي تكمن دائما فى اعماق عينيه . وعاد شتاين ايضا الى وقاره وقال :

ــ طيب ، ولكن ما علاقة ذلك بالقاتل ؟

ــ هذا له علاقة بالجنس . ان الجنس هو الوسيلة المفضلة لدى الانسان للوصول الى الروح. ولما كانت هذه الوسيلة هي فى الوقت عينه هبة الله لتكاثر النسل ، فهي دائما وسيلة ناجعة . . . ليس كالموسيقى والشعر .

فقال شتاين : او البيرة .

ــ بالضبط . ولكن الجنس ايضا غير معصوم من الخطأ . والانسان يكره التفكير فى انه يفتقر الى السيطرة على روحه . وكلما خيبته هذه الوسائل الجسدية المادية اكثر لاحقها بنهم اعنف . وتصبح محاولاته لاحضار الروح اكثر جنونا . فاذا كان معتادا على الشراب ، شرب المزيد حتى تسري الخمر فى عروقه بدلا من الدم . واذا كان شبقا استنبط الانحراف الجنسي .

فقال شتاين :

ــ آه .

ــ هنالك طرق اخرى كثيرة ، بطبيعة الحال ــ شهوة المال والسلطان ، مثلا . وكلها تستند الى رفض الانسان مواجهة حقيقة ان الروح تهب حيث تشاء ، وان ليس هنالك فعل مادي يضمن استحضارها . . .

ونسي سورم اعتزامه ان يلزم الصمت ، وقال :

ـ ولكن اليست هنالك ابدا اية طريقة معينة لاستحضارها ، ايها الاب .

وظل القس ينظر الى شتاين وهو يجيب :

ـ كلا ابدا . افضل ما يمكننا فعله هو ان نروض انفسنا على الصبر . وعندما يبتهل القسيس الى الروح ان تهبط اثناء القداس لا يتوقع ان يراها او يحس بها . انه يسلم بايمانه فى ان الخمر قد تتحول الى دماء سيدنا والخبز الى لحمه . ان القسيس ليعلم بان كل ما يمكنه فعله هو ان ينتظر . وظيفة الدين هي تعليم الانسان على الصبر . وحالما يفقد الانسان صبره ، يفقد كل ما يملك ...

فقال شتاين :

ـ هكذا ! وبماذا اخبر مريضي الذي يشعر بدافع شديد لاغتصاب طفل؟ اقول له ان يتجمل بالصبر ؟

فاجاب القسيس بلهجة حادة غير متوقعة :

ـ فبماذا تخبره اذن ؟ لماذا يريد ان يغتصب الطفل ؟ كيف تفسر ذلك ؟

فهز شتاين كتفيه :

ـ ينبثق هذا الدافع عادة من الشعور بالقلق وعدم الاستقرار . او من الضجر . كثير من مرضاي كانوا يشكون من شعور مستديم بالظلم ـ بان من حقهم ان يحيوا حياة اكثر متعة . والانسان الذي يعاني من الخيبة الجنسية يعبر عن احساسه بالظلم عن طريق جرائم القتل الجنسية .

وبدا التعب على القسيس ، فانخفض صوته واصبح رتيبا ، وقال :

ـ من تعاليم الدين ان الناس متساوون جميعا بنظر الله ، وان المتسول ليس افضل من الملك وان الناس جميعهم فانون وانهم خاضعون لصنوف البؤس ذاتها . فاذا شعر الانسان بهذا كيف تنتابه الرغبة فى اغتصاب الطفل ؟

فقال شتاين :

ـ صحيح ، ولكن على الانسان ان يكون فيلسوفا ليحس بذلك ، واكثر المرضى نفسيا ليسوا بفلاسفة ...

فقال القسيس بهدوء :

ـ لكن الانسان اما ان يكون فيلسوفا ... او مسيحيا .

ونهض شتاين ، وقال :

ـ لعلك على حق ، ايها الصديق . ولكنني اعتقد انه ينبغي علينا ان نترك الأمر الان . اعتقد اننا اخذنا نتعبك قليلا .

ولم يستطع سورم ان يكتم ابتسامة على ظلم شتاين له فى استعماله

ضمير الجمع . وقال القسيس :
ـ كان لطفا منك ان تأتي لزيارتي .
فقال شتاين مبتسما : يطيب لي ان اراك .
ثم التفت الى سورم وقال : يعرف احدنا الاخر منذ خمسين عاما .
فقال سورم بأدب : حقا ؟
فقال شتاين : اذن ! نتركك الان الى تأملاتك .
وقال القسيس : تعال ثانية يا جيرارد .
ـ اشكرك جدا ، يطيب لي ذلك .
ـ هل رأيت اوستن منذ ان زرتني في المرة الاخيرة ؟
ـ نعم . عدة مرات . اريد ان نتحدث عنه يوما من الايام ، ايها الاب ... وبالمناسبة ايها الاب ...
ونظر بعدم ارتياح الى شتاين قبل ان يتفوه بالسؤال ، ثم مضى في قوله:
ـ هل تعرف ... المسز نـ ن عن ... اوستن ؟
وفهم القسيس ما يعنيه حالا وقال بسرعة :
ـ كلا . لماذا ؟
ـ كنت اتساءل . ان عمته ـ وهي من شهود بهوه ـ كانت قد اكتشفت ذلك بواسطة احد اصدقائها الفضوليين . ولكني لا اعتقد بانها ستذكر لوالديه شيئا .
كان شتاين قد ارتدى معطفه ووقف قرب الباب . كانت قطرات العرق مستقرة على وجهه . كان ظاهرا انه وجد حرارة الغرفة خانقة . وقال سورم:
ـ حسنا . وداعا ايها الاب ...
ـ وداعا يا جيرارد ، وداعا يا فرانز . ارجو ان تزوراني ان مررتما من هنا مرة اخرى .
فقال شتاين بالالمانية :
ـ اراك فيما بعد ، يا لاري .
واردف بالانكليزية :
ـ اني سأزورك بالتأكيد .
وتبع سورم هذا الرجل القصير القامة العريض المنكبين هابطا السلم .
وقال شتاين من فوق كتفيه :
ـ لاحظت انه كان تعبا . انه يتعب بسهولة .
ـ تماما .
وخرجا من الباب الامامي . وقال سورم :

ـ طيب ، وداعا ايها البروفسور . ارجو أن نلتقي ثانية .
ـ الست ذاهبا في هذا الاتجاه .
ـ كـلا ، هذه دراجتي .
ـ اه ، معقول جدا . طيب ... الا تشاركني احتساء بعض القهوة ؟
فقال سورم :
ـ يسرني ذلـــك .
ودهس سورم لعرض الرجل الالماني . حيث انه عندما كان في غرفـــة القسيس كان واثقا من ان شتاين كان ينظر اليه كشخص ثالث زائد عن الحاجة. واحس فجأة بالمودة لهذا الرجل القصير . واعاد كلابات الدراجة الى جيبه ومشى الى جنب شتاين في شارع روزبري ومنه الى طريق فارينكتن . وفيمـا هما يسيران ، راح شتاين يشرح :
ـ انا ولاري تلقينا دراستنا معا في روما منذ اربعين عاما . كنت في ذلك الوقت انهيأ لاكون قسا من الجزويت . تصور !
ـ ومـــاذا حدث .
ـ اكتشفت مؤلفات فرويد فغيرت رايي .
وقهقه الرجل الالماني بصوت صادر من حنجرته .
ـ اكان عليك ان تدرس الطب ايضا ؟
ـ درست . كان والداي يفضلان ان اكون طبيبا بدلا من قس . ولهذا فلم نكن على اختلاف . وغادرت روما الى فيينا لافتش عن فرويد ...
كانت المقهى خاليه. وكانت هنالك امرأة تنظف الارض بفرشاة وسطل. واسندت الفرشاة في احدى الزوايا ثم جففت يديها بصدرينها لتصب لهمـــا القهوة . واخرج شتاين علبة سيجار وقدمها لسورم . واشعل هو واحدة ثم استلقى الى الخلف في كرسيه ، وراح ينفث الدخان يتأمل ريثما تصل القهوة . وبينما كانت المرأة تنحني بينهما ، نظر الى سورم وسأل فجأة :
ـ كيف حال اوستن هذه الايام ؟
وفاجأه السؤال ، فقال بدهشة :
ـ هل تعرف اوستن ؟
ـ على ... معرفة بسيطة به . ولكني اعرف الكثير عنه .
وادرك سورم بيقين مفاجيء ان ذلك كان السبب الذي دعاه شتاين من اجلـه لتناول القهوة . وقال :
ـ اوه ، انه بخير ، شكرا .

وشرع يسكب من وعاء الكريمة في فنجانه وترك الخطوة التاليةلشتاين.
ــ هل انت من اصدقائه المقربين ؟
ونظر سورم في عينيه الزرقاويين النلجيتين ودهش للموقف الدفاعي الــذي تولد في نفســه .
ــ اعرفه جيدا نوعا ما . اني شديد الاهتمام به ...
وابتسم شتاين فجأة ، ومال الى الامام قائلا :
ــ لا داعي لان تجزع . اعرف عنه بواسطة لاري.واعرف انه سادي.
ــ ما سبب اهتمامك به ، اذا سمحت لي بالسؤال ؟
ــ بالطبع . ولكن لا تخبره بما سأقوله .
ــ كـــلا .
ــ كان في دوسلدورف مدة من الزمن وكان معروفا لدى الشرطة .ليس في الامر شيء خطير ، بالطبع ، ولكني عرفت بذلك خلال صلتي بالشرطة .
واستلقى شتاين الى الوراء ، وسحب نفسا عميقا من السيجار . وبــدا عليه كأن الموضوع لم يعد يثير اهتمامه . وشرب سورم القهوة ، وترك الصمت يستطيل . ومضى يتساءل : ترى هل ان شتاين هو من الاشخاص الذيــن يوثق بهم ؟وماذا كان يتوقع منه ان يخبره عن نــن . والتقت نظراتهما فابتسم شتاين ، كأنهما مسافران في عربة قطار واتفق ان يجلس كل منهما في مواجهة الاخر . وقـــــال سورم :
ــ ايها البروفسور ، ارجو اجابتي عن هذا السؤال ، ان شئت ... هل هناك سبب يدعو اوستن الى التخوف من الشرطة ؟
فاجاب شتاين على الفور :
ــ حسب ما اعلم ، كلا . هل لديك انت اية اسباب ؟
ــ كلا . ولكني لست منحرفا جنسيا ولست ساديا .
ــ اه . قل لي اذن ، كيف تكون صديق اوستن ان كنت لا تشترك معه بهوايتـــــه ؟
ــ اتفق اني اميـــل اليه ...
ــ تماما . لا غرابة في ذلك . منذ متى وانت تعرفه ؟
فقال سورم مبتسما :
ــ منـــــذ اسبوع بالضبط .
واستطاع سورم ان يرى الخيبة وفقدان الاهتمام . واطفأ شتاين عقب سيجارة وافرغ بقية فنجان القهوة وقال :
ــ يجب ان تتحدث الى لاري عن أوستن . انه على معرفة افضل مني

بــه . ولكن دعني اقدم لك نصحا . قد يخطر ببالك بأن في امكانك ان تنشيء علاقة مع اوستن بحيث لا تكون فيها اهمية لانحرافه الجنسي ولساديته . لا تؤمن بذلك . قد يفاجئك يوما .

ــ اشكرك . سوف لا اخذ العلاقة على علاتها .

ونظر اليه شتاين مليا لحظة وقد اقترب حاجباه الكثيفان . وقـــال باقتضـــاب : طيب .

ونهض والقي ببعض قطع النقود على طاولة البار . وقالت المراة :

ــ اشكرك ، يـــا سيدي .

وعندما صارا في الخارج مرة اخرى ، في طريق فارينكتن الباهت النور ، قـــال شتاين :

ــ لادي رجل رائع . ولكنه لن يعيش طويلا . اذا كنت تميل اليـــــه فيجب ان تراه اكثر مـــا يمكنك .

ــ سأفعل ذلك . اني اميل اليه كثيرا ــ بالرغم من اني تعرفت عليـــه منذ اقل من اسبوع .

ــ حقـــا ؟ انك شخص كثير الاتصالات .

ــ كـــلا ، ابـــدا .

ــ كلا ؟ حسنا . . . يجب ان اودعك الان . سنلتقي ثانية .

وهز سورم اليد التي مدت اليه ، كانت قبضتها شديدة . وظل واقفا ، يرقب شتاين وهو يمشي باتجاه الشارع الذي يحاذي النهر ، وقد القـــى براسه الاشيب الى الوراء .

* * *

واوصد باب غرفته واشعل النار الغازية . كان يحس بالخدر في يديـــه وقدميه . كان سرواله مبتلا عند الركبة ، فقد بدأ المطر بالهطول عندما مـــر بسانت بانكراس. وخلع سرواله وقميصه وارتدى الروب ثم ملأ الابريق بالماء ووضعه على النار الغازية . وجلس ومد ساقيه صوب النار. كان اشد نعاسا من ان يرغب في القراءة ، وادهشه ذلك الصمت الداخلي الذي استحوذ عليه وهو ينفرس في النار الحمراء . كان تركيزا تاما ويقينا تاما . وراح يحـــرك لسانه بين اسنانه فعثر على فجوة في احد الاسنان كانت تحتاج لان يملأها واخذ يمتص بها. ولم يكن يحس بالعجلة ، ولم ينتبه شعور بالذنب لتسويفه الامور . ومد يده وتناول الكتاب الملقى على الطاولة ــ كان عنوانه : « جون وطسن لوري » ــ وطفق يقرأ مقدمته . وبعد ان قرأ بضع صفحات منه القاه على الطاولة . كانت حادثة القتل في اران تبدو عادية مملة بالنسبة لجرائم

وايتسابل . وغلى الماء في الابريق . فحضر الشاي ثم دخل الفراش ليحتسيه ، بعد ان اخفض درجة حرارة المدفأة ، وهو يحس بالدفء والاسترخاء النامين . وبينما كان يشرب الشاي شعر بالميل لكتابة شيء في يومياته ليحاول ان يدون الرؤيا التي كانت تتمطى فيه . ولكن الخوف من ان يحطم الرؤيا بمحاولة فلسفتها ومنطقتها منعه من ذلك . وعندما انهى قدحه وضعه على الكرسي وجلس يحدق في الجدار المقابل ، ولم يكن يراه تماما ، ولكنه علم انه بالغ الحالة الذهنية الخلاقة التي كانت تتحاشاه طوال السنة الماضية . وبدت له حالته مضحكة . كان في غرفته ، وكان الباب موصدا ، فاذا جاءت كارلوتة لتبلغه بنداء تلفوني له فستفرض انه خارج . واحس فجأة كأن العالم تقلص حتى احتوته جدران غرفته الاربعة . ولم تساوره بعد اية شكوك . ان ما حققه هو يقين بوجوده ، استعادة لذاتيته . ومضى يتأمل : ان الانسان الذي يملك ذاتيته يملك كل شيء . وعلم ان هذه حقيقة صائبة . ولكن كان من الصعب عليه أن يبقى مستيقظا . وقد اكسبته الرؤيا احساسا بالقبول ، بالوثوق ، اغرياه بأن يضطجع ويغلق عينيه . ووجد نفسه في عين الوقت مضطجعا على مرتفع يطل على البحر ، وقد هنهنته الى النوم اشعة الشمس والهوام ، وظل كذلك واقفا على اسوار القصر في مايسبناي يستعرض الجنود في تدريبهم في ساحة القصر . لقد كان هذا اليقين يشتمل على كل الشعر والفلسفة .

ولكي يقهر نعاسه ، فتح الفرامافون ووضع فيه اسطوانة لاحدى مقطوعات سبيليوس ، وركزت النغمات الاولى من السمفونية بصيرته تلك ، وادراكه الماضي . وذكره هذا الاحساس بالحلم الذي رآه عن نن في الماخور ، وقاده نن الى التفكير بنجنسكي . لقد احس بان كل ما كان نجنسكي يمثله بالنسبة اليه قد تركز في عاطفة واحدة — تلك هي الايمان ، الايمان بنفسه ، والايمان بالحياة والايمان بالله . واحس كأنه يقول : اني اقبل الحياة . اقبل كل شيء .

وراح يفكر ، بدهشة فارغة : لقد استعدتها . لقد اسعدت ذاتيتي . لو استطعت ان اعيش دائما على هذا النحو ، لما شككت ابدا .

اللاحقيقية . اللاحقيقة هي فقدان الذاتية . عشت خمس سنين في تدريبهم في ساحة القصر . لقد كان هذا اليقين يشمل على كل السعر والفلسفة . مدينة لا حقيقية . انها الان مدينتي انا .

وبدأ يحس بأن من العسير عليه ان يحتمل الرؤيا . وراح يبذل جهدا عقليا ليبتعد عنها ، وذلك بأن يسد عليه منافذ مدركاته . وهيمن عليه نوع من

الظلام البارد . وعندما انتهى الشوط الاول من السمفونية مد يده واطفأ الغرامافون ثم استلقى .

وقبل ان ينام اعد الساعة لتوقظه في الساعة الرابعة والنصف . وتذكر كارولين واحس بالانهاك والنقاء ، وطاب له التفكير فيها .

* * *

عندما استيقظ الفى النار منطفئة ، وقد اخذ الظلام يزحف على المساء الشتائي . لم تكن الساعة في الرابعة والنصف بعد . فمد يده الى الساعة وضغط على الزر لكي يمنع جرسها من الرنين ، ثم نهض من الفراش وفتح النور . واخرج سرواله الجديد من دولاب الملابس ولبسه ، كان السروال الاخر لم يزل مبتلا عند الركبة . وبينما كان ينقل نقوده الى السروال الجديد ويبحث عن شلن لوضعه في مدفأة الغاز عطس عطسة فشعر بصفاء في راسه . ثم ملأ قدحا بالماء وراح يشربه مرة واحدة دون ان يبعد القدح عن فمه ، فبدد اخر ما علق في راسه من النعاس وكانت حالة اليقين التي احس بها لم تختف بعد . ولبس سترته ثم تناول معطفه الثقيل من دولاب الملابس وهبط السلم . كان الهواء يتنفس برائحة الشتاء – مزيج من الدخان والبرد والغروب . وراح يمشي في شارع اوكسفورد الكبير مارا عبر واجهات الحوانيت المضاءة ، ووجد من الضروري ان يكبت رغبته في الضحك بصوت عال .

ولما عاد الى غرفته كانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعا . كانت الحوانيت تعج بالزبائن الذين اجلوا التسوق الى مساء الجمعة ، وكانت عليها لافتات كتب عليها : « اقتن حاجياتك لعيد الميلاد مبكرا » . ووضع زجاجتي النبيذ الابيض على عتبة الشباك ، بالقرب من الشباك المفتوح . ثم قضى ربع الساعة التالي بكنس الغرفة وتنظيف الكتب وتنظيم الفراش باغطية نظيفة . وجمع الصحون الوسخة ، التي تركت منذ عشاء الليلة الماضية ، والتقط كذلك الاكواب والاقداح وصعد بها الى المطبخ . وريثما يغلي ابريق الماء ، راح يقرأ الجريدة المسائية ، وهو يجلس على حافة الطاولة التي طلى اعلاها بالميناء . كانت الصفحة الاولى منفرغة للرسالتين اللتين استلمتهما الشرطة وقد نشرتا بالنص . وقد نشرت كذلك صورة احداهما وكتب تحتها : هل تعرف هذا الخط ؟ كان الخط لا يدل على ان الكاتب مثقف ، وكانت في الرسالة بقعتان ، ولكن لم تكن هناك طبعات اصابع مرئية . كان هذا نص الرسالة الاولى :

« عزيزي الرئيس ، الشرطة اذن تبحث عني طولا وعرضا ، اليس كذلك ؟ عليها ان تجهد نفسها للعثور على صديقهم القديم لانه يتحاشى رجال الشرطة ولكنه سيمتعكم بطبخات فيها المزيد من التوابل اذا لم تحاولوا ان

تجهزوا عليه . انه ، فى المرة القادمة ، سيقطع اذان النساء ويبعثها لكم . انا لست شيوعيا ، وعليه فلا تدعو هؤلاء المجانين ينالون المديح لمخاطر تجشمتها انا ـ خادمكم المخلص : الفوطة الجلدية . ملاحظة : ارجو الاحتفاظ بهذه الرسالة حتى استطيع ان اقوم باعمال اخرى » .

وكانت الرسالة التانية اقصر من الاولى :

« عزيزي الرئيس ، انا لم اكن مازحا عندما وعدتكم باعمال اخرى . ولكن احدهم قاطعني اثناء العمليتين فلم احصل على الاذان . سأرسلها فيما بعد . وقد حصلت على المادة الحمراء الحقيقية لاكتب لكم هذه الرسالة ولكنها تخثرت . اشكركم على الاحتفاظ برسالتي الاولى . خادمكم المطيع : الفوطة الجلدية . »

واشارت الصحيفة الى ان الرسالتين كتبتا بالحبر الاحمر وان كلتيهما لا تحملان طبعات اصابع .

ـ هلو ، جيرارد !

وافزعه الصوت الذي صدر من اسفل السلم . وعندما اقبلتعليه قال:

ـ يا الهي ، ايتها العزيزة ، كدت تسببين لي سكتة قلبية .

ـ اسفة .

واحاط بيديه معطفها السميك وقبلها ، ثم رفع ياقته الكبيرة وشدها على اذنيها وهو يقبل انفها البارد وجفنيها . وقالت :

ـ مممممم ! تحتاج الى حلاقة .

ـ اعلم . كنت على وشك . .

ـ هل اعاونك فىالمطبخ ؟

ـ كلا ، اشكرك يا عزيزتي . يمكنك أن تذهبي وتجلسي امام النار وتضعي بعض الموسيقى .

وهمست وهي تمر بشفتيها على خده :

ـ انا لست عائدة الى البيت هذه الليلة . لقد قلت لوالدتي بأن عندنا حفلة ساهرة حتى الصباح .

ـ طيب .

وسألت : ـ لم تبتسم ؟

ـ افكر فى جيرترود . ترى ماذا ستفكر لو اكتشفت الامر ؟

* * *

بعثت اضواء النيون فى كامدن تاون الشعور بالرضى فى نفسه . ومشى وذراعه يلتف حولها ، واحس بالارتياب من المتعة التي كان يحس بها وهي الى

جنبه . لم يستطع ان يتناسى ابدا افتقارها الى التجربة ، وبأنها اقل منه سنا بعشر سنيـــن . وقالت :

ــ عزيزي ، احس اني ثملة الى حد فظيع .

ــ لا تكترثي . نامي وسيذهب عنــك .

ــ الا تعارض صاحبة البيت ، تعتقد ؟

ــ لن تعلم بالامر . لن يعلم احد اذا غادرت فى وقت متأخر قليلا .

وشعر بنوع من الاشفاق عليها . افتقارها الى التجربة جعلها تقـــدم نفسـها له دون قيد او شرط ، كان شيئا لطيفا ولكنه مخيف قليلا .

وفتح الباب الامامي بهدوء ودفعها امامه . وفيما هما يصعدان السلم رن جرس التلفون . وقال مزمجرا :

ــ او ، يا للمسيح ، ارجو الا يكون اوستن .

اذهبي الى غرفتي ، عزيزتي ، سأرد عليه .

وقال ، هـــلو ؟

ــ هل يمكنني ان اكلم كارلوتة ، رجـاء ؟

ــ سأناديها .

واخذ ينادي فى الطابق السفلي : كارلوتــة !

ثم عاد يصعد السلم ويتمتم بصوت خافت : شكرا لله !

كانت راقدة على الفراش ولم تزل مرتدية معطفها ، وقالت :

ــ اوه ، يا عزيزي ، اشعر اني ثملة جدا . . .

ــ طيب . اجلسي ، تشعرين بسكر اشد اذا اضطجعت .

وجمع الصحون الوسخة من الطاولةوزجاجتي الشراب الفارغتين واخذها الى المطبخ . وخلص الصحون مما علق بها فى سلة الاوساخ ثم وضعها فـــي المغسلة . ومن شدة النعاس تقاعس عن الذهاب الى الحمام لاحضار الماء المغلي .

ولما عاد الى غرفته وجدها فى الفراش . وشعر بالخيبة ، لقد كان يتمنى ان يتأملها وهي تتعرى . كانت ملابسـها ملقاة على الكرسي . وكانت هي ترقد على السرير وقد ادارت له ظهرها ودفنت وجهها فى الوسادة . وابتسم لهذا الوجه الاشقر الذي اختفى اكثره تحت الاغطية . كان فيعدم محاولتها لاضفاء اي غموض على انوثتها شيء طفولي يثير الحنان . ولم تكد تمر ثوانمعدودات حتى كان يرقد الى جنبها فى الفراش ، وقد لامست ذراعاه العاريتان كتفيهـا العاريين فاهتز لذلـــك .

وكان على حق فى فرضه ان نعاسها لن يمنعها من ادراك غرابة موقفها وهي تضطجع مع رجل للمرة الاولى . فاستدارت فى الحال وطوقت رقبته

بذراعيها . فأحس بالنشوة تغلي في عروقه ، وتذكر فشل محاولته عندما كانا في العوامة وبعدئذ في سريرها عند العمة جيرترود كوينسي ، ومن ثم شكوكه بأن قد يحدث ما يمنعه الى الابد من الاستمتاع بدفء جسدها الى جواره في الفراش . لم تكن هذه السكوك صائبة ، وقد بدا له ان ادراكه لذلك تضمن حقائق عامة ، ولكنه كان اكثر هبجانا من أن يبدأ بتحليلها . وظلا راقدين هنالك في الظلام ، لا ينبسان بكلمة ، وانما يتحسس كل منهما جسد الاخر . وشعر في تلك اللحظة بالرغبة في ان يحتويها بجسمه ، وان يندمج بها كلية . فأوقفه عندما هم بدفع جسده عبر جسدها ، وقالت :

ـ هل . . . هل الامر مأمون ، يا عزيزي ؟ فلا اريد طفلا الان .

ـ سيكون كل شيء على ما يرام . . . لا تقلقي . . .

* * *

وسمع من بعيد صوت ساعة تدق الثالثة ، فيما هو يحدق في الظلام . وظنها راحت في اغفاءة ، فقد كانت انفاسها هادئة . ولم يكن يحس بالهيج الان ، ولا بالغربة الى جانبها . وظل مضطجعا على ظهره ، وتذكر مناسبات سابقة مماثلة ، والعنف الذي تورثه المشاعر التي لا تجد لها متنفسا ، والتي ينسى كل شيء عنها في اليوم التالي ، ما عدا ما تكشفه وهي في اندفاعها المدفق من جوانب نفسه التي لم يسبر غورها بعد . وتذكر الفتاة التي رآها في الشارع المحاذي للنهر والتي طار رداؤها حتى اعلى راسها ، وحمى الشهوة التي اثارها ، واخذ يتأمل : لعل هذا هو الجنس . . . انه حمى . انه خداع . فلو كانت تلك الفتاة هي كارولين لشعرت بنفس الشهوة تعتريني . ومع هذا ، فهي ترقد الان هنا ، واني احس بالهدوء . لعلي اكسب ثقتها كي اخدعها ؟ ولنفرض انى افلحت اذا ما حاولت مرة اخرى . فماذا سيكون عليه الفرق ؟ انها ستكون « خليلتي » ، هذا كل ما في الامر ، ستكون رمزا لقوتي ، ولنجاحي . ولكن هل سنهبط علي ايحاءات جديدة وانا اغازلها ؟ هل سأحس باني تجددت على نحو غريب ، وكأن الخلود قد مسح جبيني ؟ وما رأيك في كل ما تحدث عنه د. هـ. لورنس ؟ انه كان مجنونا ودجالا . يمكن ان يكون جيدا بالطبع ، ولكن ليس الى هذا الحد . لا يكون جيدا بحد ذاته ابدا ، وانما كجزء من اهدافك الكبرى . ان الاتصال الجنسي مجرد طاقة خام ، ضوء وحرارة . وما يجعل منه امرا مهما هو المثل التي ينيرها .

وجلست فجأة ، فقال : ـ ما الخبر ؟

ـ اريد أن اذهب لشأني . . . سألبس معطفي . . .

ـ خذي مصباح دراجتي . انه فوق المكتبة .

وتمدد في الفراش . كان سريرا لشخص واحد ولكنه واسع ، يكفي لاثنين . وانتابه احساس بالترف وهو يستأثر به لفترة قصيرة . لم تكن الغرفة مظلمة . كان يمكنه رؤية انحناءات ملابسها على الكرسي . فمد يده وراح يتحسس بين ابهامه واصبعه الاخر النعومة الحريرية التي ينيرها ثوبها الداخلي . فذكره بسفرة بالقطار قام بها بين ليفربول ولندن . كانت هنالك طالبتا مدرسة تجلسان امامه، كلتاهما في حوالي الرابعة عشرة، وترتديان ملابس العطلة وهما تحملان حقائب كبيرة . كانت احداهما رشيقة القوام الى حد كبير ، وكانت ترتدي تنورة صوفية بنية ، وقد انزلقت حوالي بوصتين الى اعلى ركبتيها ، فكشفت عن رداء داخلي من النايلون ذي حافة موشاة باتقان مفرط . وكان جورباها ، وكان من الواضح جيدا ان يتفقا والمناسبة ، من النسيج الخالص . وشعر انها كانت تحس بالزهو لهذه الحافة الموشاة في ثوبها الداخلي ،حيث انها لم تقم الا بمحاولتين باردتين لتسدل تنورتها طوال السفرة التي دامت اربع ساعات . وحاول في اول الامر ان يغض الطرف عن المنظر ، واحس بالخجل من الرغبة التي تنحنحت في اعماقه . وحاول ان ينظر من خلال النافذة ، وترك لخياله العنان ليتخيلها بين ذراعيه . واخيرا ،امتلكها كليا في خياله حتى شعر بهزة من الدهشة عندما التفت اليها ونظر الى قطعة النايلون الموشاة المغرية ، وادرك انها لم تزل انسانا غريبا عنه . والتقت نظراتهما مرة ، فأشاحت بوجهها وقد احمرت خجلا . وادهشه انها مع ذلك لم تكلف نفسها اخفاء الحافة المزركشة التي توحي بغرف النوم والاستسلام. وعندما هبط في بادينغتن ، امسك بحقائبه واندفع الى الرصيف وقد تملكه شعور مفاجيء بانها ستركب نفس الباص وتجلس امامه ثانية لنصف ساعة اخرى ، لتطبع صورتها في ذهنه الى الابد . ولكنه لم يرها ثانية .

ولو كانت هي نفسها الفتاة التي كانت تضطجع بجواره الان والتي تركت ملابسها على الكرسي الى جانب السرير ، فلا يستطيع اي اشباع للرغبة ان يعيد اليه هذا التوتر النفسي الذي حدث له وهو يسافر في مواجهتها من ليفربول الى لندن . لقد كان ذلك خدعة ، رغبة دون هدف .

وعادت كارولين الى الغرفة . واحس بجسدها باردا عندما تلامسا . واخذ يقبلها بقوة . وهو يبتهج للشهوة التي تدفقت فورا في عروقها فجعلتها تضغط بجسدها عليه . ولم يأت هذه المرة بحركات مفاجئة ليفزعها ،واكتفى بملاطفتها بيده وهي ترقد الى جنبه ...

الفصـــل الثـــالث

واصرت على ان يبقى فى الفراش ريثما تحضر الشاى . غيـــر ان فكرة رؤيتها تروح وتجيء وهي ترتدي روبه ازعجته ، ولكن سرورها كان من الوضوح بحيث انه لم يشأ أن يوقفها . وجلس فى فراشه ، محاولا ان يقرأ ، وقـــد انصرف نصف اهتمامه الى القراءة ، بينما راح ينتبه الى صوت كاليه يتحرك فى الغرفة المجاورة أو كارلوتة تنظف السلم . كانت كارولين فى الحمام . وبعد لحظات خرجت واخذت ترقى السلم وسمع في الوقت نفسه صوت خطوات اخرى تصعد الجزء الاول من الدرج . فسألها وهي تدخل الغرفة :

ــ مـــن كـــان ؟

ــ من كان مـــن ؟

ــ ذاك الشخص ؟

وسمع صوت وقع الاقدام امام غرفته ثم على الجزء الاخر من السلم فقـــالت :

ــ لا اعلم فلم انتبه .

ــ لعل كارلوتة ذهبت لتنظف غرفة الرجل العجوز . أو ربما قـــدم مستأجـــر جديد .

وتحركت الاقدام على الارضية فوقهما . وقال :

ــ تبدين حلوة في هذا الروب ، ولكن ينبغي ان يكون اقصر من هذا قدما واحدا .

وجلست على حافة السرير وقبلته . كانت تبدو ، حتى بدون المساحيق وبشعرها الاشعث ، وردية البشرة كانها طفل .

ــ كيف تشعرين اليوم .

ـ اشعر بالضيق . ولولا ذلك لكنت بخير .
ـ متعبة ؟
ـ كلا . سأدخل الفراش ان اردت !

وسحبها من كتفيها الى الخلف وقبلها . وسمعا قرقعة شديدة في الغرفة العليا . فنظر سورم الى السقف وقال :

ـ هل انت هناك ، يا حلوه ؟

كان هنالك دوي يسببه صوت كرسي يجر على عجلات .

وقال كارولين :

ـ أعتقد ان الفتاة ترتب الغرفة . دعني انهض . ساحضر الشاي .

وراح يرقبها وهي تقف على طنفسة الموقد تضع الشاي بالملعقة في الدرس الكبير ، وهو يحاول ان يحلل الانفعالات التي كانت تثيرها فيه . لقد سره ان يضطجع معها ، وسره ان يتعرف على جسدها الان ـ غير ان هذا كان كل ما في الامر . انه لم يحس باتباع اعمق من ذلك ، لم يحس بهدئة للجوع . كان شيئا لا يمكنه تعريفه ، قد اقلقه . اذ لم تترك له التجربة شيئا سوى قليل من التعب الجسمي . وقال في نفسه : وماذا اريد ، على اية حال ؟ ماذا يريد جميع الرجال ؟ ان هذه الحاجة عامة بين الجميع ! كارولين ...

كانت ترتدي ملابسها ، وهي تقف عارية الجسد على طنفسة الموقد امام النار الغازية ، كانت تندس في ملابسها دون اي حياء . انها ولدت لتقوم بدور الخليلة ، او الزوجة فالامران متساويان ، على ما اظن . انها تريد زوجا ، وتحسب انها عاشقة .

ـ ولكني لا اريد ان اكون زوجا ـ زوجا صالحا ، كلبا امينا .

انا انطوي على اكثر من انسان واحد . انا بحاجة الى التعبير عن نفسي . وذلك بان يرقد جسدها تحت جسدي . والا فكيف ؟ ارقب الفجر ينبلج فوق مايدروك تسو او ساديا . ولم لا يكون اسلنغتون او القبتار لويلزي ؟

... من اسلنغتون الى ماريلبون .

والى تل بريمروز وغابة القديس يوحنا .

كانت تغطيها الاعمدة الذهبية .

وهنالك كانت تنتصب اعمدة اورشليم .

ولا استطيع القتل . ان الحياة تبتهج للحياة . لدي اكثر من الحاجة. مرتاح اكثر مما ينبغي . انا بحاجة الى معركة اخوضها . وطبقت كبسولة

الملابس عند خصر تنورتها برنة معدنية . وصبت الشاى في القدحين خلال مصفاة . وقــالت :

ـ اود لو يمكننا الرحيل الى محل ما . لفتره طويلة ... ما اجمل ان نعيش معــا !

فقــال مبتسما :

ـ لم لا ؟ يمكنك الانتقال عندي .

ـ وصاحبة البيت ؟ وامي ووالدي ؟ والعمة جيرترود ؟ واوستن ؟

ـ طيب ، وما دخل اوستن ؟

ـ انه يحس بالغيرة .

ـ اشك في ذلك ...

وفيما هو يهم بتناول قدح الشاي منها ، طرق احدهم الباب ، فقال بصوت خـافت :

ـ اوه ، يا للسماء !

وقفز من الفراش واختطف الروب من على مسند الكرسي ، فقــد خسي ان ينفتح الباب قبل ان يتمكن من الوصول اليه . وكان يعقد شريط الروب وهو يفتح الباب فقالت كارلوتة :

ـ احدهم يطلبك على التلفون ..

ـ اوه ، شكرا ..

ومالت اليه وقالت :

ـ لقــد ...

واومأت برأسها في اتجاه السلم . واخذ سورم يحدق في وجههـا دون أن يفهم .

ـ مــاذا ؟

فقالت ، كأنها تشركه في مؤامرة :

ـ لقــد عاد !

ـ من ؟ ارجو ان لا يكون الرجل العجوز ؟

فأومأت بالايجاب . كان موزعا بين الانكار الغاضب وبين خوفه مــن ان تطل في الغرفة فترى كارولين . فقال :

ـ او ، يا الهي ... ينبغي ان اذهب لاجيب التلفون .

واومأت برأسها باستجابة ، وهي تبتسم . كان ابتسامتها مفعمــة بالمودة والالفة على نحو لم يألفه من قبل ، فزاد ذلك مــن قلقــه لاحتمـال ظهور كارولين فجأة خلفه . وتمتم قائلا :

ـ سأذهب لالبس نعلي ...

واغلق الباب . ورفع اصبعه الى شفتيه منسيرا الى كاروليـن ان لا تنبس بكلمة ووجد نعليه . ولحق بكارلوتة على منتصف السلم .

ـ هل تعلم المسز ميلر بعودته ؟

ـ اوه ، اجل . هي التي بعثته .

ـ لا شك انها مجنونة ! الا تخشى ان يشعل النار في بيتها ؟

والتفتت الفتاة ونظرت اليه ، وكان في عينيها هـزء غريب . اذ افسد وجهها عبوس غريب اكسبه مظهرا شيطانيا . وقالت بهدوء :

ـ لقد رفعت ايجـاره !

وقبل ان يجيب ، كانت كارلوتة قد ركضت نازلة السلم الى الطابق السفلي ، وتركته يحدق في سماعة التلفون التى ترقد على طاولة الصالة.

ـ هـلو ؟

ـ هلو جيرارد . اوستن يتكلم .

ـ اوه ، هلو ، كيف حالك .

ـ بخير . اسمع ، هل يمكنك تناول الغداء معي اليوم ؟

ـ أ... نعم ، اعتقد ذلك . هل من سبب خاص ؟

ـ نعم . اريدك التعرف على صديقين لي ؟

ـ من هما ؟

ـ كاتبان امريكيان .

ـ هل اعرف احدا منهمـا ؟

ـ لا اعتقد ذلك . انهما شابان ، واعتقد انك ستجد متعة في لقائهما. انهما ينتميان الى جماعة تدعى «متمردو شيكاغو » .

هل يمكنك المجيء عند منتصف النهار ؟ سنحتسي بعض الشراب ثم نذهب الى سوهو .

ـ طيب . شكرا ، وبالمناسبة ، لم اشكرك لتلك الليلة .

ـ تشكرني لجعلك تتقيأ من المرض ، تعني ؟

ـ كلا ، ولكن ... لقد كنت طيبا حقا .

ـ كلا ابدا ، ايها الصبي . سأراك فيما بعد ، حسنا ؟

وعاد الى غرفته وقد اذهله كيف انه لا يمكن لاحد ان يتكهن بطبائع نن . فقد كان اخر مرة اتصل بها تلفونيا يلوح كالطفل المدلل ، والان يبدو كالاخ الاكبر الذي يرعى اخاه الاصغر .

ـ من كان على التلفون ؟

ـ اوستن .
ـ هذا الشيطـان !
ـ دعاني لتناول الغداء معه . ولكنني استطيع ان الغي الموعـد ان اردت ان نكون معـا .
ـ كلا ، لا تفتم ، يا عزيزى . ينبغي ان اعـود الـى البيت ، والا فسيحاول والداي الاتصال بالصديقة التي يفترض اني قضيت الليلة معها !
وسحبها اليه وقبلها . كان لثغرها مذاق الشاي الدافىء . وساوره شعور مترف ان يحس بدفئها يسد على جسده . وسرى احساس يشبـه التيار الكهربائي فى صدره وفخذيه . وقال بصوت غليظ :
ـ ما اسخف ان نلبس ملابسنا .
ورقدا جنبا الى جنب وهما ينظران الى السقف . وقال :
ـ لقد عاد هذا الحيوان الى الطابق العلوى .
ـ هل انت واثق ؟
ـ نعـم .
ونهض مستندا الى مرفقه وذاق الشاي الفاتر .
وقالت :
ـ ساهيء لك قدحا اخر .
ـ لا تكلفي نفسك . اتعلمين ، اعتقد باني سأسأل اوستن اذا كـان يعرف شقة اخرى . يملك والده نصف ماريلبون . لا اعتقد انى استطيـع ان اتحمل هذا السكير العجوز اسبوعا واحدا . انه سيحطمني .
وطرق احدهم الباب ، فافزع سورم . فهمس فياذن كارولين:ششش!
وانزلق خارجا من فراشه وارتدى الروب .
كان يتوقع ان يرى كارلوتة ولكنه وجد الرجل العجوز . كانت عيناه اقل بللا . وكان يرتدي بذلة صوفية تلوح من النوع الجيد وقميصا نظيفا. وابتسم بحياء :
ـ اسف لازعاجك يا سيدي ولكن هل لديك علبة ثقاب ؟
كان صوته واضحا رصينا . وبحث سورم في جيب روبه ثم ناولـه علبة الثقاب .
ـ اشكرك ولكني لن اخذ العلبة كلها . . .
ـ لا يهم . انها تكاد تكون فارغة .
وابتسم الرجل العجوز ، كأن لهما سببا سريا يدعوهما لتبـادل

الاعجاب . ووضع العلبة في جيبه . وراح يجرجر قدميه بتثاقل .
وقال سورم : ــ ارجو ان تكون احسن الان .
ــ اجل . شكرا .
وكأن كلمات سورم وضعت حدا لتردده فالتفت ومضى مبتعدا .
وفيما كان سورم يهم بغلق الباب ، التفت العجوز ، وابتسم بنظرة اعتذار وقال :
ــ لعلك تريد قراءة جريدة الصباح ؟
وسحب من جيبه جريدة مطوية وناولها لسورم ــ ثم اختفى على عجل ، كأنه يخشى ان يكون قد اقترف خطأ .
وعاد سورم الى غرفته وفتح الصحيفة . فقرأ العنوان التالي : القاء القبض على الزوج في حوادث القتل في غرينتنس .
ــ من كان هذا ؟
فقال وهو يرفع وجهه الى السقف :
ــ هو .
ــ يبدو في حال جيدة .
ــ أوه ، اجل . انه يبقى في حال جيدة الى ان يبدأ بالشرب . وهو يشرب ثلاثا وعشرين ساعة في اليوم .
ووقف بالقرب من الطاولة يقرأ الصفحة الاولى . وكانت كارولين ترتدي ملابسها مرة اخرى . وقال :
ــ اذن فهو لم ينتقل ابدا .
ــ من ؟
ــ مجرم وايتشابل .
وفيما هو يلبس حذاءيه ، قالت فجأة :
ــ ينبغي ان تشتري لك شقة في وايتشابل . يمكنني ان اراهنك على ان قيمة الاملاك قد هبطت منذ تلك الحوادث .
ــ ملاحظة تدل على الذكاء ، يا عزيزتي .
ــ الا تعتقد ذلك ؟
ــ لم لا ؟ لعل اوستن واباه مشتركان في ذلك ــ اوستن يقترف جرائم القتل وابوه يشتري العقارات باسعار منخفضة .
فقالت وقد قطبت جبينها :

– ولكني لا اظن ان في وسع اوستن ان يقتل النساء . الا تعتقد ذلك ؟

– لست ادري . سأسأله عندما اراه .

* * *

وتأخر في الوصول الى شارع الباني بنصف ساعة . وقال البواب :

– اه ، المستر نن في انتظارك ، يا سيدي . وانك لم تأت بالسيدين معك اذن ؟

– كلا . ألم يصلا ؟

– ما كانا قد وصلا بعد ، عندما اتصل بي المستر نن تلفونيا منذ خمس دقائق .

وفتح نن الباب ، فقال سورم على الفور :

– اسف لتأخري .

– لا يهم . انهما ايضا لم يصلا بعد . كيف حالك ، يا جيرارد ؟ يلوح عليك التعب .

– من جراء العكوف المهلك على الكتابة ، حسب ما اظن .

– ويسكي ؟

– شكرا . وبالمناسبة ، يا اوسنن ، اردت ان اسألك عندما نكون وحيدين ... هل تعرف اذا كانت في هذه المنطقة شقق او غرف غير مؤثثة ؟

– لك ؟

– نعم . اني افكر في تغيير مسكني .

– ولكنك كثير التنقل .

– اعلم . هل تتذكر الرجل العجوز الذي حدثتك عنه ؟

– نعم . هل خرج من المستشفى ؟

فأومأ سورم بالايجاب ، وقال :

– وصل صباح اليوم . ولذا فاظنه سيحرمني من النوم حتى يقع له حادث اخر .

وجلس نن على الكرسي الكبير واشعل سيكارة .

– السبل والوسائل موجودة دائما ، اليس كذلك ؟

وقال ، بعد ان رأى الحيرة ترتسم في وجه سورم :

– يمكننا ان ندبر حادثا له ، الا تتفق معي ؟

– هل انت جاد ؟

ـ تماما . مثـلا . . .

ورن جرس الباب ، فذهب نن نحوه . واثناء اللحظة التي ظل سورم فيها لوحده اخذ يحدق في قضبان المدفأة الملتهبة وراح يتساءل : ترى اى جانب من شخصيته يتهيأ نن ليكشفه له . وتناهى اليه صوت امريـــكي اللهجــة يقول :

ـ هاي ، ايها الرجل ! سعيد برؤيتك .

ودخلا الغرفة يتبعهما نن . وقال نن :

ـ اقدم لكما جيرارد سورم . جيرارد ، اقدم لك كـال تيشميـــير ورودي جيمس .

وقال اقصر الرجلين ، الذي يسبه الايطالببن ، بلهجة ودودة :

ـ هاى ، جيرارد . كيف حالك ؟

اما صديقه فقد مد يده من فوق الكرسي وربت على كتف سورم قائلا، بلهجة عميقة لطيفــة :

ـ مسرور برؤيتك ايها الرجل .

وارتمى على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه وترك ذراعيه يسقطـان باسترخاء على مسنديه . كان ،جهه مستطيلا غائر الخدين وقد نبت على ذقنه اشعر اشقر لم ير الحلاقة سند ثلاثة ايام . وكان ، كزميله ، يـرتدى سـرة جلدية تحتها قميص ذو الوان زاهية . وجلس الرجل الذى يشبـه الايطاليين الى جوار سورم على الديوان ، قائلا :

ـ ماذا ندعوك ـ جيري ؟

ـيمكنك ان تدعوني كذلك ان اردت .

ـ طيب . انا كال ، وهو جيمي .

وهتف نن ، وهو يقف الى جوار الدولاب :

ـ ماذا تشربان ؟

ـ الديك ويسكى بوربون ؟.

ـ نعـم .

واسـتـدار جمي فى كرسيه ونظر فـي دولاب المشروبـــات وصفر بصوت حـــاد :

ـ هي ، انظر الى هذا الرجل المجنون ! لديه عشرون زجاجة شراب هناك ! سنقبلنا حظ سعيد ، ايها الصبي ، وا هووووو .

وقفز من كرسيه وراح ينطنط صوب نن ، وامسك باحدى الزجاجات

وراح يقبلها بلهفة ، وقال بصوت اجش :

ـ ايها الصبي ، يسرني ان اراك !

وسأل كال سورم :

ـ هل انت كاتب ؟

فهز سورم كتفيه وقــال :

ـ ليس الى الدرجة التي تستحق الحديث عنها . ماذا تكتب انت ؟

ـ انا اكتب الروايات . وجيمي ذاك يقرض الشعر . لقـــد اسس مدرسة خاصة به ...

فقــال جيمي :

ـ أو ... لا

ـ ... التي اشار اليها صديقنا ومرشدنا الودود البروفيسور تريلنك.

فصاح جيمي :

ـ ابــن الكلب !...

ـ ... على انها مدرسة الزحار في الشعر !

وانطلق ضاحكا ، كانت ضحكة عالية مفعمة بالهزات والزعيق ، ذكـرت سورم بسيارة قديمة تتعثر على طريق وعر . فقال جيمي بقصد الانتقام :

ـ اجل ، وهل تعلم ماذا قالت مجلة « تايم » بصدد رواياته ..؟

وناوله نن قدحا مليئا الى منتصفه بالويسكي . فامسك به ، واخـذ يتسمه بانتشاء وسكبه في فمه على الفور . وقال بلهجة عاطفية :

ـ اوسسن ، اني احبك ان هذه الخمرة تساوى ثمنها حقا .

وجعل نــن يصب له المزيد من الويسكي ، وقال متصنعا الحدة :

ـ من يكترث لما يقوله النغول ؟ فكما قال عمر الخيام : « القافلـــــة تسير ، فلتنبح الكلاب » .

وناول نن لكال قدحا ، وسأل بجد :

ـ هل كنتما تشربان قبل ان تأتيا ، ايها الصبيان ؟

فقال كال :

ـ اوه ، انه ليس ثملا . انه دائما على هذا النحو . الست كـذلك ، دادي ؟ لقد كان يثرثر طول الليل .

فسأل سورم :

ـ عم ؟

ـ اوه ، يا الهي ، عن شيء ما .

فسأل جيمي :

ــ اين تضع اسطواناتك ؟

ــ هنــاك .

وقال كــال :

ــ حدثه احدهم عن ميريجكوفسكي او لست اعلم ماذا ، كيــف ان الروس اعتادوا ان يجلسوا حتى الصباح ، فاذا ما تثاءب احدهم،يقولون له . .

وصاح جيمي :

ــ هي ، انظر ، دعني انا اقص الحكاية . اصغ ! انهم يبقون طـــول الليل يتناقشون فاذا ما اقترح عليهم احدهم غلق الموضوع ، اتعلم بمـــاذا يجيبون ؟ « لا يمكننا النوم بعد . لم نقرر بعد اذا كان الله موجودا » .

واطلق صفيرا حادا من الفرح ، والتفت الى درج الاسطوانات .وقال بعد لحظة باعجاب :

ــ هي . ايها الرجل ، لديك كل هؤلاء ! مايلز ديفيز وديزي و . . . واو ! . . . المجموعة الكاملة لموسيقى بيرد . ايمكننا عزف بعضها ؟

وقال نن بحذر :

ــ الاتعتقدون انـــه ينبغي ان نذهب لنــاكل شيئا اولا ، الساعـــــة تجاوزت الواحدة .

فقـــال جيمي :

ــ لنسمع اسطوانة فقط ، وجها واحد من بيرد . ثم بعد ذلك نستطيع الــذهاب للرعي .

وقـــال كـال سائلا سورم :

ــ هل تتذوق الانواع الجديدة من موسيقى الجاز ؟

ــ انـــا . . .

وقبل ان يجيب ، طمس الغرامافون صوته. واستلقى جيمي على الارض وضرب برجله في الهواء ،ثم صاح:« ايتها الاجراس ، دادي ــ اووو . . . ! »

ومال كال وصاح في اذن سورم :

ــ هل انت من المغرمين بموسيقى الجاز ؟

ــ ليس كثيرا . يعجبني بيكس بيدربيك .

فصـــاح كـــال :

ــ عظيـــم !

ثم اشار الى جيمي واردف :

ــ ولكن جيمي لا يميل اليه ، يعتقد غناءه جافا .

ونظر سورم الى ساعته بحذر ، متسائلا متى بمكنه الخلاص مـــن هؤلاء . وقد ترك هذا الضجيج وهذه اللهجة الغريبة فى نفسه الانطباع بانهما يتعمدان الفات النظر اليهما . ورفع بصره فوجد نـن ينظر الـيه باهتمام : كانت عيناه البنيتان ناعمتين كعيني حيوان وفيهما مـن الرقـة والازدراء والمداعبة ما فى عيني اله وثني . ومرت بسورم لحظة احس فيها بالخـوف الغريب والخضوع اللذين كان يحس بهما فى حضور نـن ، الاحساس بوجوده مع شخص من نوع اخر . واغلق نـن عينيه واسترخى فى كرسيه .

وعندما انتهت الاسطوانة ، اعتدل جيمي ، وقال بحزن :

ــ لقد افل نجم شارلي . لقد قتل نفسه .

ونظر الى سورم ، فرأى سورم فيهما الصدق . وسأل :

ــ مـاذا حدث لـه ؟

فقـال كـال باقتضاب :

ــ ادمان عـلى الخمر ، والنـط .

فقـال جيمي :

ــ هذا الرجل القصير السمين . كان عذبا ، ولكنه متقلب المزاج . كنـا نعرفه فى الضفـة الغربيـة .

واطفـأ نـن الغرامافون . وقال :

ــ لنذهب ونأكل . احس بشراهـة .

وتبعهم سورم خارج الغرفة . ومشى جيمي بكسل وترهـل كالقرد . وتساءل سورم ماذا كان يعني كال بكلمة « النـط » وخمن انه يعني بهـا الرقص ، واورثته فكرة الرجل السمين الذي كان قصيرا برقص حتى يموت على انها تبعث على الكآبة الى حـد غريب .

* * *

وتوقف الرجلان الاميركيان عن الكلام اثناء الاكل ، وراحا ينسفـان الطعام بشراهة ، فظن سورم انهما لم يتناولا لقمة واحدة منذ ايام . بيد انـه لمـا قال نـن عرضا :

هل انتما جائعان ؟

قـال كـال :

ــ لقد تناولت فطورا ضخما . وهذا ما يجعلني نهما للطعام طول اليوم .

وكانا يحتسيان الخمر كأنها بيرة ، جرعات طويلة . وقال جيمي فجأة :

ــ مشكلتكم انتم معشر الكتاب البريطانيين ، هي انكم لا ترفسون الـى

الحـــد الكـــافي .
فسأل سورم :
ــ نرفس مـــن ؟
ــ ايهم تشاؤون . فملا ــ ماذا تكتب الان ؟
ــ قصـــــة .
ــ ما هو موضوعهـــا ؟
ــ عـــن قاتـل جنسي .
ولاح عليهما استحسان للموضوع . وقـــال كال :
ــ هذا موضوع جيد . لم تريد ان تكتب فيه ؟
ــ للحصول عـلى المـال .
فقـــال جيمي :
ــ طبعا لـم لا . سبب معقول .
وبدت عليه الحيرة . فقـال نـن مبتسما :
ــ انه يريد الايقاع بـــك .
فأشرق وجه جيمي بابتسامة عريضة دمثة وقال :
ــ اوه ، اكيد ؟ على كل حال ، انه سبب معقول . ولكن ، جديا ، هـل انـك حقا تكتب عن قاتل جنسي ؟
ــ نعـــم .
فمـال اليـه كال وقـال :
ــ هـل تعرف اي قـاتل جنسي ؟
فقـــال سورم :
ــ بالتأكيد . اعرف الكثير ، اولهم انا واوستن. ولعلكما ــ انت وجيمي، منهم ايضا . لست ادري .
فقـال جيمي بصورة غير متوقعة :
ــ انه على حق . لقد افحمك يا كال ، فلا حاجة به ان يعرف واحـــدا منهم . اي انسان يمكن ان يكون قاتـلا جنسيا .
فسأل كـــال :
ــ هـل هذا ما تقصده ؟
فأجاب سورم ، وهو يكبح رغبة قوية فى النهوض ومغادرة الغرفة :
ــ كــلا . كـلا فى الحقيقة .
ــ فمـاذا تعني اذن ؟

فقرر سورم ان يحاول ان يجني ما يمكنه ان يجنيه من هذا الحديث ، فقال لبعد لحظة من التفكير :

ـ اريد ان اعزل هذا الشعور بالسلب الذي يصيب الانسان الحديث . الشعور بأنك متروك في البرد ، بأنك لا تحيا بما يكفي من الحياة . هل تفهمان ما اعنيه ؟

فقال كال :

ـ هل نفهم ؟

وقال جيمي بانفعال :

ـ بالتأكيد ، افهم ما تعنيه . مثل رجل كنت اعرفه في اميركا قضى معظم ايامه في المدارس الاصلاحية والسجون ، ومع هذا فلم يكن هنالك سبيل الى ايقافه . كانت تسليته المفضلة هي انجاب الاطفال من صديقاته . وقد احس بأنه بهذه الطريقة يعيش على احسن ما يمكن ان تعاش به الحياة . لقد اراد هذا الصبي ان يأكل ويشرب حريته ... وليذهب كل شيء الى الجحيم . كان عليه ان يظل يتحرك ، يفعل ما يفعل ، يشرب ويدخن ويزامل الفتيات . كان هذا الصبي يريد ماضيا يستعيده في ذاكرته اذا ما دخل السجن ثانية .

والتفت الى نن وقال :

ـ هل قرأت توماس وولف ؟ هنالك انسان مسلوب الممتلكات لك ... المعذرة ، أيها الرجل ، اريد الذهاب الى التواليت . في اي اتجاه هي ؟

فأرشده نن الى محلها ، وراح هو وسورم يراقبانهما يجتازان الصالة وهما يتحدثان بأنفعال فيجذبان انتباه اكثر بقية الرواد في المطعم . فقال نن :

ـ ما رأيك فيهما ؟

ـ انهما مضجران . اود العودة الى البيت .

ـ حقا ؟ انك لست جماعا هذا اليوم . ويمكنني الجزم انهما يميلان اليك .

ـ انا اميل اليهما ايضا ، ولكنهما لا يعرفان كيف يتحدثان . ولا يحاولان الاندماج بالحديث . انهما يقذفانك فقط بسيل من الاسئلة والتعليقات ، ويعتقدان انهما بهذا يحققان شيئا ممتعا . لم استطع مقاومة الرغبة في الحديث عن هذا الشعور بالسلب ، وانهما اسوأ امثلة رأيتها في حياتي .

ـ انك لتتسرع في الحكم عليهما . انعلم . لدى كال اراء ممتعة عن التصوف ، وقد اعتنق الاسلام منذ بضع سنين ... وبالمناسبة ، هل انت جاد حول موضوع روايتك ؟

ـ كلا . كان الموضوع من وحي اللحظة . فليس من الممكن التحدث بصورة جدية عن كتاباتك بهذا الشكل ، خلال خمس ثوان .

فقـال نـن بلهجة لائمـة :
ـ انك لست مولعا بالناس الى الحد الكافي يا جيرارد . لقـد لاحظت ذلـك فيك قبـلا .
فقـال سورم بعـدم اكتراث :
ـ ربمـا .
وعاد الرجلان الامبركيان ، وكانجمي يمشى مسة القرد بطريقة مبالغ فيها وهو يتحدث ويطلق الاشارات بيديه . وحالما جلس جيمي وجه السؤال :
ـ هل حاولت ريـاضة البوغـا ؟
فقـال سورم :
ـ ليس بصورة جديـة .
ـ امر يدعو الى الرثاء . اعتـاد كـال ان يمارس اليوغا ـ الطريقـة « الصوفية » كما كان يطلق عليها . كنت اعرف شخصا هنا فى لندن كـان يمارسها ايضا ... ويا الهي ، كان غريب الاطوار .
وراح سورم يكشط باظافره رقعة العنوان الملتصقة بزجاجة الخمرويفكر بطريقة للاعتذار والخروج بسرعة . كان يحس بداية اجهاد عقلي كان يؤثر على جهازه الهضمي . وقبل ان يتمكن من اختلاق سبب للخروج ،سمع اسما يذكر امامه فصاح بسرعة :
ـ هل قلت غـلاسب ؟
ـ نعم . اتعرفه ؟
ـ اوليفر غلاسب ، الرسام ؟
فقـال جيمي :
ـ لا ادري اذا كان هذا الشخص رساما ، كما لا اتذكر اسمه الاول . ولكنـه كـان غريب الاطوار حقـا .
فقـال سورم :
ـ ربما كان نفس الشخص الذي اقصده . انه اسم غريب .
ـ محتمل . كان ذلك منذ خمس سنين . كان منحرفا ايضا ...
ـ صحيـح ؟ كيـف ؟
ـ كان مولعا بالفتيات الصغيرات ... نتحدث دائما عنهن . كلنا توقعنا انـه سينتهى الـى السجن .
فسأل سورم نـن :
ـ هل من الممكن ان يكون هو اوليفر ؟
ـ اشك في ذلك . وبالمناسبة ، يا جيرارد ،ينبغى انتذهب الاناذا اردت

اجراء مكالمة تلفونية في الساعة الثانية والنصف .
فنظر اليه سورم بامتنان . وقال :
ــ نعم ، أعتقد ينبغي ان ارحل . يؤسفني ان اذهب .
فقال جيمي :
ــ لنلتقي ثانية فيما بعد. اريد انتحدث اكثر حول فكرة «السلب»هذه.
ــ اخشى الا يمكنني المجيء اليوم ... ولكن اوستن يمكنه ان يدبر الامر بسهولة ...
ولدهشته نهض كلاهما وصافحاه بكل اصول وادب عندما هم بالمغادرة.
واسرع خارجا الى شارع « غريك » وهو يتنفس الصعداء . وبدأ المطر ينهمر .

* * *

وسار تحت المطر ، وقد قلب ياقة معطفه الى الاعلى ، وهو غير آبه بالناس الذين كانوا يمرون عبره مسرعي الخطى على الارصفة الضيقة . وعند المنعطف الذي يؤدي الى شارع شافتزبيرى ، حاولت مخاطبته امرأة زنجية غير انه رد عليها بابتسامة ليست ذات معنى ومضى في سبيله . وساوره القلق وتمنى لوكان نـن ما زال هناك . واحس بدافع مفاجيء يدفعه الى ان يدلف الى احد اكشاك التلفون . ورد عليه القسيس الهنغاري . وكشف له سورم عن اسمه ثم سأله ان لم يكن الاب كارابرز مشغولا . وبعد لحظات عاد القسيس وقال أن الاب كاراترز غير مقيد بموعد حتى الساعة الرابعة . ونظر سورم الى ساعته كانت الساعة قد تعدت الثالثة . وقال :
ــ اشكرك جدا . انا قادم الان .
وبينما كان الباص يسير به في هولبورن راح يتساءل ما الذي سيقوله للقسيس ، كان يحس بأن هناك عقدة هو مكره على حلها ، ولكنه لم يكن على يقين من معرفته العقدة التي يريد حلها بالذات . واحس بأنه يقف على حافة بحر من الانفعالات التي لا تحتمل تعريفا وتحديدا .
وقاده القسيس الهنغاري الى الطابق العلوي ، وتركه عند نهاية الرواق . كان الاب كارابرز يجلس امام المدفأة ، مرتديا الروب فوق منامته . واحس سورم بالسرور لهذا الدفء الذي سرى الى يده من قبضة القسيس وهو يصافحه . كان في دخيلة نفسه يخشى أن يكون سببا في ادخال السأم الى صدر هذا الرجل العجوز .
ــ يسرني ان تأتي ، يا جيرارد . اجلس .
فجلس سورم ، وقبل أن يفتح فاه بالكلام ، مال القسيس الى الامام واردف قائلا :

ـــ هل وجه شتاين بعض الاسئلة اليك يوم امس ؟
ـــ نعم . ذهبنا وتناولنا فنجانا من القهوة . . .
ـــ ممن صدر الاقتراح بذلك ؟..
ـــ منـــه .
فبدا الوجوم عــلى القسيس .
ـــ وهــل سألك عــن أوستن ؟
ـــ نعم . كيــف عرفت ؟
وتجاهل القسيس السؤال .كان ينظر باتجاه راس سورم خلال النافذة. كان فى وجهه شيء يوحي الى سورم بالصمت ، كان وجهه ينطق بتعابيـــر لم يألفها سورم فى القسيس ــ كانت مزيجا من القوة والتركيز مع الشعــــور بالاسف لشيء منفصل عنه . وهيمن الصمت طويلا . ونظر سورم الى ساعته بحذر فالفاها تشارف على الرابعة الا عشرين دقيقة . ونظر اليه القسيس ، ولاح كأنه قد توصل الى قرار . فقال بهدوء :
ـــ اعتقد انك شخص يعتمد عليه ، يا جيرارد ، الست كذلــك ؟
ـــ امل فى ذلــك ، ايها الاب .
كان القسيس يتكلم بلهجة واضحة كمن يتحدث فى شؤون العمل :
ـــ بحكم مهنتي ، اضطر فى بعض الاحايين الى اتخاذ قرارات مخالفــة للقانون ــ او بالاحرى متجاهلة اياه . علي ان اعمل على فرض ان للنفــوس البشرية قيمتها . فالقانون يحاسب الانسان على عمله ، اما انا فأحاسبه عــلى ما هيتــه . هــل تفهم ؟
فـــأومأ ســـورم .
ـــ وان ما سوف أخبرك به ، يضعنا كلينا فى هذا الموقف . . .
وصمت . وراح سورم ينتظر ، بتوقع . وادرك مــا سيقوله القسيس فهيأ نفسه له :
ـــ تلقى فرانز شتاين ، ليلة الخميس الماضي ، معلومات من شرطــــة هامبورغ تدعو الى اعتقاده بأن اوستن قد يكون هو نفسه مجرم وايتشابل .
وتوقف القسيس وظل سورم جالسا ، مندهشا للهدوء الذي تلقى بــه النبأ . وسأل اخيرا :
ـــ هــل سيقبضون عليــه ؟
ـــ ليس بعــــد .
ـــ لمـــاذا ؟
ـــ ليس لديهم الدليل . من العسير ايجاد الدليل فى هذه المرحلـــة .

انه تحت المراقبة فى الوقت الحاضر .
ـ وهل هو ... القاتل ؟
ـ مـــن المحتمــل .
واحتشدت الاسئلة فى اعماقه ، وراح يزاحم بعضها البعض كأصطدام سيل من السيارات عند تقاطع عدد من الطرق . واحس بها تبتخر فى هـذه المعمعة . ومضى القسيس يرقبه دون كلام . وقال سورم :
ـ ولكن نـن ليس مجنونا . انا واثق انه ليس مجنونا .
ـ لست ادري .
ـ ولكن ... هل من المعقول ؟ هل ... قرات تقرير هامبورغ ؟
ـ نعم . انه معروف لدى المومسات اللاتي يعملن للساديين . وقـد اشتبه بارتكابه جريمـــة قـــل .
ـ قتـــل ؟
ـ قتل شاب يعمل للاغراض الجنسية . ليس هنالك دليـــل قاطع ، ولكنه واحد من عدد من المشبوهين .
فقال سورم بغيظ مفاجيء :
ـ كفى ، ايها الاب ...! ليس هذا سببا كافيا لتهمة انسان ... بالقتل الاجماعي ، اعني ، هل هذا يكفي ؟ هل هذا هو كـل ما فى الامر ؟ الديك شـيء اخـــر ؟
ـ كـلا ، هذا هو كل ما فى الامر .
ـ ففى هذه الحالة ، ليس الامر بهذه الخطورة . لعل اوستن واحد من مئات المشبوهين . وهناك حقيقة واحدة فى صالحه ، وهو انه يميل لجنسه . قلت انه مشتبه به فى قتل رجل يعمل للاغراض الجنسية ؟ بالتأكيد ذلك ...
ـ بالضبط ، ليست الادلة كافية ، ولكن هنالك ادلة . فلو كان اوستـن فعلا القاتل ... وهذا شيء محتمل ، على كل حال ... لو كان هو القاتل ، فلن يفلت من قبضة البوليس الان . الشرطة حاذقون ، وهم يعلمون بان لا معنى لافزاعه الان . لو كان لديهم ثمة دليل لقبضوا عليه . ولكن ، والحالة هـذه ، سيراقبونه حتى يقدم لهم الدليل . فاذا ذهب هذه الليلة الـى وايتشابـل وراح يتجول فى شوارعها ـ وحتى اذا لم يفعل شيئا اخر ربما يقبضون عليه .
وقال سورم ، بعد فترة من الصمت :
ـ افرض انـه القاتل ... ماذا يحدث له لو امسكوا بـه ؟
فقال القسيس بصوت ناعم دقيق المقاطع :
ـ سيشنقونه .

ـ هـل انت واثق ، ايها الاب ؟
ـ واثـق تمامـا .
ـ لا امـل فى السجن ؟
ـ كـلا ابدا. وحتى اذا ثبت انه مريض عقليا ، فانهم سيشنقونه .ليس له سجل ماض يجعله فى عداد المصابين بالخلل العقلي ، لم يدخل محـاجر المجانين ابدا ، ولم يسبـق له ان ادين بقضايا تعتبـر اسبابها مرضيـة . سيشنقونه كما شنقوا هيث وهاي وكريستي ـ لان الصحف ما فتئت تنشر اخبارهم حتى استولى الرعب على الناس كلهم .

وعلم سورم فجأة السبب الذى دفع القسيس الى ان يوليه ثقتـه . واحس بالغضب يغلي فى داخله ، واحس بالاحتجاج على هذا الامر الـذي يخالف العقل ، وذلك الغباء وتلك القسوة اللذين اصبحا قوة من قوى الطبيعة، وليس قصورا بشريا ، فلم يعد هنالك سبيل الى الوقوف بوجهها . وسأل بهـدوء :

ـ وماذا علي ان افعل ، ايها الاب ؟
ـ هذا امر عسير . اريد ان اطلب منك شيئا واحدا . لا تخبر اوستن بذلك مطلقا ، ارجوك . هنالك طرق اخرى . فان التقيت به كثيرا . . .
ـ كنت اتناول الغداء معه قبل قليل !
ـ طيب . هنالك سبل لذلك . يمكنك التظاهر بانك لاحظت ان احـدا يتبعك . يمكنك ايضا اختلاق شخص على انه سألك بعض الاسئلة عن اوستن. ولكنك ان اخبرته بالامر ، وقبض عليه بعد ذلك واجريت محاكمته بتهمـة القتل فستعتبر انت شريكه هل تفهم ؟
ـ آه . . . تظن اذن انه يقول كل شيء ؟
ـ فى الاخير نعم . انه سيشعر عاجلا او آجلا بالحاجة الـى الاعتراف بكل شيء . على فرض انه القاتل الان .

فقـال سورم :

ـ ايها الاب . . . اعدك بألا افضي اليه بالقضية مباشرة .
ـ حسنـا .
ـ ولكن . . . لا ادري كيف اعبر عنه . . . هل تظن ان اوستن يحتمل ان يكـون القاتـل ؟ . . .

فهـز القسيس كتفيه :

ـ كيف لي ان اعلم ؟ لم ار اوستن منذ وقت طويـل .

كان الجواب مخيبا بالنسبة لسورم ، والفى نفسه يفقد المقدرة عـلى

التعبير بوضوح وهو يحاول شرح احاسيسه وقال :

ـ ولكني أستبعد الاحتمال ، اتعلم ! ان الامر بعيد الاحتمال !

ـ لمـــــاذا ؟

ـ لان . . . فى العادة لا يتحول الاصدقاء الى مجرمين ، على ما اعتقد .

فابتسم القسيس وقـــال :

ـ حدث ذلـــك معي .

ـ حقـــا ؟

ـ فى حالتين . على كل حال ، ينبغي الا نسد عن الموضوع . كمـــا ان مسألة الاشتباه لا يمكن ان تكون مفاجئةبالنسبة لك . فقد حدثتني انت عن شكوكـــك .

ـ نعم ، ولكن اظنني على معرفة اوثق به الان من ذي قبل . انه منوش الفكر ،يكاد يكون نفس ذلك الطفل المنوش المعتوه . ولكنه بالاضافة لهـــذا رقيق ، لطيف المزاج ، كريم الخلق . هذه الصفات لا يمكـــــن ان تتناسب وطبيعة القاتل بأي حال من الاحوال .

وقـــال القسيس :

ـ ومع هذا فلم تبد عليك الدهشة عندما حدثتك عن حادثة القتل في هامبورغ . اكنت واثقا بأن هذه الحادثة ابضا لا علاقة لها بأوستن ؟

ـ لـ . . . لست ادري . لا اعتقد . . . ربما . ولكن . . . طيب ،كيف لي ان اعرف ؟ لست محيطا بظروف القضية . من الممكن . مدينة غريبة ، وثمة محاولة ابتزاز ماله او لسرقته فى الليل . . . واعتقد ان اوستن انسان ذو قوة هائلة . قد يقع امر كهذا ولم يزل الامر لا يدل على شيء . . .

ـ ولنفرض ان الجريمة لم تكن على هذه الصورة ؟ لنفرض انها جريمـــة سادية اعتيادية ؟ فكيف شعورك فى هذه الحالة ؟

ـ لست ادري ، وليس من الضروري ان يتبدل في شيء . سوف لا انفك عن المحاولة فى معرفة السبب قبل ان اقرر شيئا . اعني اريد ان ادخـــل فى اعمال اوستن واحاول ان اشعر كما شعر هو عندما . . . قام بالفعل .

ـ لمـــــاذا ؟

ـ لانــــه . . . من المتعذر الحكم علبه بطريقة اخرى . وفضلا عـــن ذلك ، ليس من العسير فهم موقفه . ويحدث احيانا انكلاتقوم فعلا بالاشياء. انما يقوم بها جزء اخر من نفسك ، وانك لا تعدو أن تكون متفرجا . يمكنني بكل سهولة ان اتقمص موقف السادي .

ـ صحيـــــح ؟

ـ اظـــن ... ذلك .

ـ هل سبق أن سببت الالم لاحد ... الالم الجسمي ؟

ـ اظن ذلك . كنت اقتل فراخ الدجاج ايام عيد الميلاد عندما كنـــت صبيا . ولكني لم اشعر بلذة خاصة فى القيام بفعل كهذا . واغرقت مـــرة جرذا وجدته فى سلة الاوساخ ، ورحت اسكب عليــه ماء يغلي بينمـــا كـــان يسبح يمنة ويسرة . ولكنى فعلت ذلك لاني كنت اخسى ان يستغرق موتـــه ساعـــات . ولكني لن افعل ذلك الان .

ـ لمـــــاذا ؟

ـ عمل كهذا يسبب جيسانا فى معدتي . وبالاضافة لذلك ، هنالـك فى نفسي غريزة تكره القتل .

وقال القسيس بهدوء وبلهجة قاطعة :

ـ ليس فى وسعك اذن ان تضع نفسك موضع السادي ، ام يمكنك ؟

ـ هذا لا يتبع ما قلته . السادي قاتل جنسي ، اليس كذلك ؟ هذا مـــا يجعل المسألة تختلف . فى امكان اكثر الناس الشعور بالتعاطف الى حد مــــا مع الجريمة الجنسية .

ـ افي امكانهم فعـــلا ؟

ـ اعتقد ... هذا فى امكاني انا ، على كل حال . اعتقد ان الناس جميعا يتملكهم شعور دائم بانهم لا يتمتعون بامتيازات الجنس بصورة كاملة . ولكن على ان افكر فى الامر . فليس هو هينا .

ـ هل تعتبر نفسك غير متمتع بالامتيازات الجنسية كاملة ؟

ـ نعم . ولكن هذا هو الجانب السلبي من المسكلة فقط . اظنها رؤيـــا بشكل من الاشكال ... رؤيا عن الحياة التامة المليئة التى تكمن وراء الجنس. وعلى كل حال ، ليس الدافع الجنسي بهذه الاهمية . تحدوني الرغبة احيانا فى ان اتناسى الجنس كليا .. اعلم ان لكلامي وقعا غريبا ، ولكنه صحيح .

ـ لا يبدو غريبا ابدا ، وخاصة بالنسبة لي . لا ينبغي على الانسان ان يكون قديسا ليترفع عن الجنس . لقد فعل هذا كثير من العلماء والرياضيين، وعدد كبير من الفلاسفة .

ـ اعلم هذا ، ايها الاب ، اعلم هذا . غير ان الامر ليس بهـــذه البساطة ـ ليس مجرد التعويض عن الجنس بالحياة العقلية او ما شابه . كان لـــي صديق من اتباع فرويد ، وكانت العبارة المفضلة لديه هي : كل انسان مريض الاعصاب . كنت اظنه معتوها ، بيد اني بدأت ادرك ما كان يعنيه . ومـــا هو

المرض العصبي ، على كل حال ؟ حفنة من رغبات لم تتحقق — اي نوع من الرغبات . والبشر يعملون لعدم تحقق رغباتهم — لا غير .

— مـا عـدا العـادة .

— نعم ، ولكن العادة تعيننا على الاستمرار في الحياة ، اما الرغبة فنعيننا على التقدم الى الامام . وليس منا من لايريد التقدم ، ولذا فليس منا من لا ينمي رغباته . اتعلم شيئا ،ايها الاب ؟ ظللت مرتبكا مشوشا خلال السنين الخمس المنصرمة ، لانه لم تكن لي الرغبات الكافية . كنت اظنني استطيع العيش ، مسترشدا بافلاطون وبيتهوفن فقط ، ولكني وجدتني لا استطيع . ليس لان الخطأ يرجع الى افلاطون او بيتهوفن . الخطأ يعود لي — لم اكن متهيئا لهما . الا ترى ، ايها الاب ، لو لم احاول ان اترك المشاكل الجنسية خلفي لما كنت عرفت بها . والمشكلة هي نفسها مع اوستن . فان كان ساديا ، فذلك لانه منقسم الى جزئين . انا شخصيا لاعرف اوستن ساديا وانما اعرفه هاويا سخيا مولعا بالباليه والموسيقى والفلسفة . واعتقد ان الامر نفسه معه ومعي . اتدري ، ايها الاب ، قال برنارد شو باننا نحكم على الفنان في اسمى لحظاته ونحكم على المجرم في اوطأ هذه اللحظات . ولكن ما الذي يحدث عندما يكون الانسان مزيجا من الاثنين ؟ لا يمكنك ان تحكم على النصف المجرم بالموت وتمنح الحرية الى النصف الفنان ، ايمكنك ؟ وخاصة عندما تعلم بانه لم يكن مجرما لو لم يكن فنانا .

— اتعتقد انه يجب ان يسمح للمجرم بقتل الاخرين ؟

— كلا ، ايها الاب . حاشا ! انا اعتقد فقط بأنه ...

واحس بفتور مفاجيء ، وانهى عبارته متعثرا بالكلمات :

— ... معالجته اهم من معاقبته .

— اوافقك على ذلك . مشكلة اوستن هي هل انه قابل للعلاج ...

واطل الى الساعة الموضوعة على رف الموقد . كانت تشير الى الرابعة الا ربعا . وقال سورم :

— الافضل ان ارحل . ساحاول ان ابحث عن اوسنن .

— احترس ، يا جيرارد . انك لا تريد ان تدخل السجن كشريك لاوستن .

— كـلا ايهـا الاب .

فقـال الاب مبتسمـا :

— ولا تذكر اسمي .

— اعـدك بذلـك .

— قبل ان تذهب .. هلا سألت الاب راكوسي اذا كان هنالك احد

ينتظرني اسفـــل ؟

ــ حسنـــا ، ايهـا الاب .

والتقى بالمرأة الاسكوتلاندية وهو يفتح الباب . وقالت :

ــ ذهب الرجل . آنتظر عشر دقائق ، ثم قال انه ذاهب فى نزهة .

فقـال القسيس :

ــ طيب ، انا متعب . هل بمكنني تناول فنجان من الشاي ، يـــا مسز داوتي ؟

وخرج سورم الى المطر بلفعه ظلام الفسق المخيم ، ويحس بأنه يكبت قلقه تجاه احساسه بلا حقبقته . كان يشعر وكأنه فرغ توا من اداء دور فى مسرحـــة .

وفى اول الامر ، لم يميز الرجل الذي كان يعبر الشارع اليه ، ولكنـه سرعان ما تبين انه غلاسب .

ــ هلو ، اوليفر ! اين انت ذاهب ؟

ولاحظ على الفور شيئا من الحدة فى سلوك غلاسب . وقال غلاسب :

ــ كنت انتظـــرك .

كان صوته يوحي بالتهديد ، مما عجز سورم عن فهمه :

ــ كيف علمت بأنى كنت هنا ؟

ــ اخبرتني تلك المرأة . كنت انتظر الاب كاراثرز لاراه .

ــ آه ! اذن انت كنت ذلك الشخص ؟ حسنا ، ماذا ستفعل الان ؟

وبدا التردد على وجه غلاسب . ونظر سورم اليه مليا ، وهو مذهول. وقـــال غـــلاسب :

ــ لم اكن اعلم انك صديق حميم للاب كاراثرز .

ــ انا لست صديقه الحميم . ولكنى ذهبت لزيارته مرات عديدة .

كانا يقفان على حافة الرصيف . ووضع سورم يده على ذراع غلاسب قـــائـــلا :

ــ تعال لنشرب فنجانا من الشاي . لا يمكننا ان نبقى تحت هذا السيل.

ومشى غلاسب الى جواره حتى بلغـــا شارع فارينفتن دون ان ينبس بكلمة . وسارا حتى وصلا المقهى التي جلس فيها سورم مع شتاين . كان غلاسب مرتديا معطفا رثا باليا لم ير سورم مثله فى حياته ، وكان منقوعا بمـــاء المطر . ولم يكن يلبس قبعة . كان شعره الاحمر يلتصق بجمجمته وجبهته على شكل خصلات ، ولاح لونه بنيا غامقا فى المطر .

كانت المقهى دافئة ، تكاد تخلو من الرواد . فجلسا بالقرب من النافـذة

وكان الزجاج الذي كساه البخار جدارا يفصلهما عن الظلام الذي بدأ يزحف. كانت حدة المزاج التي اظهرها غلاسب تكفي في الظروف الاعتيادية لدفع سورم الى الامتعاض ، ولكن الانفعالات التي اثارها الحديث مع القسيس جعلتـــه لا يكترث لها . وراح يشرب الشاي ويفكر في نــن ، ويتساءل اين تراه الان ، ثم اخذ يستعيدفىذاكرته الكلمات والاعمال التى من شأنها ان تدعم شكوكهحوله.

وكان على وشك ان ينهي فنجانه عندما تكلم غلاسب :

ــ ماذا يمكنك ان تتحدث به معه ؟

ــ مع ...؟ اوه ، الاب كاراثرز ، اوه ... اشياء كثيرة . لا شيء مما يهمــــك .

ــ لا ؟

ــ لا اظن ذلـــــك .

ولمح دلائل الشك في وجه غلاسب . وقال :

ــ لماذا ؟ هل كنت تظن اننا كنا نتحدث عنــك ؟

ــ الم تكونا تتحدثان عنـــي ؟

ــ كلا . وما الداعي لذلك بالله ؟ في راسك افكار غريبة !

كانت نبرته اكثر عنفا من كلماته ، كانت تنطوي على المعنى : ما الـــذي يجعلك تظن اننا مشغولان بشخصك ؟ فأحمر وجه غلاسب وشرب جرعــــة كبيرة من الشاي . واحس سورم بالندم حالا . وقال :

ــ كنت اتحدث معه ... بعض الامور المهمة ... لا يمكنني توضيحها.

فقــــال غـــلاسب :

ــ أوستـــــن .

لم يضع الكلمة بصيغة السؤال ، وانما بصيغة اخبارية .

ــ نعـــــم .

فقــــال غلاسب فجأة :

ــ يؤسفني ان ظني كان خاطئا . ولكن ... كان هناك بعض من كـــان يبدي اهتماما بي . وكان الاب كاراثرز عضوا في جمعية اوليفر للاصلاح .

ــ لا تغتم . هل انت ذاهب لرؤيته الان ؟

ــ كلا . لن اعود اليه الان .

ــ الا يتساءل اين انت الان ؟

ــ لا يهم . لعله يفرح لتخلصه من الاجتماع .

ــ فماذا ستفعل الان ؟

ـ اعـود الـى البيـت .
ـ لم لا تأتي معي الى البيت ، لنأكل ونتحدث .
وكان وهو ينطق بالكلمات يكاد يكون واثقا من أن غلاسب سيرفض . وادهشه ان يبدي غلاسب التردد ، وفي تلك اللحظة طاف عليه حدس داخلي بالوحدة التي تكمن في اساس حياته . وقال غلاسب :
ـ سبق وان تناولت وجبة معك .
فقـال سورم :
ـ ليس لدي طعام فخم . ولكن عندي ما يكفي لاثنين ، على كل حال . يمكنـك مشاركتي .
ـ حسنـا ، شكرا .
وشعر بالضيق السديد من فكرة الركوب في قطار النفق ثم تبديله في محطة توتنهام كورت رود ، فاوقف سيارة تاكسي بالقرب مـن هولبورن .
فقـال غـلاسب :
ـ انك تلتقط عادات اوستن !
فقـال سورم :
ـ لا يهمك . لا اريد التعثر في هذا المطر .
وكظم احساسه بأنه تسرع بعمله عندما تذكر ان أوستن هو الذي دفع ثمن غدائه ، ووفر عليه ثمن التاكسي .

* * *

وترك غلاسب بعد الشاي ، ونزل هو الى الطابق الارضي ليتصل بنـن تلفونيا . ولم يتلق اي جواب من شقته ، وسألته فتاة البدالة هل يريد انيترك له رسالة ، فأعرب سورم عن عدم رغبته بذلك وعاد الى غرفته . واورثتـه فكرة احتمال فرض المراقبة على التلفون احساسا بالخطر ، وادرك ان النداء قد يكتشف مصدره بسهولة ويؤدي الى الاهتداء الى عنوانه . واحس وهو يتذكر تردده ، عندما كان ينتظر الجواب ، وحيرته هل يخبر نـن بأن لديـه شيئا مستعجلا يريد أن يفضي بـه اليه ، بشيء اخذ يعصر حنجرته باحساس بأنه يفلت من موقف دقيق .

ولم يجد غلاسب عند عودته الى الغرفة . وانزل الستائر وهو ينظـر الى اضواء شارع كينتش تاون ، متسائلا ترى هل يظن البوليس أن من الصواب مراقبته هو ايضا ، وجلس على الكرسي الكبير ، وانطلق في تخيلاته فـراح يتصور نفسه مقبوضا عليه مع نـن بتهمة الاشتراك معه في الجريمة . وتخيل كيف ان المدعي العام سيصف نزهاته مع نـن الى سبيتالفيلدز ، وقيـامه

بالعمل على اصطياد النساء ودفعهن الى الازقة المظلمة . ثم تذكر فجأة انه اخبر سناين بأن صداقته لن تعود الى فترة قصيرة جدا ، وسره هذا الشعور بالارتياح الذي باغته . وافزعه دخول غلاسب الى الغرفة ، حيث كان قد نسيه تماما . وقال غلاسب :

ـ اسمع ، ما رأيك فى ان نترك امر النساي ؟ تعال لنتناول شيئا من الشراب معا .

ونظر سورم الى ساعته :

ـ طيب ... معقول . فكرة جيدة .

واحس بأن غلاسب كان يشعر بشيء من الاضطراب لقبوله ضيافة سورم للمرة الثانية خلال ثلاثة ايام ، ولم يرتح لهذا الشعور . ما كان يرغب ان يجعل غلاسب يشعر بأي التزام تجاهه . وعليه فقبوله دعوة غلاسب للشراب لاحت له فرصة لتبديد هذا الاحراج . ولمس معطف غلاسب الذي كان معلقا على ظهر الباب والماء يقطر منه على الارض .

ـ الافضل ان تستعير معطف المطر مني . لنضع هذا المعطف فى المطبخ ليجف .

ـ لا يهم ،سبق لى ان لبسته وهو اكثر بللا منه الان .

ـ اجل ، ولكن ... الافضل ان يجف . فكر فى الامر ، لدي معطف من البلاستيك هنا فى مكان ما .

واخذ يعبث بيده فى صندوق من الورق المقوى فى اسفل دولاب الملابس فعثر عليه مربوطا فى رزمة محكمة السد .كان غلاسب يجلس منحنيا على النار وقد باعد بين ساقيه ، وكان البخار يتصاعد من سرواله . وكان قد مشط شعره الذى انسرح الى الوراء بعقصة لماعة بطلائها بدهان الشعر . وقال :

ـ هذه احدى حسنات كون الانسان كاتبا ـ اذ من السهل تدفئة غرفة صغيرة كهذه . بينما الطريقة الوحيدة لايجاد الدفء فى الخان الذي اعيش فيه هى ان الازم الفراش .

وبدا غلاسب كئيب المظهر الى حد غريب فى معطف المطر من البلاستيك هذا ، فقد ابرز انحناء كتفيه .

ودهش سورم ، وهو ينظر اليه ،كيف لاح له قبلا ذا مظهر مخيف . كان يبدو الان لا حول له ولا قوة .كان فى قبحه اللزج شيء غير مألوف ، وكان من المتعذر الشعور بأن فى امكانك ان تحمي هذا الانسان .

* * *

كانا اول الواصلين الى الحانة . وكانت النار ، من وراء المشبك

الحديدى ، قد بدأت تضطرم شيئا فشيئا . وجلس غلاسب بجوار النار ، وهو يحتسى زجاجة من البيرة . وعندما اقترح عليه سورم ان يلعبا لعبة النبال، وافق دون تردد ، وفاز بنقطتين فى ضربته الاولى . وكان سورم يميل الى اعتبار هذه الضربة فوزا عن طريق الصدفة ولكنه سرعان ما اضطر الى اعادة النظر فى رأيه هذا . كان غلاسب يلقي بالنبلة بحركة غير رشيقة بطيئة وهو يلوي يده كالثعبان ، ولكنه كان يصيب الهدف بدقة مدهشة . وعندما عادا الى مجلسهما كان غلاسب قد فاز ضد سورم ثلاث مرات . وقال سورم:

ـ اين تعلمت اللعب بهذا الشكل ؟

ـ فى سن المراهقة . ولم امارسها منذ سنين .

وافرغ قدحه ووضعه على الرف بعنف . فقال سورم :

ـ قدح اخر ؟

فلاحت الدهشة على غلاسب ، وقال : ـ اوه ، شكرا .

لقد تغير مزاجه تغيرا تاما خلال عشرين دقيقة ، وبدا عليه الانبساط والمرح . وراح سورم يرقبه يفرغ القدح الثاني ، وهو يفكر فى نفسه باستمتاع : متى سأتعلم ؟ الناس اشياء حقيقية . ذهني يميل الى خلق النماذج اكثر مما ينبغي .

وقال غلاسب :

ـ اعتقد انه ينبغي ان اتصل تلفونيا بالاب .

ـ انه سيفهم على كل حال . كان شديد التعب .

واومأ غلاسب برأسه .

ـ انه انسان طيب . يجب ان التقي به اكثر .

فقال سورم :

ـ قلت سابقا انه كان عضوا فيجمعية اوليفر للاصلاح ؟ ماذا كنت تعني بذلك بالضبط ؟

فقال غلاسب مبتسما :

ـ تعني ، ماذا ارادوا اصلاحه في ؟

ـ نعم .

ـ ليس الامر جديا . كانوا يظنون اني « شاغال » الجديد .

ـ الم تكن كذلك ؟

ـ لا اقصد هذا . انا فقط . . . لا احب ان تكون للناس اراء سابقة عني . . . اراء ينبغي ان اعيش بموجبها . اريد ان اترك لشأني .

ـ ممممم . ماذا كنت تريد ان تفعل لو كانوا تركوك وشأنك ؟

ـ لا يهم مـا افعلـه .

فقـال سورم بلهجة تأملية :

ـ افهم ما تعنيه . الامر صعب ، اليس كذلك ؟ تشعر كأنك لا تريد اكثر من ان تترك وشأنك . ثم يخونك ضعفك . فتجد نفسك تائها في طريـق جديدة ـ تجد نفسك تحس بالضجر والوحدة . اتعلم ، اني احس بالخجل لاني احس بأني افضل حالا بسبب لقائي بأوستن . فليس هذا التفوق الذي احس به تفوقا حقيقيا عليه . انه وهم ، انه صدفة محضة .

وسأل غلاسب :

ـ هل من محض الصدفة انك لست ساديا ؟

ـ أ . . . اظن ذلـك .

ـ كلا . وعندما تقرأ كتابك هذا عن مجرم « اران » ، هل تشعر انه من محض الصدفة انك لست قاتلا ؟

وفكر سورم في الامر ، ثم قال :

ـ كلا . لاني لا اقتل رجلا في سبيل بعض الدراهم كما فعل لوري .

ـ ولكنك قد تقتل لاسباب اخرى ؟

ـ كلا . بالطبع لا . ليس هذا ما عنيته . لست امتلك اية غرائز تدفعني الى العطف على اي قاتل . ولا اعتقد ان الكثير من الناس لديهم هذه الغرائز . غير ان لكل انسان دافعا جنسيا . فما هو السبب ، كما تعتقد ، في العدد الهائل الذي يباع من صحف ايام الاحاد من النوع الذي يتخصص فـي الجرائم الجنسيـة .

فقـال غلاسب :

ـ ليس الجرائم الجنسية فقط . اي نوع من الجرائم . لانـك اذا استخدمت هذه النقطة في جدلك فعليك ان تقر بأن قراء صحف ايام الاحـاد كلهم يكبتون رغباتهم ليصبحوا قطاع طرق ولصوصا وهم مصابون بجنـون السرقـة .

ـ طيب ، ماذا تستنتج انت ؟

ولم يجب غلاسب على الفور . كانت الحانة قد بدات تزخر بالرواد . واقبل رجل ومال فوق كتفه ليتناول حزمة من ورق اللعب مـن الرف . وعندما ابتعد الرجل ، مال غلاسب الى الامام وقال بلهجة جادة :

ـ دعني اقل لك . من الغباء ان تقلل من شأن نفسك . انت لست مـن امثال اوستن او جيرترود كوينسي او اي واحد من الناس الاخرين الذيـن تمتزج بهم . انهم يضيعون عليك وقتـك .

فعبس سورم وهز كتفيه .

ــ احسب ذلك . ولكن لهم قيمنهم مع ذلك .

ــ ليس بالنسبة لك . انهم بالنسبة لك طفيليون لا اكثر .

ــ لم يكونون طفيليين ؟ المسألة بالعكس . فهم يقدمون لي وجبات الطعام ، وانا لا افعل شيئا .

ــ ما عدا انك تقدم لهم دمك .

ــ ربما .

فقال غلاسب مؤكدا :

ــ انك تقدم دمك فعلا. لم لا تدرك ذلك ؟ انهم لا ينتمون الى فصيلتك .

فقال سورم مبتسما :

ــ او فصيلتك ؟

واحس كأن غلاسب شعر بالاهانة . كانت نظرته صلبة متسائلة .ثم قال:

ــ على كل ، انت الذي تجيب على ذلك .

وكتم سورم الفرح الذي شعر به بالمديح الذي تنطوي عليه تلك العبارة . وقال :

ــ نوع من اخلاق السيد والعبد على طريقة نيتشه ، هه ؟

ــ لم لا ، ان كانت تنسجم والحقائق ؟ ما معنى ان تتصور نفسك واحدا من الغوغاء ان كنت لا تنتمي اليهم ؟انك ذئب يحاول ان يظهر بمظهر الحمل ، هذا هو كل ما فى الامر .

وافرغ قدحه . وعندما حاول سورم ان يأخذه منه قال غلاسب :

ــ كلا ، جاء دوري الان .

وذهب صوب البار . وظل سورم يحدق فيه . ووقع نظره على معطف البلاستيك الذي كان ملقى على الكرسى فتذكر غلاسب وهو يرتديه فىغرفه ، مائل الكتفين ، شاحب الوجه ، غريب المظهر ، انسانا لا حياة فيه ولا هدف . واحس بالحرارة تسري فى عروقه التي كانت تفرز انفعال التوقع فى نفسه ، وراح يفكر : تر ى كم هو عدد امثاله فى لندن ؟ لعل هناك عددا يكفي لخلق عصر كامل . ليس كمتمردى شيكاغو ، وانما لخلق جيل له غاية . من الافضل ان اعرف اوليفر . انه محق فى قوله عن اوستن . لقد سأمت هذا الضعف الذي اعترف به دائما .

وعاد غلاسب حاملا قدحين . وقال سورم :

ــ مـا رايك فى البحث عن شيء نأكله ؟

ــ طيب . وما رأيك فى زيارة لجيرترود ؟

ــ جيـــرترود ؟
ــ لــم لا ؟
وحملق سورم فى وجهه مندهشا .
ــ هــل انت جـــاد ؟
ــ لم لا ؟ انها مسيرة عشر دقائق من هنا . ولا داعي للمكوث طويـــلا عندها . اريد السلام عليها فقط . لم ارها منذ مدة طويلة .
ــ حسنا . اعرف حانة فى هامبستيد حيث يمكننا ان نجد شيئا نأكله .
وافرغ غلاسب نصف قدحه بجرعة واحدة . وقال سورم :
ــ هل تخاصمتما انت وجيرترود ؟
ــ كـــلا . لا اظن .
وحدق غلاسب فى قدحه ، وهو يمسكه بين راحتيه . كان يبدوكعراف يتفرس فى كرة بلورية . ثم مضى قائلا :
ــ ابديت يوما رأيا صريحا فى قضية شهود يهوه . وانا اسف الان . انها على ما يرام . انهـا لطيفة .
ــ لا استطيع ان افهم لم لم تتزوج حتى الان . اذ لا يعوزها الجمال .
ــ لدغت مرة واحدة . الا تعرف ؟
ــ سمعت شيئا عن القضية . ذكرت كارولين شيئا .
ــ كارولين ؟ اوه ، تلك الشقراء .
فسأل سورم :
ــ الا تميل الى الشقراوات ؟
فأجاب غلاسب باقتضاب :
ــ ليس كثيـــرا .
ــ الا تميل الى الجنس من اي نوع كان
ــ الامــر يعتمــد .
وافرغ قدحه ونهض .
ــ انا ذاهب خارجا . هل انت على استعداد للخروج ؟

* * *

كان سورم قد قرر الاتصال بها تلفونيا من محطة تشوك ، ولكن كـــان الباص قد وصل الى الموقف حال وصولهما هناك ، وكانا قد طفرا الى الباص ، وهما يلهثان من الركض ، قبل ان يتذكر قراره هذا حول المخابرة ، وذكرتـه محطة نفق هامبستيد بنـــن . فقال :
ــ اتعلم ، اوليفر ، اني قلق بشأن اوستن .

ـ لمــاذا ؟
ـ انه يزج نفسه فى متــاعب .
ـ لقــد بلــغ نهايتــه .
ـ نعم ، ولكن ... الشرطة تسبه فيه حول امور اسوأ مــن ضرب اصدقــائه مــن الذكور .
كيف عرفت ؟
ـ اوه ... حدث ان اكتسفت ذلــك .
واستدارا نحو شارع « فلاسك ووك » . والتفت اليه غلاسب وهمــا يمران تحت احد مصابيح الشارع .
ـ مــن الاب كارانرز ؟
ـ نعــم .
ـ كيــف عرف ذلــك ؟
ـ عاهدته الا ادع الخبر ينتسر .
ـ اذن ، فــلا داعي ان تبوح بــه .
فقال سورم :
ـ اعتقد انه ليس هناك ضير فى اخبارك بالامر . ولا يهم الان . لــلاب كارانرز صديق الماني يدعى فرانز شتاين ـ طبيب لدى الشرطة . واخبر الاب كارانرز عن رسالة استلمها من شرطة هامبورغ . كان اوسنن من المشبوهين فى قتل صبي من الذين يعملون للاغراض الجنسبة .
فقــال غلاسب :
ـ بالفعل .
ـ ماذا ؟ كيف عرفت ؟ هل انت واثق ؟
ـ تقريبــا .
ـ متى عرفت ؟
ـ لم اكن اعلم الى ان اخبرتني انت الان . ولكني اعلم انالخبر صحيح.
ـ كيف ؟
كان يحاول ان ينظر مليا في وجه غلاسب ، لا يدري الى اي حــد يحمل كلماته على محمل الجد . واحس بشعور سابق بالخيبة ، وبالشــك في ان غلاسب قد يتضح انسانا محتالا . ولكن لهجة غلاسب كانت عاديــة مما حير سورم . وقال غلاسب :
ـ عندما عرفت نن لاول مرة ، كنت احلم دائما بانه قاتل ، كان هنالك حلم واحد واضح بصورة خاصة ... كنت امشي خلف رجلين على ساحل

النهر . وفجأة ضرب احدهم الاخر بسلاح ما ودفعه الى النهر . كان الوقت ليلا فلم استطع ان اتبين وجهيهما ، ولكنى كنت اعلم ان احدهما كان اوستن ، والرجل الذي فتله نن كان احد المتشردين . واستيقظت فجأة ... وبعد ساعات قليلة جاء أوستن ليزورنى . وحالما رايته ، عرفت ان الامر لا يعدو ان يكون هراء. لم يكن يبدو كالرجل الذي رأينه فيالحلم ..

ــ هل احلامك دقيقة ؟

ــ كلا . انها في الغالب مخطئة . ان لي عقلا مريضا . انه يلتقط الانطباعات العفوية ويعمل على تضخيمها . والعملية نفسها تعمل عملها في الصور النى ارسمها . عندما كنت صغيرا حلمت مرة بان احد طلاب صفنا قتل في حادثة قطار . وبقيت سنين كثيرة وانا مقتنع بانه سيموت في حادثة قطار . ولكنه الان رجل متزوج ..

ــ ولكنك لم تزل تعتقد بان اوستن هو الذي قتل هذا الرجل ؟

ــ أعتقد ... انك ... عندما قلت ذلك ، تذكرت الحلم الذي رأيته. وفجأة ، شعرت باليقين . لذا ترى ، احلامي دقيقة فعلا في بعض الاحيان.

ــ وكيف تفسر ذلك ؟

ــ لم احاول التفسير . يحدث هذا احيانا .

كانا قد وصلا بوابات الطريق المؤدى الى دار المس كوينسي . ولمح سورم نورا في غرفة الجلوس . وقال :

ــ عظيم . انها في البيت ، على كل حال. سنتحدث في هذا الموضوع عندما نخرج .

فقال غلاسب بلا مبالاة : طيب .

ــ يجب الاتصال بنن ، ايضا . من الافضل ان نحذره .

ونظر اليه غلاسب فيما هو يفتح البوابة . فسأل بطريقة عرضية :

ــ هل يجب ان يعلم ؟

الفصـــــل الرابـــــع

ورأى خلال الباب الزجاجي ان باب المطبخ كان مفتوحا . وسمـــع صوتها وهي تتحدث الى احدهم .

ــ يلوح كأن عندها ضيفا .

فقـال غلاسب :

ــ لعنها الله . كان يجب ان نتصل تلفونيا .

ــ هل نعود ؟

ــ وخرجت المس كوينسي من المطبخ وهتفت :

ــ هل هناك احد ؟

فقرع سورم الجرس . وقالت :

ــ جيرارد ! او . هلو ، اوليفر !

وتسمرت في مكانها وهي تنقل نظرها بدهشة من احدهما الى الاخر وهي تمسك بالباب . وشعر سورم بالحراجة .

ــ خطر لنا...ان نأتي للسؤال عنك . كنا في هذه الجهة من المدينة.

ــ لدى الاخ روبنز لتناول العشاء معي . تفضلا بالدخول :

ــ أ ... كلا . لم اكن ادرك اننا سنضايقك . لن ندخل .. فـــلا اريد مقاطعتكما ..

وبدا عليها كانها استعادت سيطرتها على نفسها :

ــ لا يهم ابدا.تفضلا لبضع دقائق ، على كل حال . اني اهيء الشاي.

وفكر سورم مليا للعثور على سبب للخروج . ودون ان ينظر الـى غلاسب ، علم انه قد انتابه الشعور نفسه . ولكنه لم يعثر عـلى سبب ، فقـال بتعسر :

ـ حسنا . شكرا . ولكنا لن نمكث طويلا . نحن على موعد مع شخص بعد نصف ساعة .

وتبعه غلاسب الى الصالة. لم يكن قد تكلم بعد. وقالت المس كوينسي:

ـ يسرني ان اراك ثانية ، يا اوليفر . لقد مضى وقت طويل . اخلع معطفك . اوليفر ، اعتقد انك تعرف الاخ روبنز .

ونهض الاخ روبنز من كرسيه المريح ، وتقدم وعلى وجهه ابتسامة تفيض باللطف . وعندما قدمتهما المس كوينسي اليه ، صافح يديهما بقبضته الشديدة التي كان العرق ينضح منها . والفى سورم نفسه يفكر : يا الله ، ديل كارنيجى يقف لرئيس الجمهورية ، كان صوته الخشن ذو اللهجة العامية قد غمره بسيل طافح من الدفء ورائحة البصل .

وقالت المس كوينسى :

ـ كنت حدثك عن جبرارد .

وقال الاخ روبنز :

ـ يسرني جدا ان اتعرف بك .

كان اول انطباع تركه فى نفس سورم هو انه بقال موفق فى عمله او مراهن على الخيول مريب . كان اقصر من سورم بقدم واحد ، له وجه ممتلىء وبطن تشبه البرميل . وكانت ملابسه تبدو مجعدة قليلا وقد لوثتها بعض البقع الدهنية ، غير ان ياقة قميصه كانت منشاة ، تقية لا شائبة فيها ، وقد تدلت منها ربطة عنق من النوع الذي يلبسه طلاب المدارس ، وكانت تبدو حديثة الغسل والكي . وتولد في نفس سورم في الحال كره صارخ لهذا الرجل .

وقال الاخ روبنز :

ـ انت الشاب الذي يفكر في الانضمام الينا ؟

ونظر سورم بدهشة الى المس كوينسي . فبادرت الى القول :

ـ لا اعتقد انه قد قرر ذلك بعد .

ـ آه ، كلا . بالضبط .

وجلس الاخ روبنز ثانية . وظل غلاسب واقفا ، يبدو عليه الوجوم وعدم الانسجام . فنظر الاخ روبنز اليه فجأة وقال :

ـ سمعت انك تريد الانضمام ايضا ، ايها المستر غلاسب .

ـ غلاسب .

ـ اه . . . المعذرة . انك رسام ، اليس كذلك ؟

ـ نعم .

وقالت المس كوينسى :
ــ شاي لكليكما ؟
فقــال سورم :
ــ آ ... كلا ، شكرا . ليس لي .
وقــال غلاسب :
ــ وليس لى .
وتبعها سورم الى المطبخ . وقال :
ــ اعتقد ينبغي ان نذهب ...
ــ طيب . ولكن ابقيا قليلا . اريدان ان تسعرا الاخ روبنز المسكين وكــأن بــه جذامـــا ؟
ــ حسنــا .
ــ الا تشربان الشاي ؟
ــ كنا نحتسي البيرة .
ــ اوه ... اخشى ان ليس باستطاعتى تقديم البيرة لكما ... مـا دام الاخ روبنز موجودا هنا .
ــ انه لا يقر ذلك .
فترددت المس كوينسي ، وقالت :
ــ لعله لا يهتم . لست ادرى . اتريد بيرة ؟
كان سورم يميل الى الرفض ، فقد نطقت بالسؤال بطريقة لا يمكنه بها غير الرفض . فاغاظه ذلك ، وتلقاه وكأنه تحد له . فقال :
ــ افضل من الشاي بالنسبة لي .
ــ اذن اسأل اولبفر أن كان يريد شيئا من البيرة .
وعندما دخل سورم الفى غلاسب يحدق عــابسا فـي البساط . وقــال سورم :
ــ تقول جيرترود هناك بعض البيرة ان اردت .
فهز غلاسب رأسه ، وقال سورم :
ــ كلا ؟ انا ساتناول بيرة .
ونظر الى الاخ روبنز وسأله بأدب :
ــ آمل الا اعتراض لديك .
وبدا على الاخ روبنز كأنه تلقى السؤال بصورة طبيعية ، كأنه سيدة عجوز فى قطار وسألها احدهم ان كانت لا تعترض على تدخين السيجـار امامها . فقا لبلهجة ودودة :

ـ اوه ، كلا ابدا . كلا مطلقا .

ـ وانت يا اوليفر ؟

فقال غلاسب ، على مضض :

ـ لا بـأس .

وعاد سورم بعد لحظات حاملا قدحين من البيرة الخفيفة ، بـــارده كالثلج ، من الثلاجة . كان يحس بالعطش بعد صعودهما التل . وشرب اكثر ما يمكنه ان يشرب جرعة واحدة قبل ان يحس بحنجرته تتجمد . وسأل الاخ روبنــز :

ـ هل تشربان كثيرا عاده ، كلاكما ؟

واحس سورم بان غلاسب كان على وشك ان يرده بكـلام خشن ، فقال على عجل :

ـ كلا . ليس كثيرا . ولا نلتقي كثيرا . هل تشرب انت ؟

ـ كلا ، ولكن ليس لانى لا اقر الشرب ، وانما لاني لا احب طعمه .

وكان في اسلوب هذا الرجل شيء اغاظ سورم . كان الاخ روبنــز يبالغ في ادبه ولطفه كأنه يزور سجينا في سجنه . كان يحاول ان يفهـم سورم بان شرب البيرة هو من الرذائل القذرة بصورة خاصة وان له مدارك اوسع من ان يقوم بشجبها صراحة . وشرب سورم بقية القدح ليتحـــداه، ثم ذهب الى المطبخ ليحضر زجاجة اخرى . وقالت المس كوينسي ، وقــد ارتسم الرعب في محياها :

ـ هل شربت قدحك بهذه السرعة ؟

ـ كنت عطشـان . هل لي بآخر ؟

وفتح الثلاجة ، ولما التفت خلفه راى نظراتها القلقة المعاتبة . كــان يبدو عليها أنها ترتاب في انه كان يبغي ان يثير خصاما ثملا . وقـــــال بلهجــة حادة :

ـ سنرحل بعد لحظات .

ـ اوه ، كلا ! انا لا اعنى هذا ! مجرد لا اريد . . . ابقيا ما شئتما .

ـ شكرا .

وعاد الى الغرفه حاملا الزجاجة .

كان غلاسب يجيب على سؤال وجهه الاخ روبنز بهمهمة غير مفهومة وبدا الارتياح على الاخ روبنز عندما راى سورم ثانية . وقال :

ـ دعني احزر ـ انك من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ؟

ـ كلا .

ـ كنيسة انكلترا ؟
ـ كلا . انا وجودي .
ـ نعم ؟ ولكن ... آ ... اعني من حيث الدين .
ـ اعلم . هذا ما اعنيه انا ايضا .
ـ اوه . لا اعتقد اني التقيت بهذه الطائفة قط . هل هي جديدة ؟
ـ كلا في الواقع .
ـ من هو مؤسسها ؟
ـ رجل دانماركي يدعى كيركفارد .
ـ وهل يؤمن المنتمون الى هذه الطائفة بقوة يسوع المسيح على تخليص البشر ؟
ـ كيركفارد نفسه كان يؤمن بذلك بالتأكيد .
ـ اه ، وهل كان يؤمن بمذهب لوثر فى التبرير عن طريق الايمان ؟
ـ اوه ، كلا ! كان دائما يهجم على الكنسة القائمة . كان يعتقد بان على الناس ان يمسوا مثل المسيح بدلا من اعتمادهم على الكنيسة ..
ـ رائع ! لقد كان اذن يسير فى السبيل الصحيحة ! مشكلة اكثر الناس في الوقت الحاضر هي انهم لا يدركون اهمية اطاعة قوانين الله . انهم يظنون ان مجرد قبولهم اياها يكفي . يلوح عليهم انهم يدركون بان الكتاب المقدس قد اعطانا قوانين للسلوك صارمة تشمل جميع نواحي حياتنا.
وهز سورم رأسه برزانه . كان صمته مشجعا للاخ روبنز . فمال الى الامام ، واطلق ابتسامته التى تشبه ابتسامة ديل كارنيجى .
ـ ينبغي أن تحضر اجتماعاتنا . انا واثق انها ستروق لك .
فأجاب سورم وهو لا يعني ما يقول :
ـ انا واثق من انها ستعجبنى .
وفجأة تكلم غلاسب ، كان معتدلا بجلسته يحملق بوقاحة في وجه الاخ روبنز :
ـ هل صحيح انكم تتوقعون نهاية العالم في اية لحظة ؟
والتفت الاخ روبنز الى غلاسب وابتسم ابتسامة جذابة ، كما لوكان غلاسب يوجه له مديحا :
ـ نعم . ولكن ، بالطبع ، ليس في اية لحظة . ان سفر الرؤيا يشير الى ان ذلك يقع خلال الثلاثين سنة القادمة .
ـ وان الدمار سيعم كل من في العالم ما عدا شهود يهوة ؟
ـ هذا ما يقوله لنا الكتاب المقدس .

واطلق غلاسب زمجرة مفعمة بالازدراء واسترخى في كرسيه .
وبالرغم من كره سورم للاخ روبنز لكنه اتخذ موقفا مدافعا عنه وقال بسرعة:
ـ هل يشير الكتاب المقدس الى هذا كله ؟

ـ بالتأكيد . ان الدليل واضح تماما . يقول الكتاب المقدس ان الشيطان نزل الى الارض في عام ١٩١٤ ، وانه امتلك العالم منذ ذلك التاريخ . وهل يساورك الشك وانت تنظر حواليك فى ارجاء العالم ؟ خطر الحرب فى كل مكان ، وان الجريمة والشر قد بلغا مستوى عاليا جدا . لاحظ جرائم القطاع الشرقي من لندن ، وانظر الى ما يفعله الروس في هنغاريا . انظر الى التجارب التي تجري على القنبلة الهيدروجينية . لقد اصاب العالم جنون ، لانه ملك الشيطان الان . وهذا سبب اضطهاد رعية المسيح . ان الوضع الان هو تماما كما تنبأ به الكتاب المقدس . ويشرح سفر الرؤيا للقديس يوحنا الامر بوضوح تام . انه يتنبأ بان الناس سيسعون لاصلاح الامور ، ولكن بعد آن يفوت الاوان : « ففتح بئر الهاوية وصعد دخان من البئر كدخان أتون عظيم فاظلمت الشمس والجو من دخان البئر » .

كان يميل الى الامام ليقرأ النص بلهجة خطابية . وعندما رفع صوته ليترنم في المقاطع بدا كأنه ينفخ في بوق منبه الضباب . وذكر سورم بعم له كان يقرأ نشيد « وقف الولد على السطح الملتهب » في حفلات عيد الميلاد . وقبل ان يبدي تعليقه على العبارات ، اندفع الاخ روبنز قائلا :

ـ لا شيء يمكنه أن يوقف سلطان الشر في العالم لان العالم ملك للشر القديم الان . قد ينجحون فى اقرار قانون يمنع الاعدام ، وقد ينجحون في اقناع روسيا على وضع حد للحرب الباردة ، ولكن لا شيء يوقف العالم عن السير قدما نحو الحساب الاخير .

وتوقف عن الكلام برهة ، ومر بيده على جبينه ، ثم مسح اصابعه المبتلة بمسند الكرسي . وقال سورم :

ـ تبدو عليك الكآبة .

ولمح من طرف عينه ان غلاسب كان يبتسم . وجعل وجهه صامدا واجما حتى لا يشعر الاخ روبنز بانه موضع سخرية .

كئيب ! كلا ، انا لست كئيبا . نحن لسنا متشائمين . اننا نمضي في سبيلنا مستبشرين ، لاننا واثقون من الحياة الازلية . وعندما تنتهي معركة هرمجدون سنعيش على جنة من الارض الى الابد .

ـ هذه الارض ؟

ـ بالتأكيد . هذه الارض . ولكن بعد ان تتحول الى فردوس .

ـ ولكن بعد ان نربحوا المعركة اولا ؟
ـ بالطبع .
ـ ولنفرض ان طرفكم لا يربح المعركة ؟
ـ هذا محال ، ان الله على كل شيء قدير . يجب ان نربح المعركة .
فقال سورم :
ـ في هذه الحالة اذن ، ليس ىمة فخر في ربح المعركة ، اليس كذلك ؟
فنكون مجرد زحف .
فقال الاخ روبنز بوجوم :
ـ انك لا تفهم .
ولمح سورم الشك يرف في عينيه برهة وجيزة . وقال على عجل :
ـ لا تظنن اني اريد مشاكستك بالاسئلة . اني اريد ان اعرف .
ـ فعليك ان تقرأ الكتاب المقدس اذن . انا واثق من ان الاخت كوينسي ستعيرك بعض كتبنا وكراريسنا .
وباغت غلاسب بالقول :
ـ ينبغي ان نرحل .
والتفت اليه الاخ روبنز وحدجه بنظرة عابسة . وقال :
ـ يجب ان تكون مثل صديقك وان تعير اهتماما جديا للمسائل الجدية . لن يسخر من الله احد !
ومرت لحظة ، ظن سورم فيها ان غلاسب عزم على تجاهل ذلك التعليق . ولكنه عبس وحدب كتفيه وجعل جبينه ينكمش في ثنيات . وقال باقتضاب :
ـ يجب أن اكون بليدا لاصدق هذا السخف .
ودخلت المس كوينسي في تلك اللحظة . وبدت كأن هواجسها على اشدها قد تحققت ، وكأنها كانت تتوقع في تلك اللحظة ان ينهض غلاسب ويسول على البساط . وقالت :
ـ اوليفر ! ساطلب منك ان تغادر اذا صرت سمجا !
وقال الاخ روبنز بصوت متزن :
لا ، لا ، يا عزيزتي . لا داعي لفعل ذلك. اذا كان لا يريد ان يؤمن فلا يمكنك ارغامه على الايمان بطرده خارجا .
ـ اذن فعليه ان يعتذر . كان كلامه غير مؤدب .
فقال غلاسب باستياء وسخرية :
ـ اوه ، كلا . لبس من الادب ان اقول ما اعتقد به انا . اما هو فلا

بأس ان يصم اسماعنا بارائه . اللعنة على ان لم اصدقه ، ولكن غير مسموح لي بالجهر برأيي . ولانه لا يملك احساسا بالواقع ، فانا فظ لاني اناقضه .

كان وقع هذه الكلمات في نفس المس كوينسي حسنا الى حد لم يتوقعه احد . وقالت :

ــ انك انت الذي تفتقر الى الاحساس بالواقع ، يا اوليفر . كل حقيقة كبرى تبدو ضربا من الوهم . انك تظن ان الحقيقة يجب ان تكون شيئا مألوفا عاديا . ولكنك على خطأ .

انك انت المقيد باحساسك الواقعي ...

ــ لا اتفق معك تماما ، يا جبرترود . لا اعتقد ان اوليفر يرفض معتقداتك لانه يفضل الحقيقة اليومية المألوفة . في الواقع ، اعتقد ان لكل فنان الاحلام نفسها ــ ارض قد تحولت الى فردوس ، والناس تحولوا الى ارواح خالدة . ومن الناحية الثانية ، فان افترضنا ان الامر سيحدث في مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم لهو من احلام اليقظة . اننا كلانا نعتقد بأنه ان كنتم تريدون تحويل العالم الى فردوس فعليكم ان تفعلوا ذلك بانفسكم .

ونهض الاخ روبنز بينما كان سورم يتكلم ، ومد يديه كانه يدعو سورم وغلاسب الى ان يضم احدهما الاخر .

ــ ولكنك ، ايها الرجل العزيز ، واحد منا. انك تريد نفس الاشياء . ان المسألة مسألة سبل تحقيق ذلك ، ويمكننا ان ندلك على الطريق .

وقال سورم :

ــ اتفق معك على ان المسألة هي مسألة سبل التحقيق . وينبغي ان نناقش هذا الموضوع في وقت اخر .

كان الجميع وقوفا ، ينظر احدهم الى الاخر . وكانت المس كوينسي بادية القلق على غلاسب . وفيما كان سورم يهم بالقول : اعتقد ينبغي ان..

وقاطعه الاخ روبنز قائلا بحماسة :

ــ ولماذا لا نناقش الموضوع الان ؟ يسرني دائما ان نبحث هذه الامور. هل هناك اهم من هذا الموضوع ؟

فقال سورم وهو ينظر الى ساعته :

ــ علينا ان نذهب للقاء شخص ما،ولكن في اي وقت اخر سيسرني ان..

وليسد ثغرة في الحديث نظر الى غلاسب قائلا : امستعد ، يا اوليفر؟

وتمتم غلاسب ببعض الكلمات ، وادار ظهره لهم . وقال سورم :

ــ أ ... يسرني ان اتعرف بك . وداعا . وداعا يا جيرترود .

وهرع للحاق بغلاسب ، ولحق به فرب الباب الامامي . وتبعتـه المس كوبنسى ، ولمست كتفه وقالت على عجل :
ــ تعال غدا ، يا جيرارد .
ــ طبب . اريد ان اتحدث اليك .
وهتف صوت غلاسب من الظلام في الخارج فجأة :
ــ طابت ليلتك ، يا جيرترود .
فبدت الدهشة عليها ، وصاحت بهدوء :
ــ طابت ليلتك ، يا اوليفر .
ىم اردفت قائلة بسرعة لسورم :
ــ اطلب منه ان يأتي تانية ــ عندما اكون لوحدي .
ــ حسنا . طابت لبلتك .
كانت تحرص على ان تجعل صوتها منخفضا ووجهها قريبا من وجهه. وعندما رأى سورم ان الاخ روبنز وغلاسب كانا غائبىن عنهما ، انحنى عليها على عجل وقبلها . فتراجعت خطوة الى الوراء ونظرت بسرعة خلفها صوب الصالة ، ىم قالت ببرود : طابت لبلتـــك
واغلقت الباب خلفه . وخرح الى الظلام وهو يفكر : لكل النســـاء موهبه على حبك الدسائس .
كان غلاسب يقف الى جوار البوابه الخارجية . وقا لسورم :
ــ كيف تسعر ؟
ــ لا بأس .
ــ اخبرتني جيرترود ان اطلب اليك العودة لرؤيتها يوما ــ عندما لا يكون ذلك الرجل هناك .
فزمجر غلاسب . وقال سورم :
ــ الا تميل اليها هي ابضا ؟
ــ اوه ، لا بأس بها .
ــ اعجب .
ــ فقال غلاسب والاشمئزاز باد عليه : حتى نهاية الطريق .
كانا في تلك الاثناء بمران بكشك للتلفون عند نهاية شارع ويل ووك. وقال سورم :
ــ الا يضيرك ان احاول الاتصال باوستن مرة اخرى ؟
ــ كــلا .
واجاب الصوت من طرف التلفون بان نن لم يعد الى البيت بعد وسأل

ان كانت هناك رسالة يبلغها له .

فقال سورم :

ـ كلا ، ليس الامر مهما . اردت فقط ان اطلب منه مشاركتنـــــا في حفلــة .

ـ هذا المساء ؟

ـ نعـــم .

ـ ان اردت ان تترك عنوانك كي ابلغه له عندما يعود .

وتردد سورم قليلا ثم اعطى عنوانه ، وهو يفكر بان وجود غــلاسب قد يبرر له الكلام عن حفلة ، اذا ما طلب اليه تبرير النداء التلفوني .

وقال غلاسب :

ـ الم يعد بعـــد ؟

ـ كلا .

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ لا ادري . يجب ان احذره بطريقة من الطرق ؟

ـ ليس الامر ذا خطورة تذكر .

ـ لماذا ؟

ـ ليس من اليسير اتهامه بجريمة اقترفت منـــذ زمن بعيـــد في هـــامبـــورغ .

وادرك سورم لدهشته ان غلاسب لم يجد الصلة بعد بين نن وبين جرائم واينشابل . كان سورم قد ظن ، لسبب يجهله، ان غلاسب على علم بذلك . واعرض عن فكرة سرد القضية لغلاسب الان بعد ان تــذكر ثـــورة غلاسب اثناء العشاء قبل بضع ليال ، وارتاب فجأة في ان يكون في امكان غلاسب ان يشي بنن لدى الشرطة وقال :

ـ آمل ان تكون على حق .

ـ انك اكثر اهتماما بنن من اهتمامه بك .

ـ لماذا ؟ هل تعتقد انه يكرهني ؟

ـ كلا . ولكنه من النوع الذي يفتقر الى العاطفة . انه لا يهتـــم بالاخرين مطلقـــا .

ولما صارا على قمة تل هافرستون . قال سورم :

ـ ما رأيك في قدح اخر من الشراب ؟

ـ فكرة صائبـــة .

ـ اعرف حانــة هنـــا .

كانت الحانة مكتظة بالرواد . فدخلا الصالة الخاصة ، فالفياها اقل زحاما .

ـ نفس الشراب ؟

ـ اجل .

ـ اذهب واحجز تلك المقاعد التي في الزاوية . انا ذاهب لاحضار المشروب .

كانت وقائع زيارتهما لجبرترود كوينسي قد هدمت شعوره بالانبساط والدفء المنساب في نفسه . ولكن الشعور شرع بالعودة عندما شرب نصف زجاجة من البيرة المركزة .

وقال غلاسب :

ـ عم كنا نتحدث ؟

ـ اوستن .

اه . نعم . لننسه ، فلا يهمنا امره .

ـ حسنا .

كان غلاسب يبتسم ، كأنه تذكر نكتة ما . فنظر سورم اليه بتساؤل وهو يرفع احد حاجبيه . وقال غلاسب :

ـ وجيرترود ؟

ـ ماذا عن جيرترود ؟

ـ انك تنشيء علاقة معها ؟

ـ آه ، لقد لاحظت ذلك ، ها ؟

ـ انك لم تحاول اخفاء الامر ، والضياء من خلفك .

ـ طيب ، ان الجواب هو كلا . يعجبني استثارتها فقط .

ـ كان ذلك بقصد اثارتها اليس كذلك ؟

ـ الى حد . لمجرد المزاح .

ـ ارجو الا اكون متطفلا في امورك ؟

ـ كلا ! ليس هنالك ما اريد اخفاءه . انني امزح فقط .

ـ هل فعلت ذلك معها قبلا .

ـ نعم . لاستثارتها فقط .

ومضى غلاسب يحتسي البيرة . كان من عادته ان يلقي بالاسئلة فجأة ، كما لو انه يبغي مفاجأة الشخص . وتوقع سورم سؤالا اخر من هذا القبيل . وتأخر السؤال قليلا .

ـ اتريد مضاجعتها ؟

وفكر سورم في السؤال مليا . في الواقع ، كانت فكرة مضاجعة جيرترود قد فقدت لمعانها منذ ان اضطجع مع كارولين . وقال بروية :

ــ لا أعتقد تماما اني اريد ذلك ... لست ادرى .

ــ طيب ، اما ان تريد او لا تريد .

ــ كلا . المسألة ليست بهذه السهولة . فاني أحس بطريقة ما باني اريد ان اضاجع النساء جميعا دونما تمييز ، اتعلم ... عندما اسمع عن شخص منح « امانة » مدينة لندن ، اتخيل احيانا كم من الجميل ان يمنحك احد امانة جميع النساء فى العالم .

لا يهم اية امرأة . كل ما في الامر انك تبرز رقعة جلدية كتب عليها بالحفر ، ولها مفتاح مذهب ، وتقول : «أسمي سورم ، تعالي الى غرفتي». فكرة رائعة .

فقال غلاسب ضاحكا :

ــ عواطف الشخص الذي له ولع جنوني بالجنس .

ــ كلا . كلا في الحقيقة !

ــ كلا . لست الا مازحا .

ــ ولكن ، في الواقع ، هنالك شيء من الحقيقة فيه .

ــ ولا شك .

ــ هل تعرف تلك الابيات من بليك التي يتحدث فيها عن الاسد الذي يرقد مع الحمل ؟ شيء عن العصر الذهبي . ذلك اساس المسألة ، اتدري؟ اننا نعيش في عالم منهار ونحلم عن عصر ذهبي حيث لا محل فيه للفشل. الناس جميعا تحولوا الى الهة لان في امكانهم ان يفعلوا ما شاؤوا. وهذا هو السبب الذي اجد لاجله من العسير علي ان ادين وستن ، مهما فعل. ليس هنالك شيء يدعى بالانحراف الجنسي ... ولكن ، على كل حال ، قد لا يوجد شيء يدعى بالجنس اطلاقا . الجنس برمته جزء من هذا التدهور اتعلم ان فكرة تولستوي عن الجنس هي انه ينبغي على الناس الا يمارسوا الجنس الا لانجاب الاطفال ؟ انها فكرة منطقية . اما ان يكون الجنس بأجمعه طبيعيا ، او لا يكون . ليس ثمة خط يفصل الجنس الطبيعي والشذوذ الجنسي .

كان يدرك اثناء الحديث ان كلماته لم تكن تبدو منطقية. وكان غلاسب يصغي وقد مط شفته السفلى ، ووجهه ينطق بالارتياب . فاخذ سورم يبذل جهدا واعيا ليلوح كلامه منطقيا :

ــ لنضع المسألة على هذا النحو . لو اني انجذبت الى الفتاة ، فاني

اعلم علم اليقين بان الامر ليس الرغبة في مضاجعتها فقط. واذا ما دفعني الفضول الى معرفة ما تبدو عليه في الفراش، فتصبح المسالة هنا رغبة في تحطيم الحواجز القائمة بين البشر اكثر مما هي رغبة في اقتحام الفتاة . واذا انتهى الامر بالفراش، فمن المحتمل ان تخبو شهوتي لها . وذلك موقفي مع جيرترود . هنالك شيء يتعلق بموقفها العذري الجامد الذي يستفزني . ولكني لا اعتقد انها الرغبة في اتخاذ جيرترود خليلة لي.

ولاحظ وجه غلاسب هذه المرة يشرق بشيء من التجاوب مع قوله، ولكن رغبته في التعبير عما كان يختلج في نفسه من الحدس الذهني بالكلمات كانت اقوى من ان تدفعه الى التوقف وانتظار غلاسب ليدلي بانطباعه . واحس بالانبساط التام عندما انهى قدحه ووضعه على الطاولة، وهو يميل الى الامام، ويدرك أن الافكار تحتشد في راسه وتبغي مخرجا.

ــ هل حدث ان كنت في غرفة مع امراتين كانتا خليلتيك ؟ وعندما تنقل نظرك من الواحدة الى الاخرى لا تشعر بالاهتمام لاية واحدة منهما. واذا ما اعادت احداهما ساقيها المعقودتين الى وضعيهما الطبيعي وهي تجلس امامك على الكرسي لا تكلف نفسك عناء التطلع لترى الى اي ارتفاع ستنحسر تنورتها . وتؤلف هاتان المراتان بالنسبة لك مجموعة صغيرة ، منفصلة عن بقية الجنس النسائي . قد تشتهيهما ، ولكن الاهتمام والفضول قد تلاشيا . وعلى اية حال ، فاني اشعر تجاه جيرترود بالفضول لا الشهوة . وعليه فلا يمكنني حقا ان اقول هل اني اريد مضاجعتها ام لا . قدح اخر ؟

وكان غلاسب قد انهى زجاجة البيرة . وكان ينقل نظره حواليه في الصالة وفي وجهه علائم الامتعاض . وقال :

ــ المكان مزدحم . ما رايك في الذهاب الى حانة اخرى ؟

كانت الصالة قد اخذت تزدحم منذ ان قدما . ولم يكن هنالك في تلك اللحظة كرسي واحد خال ، وكانت تقف الى جوارهما جماعة من الناس ، يتضاحكون بصخب .

وقال سورم :

ــ اكثر حانات لندن في ليالي السبت على هذه الشاكلة . يمكننا ان نعود الى غرفتي .

ــ كم الساعة ؟ الثامنة ، طيب ، ان اردت .

* * *

وملأ المغسلة بالماء الساخن ثم غمر يديه فيه ومال بجسمه الى الامام

مستندا اليها ، وهو يحس بالتعب المفاجيء . وسمع خلال باب الحمام المفتوح قليلا رنين التلفون ، فاحس بالتوتر بصورة تلقائية ، وراح ينتظر ليناديه أحد . وعندما توقف الرنين ولم يناده احد اخذ يجفف يديه ، وهو يفكر باعياء : الناس . كيف اتخلص من الناس ؟ لقد احس باشمئزاز مفاجيء ، كان رد فعل للانفعالات التي اعتورته عند المساء ، والان الاحساس بمعرفة غلاسب معرفة افضل خلال بصيرة جذبته اليه . كان ذلك احساس من ربح لعبة ، الاحساس بقوة داخلية متنامية ، طاقة لا يستطيع ان يجد لها منفذا آنيا .

كان غلاسب ممددا على الكرسي الكبير ، وقدماه على المقعد . وكانت السمفونية الخامسة لبروكوفييف ، التي كان الغرامافون يعزفها ، قد شارفت على خاتمة الشوط الاول . وكانت على المنضدة اربع زجاجات مليئة بالبيرة .

ــ هل اقلب الاسطوانة ؟

ــ كلا . بل الافضل ان نتحدث .

ومد غلاسب قدحه ، واخذ يهزه عندما كان سورم يصب البيرة فيه . وقال سورم :

ــ تبدو جذلا ؟

ــ صحيح ؟

ــ يبدو في وجهك الرضى .

فقال غلاسب :

ــ ربما .

وارتخى سورم على الكرسي الاخر ، ورفع قدميه المنتعلتين ووضعهما على المقعد الصغير ، فازاح غلاسب قدميه اللتين كان يلبس فيهما زوجا من الجوارب ليدع مجالا لقدمي سورم . ولاحظ سورم باهتمام ان غلاسب كان يرتدي زوجا جديدا من جوارب النايلون . وقال غلاسب :

ــ اصغ ، يا جيرارد . الم يجل بخاطرك انه يحتمل ان يكون اوستن مجرم وايتشابل ؟

وقال اخيرا :

ــ هممم ...

وظل سورم منبنا بصره في نعليه ، وحرص الا تبدر منه اية دهشة .

ــ تعتقد ان الامر غير محتمل ؟

ــ اعتقد انه ممكن . فنحن نعلم ان اوستن سادي ، كما ان هنالك

شكوكا حول قتله احدأ في هامبورغ .
ـ نعم ، ولكن ...
ـ ماذا ؟
ـ ونحن على معرفة باوستن ايضا . هل يمكنك بعد أن تنظر اليه ان تجد الصلة بينه وبن حوادث القتل ؟ لا يمكنني ذلك .
وبقي غلاسب ممسكا بقدح البيرة في موازاة انفه وهو يعبس فيه.
ـ لا يمكنني انا ايضا . ولكن هذا لا يبرهن شيئا . انـك تعلم أو اوسنن سادي . فهل يمكنك ان تتخيله يضرب احدا باسوط ؟
ـ كـلا ..
ـ ومع هذا فمـن المحتمل انه يفعل ذلك .
ـ طيب ، بم ان هذه الجرائم تدل على اهتمام القاتل بالجنس الاخر، في حين ان اوستن ينزع الى جنسه . فلم يختار النساء ؟
ـ انهن اسهل منالا في وايتسابل .
ـ حسنا . وثانيا ، لم يختار وايتشابل حيث احتمال القاء القبض عليه أكثر منه في اي مكان اخر ، كلما يقترف جريمة ؟ لم لا يتنقل في اطراف لندن ؟ وثالثا ، لم بالله عليك يجب ان يكون هذا المجرم هو اوستن من بين سبعة ملايين شخص يعيسون في لندن ؟
ونظر اليه غلاسب مليا . وقال :
ـ انت لا تريد أن يكون القاتل اوستن ، أليس كذلك ؟
فهز سورم كتفيه . وقال :
ـ لا اعلم . انا اميل الى اوستن ولكني لن اخشى مجابهة الحقائق ان كـانت تسير اليه فعلا .
وقـال غلاسب :
ـ على اية حال ، لا داعي للقلق . لن اشي به لدى الشرطة ، حتى لو علمت بانه هو الذي اقترف هذه الجرائم .
ـ كـلا ..
ـ وعلى كل ، كن على ثقة بان السرطة تراقبه. ان كانمتسبوها بقضية القتل في هامبورغ ، فهو الان منسبوه بصورة طبيعية في قضية وايتشابل.
ـ لست ادري . لا افهم كيف تحدث هذه الامور .
ـ هل تفهم معنى السادية ، على اية حال ؟
فسأل سورم باهتمام :
ـ ماذا يدفعك الى هذا القول ؟

ـ انت لست من هذا الصنف .
ـ لا ؟ فمن اي صنف انا اذن ؟
فقال غلاسب ، وهو يهز كتفيه :
ـ انك على شبه بي . ليس لك اهتمام خاص بالجنس .
ـ ويلاه ! اتظن ذلك حقا ؟
فابتسم غلاسب . وقال :
ـ انك تعتقد بانك مولع بالجنس ، والحقيقة انك لست كذلك . حاول ان تفهم ما اعنيه . اوسس انسان يؤمن بالحس ، انه ليس رجل فكر . لا شيء يثير اهتمامه في الحقيقة الا ما يمكنه رؤيته ولمسه .
ـ اوه ، لا ادري . لا يمكنني القول انه عديم الافكار .
ـ انه عديم الافكار . ربما يبذل مجهودا ليبدو رجل فكر عندما يتحدث اليك . واذا ما تعود عليك والفك كف عن بذل هذا المجهود .
ـ نعم ، ولكن ... هناك شيء من البراءة في اوسنن . انك لا تفهم .
ـ بل افهم ذلك جيدا . هنالك دائما شيء من البراءة في الحسية لا يشترط في الرجل الحسي أن يستهي وبسيل لعابه فحسب ، ولكنها لا ترتفع عن الارض ، مع هذا . كان اشد الناس انغماسا في اللذة الحسية رجلا عرفته وكان مولعا بجمع المدى والخناجر . وقد كتب مقالات عديدة في الموضوع ـ وقد اشتهر في اوروبا على انه اكبر حجة في هذا الموضوع. لم تكن رأسه تتسع لفكرة واحدة ، ولكنه كان مفعما الى حد مذهل بالاف الحقائق عن الخناجر .
فقال سورم بلهجة مترددة :
ـ فهمت ما تعنيه .
كان يشعر بالجوع . فاخرج من الدولاب قطعة من الرغيف وبعض البصل الاسباني وكيسا من البلاستيك يحتوي على الجبن . وقال :
ـ تفضل ان كنت جائعا .
وقطع كسرة غير منتظمة من الرغيف وطلاها بقليل من الزبدة وقال غلاسب :
ـ فكرة لا بأس بها .
وقال ، وهو يقطع الرغيف :
ـ لا تكون اراء مغلوطة عن اوسنن . انه ليس زميلا روحيا . انه لا بأس به ، ولكنك ان اشتبكت معه فسيقضي عليك .
ـ اعلم ذلك . ولكني اعتقد انك تسيء الحكم عليه . انه يسيء الحكم

علمك ايضا .

ـ صحيح ؟ ماذا يقول عني .

فتردد سورم ، ليقدر نتائج صراحته التامة . فدفعته الى الكلام الرغبه في استثارة رد فعل لدى غلاسب . وقال بلا مبالاة :

ـ انه يعتقد بان لك بعض ... الهوايات الجنسية الخاصة .

فقال غلاسب باحتقار :

ـ بالطبع . عليه ان يعترف بذلك .

فقال سورم ضاحكا :

ـ اوه ، اني اوافقك . انهم دائما يريدون اتهام الاخرين بما لديهم ..

ـ بماذا يظن ... اني مولع ؟ الرجال ام الاولاد ام الحيوانات ؟

ـ ليس واحدا من هؤلاء ، وانما بالفتيات الصغيرات .

كان الاثر الذي احدثه اعنف مما كان يتوقع . فوضع غلاسب السكين على الصحن ، وظل يحدق بذهول ، وقال :

ـ ماذا ؟

وتجاهل سورم انفعاله ، وقال :

ـ اوه ، تعرف ماذا يعني ...

ـ هل قال ذلك ؟ اخبرني بما قاله بالضبط .

وفيما هو يتكلم ، سمع سورم احدا خارج الباب . ومرت به لحظة توقع فيها ان يرى وجه نن ، ثم سمع المفتاح يتحرك في باب الغرفة المجاورة وعلم ان الرجل الفرنسي كان يفتح غرفته . كان قلب سورم يخفق بعنف ، فقال على عجل :

ـ اوه ، ان اردت ان انصف اوسن فانه كان ينقل الي خبرا سمعه .

ـ هل انت واثق ؟

ـ تماما . كان هنالك اثنان من الاميركيين يعتقدان بانهما التقيا بك في لندن منذ بضع سنين . ولكن على كل ، ربما كانا يتحدثان عن شخص اخر . او ربما قالا ذلك لمجرد الكلام .

فقال غلاسب ببطء :

ـ لا حول ولا قوة !

وافرغ قدح البيرة ثم ملأه مرة اخرى ، ثم جلس على الكرسي منحني الظهر وراح يحدق في النار . وكان في هذا التوتر الظاهر في جسده المنثني ما جعل سورم يشعر بانه كانت تعتمل في نفس غلاسب هزة داخلية كان لا يريد ان يظهرها . وكان قلب سورم ما زال يخفق بعنف من جراء

الحركة التي كان سمعها خارج الباب . وقال :
ـ اسمع لم لا نترك الموضوع ؟ اسف لاني اخبرتك به .
ـ الم يقل شيئا اخر .
ـ كـلا .
فقال غلاسب ببطء :
ـ يحيرني هؤلاء النماذون الملعونون .
ـ لمـاذا ؟
ـ لا يهمهم شيء اكثر مما يهمهم الاشخاص . لو اني رسمت اعظم لوحة منذ رامبرانت لما اكترث بها بقدر اكترائه لو كانت لى علاقـة بالموديل الذي رسمت عنه .
ولم يبذل سورم جهدا هذه المرة لمناقضة رايه . ونظر الى ساعتـه ، وهو يود ان يقترح على غلاسب الخروج . لقد اقلقه فكرة مجيء نن فجأة. فقـال بخفة :
ـ لا افهم لم تأثرت لذلك . قلت ذلك لتسلينك فقط . انا لا اخـذ اوسنن على محمل الجد .
ـ فنظر اليه غلاسب معبسا :
ـ ولكن لم قال ذلك ؟ ومن اين جاءته هذه الفكرة ؟ هل اخبرته بصورة الفتاة الصغيرة التي رايتها في غرفتي ؟
ـ كـلا .
واحس سورم بالضيق الشديد . كان قد شاهد صورة الفتاة بينمـا كان غلاسب خارج الغرفة ، ولم ترق له فكرة الكذب على غلاسب . وقال:
ـ اخبرتك ، على كل حال . كانت هذه فكرة الامريكيين الاثنيـن . يمكنني ان أؤكد لك . لاني التقيت بهما .
فهز غلاسب كتفيه بامتعاض وقال :
ـ لا يهمني مطلقا على كل حال . ولكنى اراهنك بانـه رآني اتمشى مع الفتاة الصغيرة التي في الصورة ، او اخبره احدهم عن الامر .
فقال سورم كاذبا :
ـ لا اتذكر الصورة على اية حال. واشك في ان يعرف اوسنن عنها شيئا .
وغابت حدة غلاسب وظل صامتا ، وهو يمضغ الخبـز والبصـل الاسباني الدي ملأ فمه. كانت عضلات فكه تنتصب بارزة كلما كان يمضغ اللقمة ويبتلعها . وسمع من الاسفل صوت باب يغلق بشـدة . وحسب سورم مرة اخرى ان اوستن يحتمل ان يكون قد وصل . وقال :

ـ اتعلم ، اني واثق من انك مخطيء بصدد اوستن ...

وقـال غلاسب :

ـ هل تصدق اني اميل الى الفتيات وهن في الثانية عشرة من العمر؟

ـ انا ... على كل ، لا اصدق ذلك . ولكني اقولها لك باخـلاص لو كنت فعلا كذلك لما افزعني الامر . تبدو الفتاة احيانا على جانب من النضوج وهي بعد في سن الثانية عشرة .

ـ تلك الفتاة لم تبد كذلك . انها تلوح وكأنها في التاسعة .

فقال غلاسب بكآبة :

ـ نعم ، ولكن ... انظر يا اوليفر ، انا لا اريد ان ادس بانفي في حياتك الخاصة ، فلنترك الموضوع ، ها ؟

ـ هل يضايقك ؟

ـ كلا ولكن ...

ـ اذن ، فهو لا يضايقني انا ايضا . لا يحرجني الكلام فيه .

وتساءل سورم ترى هل ثمل غلاسب قليلا . كانت الطريقة التي يؤكد فيها على الموضوع واهنة ثقيلة . وقال سورم :

ـ حسنا . ان اردت ذلك ، فلنتحدث عنه . من هي هذه الفتاة ؟

وافرغ غلاسب بقية ما في زجاجة البيرة في قدحه على مهل ، ثم وضع الغطاء على الزجاجة بعناية ثم وضع الزجاجة على الارض . وقال :

ـ اسمها كريستين .

ولكي يخفي سورم الحراجة التي كان يحس بها فتح زجاجة البيرة الاخرى وراح يملأ قدحه . وشعر بان الحديث قد بدأ يصطبغ بلون سخيف . فغلاسب ، على كل حال ، لم يكن ملزما بان يحدثه عن الفتاة . ولاحت له تلك اللحظة غير مناسبة للكلام عنها ، كما لاحت له طريقة الكلام غير مناسبة ايضا . ولاحظ ان النار الغازية بدأت تخفت ، فاخذ يبحث في جيبه عن قطعة نقود ، وسره أن يشغل نفسه بشيء وهو ينتظر من غلاسب ان يمضي في حديثه . وعندما شرع غلاسب بالكلام اخيرا ، لم يكن في صوته اثر للسكر . وقال بجد :

ـ اتعلم ، يا جيرارد ، ان الدم ليغلي في عروقي عندما يتدخل انسان مثل اوستن في شؤوني مع اني لم اقترف ذنبا تجاهه ، اليس كذلك ؟ اني اعيش لوحدي ، مهتما بشؤوني الخاصة . انا لا اطلب من الناس مراقبتي . اني اتجنب الناس لاني لا اجد متعة في الاشتراك باللعبة هل تفهم ما اعنيه ؟

ــ تعني اللعبة الاجتماعية ؟
ــ اعني اللعبة الشخصية . اترى ...
ورأى سورم ، وهو ينظر اليه ، الكلمات تكاد تنرع نفسها من راس غلاسب ، والفى نفسه يميل الى الامام وهو يركز اهتمامه لمعاونة غلاسب. ومضى غــــلاسب قائـــــلا :
ــ اذا اندمجت مع الناس فعليك ان تمسك بالقواعد . مثل ذلـــك مثل الدخول الى مدرسة نموذجية او الانضمام الى احد النوادي الراقية ، فان اردت التمتع بفوائدهما ينبغي عليك ان تتمسك بالقواعد . طيب ، انـا افضل الا انضم الى النادي ، اريد ان استغنى عن تلك المنافع . والامــــر كذلك بشنبه عرض لوحاتك . فانك اذا وضعت لوحاتك في معرض تضع نفسك تحت رحمة نغول ذوي عقول عفنة لا يفرقون بين الاصباغ والغائط! ولا فائدة من الشكوى بان احدا لا يفهمك . انك ان عرضت صورك فمعناه انك تسأل الناس ان ينظروا اليها ، فاذا ما ابدوا ملاحظات بليدة فليس لك ان تبدي شكواك ، لانك انت الذي طلب ذلك . ولهذا، فاني لا اقوم بعرض صوري ، واذا ما ابدى احدهم ملاحظات سخيفة حول عملي فلي الحق في ان الطمه على فمه واقول له :
ــ اغلق فمك ايها الحقير ، لم يطلب اليك احد التعليق .
كانت الكلمات تتدفق ، وكان غلاسب يتكلم كالالة ، وقد تورد وجهه، وهو لا يشعر بفتاتة الخبز التي التصقت في طرف فمه . وكانت فيعينيه بهجة ، لدهشته بأن احاسيسه كانت فعلا تتحول الى كلمات يتفوه بهـــا . ومضى قـــائلا :
ــ والامر نفسه مع الاشخاص . اذا كنت تحتاج الى الناس ، فعليك ان تحتملهم الى الحد الذي تريده . ان الامر على ما يرام مع بيكاسو لان الناس كلهم يحتملونه ، على اي حال . هل تفهم ما اعنيه ؟ ولكنك اناردت ان تنتج عملا عظيما ، فان ذلك يكلفك جهدا هو اكثر مما يستحق النـــاس لحملهم على قبولك ...
فقال سورم :
ــ اعرف تماما ما تعنيه . لقد حدث ذلك لي مرارا كثيرة . قبل ان اترك العمل ، كنت اشتغل موظفا في احدى الدوائر مع موظف اسكوتلاندى كان شديد التبجح . وكان يعلم باني اريد ان اصبح كاتبا ، فكان يتلذذ فــي اثارتي ــ قائلا باني اهتم بالمسائل العقلية ولست على اتصال بالواقع.
فقـــال غلاسب :

ــ كان عليك ان تلقي عليه درسا عمليا .
ــ شعرت بالرغبة في ذلك . ولكن ما نفع ذلك ؟ لقد افلح فيﺍكتساب ودي . اعتقد انه كان يعاني من الشعور بالنقص الذى كاد ان يحطمــــه . ولكن كان علي ان احتمله لانه كان يجلس الى جواري . وكانت انفعالاتــك نفسـها تعتمل في صدرى ــ كان ينتابني شعور بالاهانة من انتقاده لــي . كنت اود ان اقول له : انك لاحمق ، انا لا اريد معرفتك . ولكن لســـوء الحظ لم يكن فى وسعي غير ان اعرفه وان اتحدث معه وان اعمل معه . .
فقــال غلاسب بمرارة :
ــ حسنا ، هذا ما اشعر به تجاه اوستن . ما عدا اني قلت لــه فعلا : « انك لاحمق وانا لا اريد معرفتك » . ولم ازل لا استطيع الخلاص من تفاهاتــه .
فقال سورم :
ــ اما كنت شعرت غير هذا الشعور لو اصبحت شهيرا ؟
ــ بالطبع ، لاني في ذلك الوقت لست مضطرا للنقاش مع الحمقى . كنت اترك المعجبين بي يفعلون ذلك لاجلي . خذ هذا الرجل الذي رأينــــاه الليلة ــ الاخ «لا ادري من» عند جيرترود . استطعت ان ادرك انه احمق وانه لم يكن هناك اي معنى فى تبادل كلمة واحدة معه . ولذا فلم افعل . هذا ما يجب ان يكون عليه الامر .
فقال سورم كانه يشعر بالاثم :
ــ اتعلم ، انك قسوت على اوستن ، بصدد هذه الفتاة . اني لواثــق بانه لا يعرف عنها شيئا .
ــ ولكنك قلت انه يعرف . . .
فقال سورم بلهجة صارمة :
ــ قال ذلك شخصان امريكيان ، ولم يكونا واثقين مــن ان الشخص المقصود هو انت .
فقال غلاسب بامتعاض :
ــ اوستن انسان احمق ، على كل حال .
فقال سورم مبتسما :
ــ دهشت للضراوة التي جابهتني بها عندما قــدمت نفسي لـــك كصديق لاوستن .
ــ لان ذلك كان اسوأ مــــا يمكن ان يقوله لي شخص . ولكني عندما تحدثت اليك وجدتني اميل اليك .

ـ شكرا .
ـ هل اخبرك لماذا ؟
فهز سورم راسه موافقا ، وقال غلاسب :
ـ لان لك وظيفة تؤديها . انك لا تبدد وقتك كما يفعل اوسن .
فقال لسورم ، وهو يهز كتفيه :
ـ انا اضيع الكثير من الوقت .
ـ ولكن ليس بطريقة اوستن . اتعلم ، لا بد ان الشخص الذي يبدد وقته مصاب بسيء ما . انه يبدأ بالعفن حتى لتستطيع ان تشم رائحته الا تحس بذلك تجاه اوستن ؟
ـ كلا . انا لا اشعر بانه يختلف عني كثيرا .
فقال غلاسب :
ـ ستكتشف ذلك .
وغاص في كرسيه ، وحنى ركبتيه فوق المقعد ،وقال بتأمل :
ـ سأقدمك الى كريستين في يوم من الايام . انك ستميل اليها . انها طفلة ذكية .
ـ هل هي مولعة بالرسم ؟
ـ قليلا . انى احاول أن اعلمها . لها موهبة عظيمة ... اكبر مني.
ـ جديا ؟
ـ جديا . انا لا املك الموهبة . علي أن اعمل بجد شديد لاظهر ظلالا معينة ولكنها تفعل ذلك بسهولة .
ـ كم يبلغ عمرها ؟ تسعة ، قلت ؟
ـ كلا ، اثنى عشرة . ولكنها تبدو في التاسعة .
ـ كيف التقيت بها ؟
ـ بطريقة غريبة نوعا ما . كنت في يوم من الايام اقف امام احدى المكتبات في شارع مايل ايند لاتفرج في خزانة الكتب ذات سعر ستة بنسات ، وكانت هذه الفتاة تقف بجواري . وظلت تنظر الى دفتر « اوتوغراف » قديم ذي غلاف جلدي ، وقد محل لون أوراقه ، ولكنه لسبب من الاسباب غير مستعمل . وكنت ارى انها كانت تريده . وعندما نظرت في داخله وجدت انه اغلى سعرا من بقية الكتب ـ ليس اغلى كثيرا ـ شلن واحد ، او شلن وست بنسات . وبقيت تعيد الكتاب الى محله ثم تنظر الى الكتب الاخرى ثم تخرجه ثانية . ورحت اتساءل في نفسي هل ستسرقه . ولكنها لم تفعل . وتركته اخيرا ومضت في سبيلها . وكنت

قد اخترت كتابين ، وكنت قد بعت قبل قليل بعض الصور ، فـأخذت الارتوغراف مع الكتابين الاخرين الى الحانوت واسترينها . وعندما خرجت ، كانت قد ابتعدت حوالي نصف الميل ، فركضت خلفها ، وادركتها واعطيتها الدفتر .

فابتسم سورم وقال :

ــ وماذا فعلت ؟

ــ اخذته وراحت تحدق في . وسعرت بسخافتي قليلا لشرائي اياه، فاستدارت وانصرفت . وهكذا كان الامر . ولم يتكلم اي منا .

ــ ما اغرب فعلتك !

ــ اوه ، لست ادرى . كان مجرد دافع .

ــ وكيف تعرفت عليها ؟

ــ حدث ذلك فيما بعد . رايتها مرتين في الشارع وخمنت انها تسكن في تلك الاصقاع . ولم اكن مكترثا لها بصورة خاصة ... على كل حال ، كنت في احد الايام امر بقرب السينما في السارع التجاري ــ كان ذلك في مساء يوم سبت وكان هنالك صف من الصبيان خارج السينما . وخرجت هي من الصف وهرعت نحوي وهي تصيح : هلو : وعادت تركض الى الصف قبل ان استطيع الكلام . ثم التقيت بها بعد يومين بينما كنت خارجا من حانوت الخباز في شارع فالانس ، فمشت معي . وشعرت بالحراجة قليلا ــ فاني اكره ان اسأل الاطفال عن اعمارهم وماذا يفعلونه في المدرسة وغير ذلك من اللغو ــ اتذكر كم كانت تضجرني هذه الاسئلة عندما كنت صبيا . ولكن كان من العسير علي ان اجد شيئا آخر اقوله لها. على كل حال ، سألتني هي عن مهنتي فاخبرتها باني رسام . فقالت : «اوه» ولم يبد عليها الاهتمام ظانة اني صباغ جدران . ولكني عندما قلت لها باني ارسم الصور بدا عليها الاهتمام ، ورأيتها تقيم احلام يقظة رومانتيكية عن الرسام الحقيقي . على كل حال ، وكان عليها في ذلك اليوم ان تعود الى البيت ، ولكني قلت لها باني اود ان اريها لوحاتي في احد الايام . وفي اليوم التالي رأيتها خارج مسكني في حوالي الساعة الرابعة مساء . فطلبت اليها الدخول . وتصرفت تصرفا مضحكا . اخذت تنظر في كلا الجانبين لتتأكد من ان احدا لم يكن يراقبها ، ثم اندفعت الى الداخل كالارنب المذعور . واريتها لوحاتي وقدمت لها قدحا من الشاي وقلت لها ان تأتي لزيارتي في اي وقت تشاء . كانت على ما يظهر خجولة ... وفي امسية السبت التالي اقبلت واصرت على ان تراقبني كيف ارسم . وظن والداها

انها ذهبت الى السينما ايضا ... وتعرفت عليها بهذا الشكل .

فقال سورم :

ـ تبدو فتاة ساحرة . هل كانت لها احلام رومانتيكية عن الرسامين؟

ـ اوه ، نعم . اكتشفت عاطفة كبيرة نمت فيها . فقد التقت بهما يوما مع احدى صديقاتها فاحمر وجهها احمرارا شديدا . وذكرتها بذلك في السبت التالي فاعترفت لي اخيرا بانها ادعت امام صديقتها باني طلبت منها الزواج عندما تبلغ السادسة عشرة !

فقال سورم ضاحكا :

ـ طيب ، لم لا ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

ـ على كل ، من الممكن ـ اعتقد انها ستبلغ السادسة عشرة بعد ثلاث سنوات فان سنها الان شارف على الثالثة عشرة .

فقال سورم مندهشا :

ـ هل انت مولع بها الى هذا الحد ؟

ـ انا ... انك لا تفهم . اتعلم ، انها من عائلة كبيرة ـ لها سبعة اخوة واخوات . وقد اضطروا مرة ان يشغل اربعة منهم غرفة واحدة . ابوها حارس في سجن بريكستون ـ انسان شكس الاخلاق ينفق كل ما لديه على الشراب . واختها الكبرى مزوجة . متزوجة من رجل بولندي ، وهما يسكنان في البيت المجاور . وعندما يعود البولندي الى البيت ثملا ويحاول ان يضرب زوجته ، تذهب اليهم وتنام مع كرستين واختها الاخرى على سرير واحد ... وتنام كريستين على طرف السرير . ورايت امها مرة ـ امراة مسكينة متهدمة ، لها نديان كبيران متدليان وليس لها اسنان. كان عمرها لا يزيد على الخمسين ، ولكنها كانت تلوح في السبعين .

هذا هو المحيط الذي عاشت فيه الفتاة . وهي تريد ان تدخل مدرسة للرسم ـ ولها من الذكاء ما يساعدها في الحصول على منحة دراسية ـ ولكن والديها لا يرضيان مطلقا ان تدرس الرسم . حتى ان امها اخبرتها ان طالبات الرسم اسوا من العاهرات . وعلى كل حال فهم يريدونها ان تجد عملا بعد ان تنهي دراستها لكي تحصل لهم على بعض الدراهم ريثما تتزوج كان اهلها يعيشون في الاحياء الفقيرة منذ اجيال . وهم لا يريدون حياة افضل .

ـ هذا سخف الا يمكنك اقناعهم ؟

ـ لا امل في ذلك البتة . ولا تجرؤ كريستين حتى على اخبارهم

بانها لم تزل تلتقي بي . وقد تخاصمت مع ابيها مرة .

ــ يا للسماء ! كيف ؟

وهز غلاسب كتفيه ، ثم ارتعش جسمه وقطب وجهه كانه لا يريد ان يستعيد ذكرى كريهة :

ــ انه سكير متعجرف غبي. لقد رآنا اخوها في المقهى فاخبر والديها. فاشبعوها ضربا وحملوها على أن تعدهم بالا تراني ثانية . ولحسن الحظ رابنا اخاها عندما شاهدنا ، فاوصيت كريستين الا تخبر والديها بكل شيء ، وان تقول لهم بانها التقت بي مرة أو مرتين فقط في معرض الرسم في وايتسابل . ولو لم اوصها بذلك لكان من المحتمل ان تخبرهم بانها جلست لارسمها ولكانوا سلخوا لها جلدها . وعلى كل ، كنت مارا في اليوم التالي امام حانة في هابري سنربت فرايت اباها يخرج وبدأ بالشجار معي .

ــ كيف عرفك ؟

ــ اوه ، كان رآني قبلا ، وكنت انا رايته ايضا ــ انهم يسكنون قريبا مني ، عند منعطف الشارع .

ــ ولم كان يصرخ ؟

ــ اخذ يتفوه بالاكاذيب الحمقاء ... القذرة . لو كان ربعها صحيحا لاستطاع ان يلقي بي في السجن . لم اكن ادري ماذا افعل ... ولم اكن اريد ان اجر كريستين الى متاعب اخرى . فحاولت تهدئته ، ولكنه ازداد سوءا . لم يكن ثملا تماما . وامسك بياقتي وشرع يصرخ فيوجهي ــ فيطفر من فمه رذاذ البصاق والبيرة علي . وطلبت منه ان يدعني وشأني ولكنه اخذ يصرخ بصوت اعلى . فضربته بركبتي على بطنه ولطمته في وجهه .

فصاح سورم :

ــ يا للمسيح !

وجد من العسير ان يتصور غلاسب يضرب احدا .

ــ ولحسن الحظ اقبل في تلك اللحظة احد رجال الشرطة وهددنا بجرنا الى المركز ، فافترقنا حالا . ان شرطة وايتسابل لا صبر لهم ، وانهم من النوع الخشن .

وتوقعت انه سيقول للشرطة باني اغتصبت ابنته . ولكنه لم يفعل. بل مضى حالا . وكنت قد انفعلت و...

ــ الم ينتقم لحالته من كريستين .

ــ كلا ، هذا هو الغريب في الامر. اقبلت الي فياليوم الثاني واخبرتني

القصة . كانت في المطبخ عندما دخل وصار يصرخ بانه سيأخذها الى الطبيب ليقيم الدليل ضدي . ولكن امها استشاطت غيظا لذلك وهددت بتركه اذا فعل شيئا من هذا وسألتها امها عني فيما بعد ــ كانت تريد ان نعرف ان حدث سيء بيننا وبالطبع انكرت كريستين ذلك وصدقتها امها.

واصغى سورم باهتمام جدي ، وهو منخفض الراس ، ولم يدر كيف يصوغ السؤال الذى بزغ فى ذهنه وهو يحرص الا يظهر على وجهه ، وقال :

ــ وحتى لو اخدها الى الطبيب لما ظهر اي شيء ؟

ــ لا شيء ... ما عدا ، ربما ، الاقاويل عنها ، وهذا امر بحد ذاته سيء . ولو عرفوا بانها جلست لارسم صورتها لسبب ذلك متاعب كثيرة.

ــ هل تجلس لك كثيرا ؟

ــ اوه ، نعم..رسمتها اول مرة جاءت ، ولكن ليست عارية بالطبع.

ــ فما السبب في المتاعب اذن .

ــ لانني اخذت ارسمها عارية فيما بعد .

ــ آه ... هذا امر صعب . هل كانت تريد ذلك ؟

ــ اوه ، نعم . كانت حيية اول الامر . ولكنها وقعت يوما في ساقية في حديقة فكتوريا فابتلت ملابسها . وكانت امها قد حذرتها الا تلعب بالقرب من الماء ، ولهذا جاءت عندي حتى تجف ملابسها . ودخلت الفراش بينما كنت اشعل النار ــ كان الوقت امسية من امسيات الصيف ــ وبقيت عندي حتى جفت ملابسها . واقنعتها بأن تجلس وهي عارية امام الموقد ، ورسمت لها صورة تخطيطية جميلة والنار من خلفها ــ من احسن ما رسمت . وبعد ذلك غالبا ما كانت تقف لارسمها عارية .

وقال سورم :

ــ لا استطيع ان اتجاهل الشعور بانك تلعب بالنار . لا يبدو والدها من النوع الذي ينسى خصاما .

فقال غلاسب بيأس :

ــ اعلم ذلك . ولكن ماذا يسعني ان افعل ؟ اكف عن رؤيتها ؟

ــ على كل حال ، الامر يعود لك . هل من فرق ان كففت عن رؤيتها بضعة شهور الى ان تعود الامور الى حالها الطبيعي ؟

ــ بالطبع .

ــ ولكنك فعلت الكثير بالنسبة لها . لقد عودتها على طريقة جديدة في الحياة ، ولا يمكنها ان تتغير الان .

فعبس غلاسب وهز كتفيه :

ـ لست واثقا من ذلك . اثنتان من شقيقاتها تعملان في مصنع للجوارب . وهذا ما يريد والدها ان تفعله . وثانيا ، أن محيطها محيف ومن الصعب الكفاح ضده .

ـ يلوح البيت زريا بهؤلاء السبعة .

ـ اجل ، الارضية مفروشة بالخيش بدلا من البسط ، والصناديق تستعمل بدلا من الكراسي . وتعتبر هذه العائلة احسن حالا من غيرها لانها تدفع ثلاثين شلنا في الاسبوع للشقة .

ـ ولكن ، كما تقول ، ستبلغ السادسة عشرة بعد سنوات قليلة ، فيمكنك اخراجها من هذا المحيط حينئذ ...

ـ اخرجها الى اين ؟ الى شقتي التي ادفع بها ثلاثة باونات وعشرة شلنات .

ـ سيبدو لها حياة مترفة بالنسبة لحياتها السابقة .

ـ ليست النقطة هنا ... ليس لاني اريد الزواج بها ، ولكن لمجرد ان سيكون هنالك عندئذ عذر قانوني لانتزاعها من قبضة والديها . هذا ما يهم في الامر .

وتمطى سورم بجسده على الكرسي ، وقد خنقته حرارة الغرفة . وقال ببطء :

ـ هنالك طرق اخرى للقيام بذلك . حاول ان تجد من يريد ان يكون وصيا عليها وارسلها الى مدرسة للرسم . احد مثل جيرترود مثلا ، اذا كان في الامكان اقناع والديها ...

فقال غلاسب :

ـ جيرترود ! من الرمضاء الى النار !

ـ هل تعتقد ذلك ؟

ومال غلاسب الى الامام وراح يحدق في سورم . كانت جبهته ترتعش ثانية ، فتكسب وجهه النحيل مظهر المجنون . وقال :

ـ انك لا تفهم . انا لا اريد ان يفعل ذلك انسان اخر . لا اريد من الناس الاخرين ان يتدخلوا .

كان للتوتر الظاهر في صوته ولجبهته المرتعشة اثر كريه الى حد غريب على سورم . وحاول ان يجعل نبرته تدل على اللامبالاة وقال :

ـ نعم افهم قصدك . ولكنك قلت الان انك لست تريد الزواج منها بصورة خاصة .

فقال غلاسب :

ـ ولم اتزوجهـا ؟..

كان هنالك شيء من الامتعاض والتوتر في اندفاعه . واردف :

ـ ماذا يمنحني الزواج سوى الحق القانوني للاضطجاع معها ؟

ـ اوه ، اشياء كثيرة ...

فقاطعه غـلاسب :

ـ ولكني لا اريد مطلقا الاضطجاع معها . انا لا اريد حتى ان المسها. انا لست شاذا جنسيا . الا ترى ذلك ؟ انا احتاجها فقط . احتاجها اكثر مما احتاج الى اي شيء ...

ومال الى الخلف ، فانحنى كتفاه . وكاد سورم يرى الاجهاد يحيط بـه كالضباب الاشهب . وقال ليهدئه :

ـ هذا امر حسن . ليس هنالك ما يدعو الى القلق ، اليس كذلك ؟ لا يحتمل ان تنقذها انت ، وهي سعيدة بمعرفتك . فماذا يقلقك ؟

فقال غلاسب بصوت متعب :

ـ لا شيء . لا شيء ابدا .

فنهض سورم وقال :

ـ اسمع ، انا ذاهب الى اسفل لبعض شأني ، ولم لا نخرج لنتنـاول بعض السراب قبل ان تغلق الحانات ؟

كان صوت غلاسب واهنا يكاد لا يسـمع :

ـ لا اريد جرعة اخرى . لقد حان الوقت لاعود ، على كل حال .

ـ كما تحب ...

احس سورم وهو يهبط السلم بالاشمئزاز من غلاسب ومشاكلـه ، واحس بيقين مفاجيء بان عقلية غلاسب لم تكن افضل من عقليـة نـن فـي شبهها بعقليته ، واحس بان ذهن غلاسب تسوقه انفعالات سريعة جدا . وبدا له جو الغرفة الخانق صورة فيزيائية للجو الذهني الذي كان يعتمـل في غلاسب . وراح يستنشق الهواء البارد في الحمام بعمق وامتنـان ، الهواء الذي كان مفعما برائحة صبغ الجدار والغاز الذي يفلت من الانبوب واخذ يفكر بامتعاض : انه كبقيتنا جميعا يحتاج الى الوقوع في حب شيء، ولكن لا يمكن ان يكون هذا الشيء الذي يحبه قطة او دمية او حـتى امراة ، وانما فتاة لم تبلغ سن النضج ، لكي تصل انفعالاته الى ضغط شديـد . وسينفجر هذا المرجل يوما ما .

وسره ان يقرر غلاسب الذهاب ، لقد سرى هذا الاجهاد المفاجيءالذي انتاب غلاسب الى سورم .

* * *

ورأى عبر الارض الخربة الضياء في غرفته مفتوحا . وادهشه ذلك. لقد تذكر بانه اطفأ النور . وفكر فجأة ، وهو يدخل من الباب الامامي : اللعنة ، انه اوستن . وسره انه رافق غلاسب حتى السلم في محطة قطار نفق كامدن تاون . وارتقى السلم الى غرفته فوجد الباب المفتوح وسلة القش المستنده الى الباب . كانت مليئة بقناني البيرة الفارغة . ودفع الباب وقد هيأ نفسه ليقول : هلو ، اوستن .

كان الرجل العجوز يقف على البساط وقد ادار ظهره الى النار . وهو يعقد يديه خلف ظهره . كان يرتدي بذلة سوداء مهندمة وياقة وربطة عنق . وابتسم ابتسامة اعتذار لسورم .

وظل سورم واقفا عند الباب ، لا يرغب في ان يتقدم خطوة اخرى داخل الغرفه ، ويحس بالغيظ المكبوت يصعد الى حنجرته . وابتسم الرجل العجوز . وقال سورم :

ـ ماذا تريد ؟

ـ انا . . . اسف جدا لازعاجك . وجدت غرفتك مفتوحة . . . ارجو، الا اكون متطفلا .

لقد خفف ادبه المفرط من حدة مزاج سورم ، ولكن فقط الى الحد الذي منعه من مجابهته بخشونة . وشعر بالاهانة للدخل في حياته الشخصية . وقال ببرود :

ـ كان الافضل الا تدخل في غرفتي اثناء غيابي .

وقرر ، بينما كان يتكلم ، ان يقفل باب الغرفة وشباكها كلما خرج في المستقبل .

وظل الرجل العجوز مبتسما ، وهو يعبث بيده في أزرار صدريته المحكمة باناقة . واشار الى زجاجة البيرة الفارغة على الارض وقال :

ـ لا ادري هل تحتاج اليها ؟

فحدق سورم في وجهه متسائلا :

ـ ماذا ؟

ـ قنينتك هذه ؟ وربما لديك عدد منها في خزانتك ؟ ان اردت التخلص منها فيسرني ان اخذها .

وفهم سورم على الفور . وفتح الخزانة وشاهد قناني البيرة الفارغة

في اسفلها . ولم يشك في ان الرجل العجوز قد فتح الخزانة قبلـــه ورآهـــا . وقـــال :

ــ نعم . خذها ... ليست كثيرة .

ــ اه ، انك انسان رقيق ! رقيق جدا .

وتوقف الرجل العجوز واخذ يلتقط قناني البيرة الاربع . وراقبـــه سورم مليا ، وهو يتساءل اتراه ثملا ايضا . كان في صوته من الوضـــوح والدقة ما كان يفتقر اليهما اخر مرة رآه فيها سورم . وكان يلبس زوجـــا من الاحذية الجلدية لماعة الدهان . وقال سورم :

ــ اعتقد انك تعلم ان الساعة قد جاوزت النصف بعد العاشرة . وهذا يعني ان الحانات مغلقة .

كان الرجل العجوز يقف بجوار الباب وهو يضع القناني بعناية فـــي سلة القش . ورفع نظره ، معبسا وقال :

ــ النصف بعد العاشرة ؟ كلا .

وراح يعبث في جيب صدريته ولاح كأنه تذكر شيئا . وقال :

ــ ولكن ساعتي تشير الى النصف بعد التاسعة .

ــ اظنها مخطئـــة .

ــ اوه ، يا الهي ...

وظل واقفا ينظر الى سورم ، كأن حل مشكلته كان بين يدي سورم. ومرت لحظة ، احس سورم فيها بالخجل من القناعة التي شعر بها وهـــو يتسبر الى الوقت . وقال :

ــ عليك ان تنتظر حتى الغد .

وقال الرجل العجوز والخيبة في نبرته :

ــ او ، كلا . لا يمكنني ان افعل ذلك !

واقبل الى الطاولة واخرج حفنة من النقود من جيبه . ثم وضعهـــا على طرف الطاولة واخذ يحصيها . ورأى سورم انها لم تتجـــاوز بعض الشلنات والبنسات . وقال سورم :

ــ اسمع ، الا تعتقد ان من الافضل ان تحصي هذه النقود فيغرفتك؟

والقى الرجل عليه نظرة عتاب ومضى يحصي النقود . ثم رفع نظره وسأل ببساطـــة :

ــ هل يمكنك ان تقرضني اثنين وعشرين شلنا وستة بنسات ؟

ــ كلا . لا اعتقد ذلك .

ــ سأرجعها لـــك .

ـ انا واثق أنك سترجعها. ولكن على كل حال فالحانات مغلقة جميعا..
ـ اعلم ، ولكني اعلم أيـن استطيع شراء شراب الجـن . هـل انت متأكد من انك لا تستطيع ان تقرضني اتنين وعسرين شلنا وسنة بنسات؟
ـ نعم ، لا يمكنني ذلك .
فقال الرجل العجوز بنبرة مرتفسة :
ـ يا الهى ... لا ادري هل يقرضني الرجل الفرنسي الذي يسكـن الغرفه المجاورة ؟

وطرق باب غرفة كاليه . ولم يكن بوسع سورم ان يغلق الباب وقـد اتكأت عليه السلة . والتفت الى المدفأة وراح ينظر الى نفسه بيأس فـي المرآة . ولم يتلق الرجل جوابا من غرفة كاليه . كان سورم وانقا مـن ان الرجل كان في الداخل ، ولعله سمع صوت الرجل العجوز فقرر ان يلـزم الصمت . وكرر الطرق مرة ثانية . ووجد سورم المتسهد منيرا لاعصابه . فهبط السلم الى غرفة الحمام واوصد بابها . وسمع بعد لحظات الرجـل العجوز ينزل السلم ، ففتح سورم صنبور الماء ليتدفق في المرحاض ثم عاد الى غرفته . وقبل ان يدخلها ازاح السلة من الباب واسندها على الجدار في الخارج . نم اغلق بابه وقذف بنفسه على الكرسي وهو يفكر : سأترك هذا المكان الملعون واجد محلا اخر . يجب القاء هذا الخنـزير العجـوز في مصحـة .

وفيما هو يصغي سمع طرقا على الباب . ففزع وهو في مجلسـه وصاح : مـن هناك ؟

فقال صوت الرجل العجوز : هل لي ان احدثك ؟
فاطلق سورم زفرة ثم اجتاز الغرفة وفتح الباب . وقال العجوز :
ـ في الحقيقة يجب ان استمحك العذر للتطفل على هذا النحـو . اعلم ان الامر لا يمكن غفرانه ولكن ... يجب حقا ان احصل على هـذه التملنـات من احد .
فقال سورم وقد بدا عليه الاجهاد :
ـ يؤسفني الا استطيع مساعدتك .
فنظر الرجل العجوز حواليه كأنه يخشى ان يكون احد منصتـا . وارتسم المكر في وجهه . نم تقدم نحو سورم ودفعه الى الغرفه نم همس في اذنـه :
ـ اريد ان اقول لك شيئا يتير اهتمامك .
ومرت لحظة ، وكان سورم على وشك ان يقول : انا واثق بانك لا تستطيع

ثم يدفع الرجل العجوز خارجا . ولكن كرهه الفطري للفظاظة ويقينه من ان الرجل العجوز سوف لا يتوانى عن طرق الباب ثانية حالا دون ذلك . ورفع الرجل اصبعه لسورم واخذ يحدجه بنظرة عارفة لا تخلو من التعنيف . وقال :

ـ لست مخطئا ان افرضت انك رجل ذو اهتمام شديد بالدين ؟

ـ لماذا ؟

ـ آه ، اراك ترتاب ، وانك لعلى حق . ليس للكثير من الناس الحق في التكلم عن الدين . اما انا فلي ذلك الحق . والان ، دعني اقل لك شيئا يدهشك . استطيع ان افتح لك عينك الثالثة .

مال الى الامام وتمتم الجملة الاخيرة في وجه سورم ، واستطاع سورم ان يلحظ أن ليس هناك اثر للكحول في انفاسه. فتقهقر خطوة وقال:

ـ ولكني لا املك عينا ثالثة .

ـ اها ! انك تظن انك لا تملكها . ولكنك لا تعلم . ظننت انك لست واحدا من الذين جرى تدريبهم . ولكن لديك الاخلاص . لديك الاخلاص والا لما تكلمت معك . هل تعرف ما هي العين الثالثة ؟

كان يتكلم بسرعة . لعله احس برغبة سورم في أن يلقى به خارجا. وهز سورم راسه .

ـ عينك الثالثة هي عينك الخفية . لديك عينان ترى بهما الظواهر، ولكن عينك الخفية في وسعها أن تريك اعماق الاشياء . ارى لديك مؤلفات بليك وبوهمة على رفوف مكتبتك . كان لهذين الرجلين عين ثالثة . انا استطيع ان ارى بعيني الثالثة ـ على الاقل كنت استطيع ذلك حتى بدات بالشرب . أن الامر يحتاج الى عملية بسيطة ... اذا كان الوسيط مستعدا لذلك ، بالطبع . وانك اجدك مستعداً . الان ، الا تريد ان تكون لديك عين ثالثة ؟

وقال سورم بتردد : وقد ثار اهتمامه بالرغم منه :

ـ اعتقد ذلك .

فقال الرجل العجوز :

ـ حسنا . اذن يمكننا الاتفاق . كم تعتقد اجرة العملية ؟ باونان ؟

ولم يستطع سورم ان يكبح ابتسامته وقال :

ـ انك تريدني أن ادفع لك المال ، ها ؟

فقال الرجل ببساطة :

ـ انا بحاجة الى المال .

فقـــال سورم :

ـــ ولكني لا املك المال .

ـــ حقا ؟ انها فرصة نادرة . اذ لا يسعني ان اطلب هذا المبلغ في اي وقت اخر . فمثلا ، يوم الاثنين ، عندما تفتح البنوك . سيكون طـــــلبي اغـــلى كـــثيرا .

كان يحدق في وجه سورم بقلق طفولي ، كأنه كان يمثل دورا فـــي مسرحية . وكان سورم يعلم ان العجوز لم يكن يمثل ، وبأن التفســـــير الوحيد لهذا الموقف هو أن الرجل معتوه . ولم يتر فيه هذا الادراك فزعا او امتعاضا . وقال معتذرا :

ـــ يؤسفني الا استطيع منحك الباونين ، حيث ليس لدي مبلـــــغ كهذا يمكنني الاستغناء عنه .

فقال الرجل بلهجة حزينة :

ـــ اوه ، يا الهي . في هذه الحالة ، اذن ...

ولوى وجهه عن سورم وراح يحدق في قبضة الباب . وقال بلهجـــة غيـــر مفهومـــة :

ـــ لست ادري من يستطيع ..؟

ووجه سؤالا الى سورم فجأة :

ـــ لا ادري هل لديك شيء من شراب الجن تخفيه لديك ؟

ـــ كلا . مع الاسف . ما عدا بعض البيرة .

ـــ مممم . اني لم امس البيرة منذ سنين . واعتقد ... في حالـــة انعدام شيء افضل . طيب . هل تمانع في شرب قدح من بيرتك ؟

فقـــال سورم :

ـــ كلا ابدا . خذ القنينة .

واختطف القنينة من فوق المنضدة ودفعها في يد الرجل . وتناولها الرجل بتردد ، وقال :

ـــ هل تستطيع أن تقرضني ثمانية شلنات وتسعة بنسات كي اشتري نصف زجاجة جن ؟ رغم ان البائعين لا يرحبون بذلك .

ـــ انا اسف . موقفي مثل موقفك تماما . ليس لدي مال استغـــني عنه حتى اذهب الى البنك .

ـــ اواه ، حسنا . في هذه الحالة اعتقد يجدر بي ان اشرب البيرة . هل لديـــك قدح ؟

وتناول سورم قدحا من فوق الطاولة وقلبه على رأس القنينة ،وقال:

ـ لو تعيد الي القدح بعدئذ .
ـ اوه ، انا لا انوي اخذه معي .

ورفع القدح ثم فتح القنينة ووضع الغطاء بعناية على الطاولة. وغمر سورم شعور بالاستسلام المضحك . وتخيل بيل بين معه في الغرفة الان، يرقب باستمتاع حركات الرجل ليستعد لتقليد براءة الرجل العجوز القلقة وامتعاض سورم الخائب . وجلس على الكرسي وراح يحملق في العجوز وهو يصب البيرة . والنقت نظراتهما فابتسم الرجل العجوز بلطف . واعاد القنينة الى المنضدة ووضع عليها الغطاء ، ثم تقدم وجلس على الكرسي الاخر . وقال :

ـ سامحني لعدم تقديم شيء لك . ولكن ، قبل كل شيء ، لم تكن القنينة مليئة تماما ، واخشى الا يكفيني هذا . ارجو ان تفهم أن هذه ليست انانية ، وانما محاولة اعتيادية لحفظ النفس . حسنا ، «شن شن» كما تقولون انتم معشر الشباب هذه الايام .

وبدت العبارة العسكرية غريبة في شفتيه . واحتسى البيرة بنفور واضح . وعندما فرغ نصف القدح اخفضه ، قائلا :

ـ انا لا اشرب البيرة لو خيرت .

فقال سورم :

ـ كلا .

وحرص على الا يضع كلماته في صيغة السؤال كي لا يعطيه مجالا للانطلاق في الايضاحات . وقال الرجل العجوز متفكها :

ـ اراك لطيفا . ماذا اقول لاسرك ؟

فقال سورم بلهجة خشنة :

ـ لا شيء شكرا .

ـ طيب . الم تكن مهتما بقضية جاك السفاك ؟

ولم يستطع سورم ان يخفى دهشته وقال :

ـ اظن ذلك ، لماذا ؟

ـ علمت بذلك . اعرف امورا كثيرة عنك ..

وتساءل سورم ترى هل ذكرت كارولوتة الموضوع له . وقرر الا يدع الرجل يتغلغل ابعد في الموضوع ، فقال :

ـ لست مهتما بصورة خاصة .

ـ كلا ؟ مع ذلك ، اعتقد ان في امكاني ان اقول لك شيئا يثير اهتمامك . كم ابلغ من العمر في اعتقادك ؟

وظل يحدق باصرار في سورم حتى وجد من العسير ان يتجاهل سؤاله . وقال اخيرا :

ـ في السبعين ، ربما .

ولمعت عينا الرجل بالسرور . ومد يده نحو فنينة البيرة .

ـ اخطأت مرة اخرى . انا في التاسعة والثمانين .

فقال سورم وهو يكاد لا يصدق : نعم ؟

ـ يمكنني ان اطلعك على شهادة ميلادي . وضعتها في محل ما ...

واخذ يتحسس معطفه فوق صدره ، ثم قال :

ـ ظننت اني احملها معي . يجب ان تكون في الدرج . ولكن لا يعنينا امرها الان . اني افترض أنك لا تصدقني ، في حين ، في الواقع ، انا واثق انك تصدقني . اليس كذلك ؟

فقال سورم :

ـ نعم .

ـ اشكرك يا سيدي . يفضل الرجل ان يصدقه الاخرون . طيب ، لنعد الى موضوعنا . انا في التاسعة والثمانين . ولدت في الثالث والعشرين من شهر آب ١٨٦٧ . واضيف قائلا بان والدي كان في الخدمة الدبلوماسية في كراكاو حيث تعرف على زيرومسكي . كانت امي بولندية . طيب ... كان الشخص الذي تذكر الصحف ان اسمه جاك السفاك في الواقع صديقا مقربا لابي . كان اسمه سيرجي بيداتشنكو وقد اقبل من نفس القرية التي نشأ فيها غريغوري افيمو فيتش راسبوتين . وكان في الواقع قريبا شرعيا لغريغوري ايفيموفيتش . وترعرع الاثنان في بوكرفسكوي في توبولسك ، بالرغم من ان سيرجي بيداتشنكو كان يكبره بسنين عديدة ..

وبينما هو يجلس مستندا على الكرسي ، ويحرك يده اليسرى وهو يتكلم ، تخيل سورم الرجل العجوز ممثلا في احدى مسرحيات تورجنيف . كانت الكلمات تنساب كأنها عبارات حفظها عن ظهر قلب . وعندما توقف ليشرب بقية ما في القدح ، وجد سورم نفسه يتلهف ليمضي الرجل في كلامه . ومضى الرجل العجوز يتكلم وهو يملأ قدحه ثانية :

ـ طيب ، كان غريغوري ايفيموفيتش وسيرجي فيودوروفيتش ينتميان الى احدى « الراسكولنيكي » ، وهي طائفة دينية هرطقية تعرف بـ « خليستي » . وكانت طائفة الخليستي تؤمن بالخلاص عن طريق الخطيئة . افهم ؟ انها نقطة جيدة في الالوهيات ، كما سترى . كلما اوغل الانسان بالخطيئة ، كانت امكانية التوبة اوفر . تقول انها سفسطائية كلامية ؟

كلا مطلقا . تأمل ، كثير من الناس الذين يميلون الى الروح القديسية يعانون من الضجر ، من احساس بالعبث . تأمل ، من الافضل ان تشعر بانك انسان تسير فى طريق الخطيئة من ان تشعر كما وانك معدوم الذاتية يجب الاعتراف بأن هذا ضعف بشري ، كون الانسان يلجأ الى طريقة مسرحية لابراز ذاتيته والا فيعانى من الركود . انا وانت ، يا سيدي ، نعلم بان الانسان اله . ومع هذا ، فهو لا يستطيع ان يفعل شيئا ليجعل من نفسه الها ما لم تتفق عليه الظروف فتمنحه فرصة السلوك مسلك الاله.

والفى سورم نفسه يصغي بحيرة متزايدة،وطاف احساسباللاحقيقة. ومر به خاطر غريب بان هذا الرجل العجوز كان في الواقع ملاكا متنكرا ، مبعوثا اليه ليعيد له الاحساس بعدم نضجه . ولاحظ الرجل العجوز على ما يظهر التأثير الذي كان يتركه ، فبرقت ابتسامة باهتة في عينيه عندما كان يتكلم . ورفع اصبعه موبخا .

ـ ذلك هو التناقض في طبيعتنا ، نتيجة للخطيئة الاولى ، يمكن للشجرة ان تحقق شخصيتها بان تقف ساكنة بلا حراك . ويحقق الانسان شخصيته بمجرد ان يترك طاقاته تتأجج ، وعلى ضوء افعاله يرى شخصيته وهي تختفي بشخصية اخرى . و...

وتوقف ليشرب جرعة طويلة ثم قال : ـ اين كنا ؟

ـ جاك السفاك .

ـ آه نعم . صديقي بيداتشينكو . حسنا ، وبالاختصار ، فقد جاء سيرجى فيودوروفيتس الى لندن ليبحث عن الخلاص عن طريق الخطيئة. وكان قرأ كتابا لدوستويفسكي يقول عن لندن انها افظع مدينة في أوروبا. وكنت في ذلك الوقت صبيا في الثامنة عشرة . وسافرنا انا وهو من اوديسا معا . وكان جلب معه خياطة نمساوية تدعى ليمبرغ ، امرأة كانت تتميز بالميول السادية . واستأجرا شقة في شارع ليمان وشرع بمهنة شق البطون . وكانت خليلته الى قربه دائما وهي تحمل عباءة . فعندما يقترف الجريمة كانت تناوله العباءة فيغطي بها بدلته الملطخة بالدماء ـ واشترى عددا كبيرا من الملابس من سوق شارع بيتيكوت ـ ثم كانا يعودان مشيا الى البيت وكل منهما ممسك بذراع الاخر كاي رجل محترم وزوجته يعودان في وقت متأخر من سهرة لدى احد الاصدقاء . وقد حدث ثلاث مرات أن أوقفهم رجال الشرطة في الوقت الذي كانت فيه نظرة واحدة على ملابسه تكفي لسوقه الى المشنقة . وفي كل مرة ، كانا يدعيان انهما زوجان ، فيخلى سبيلهما على الفور . وبعد اخر حادثة قتل ارتكبها سافر

الى اميركا حيث اصبح صاحب بيت للدعارة في نيو اورليانز .

وافرغ الرجل العجوز قدحه الثاني ، وملأه بعناية مرة اخرى حتى الحافة فافرغ الزجاجة .

ــ وبطبيعة الحال فقد لاقى حفاوة شديدة لدى عودته الى روسيا. وعين في منصب ارتسمندريت لتلك الطائفة واعتبره الجميع في مصاف القديسين . ثم بدأ نشاطه نحو التوبة . اما خليلته ليمبرع فلم ترق لها فكرة التوبة فتركت روسيا مع شاب اخر كان يأمل ان يحذو حذو سيرجي فيودوروفيتس . واما صديقي ببدانسينكو فقد رافق غريغوري ايفيموفينتش الى سانت بطرسبرج حيث شاركه نجاحه الغريب لعدد من السنين . وماتا بفرق سنة واحدة من كل بينهما ــ مات راسبوتين في عام ١٩١٦ ، بعد ان قتله قاطع الطريق يوسوبوف ، وبيداتسنيكو فيعام ١٩١٧، حيث أصيب في ظهره برصاصة من قبل احد رجال كيرينسكي .

ورشف العجوز رشفة من قدحه الملآن ، ثم نهض وهو يمسك به بعناية . وقال بادب :

ــ سأتركك الان ، واستعير ، ان استطعت ، قدحك .

وحدق سورم فيه ، وهو لا يجد ما يقوله . وانحنى الرجل العجوز قليلا وهو يقول بوجوم :

ــ طابت ليلتك .

وتناول القنينة الفارغة ومشى نحو الباب . وسمع سورم صوت القنينة يقرقع وهو يضعها في سلة القش . وبعد لحظة ، عاد الرجل العجوز وهو لم يزل يمسك بالقدح الملآن . وقال :

ــ هل انت ما تزال واثقا من انك لا تستطيع أن تقرضني ثمانية شلنات وتسعة بنسات ؟

وفتش سورم في جيبه الخلفي فعثر على ورقة بعشرة شلنات مغضنة . ودسها في يد الرجل دون أن ينبس بكلمة وانحنى الرجل العجوز وقال بطريقة رسمية :

ــ سيدي ، لقد انقذت حياتي . الف شكر .

ثم قبل الورقة النقدية ، وانسحب خارجا من الباب . وقال سورم: « طابت ليلتك » ، عندما كان الباب يغلق ، ولم يجب الرجل . ثم سمعه يرقى الجزء الاخر من السلم ، والقناني تصلصل .

كان التعب قد اختفى . ووقف الى جوار النافذة يفكر فيما يفعله . وبعد دقائق قليلة سمع الرجل العجوز ينزل السلم ثانية ويذهب خارج

البيت . وبعد فترة من التردد ، نزل الى الطابق الارضي واتصل تلفونيا بشقة نن . ولم يلق جوابا . ثم ذهب ووقف في عتبة الباب الامامية برهة من الزمن ثم عاد الى غرفته . كان الوقت متأخرا بالنسبة للعودة الى بيت المس كوينسي ، كما ان كارولين كانت في الطرف الثاني من لندن . ولم يملك الا ان يذهب الى الفراش .

وبقي مستيقظا مدة ساعتين ، وهو يفكر في الرجل العجوز وفي اوسنن . وعندما ذهب في غفوته ، كان الرجل العجوز يجول في احلامه . وفي حوالي الساعة الثانية صباحا نزل السلم الى غرفة الحمام وغسل يديه ووجهه بالماء الحار . وبعد ذلك ، ذهب لينام . ولم يكن هناك صوت يصدر من غرفة الرجل العجوز .

واستيقظ مرة اخرى عند الفجر القارس ، وكان يحلم بجيرترود كوينسي ترقد الى جنبه وهي مشدودة اليه . واثناء ما كانت عيناه مغلقتين احس بجسدها ملتصقا باطرافه المسترخية وذراعاها حول عنقه . واختفت فجأة عندما استيقظ بصورة تامة ، ولكن ذكرى الحادث كانت واضحة كما لو انه مر بالتجربة الجسمية . وراح يحدق في السماء التي اخذ الشحوب ينتشر فيها . واختفت الرغبة الجنسية تحت نور التأمل الساطع . اذ كان يحس بها فقط عندما كان يتأرجح بين النوم واليقظة .

واتسع في اعماقه الاحساس بالعافية . كان احساسا بالقوة المتنامية في اعماقه . ومرت به لحظة احس بها بالفرح لهذا العالم ولكل ما يوجد فيه . ثم حمله النوم مرة اخرى وهو يفكر في كارولين .

الفصل الخامس

كان يحلم بنن محكوما عليه بالاعدام ، وكان يقول لشتاين بان هذا الحكم حماقة مريعة وبان نن انسان عبقري وخسارة لا تعوض في الادب. ولكنه في الوقت الذي كان ينطق فيه بهذه الكلمات لم يكن يصدقها . كان يعلم بانه من المحال عليه ان يفضي بالاسباب الحقيقية للدفاع عن نن امام شتاين او اي شخص اخر .

وايقظه صوت ما . وراح يحدق في الجدار وهو يصغي الى صوت رجالي في الغرفة السفلى يترنم باغنية شائعة . وبدا له كأن هنالك عمالا يصبغون الجدران في تلك الغرفة . وانقلب على قفاه ومضى يحملق في السماء من خلال النافذة . كانت السماء رمادية كالرخام . والفى نفسه يتساءل اتراه سيهب للدفاع عن اوستن اذا ما ادى الامر الى محاكمة نن بتهمة القتل . سيكونون انذاك على خطأ ، سيكون شتاين والقضاة كلهم على خطأ . غير انه لا سبيل الى تغيير ذلك . ان ايسر الحلول هو ان يجد طبيبا للامراض النفسية يشهد بان نن معتوه ، ولكن نن ليس بمعتوه .

وخرج من الفراش ليضع الابريق على الموقد ، وفتح صنبور الغاز بدرجة متوسطة ثم عاد الى الفراش . وفي هذه الاثناء وقع بصره على يوميات نجنسكي ، فسعر بشيء يتركز في داخله . كانت هنالك صورة رجل يسير ليلا في شارع تحفه الاشجار وهو يصغي الى انغام موسيقية تنبعث من صالة لفندق مجاور . وكان الرجل مصابا بهوس السوبرمان ، وتحدوه رغبة في أن يرتفع بكل طهارة وتلقائية عن التفاهة البشرية،ويرتفع بصورة مطردة لا قلق فيها . ومرت به لحظة احس سورم بها كأنه فهم أوستن ، كما لو تلقى رؤيا نقية فنفذ الى هذا الاشمئزاز الذي تحول الى

العنف . وصوب نظره نحو السماء الرمادية ، وهو يحتضن هـذه الرؤيـا بقوة ، وراح يفكر : لا شيء يهم غير هذه القوة . ليس هنـاك سعر اعـلى مما تستحقـه .

وتناهى اليه بنفس الوقت وقع خطوات على الدرج ، وتوقع انهـا قادمة نحو غرفته . وهتف صوت كارلوته : مستر سورم !

ــ هلـو ؟

ففتح الباب .

ــ هل استيقظت ؟ هنالك سيد يود مقابلتك .

ــ مـن هو ؟

فهزت كتفيها وقالت :

ــ لست ادري . انه الماني .

وفكر مليا برهة من الزمن ثم سألها :

ــ رجل عجوز ؟

ــ نعـم .

ــ اه ، اطلبي اليه المجيء ، ارجوك ؟

وارتدى سرواله ، وكان يحزم روبه عندما دخل شتاين الغرفـة . والقى شتاين نظره على الفراش غير المنتظم وابتسم معتذرا وقال :

ــ هل بكرت في المجيء ؟

ــ فهز سورم يده الباردة وقال :

ــ لا ابدا ، كنت مستيقظا . ماذا تريد أن تحدثني به ؟ اوستن ؟

كان يريد ان يدخل في الموضوع عمداً ، فلم يكن يريد ان يبـدي تجاهلا للامر . وقال شتاين :

ــ اوستن ؟ كلا ، ليس بصورة خاصة . انا مهتم اكثر بهذا الرجـل الذي يسكن فوق .

ومرت لحظة من الدهشة صدق فيها سورم كلام الرجل .

ــ لماذا ؟ لا اظنك تعتقد انه هو مجرم وايتشابل ؟

ــ كلا . ولكنه قد يعلم شيئا . لما كان في المستشفى كـان يصرخ باشياء غريبة في نومه .

فقال سورم بلهجة قاطعة :

ــ انا واثق من انه لا يعرف شيئا .

ــ كـلا ؟

ــ تحدثت معه الليلة الماضية . انه مجنون كالقط في شباط ، ولكنه

لا يعلم شيئا . على كل حال ، كيف علمت به ؟

فأتى شتاين بحركة معبرة وقال :

ــ اتفق ان رأيت عنوانه في سجل النداءات التلفونية للمحقق ماكمردو. وعرفت انه عنوانك ايضا . وعليه جئت لعلي اجد عندك ما تقوله لي ...

وبدت الاكذوبة لسورم وهو يرقبه واضحة مكشوفة ، ولكنه تذكر ان شتاين لم يعلم بان الاب كاراثرز قد حدثه عن نسن . اما بالنسبة لشتاين ، فلم يكن هنالك سبب يدفع سورم الى عدم تصديقه ، وقال سورم :

ــ سأخبرك ما استطعت . غير انه ينبغي عليك أن تراه بنفسك. ستجد عند ذاك انه مخبول .

ــ لقد كان في المستشفى يهذي عن جريمة قتل .

ــ نعم . ولكن ليست هذه الجرائم . أن جرائم وايتشابل التي اثارت اهتمامه هي الجرائم التي وقعت منذ ستين سنة .

ــ جرائم جاك السفاك ؟

فقال سورم :

ــ ما الذي يجعلك تهتم بانسان في هذا السن ؟ اذ لا شك من الجلي انه لا يستطيع اقتراف سلسلة من هذه الجرائم ؟

فقال شتاين وقد لاح عليه التعب :

ــ هنالك قاتل في احدى نواحي لندن . وليس لنا من حيلة سوى ان نفحص جميع الاحتمالات .

ــ اوافقك . ولكنك تضيع وقتك مع رجل عجوز . انه طاعن في السن. فضلا عن انه معتوه .

ــ القاتل ايضا معتوه .

ــ اتظن ذلك ؟

فقال شتاين :

ــ نعم ، اظن ذلك .

واخذ الابريق يصدر وشوشة . وقال سورم :

ــ اجلس وتناول قدحا من الشاي . يبدو عليك الاجهاد .

ــ اشكرك . اجل ، انا متعب .

ــ الا تأخذ قسطا من الراحة في ايام الاحاد ؟

فقال شتاين وهو يهز برأسه :

ــ لا مجال للراحة في قضية كهذه .

والقى بنفسه على الكرسي ووضع قبعته على المنضدة . والقى سورم

نفسه يحس بالاسف لهذا الرجل . ووضع الساي بالملعقة فى قدح الترمس وسكب عليه الماء المغلي . ثم اغلق الموقد الغازي واشعل المدفأة . كانت الغرفة دافئة بسبب الموقد . وخلع الروب ولبس قميصا . وقال :

ــ لا تهتم . من المحتمل ان تقبض عليه متلبسا بالجريمة يوما ما .

فقال شتاين :

ــ ربمـــا .

وراح يتأمل فى البخار الذي كان يتصاعد من القدح ، واضاف قائلا :

ــ قام بمحاولة اخرى فى الليلة الماضية .

ــ مـــاذا ؟

وحملق سورم فيه ، وهو يتساءل فى نفس الوقت هل كان شتاين يحاول ان يوقعه فى الفخ بطريقة من الطرق . وسأل :

ــ ما الذي حـــدث ؟

ــ لا اعرف التفاصيل . هجم احدهم على امرأة صباح هذا اليـوم . وسمع الجيران صراخها فهرعوا اليها . فقفز الرجل من النافذة واختفى .

ــ فـــي وايتشابـــل ؟

ــ نعـــم .

ــ ولكـــن ماذا حدث للمرأة ؟

ــ كانت ما تزال فاقدة الوعي فى الساعة الثامنة هذا الصباح . كانت قد اصيبت بكسر فى جمجمتها .

ــ هـــل ستعيش ؟

ــ من المحتمـــل . لحسن الحظ ، لم تمس الكسور الدماغ .

ــ اذن فينبغي ان تحصلوا على اوصاف القاتل .

ــ نأمل هذا . ولكن الغرفة كانت مظلمة .

وفكر سورم وهو يصب الشاى : مسكين يا اوستن . ليس فى وسعي ان افعل شيئا لاجلك . ثم اوقف تفكيره هذا ، وقال فى نفسه : لم اوستـــن ؟ قد لا يكون اوستن القاتـــل ؟

واخذ شتاين قدح الشاي وقال :

ــ وهكذا ترى كيف سئمنا الامر كله .

ــ أجل . لا تهتم . قد يحالفكم الحظ فتحصلون على الاوصاف .

ــ ربمـــا .

وراح شتاين يحتسي الشاي بصمت .

ــ تقول ان القاتل معتوه ، ايها الطبيب ؟

ـ اظـــن ذلـــك .

واوقف سورم نفسه بعد ان كاد يقول : هل جنونه من الخطورة ليبعث به الى مستشفى المجاذيب في برودومور ؟ ولكنه ـ بدلا من ذلك ، سأل :

ـ هل نظن ان جميع القاتلين الجنسيين معتوهون ؟

ـ لا . لا بالتأكيد . كأنك تقول هل جميع الذين يسرقون رغيف خبز لشدة الجوع هم معتوهون .

ـ آه .

ونظر اليه شتاين وسأل :

ـ مـــاذا يدور في ذهنـــك ؟

ـ اتساءل . . . الا يحتمل أن يكون القاتل اسلم عقلا من الانسان العادي.

ـ كيـــف ؟

وحدق سورم خلال النافذة قليلا تم قـــال :

ـ مثلا، في الايام التي كانت تقدم فيها الضحايا في المعابد، كان للقسس بصيرة لحقيقة الاشياء اعمق مما هي عند اكتر الناس . وكان القتل يعتبر رمـــــزا .

فقـــال شتاين بعدم تصديق :

ـ رمـــزا ؟

ـ نعم . شيء ينطوي على رفض ضوء النهار العادي ، انحراف متقصد عن منطـــق النهار الراضح .

فقـــال شتاين معبسا :

ـ ولكن الرجل الذي يرتكب القتل ، انما هو تحت توتر شديد . انـــه ليس فيلسوفا .

وطرق احدهم الباب . وهتف صوت الفتاة :

ـ تلفون للدكتور شتاين .

فقال شتاين بلهجة متعبة :

ـ مـــرة اخرى !

وبدرت منه حركة مجهدة معبرة عن اشمئزازه وخرج من الغرفة .

واتم سورم احساء الشاي وهو يجلس على الكرسي . واحس احساسا غامضا بأن امرا مهما يكاد يقع ، ولكنه وجد من العسير عليه أن يحمله على محمـــل الجد . كان في نفسه شعور بالواقع يتمرد على التعقيدات التي تنطوي عليها الدبلوماسية والخداع . وبالرغم من معرفته أن حياة نـــن كانت مهددة لم يزل من المستحيل عليه ان يجد الامر يرتبط به تماما . وحاول ان يركـــز

في نفسه الاحساس بلا حقيقة الاشياء وهو يتساءل متى يعود شتاين فيقطع عليه السلسلة . وبعد لحظة ، عاد هذا الاحساس اليه فترة وجيزة ، فأخذ يحاول صياغته فى كلمات . ان خطورة الموقف تكمن فى ارتكاب القتل ــ قتل عدد من النساء . فاذا ما ماتت النساء نتيجة لذلك ، فالسبب هو افتقارهن الى مبرر جيد للبقاء احياء . وان الحياة التي فقدنها كانت مجرد انصاف حياة . ولذلك ، فمجرم وايتشابل هو نصف قاتل . وربما كان القاتل نفسه يعيش نصف الحياة فقط . ففى تلك الحالة ، القضية هي قضية ربع عملية قتل . التفاهة تقوم بقتل البلادة والعبث . قال نيتشه : التعب الكامل هو انحراف في عملية انتاج عشرة عباقرة ..

وعاد شتاين الى الغرفة . كانت ملامح التعب قد تلاشت . وقال :

ــ لقد قبضنا عليه .

واعتدل سورم فى جلسته :

ــ مـاذا !

كانت عينا شتاين ذات بريق يدل على الانفعال المكظوم :

ــ القاتل . القي القبض عليه منذ ساعة .

وحدق سورم فيه دون تصديق :

ــ من هـو ؟

ــ عامل من عمال بركسون . كان الرجل الذي هاجم المراة الليلة الماضية فقد اذيعت اوصافه ووجدته سيارة للشرطة بينما كان يحاول ان يتسلق جدار حوض للسفن . وقد تعرفت عليه المرأة منذ ساعة .

ــ هل انك واثق من انه القاتل ؟ هل اعترف بذلك ؟

ــ كلا . فى الواقع ، انه اعترف بهجومه فى الليلة الماضية ، ولكنه قال انها محاولته الاولى .

ــ هل الشرطة على يقين من انه الرجل الصحيح ؟

ــ تماما . كان قد طلى وجهه بالفلين المحروق . وعثر على اسفنجة ملطخة بالفلين المحروق فى جيبه .

وقـال سورم مبتسمـا :

ــ حسنا ، تهانينا . ارجو ان تكونوا عثرتم على الرجل الصحيح .

فقـال شتاين وهو يهز كتفيه :

ــ قد لا يكون الرجل الصحيح . القاتلون يميلون الى التقليد . ففي قضية كورتن القي القبض على احد الاغبياء وهو متلبس بجريمة اغتصاب واعترف بانه مرتكب كل الجرائم . ولكن لسوء الحظ ، لم يكن هو القاتل .

ولدي امثلة عديدة حيث يقوم قنلة كثيرون بتقليد احد المجرمين ... على كل حال ، نأمل ان يكون هو الشخص المطلوب .

وقـــال سورم بتشكك :

ــ بريكستون بعيــدة جـدا عن وايتشابل .

فابتسم شتــــاين :

ــ ولد هذا الرجل ونشأ في وايتشابل . ولعله يعرف وايتشابل خيرا من بريكستون وبالاضافة لذلك ، لعل لديه دوافع للانتقام من النساء فـــى وايتشابـــل .

ورفع شتاين قدح الشاي وافرغه . وقال مبتسما :

ــ ولنر الان اذا كانت نظرياتك عن ذهنية القاتـل صحيحة .

ووضع القدح على الطاولة والتقط قبعته .

ــ اشكرك على الشاي ، امل ان اراك قبل عودتي الى المانيا .

ــ امل ذلك . . . ا . . . الا تريد ان ترى الرجل العجوز في الطابـــق العلـــوي ؟

فقال شتاين :

ــ سنبقى نريد ان نراه ، بطبيعة الحال ، حتى نتأكد من ان الرجـــل المقبوض عليه هو القاتل . ولكني اريد شيئا من الراحة الان .

ولم يبد الاعياء في ابتسامته الان . وقــال بأدب :

ــ اتمنى لك نهارا سعيدا ، واشكرك .

وصافح سورم يــــده .

ــ ارجو معذرتي اذا لم ارافقك الى اسفـــل ؟

فقـــال شتاين بعزم :

ــ لا مطلقا . وداعــــا .

واصغى سورم الى خطوات الرجل تهبط السلم ، وهو يعد ببطء الـى الخمسين لبتأكد من ان شتاين قد ترك البيت. ثم اطل في المرآة ومسح ذقنه غير الحليق باصابعه ولبس السترة والمعطف .

لقد تركته زيارة شتاين والشكوك تساوره. ولاح ان خبر القاء القبض قد وقع في الوقت المناسب تماما ، كأن الامر قد اعد سابقا . واطفأ النـــار الغازية وتأكد من انه احكم اغلاق النافذة ثم قفل الباب خلفه .

* * *

وقبل ان يلقي السؤال علم بأن جوابه سيكون بالنفي . وظل واقفا ، ممسكا بالسماعة في يده ، وهو يتأمل بنفور البلل الذي تركه عليها الشخص

الذى استعمل السماعة قبله . وبعد قليل عاد صوت الفتاة :

ـ يقول البواب انه حسب ما يعلم لم يعد المستر نن الى البيت في الليلة الماضية . هل اخبره بأنك اتصلت ؟

ومشى فى شارع كامدن وهو لا يدرى ماذا يفعل . ومرت بقربه سيارة تاكسى ، واخذ يفكر لو يوقفها لتذهب بها الى سقة نن فى كنسبغتن . ولكن خوفه الا يجد نن هناك ايضا ثبط فكرته . وظل واقفا ، مترددا ، فى زاوية شارع كراونديل وهو يتأمل فى صناديق البريد خارج مبنى دائرة البريد . واستقر رأيه على قرار عندما لمح سيارة الباص تذهب الى شارع «فارينغتن» . وقفز داخل السيارة قبل ان تتحرك عند اشارة المرور . وعندما استرخى فى مقعد الطابق العلوي احس ثانية بالصفاء الداخلي الذي احس به صباح اليوم وهو فى الفراش . واختلج فى اعماقه شعور بالحيوية وقد فرض هذا الشعور نفسه وهو ينظر الى بناية محطة بانكراس ، وقد امتزج لديه تذكر القطارات فيها بشعور الانتصار .

كان القسيس الهنغارى يقف عند باب المنزل . وقال على الفور :

ـ اتريد ان ترى الاب كاراترز ؟

ـ ان امكن ، رجـــاء .

ـ نعم ؟ لا أدري اذا كان موعد استراحته .

ـ الامر مهم جداً .

وفتح القسيس الباب بمفتاح .

ـ انتظر هنا ، رجـــاء .

ـ اشكـــرك .

لقد ضايقته التشكيلات . واقتعد الكرسي ذا المساند بجوار النار الغازية ثم نهض ثانية وهو يمطي كتفيه بفراغ صبر . واطل برأسه من خلال البـــاب فرأى روبن مونسيل يصعد السلم . فسحب رأسه على الفور ، لا يدري هل لمحه مونسيل . وسمع الخطوات تستدير عند منعطف السلم وتصعد الجزء الثاني . فابتسم وتنفس الصعداء . وعاد القسيس الهنغارى فى الحال :

ـ هــلا صعدت الى غرفته ؟

ـ شكـــراً .

وتظاهر كأنه يبحث عن قفازيه على الكرسي ليتأكد من ذهاب مونسيل .

وقـــال القسيس : ـ هـــل فقدت شيئاً ؟

ـ اوه . . . لا . تلك هي فى جيبي .

وراح يرقي السلم درجتين فى كل خطوة ، ويسير بعجلة وحذر فـــي

وقـــت واحـــد .

وقـــال الاب كارائرز :

ــ صباح الخير ، يا جيرارد . لقد عدت سريعا .

ــ صباح الخير ، ايها الاب . ارجو الا اسبب لك مضايقة .

كان القسيس فى الفراش ، يبدو عليه المرض والتعب . كانت النار فوق المنسبك الحديدي حمما من الفحم المتوهج . ودهس سورم للاختلاف بيـــن حرارة الغرفة وبرودة يد القسيس الثلجية وهو يصافحها .

ــ انك لا تضايقني ، ولكنني لست على ما يرام اليوم . وعلينا ان نختصر الحـــديث .

ــ طيب ، ايها الاب . واقولها باختصار ، اذن ، كان شتاين قبل قليـــل فى زيارة لي عن قضية اوستن .

ــ هل كان صريحا معـــك ؟

ــ ا . . . كلا . فى الواقع لم يذكر اسم اوستن ابدا . ولذلك اردت رؤيتك . قال انه تم القاء القبض على مجرم وانسابل .

ــ متـــى ؟

ــ منذ حوالي الساعة . رن جرس التلفون بينما كان عندي . وقـــد ادعى انه جاء ليتحدث معي عن الرجل الذي يسكن الغرفة العليا . . الشخص الذي حـــاول احراق البيت .

فقـــال القسيس ببطء : ــ نعم . ومـــاذا تظن انت ؟

ــ لا ادرى هل يقوم الدكتور بتنفيذ لعبـــة .

ــ هل وجه لك اسئلة عـــن اوستن ؟

ــ كـــلا . لم يـــذكر اسمه .

ــ ولكنك تعتقد بانه لم يكن مخلصا فى ادعائه عن سبب زيارته لك ؟

ــ كلا . لا اظن أن الشرطة تمسك بالرجل العجوز . انه طاعن فى السن . اذا كان الامر كذلك فقد يشكون . . . فقد يشكون بـــك ايضا ، اذا فهمت قصـــدي . . .

ــ فى الحقيقة ، ربما يشكون ! اذن ، فتظن انهم لا زالوا مهتمين باوستن؟

فقـــال سورم معبرا عن عجزه :

ــ انا عاجز عن معرفة ذلك ، ايهـــا الاب .

ــ أنا اميل الى الاعتقاد بأنهم ما زالوا يتتبعونه . هل رأيته ؟

ــ طيب ، تلك مسألة اخرى . يبدو ان اوستن قد اختفى . لم يعد الى البيت منذ اربع وعشرين ساعة . وتذكر ، لعله فى كنسيفتن الان .

ـ الا يمكنــك الاتصال به تلفونيا .
ـ ليس لديه تلفون هنــاك .
ـ آه . وهذا الرجل الذي قبض عليه ؟
ـ رجل هاجم امرأة الليلة الماضية في وايسابل . عامل من عمــال بربكسنون . ويظهر انه صبغ وجهه بالسواد .
ـ آه ، حقــا ؟
ـ هل سمعت به ايها الاب ؟
فقـــال القسيس :
ـ نعم . واخشى انك على حق .
ـ لمـــاذا ؟
ـ ذكره لي فرانز شتاين منذ بضعة ايام . قال بأن هناك رجلا يلقي الروع فى قلوب النساء فى وايتسابل وذلك بان يقفز من وراء الابواب بوجهــه الاسود . ولا يعتقد الشرطة انه القاتل حقا. وبالتأكيد لا يعتقد ذلك فرانز ايضا.
ـ لمـــاذا ؟
ـ لان الرجل الذي يقفز من وراء الابواب ليخيف النساء يبدو مسألة اخرى تختلف عن القتل . انه بالطبع سادي بطريقة ما ... ولكنه ليس من النوع الذي تبحث عنه الشرطة .
ـ ولكن هذا الرجل هاجم امرأه ، ايها الاب . وسبب لها رضوضــا خطيرة فى راسها ، كما ادعى شتاين . حدث ذلك فى غرفة فى وايتسابل وقد هرب بـــأن قفز من النافذة .
ـ حقـــا ، آه ...
واخذ سورم يتحرك بقلق وهو يجلس على حافة السرير . وفك ازرار معطفه . كانت الحرارة تسيل عرقه . وقال القسيس اخيرا :
ـ ان كنت واثقا من انه هاجم المراة ... فربما انا مخطيء .
ـ قال شتاين ان الرجل اعترف بانه قام بالهجوم ، ولكنه انكر قيامــه بالجـــرائم الاخـرى .
ـ اه . يبدو انه صادق فى قوله . اذا كان يريد خداعك لما قال لك ان الرجــل انكر الجرائم الاخرى .
ـ تعني انه اما ان يقول لي ان الرجل اعترف بالجرائم او لا يـــــذكر الموضـــوع مطلقـــا ؟
ـ اعتقـــد ذلك .
وسرت رعشة فى ظهر سورم . وقـــال :

ـ لم تعتقد ذلك ، ايها الاب ؟ هل تعتقد ان اوستن هو القاتل ؟
ـ حسب معرفتي بنـــن لا اعتقد ذلك ؟
ـ لمـــــاذا ؟
وقــــال القسيس :
ـ لاني ... اعرف اوستن منذ نعومة اظفاره . اي انني كنت اعرف عنه منذ طفولته . وكانت امه تحدثني بالكثير عنه.ما قولك انت في احتمال كونـــه القـــاتل ؟
كان السؤال مفاجئا بالنسبة لسورم . وقال بعد تردد :
ـ ليس من اليسير الاجابة على هذا السؤال . لا يحتمل ان يكون هـــو القاتل بالمعنى الذي تقصده ، فليس هو بالوغد الخسيس ، وليس قـــاسي القلب ... ولكن ... لا يمكنني التوضيح .
ـ حاول ان توضح ، يـــا جيرارد .
وخلع سورم معطفه والقى به على السرير . ثم فك ازرار سترتـــه ومسح العرق عن جبينه . وقال ببطء :
ـ اترى ، ايها الاب ، الامر كله هو اني التقيت به فى معرض دياغيليف ، هـــا ...
ـ وما عـــلاقة هذا بالمشكلة ؟
ـ له علاقة كبيرة . انك لم تجد العلاقة ، اليس كذلك ؟ كلا.طيب.
ـ لقد اثر المعرض فى نفسي ، لانه ... كان كالقصة الخرافية . تلك الملابس القديمة والتصاميم والموسيقى العذبة ، والعطر ـ بالمناسبة ، العطر نفســه الذي يستعمله اوستن ـ كأنها من عالم اخر . حسنا ، هذا هو عالم اوستن ، ايها الاب ، العالم الذي يريد هوان يعيش فيه . انه ليس انسانا متوقـــد الذكاء . ولن يجد ثمة فائدة يستخلصها مـــن كتابات القديسين او قسس الكنيســة ، ولكنه مع ذلك يريد ان يجد عالما مثاليا ... اتذكر ، لقد حدثتــك بنفس الشيء عن شقته فى الطابق السفلي ؟
ـ نعـــم .
ـ اعتقد ان العيش يجهده . انه لا يستطيع ان يقبل الواقع . استطيع ان افهمه لان الاحاسيس نفسها تعاودني . ان واقع العالم يحطمه ، ويقض عليه مضجعه . ولهذا فيريد أن ينظر الى العالم من زاوية منفصلة جميلة . وهذا هو سبب ميله الى الجانب المسرحي. اى انه يريد بدلا من الاحيـــاء الفقيرة الحقيقية مسرحا يبدو كالاحياء الفقيرة . ويريد بدلا مـــن اليأس والهزيمة ممثلا تراجيديا يهذر عنهما . انه يريد ان يبسط كل شيء ...

ـ فهمت وجهة نظرك . ولكنها لا تلوح تعريفا ينطبق على قاتل بالنسبة لـــــي .

ـ انه يجعل من نفسه ممثلا تراجيديا يقوم بحركة تنطوي عـــــلى التحدي . الا ترى ذلك ، ايها الاب ؟ انه يحاول ان يحول اشمئزازه الذاتي الى عمل مسرحي . فاذا اقترف جريمة قتل ، فانه لن يكون قاتلا حقيقيا ، وانما يكون ممثلا تراجيديا يقوم بدور ماكبث .

وقـــال القسيس :

ـ اظنك تبالغ فى تقدير حاجته الى القيام بدور تمثيلي . واني اشك فى ان حاجة كهذه تتسع الى درجة تدفعه الى ارتكاب جرائم القتل .

واحس سورم بالارتباك وبالاشتباك فى المناقشة ، ولم يعد يستطيع ان يمسك بالخيط الذي يقوده الى اعماق بصيرته . وقال اخيرا :

ـ لست ادري ، ايها الاب ... انه بأجمعه الشعور بأنك تريـــد ان تفرض نفسك على العالم . القتل هو آخر المحرمات ، وهو فى بعض الحالات النفسية لا يختلف عن عملية الانتحار . اظن ان هذه هى الطريقة التي يشعر فيها اوستن . فما لم يتمكن من تحويل العالم الى مسرح يصبح العالم غريبـا عنه الى حد لا يطاق . انه يريد ان يصبح شيئا ايجابيا ليبرر وجوده .

ومرت على وجه القسيس غمامة وقال :

ـ فهمت ... ما تعنيه . على كل حال ... لا اعلم . لا يبدو الامـر محتمـــلا بالنسبـــة لي .

ـ كلا ، واني لاتفق معك ، ليس هذا برهانا نهائيا على ان اوستــــن سيقترف جرائم القتـــل ...

ـ عليك ان ترى اوستن ... وربما ينبغي ان تحذره .

ـ ظننتك لا تريد مني ان احذره ؟

ـ ليس بصورة صريحة ، ربما . ومن الناحية الثانية فيبدو لي محتملا جدا بانه ليس مذنبا . وفى تلك الحالة ...

وتوقف عن الكلام وهو يحدق فى الغطاء وقد اسند ذقنه الى صدره . ولم يكن سورم واثقا هل أن حالته تدل على التفكير العميق ام مجرد التعب. فنهض واجتاز الغرفة الى النافذة التي كانت مفتوحة بمقدار بوصة من اعلاها. وشعر بالانتعاش لتيار الهواء الخفيف البارد . وفيما هـــو ينتظر ، مضى القسيس قـــائلا :

ـ ما كنت تحدثني به عن اوستن قد ينطبق عليك . فبوسعي ان اتصور انسانا بحاجة الى هدف اخلاقي ، انسانا يشعر بان الحياة عديمة المعنى ...

فقاطعه سورم بقوله :

ــ قال لي اوستن مرة شيئا من هذا القبيل . قال انــــه كان يشعر بالفاهة واللامعنى ... كلا بل باللاهدف ، هذا ما قاله .

ــ صحيح ؟ ومــاذا قــال ايضا ؟

ــ اوه ... تحدث عن شعوره بانه ينبغي الا يكون حيا . وقال انه اذا كانت هنالك عدالة على وجه الارض لكان مات ، شيئا على هذا النحو . ولكن لا تنس انه كان فى حالة من الكآبة فى تلك الليلة .

ــ اللاهدف . ينبغى أن أعترف لك بانك تدهشـني . ولكن الكلمــة تدعم قولك . غير اني كنت على وشك ان اقول لك ... بوسعي أن اتصور انسانا يحس بالحاجة الى ان يذهب مذهب الخير والسر ، أن يهرب مــن الاحساس بالعبث . ويمكنني أن اتصوره يرتكب جريمة ما لمجرد أن يبرهن لنفسه بانه قادر على اتيان الشر ، وعليه فهو ليس من ... دون هدف . لم تمر بى قط طوال حياتي حالة كهذه ــ ما عدا،ربما ، فى الاحداث الجانحين .

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

ــ بالطريقة التي تتحدث بها ، اني اتفق انها لا تبدو محتملة . ولكني لا اتحدث عن الدوافع الواعية . انا اقول لو فرضنا جدلا بان اوستن هــــو القاتل ، فاني افهم دوافعه . اعني ، خذ اوليفر غلاسب مثلا ... انه مــن نفس الفصيلة . لقد التقيت به مرارا عديدة خلال هذا الاسبوع ، ايها الاب ، واظنني اعرف الكثير عنه الان . على كل حال ، اني اعلم بأنه ما كان ليعاني اي نوع من التوتر لو كان يؤمن بعبقريته . لكان لديه هدف حينئذ . ولكــن والحالة هذه ، فقد اشبك نفسه فى علاقة مع طفلة فى العاشرة من عمرها مــن الاحياء الفقيرة . وتمنحه هذه العلاقة احساسا بالمعنى من يوم لاخر ، وهذا هو ما يحتاجه لينسمر على الحياة . ولكنه لا يؤمن بواقعه الى الحد الكــافي الذي يبقيه حيا دون شيء من هذا القبيل . اتفهم ما احاول ان اقوله ، ايهــا الأب ؟ اوليفر بحاجة الى الاشخاص اكثر من الافكار ــ انه انسان عاطفي . وعليه ، فاذا ما احس بالتوتر مضى يفتش عن الاشخاص . اما انا فاحتاج الى الافكار اكثر من الاشخاص . واذا ما تمردت ، كانت ثورتي ثورة فكريــة . ولكن اوستن شخص حسي وعاطفي فى نفس الوقت . انه يريد مخرجا ماديا جسديا لثورته ــ سياقة السيارات السريعة ، قيادة الطائرات . الا يبــدو التفسيــر صائبــا ؟

كان مندفعا فى كلماته المنفعلة ، وعندما توقف انتابه احساس بالاثم . كان الاب كاراثرز يصغي وهو مندلي الرأس مغلق العينين ، ولعله كا ن نائما .

وقال دون ان يفتح عينيه :
ــ نعم تبدو على صواب .
وقال سورم :
ــ اختشى اني اتكلم اكثر مما ينبغي .
ــ انا آسف . اريد ان اسدي لك عونا اكثر . ولكنى فى غايه التعب .
ــ نعم ، سأرحل الان .
ــ اذهب وابحث عن اوستن .
ــ ان استطعت ايجاده !
ــ جرب شقة كينسيغتن . خذ تاكسي .
ــ طيب . ولكني سأذهب بقطار النفق .
وقال القسيس :
ــ افتح ذلك الدرج خلفك ... كلا ، ذلك الذي على اليسار . هناك علبة من البلاستيك ... نعم ، شكرا .
وفتح العلبة السوداء التي ناوله اياها سورم واخرج منها باونا .
ــ خذ هذا واذهب بواسطة تاكسي .
ــ كلا ، حقا ، ايها الاب .
ــ خذه . انا لا احتاج الى النقود هنا ــ اذ اقضي ايامي فى الفراش . وبالاضافة لذلك،فانك تقوم بمهمة لي.لاني كنتسأذهب لو استطعت.خذه.
وتناول سورم الباون على كره منه ودسه وهو مطوى في جيبه العلوي . وقال :
ــ شكرا ، ايها الاب . هل اتصل بكتلفونيا لاعلمك بالنتيجة ؟
ــ كلا . اذا وقع امر مهم ، فعد الي . فأني سأنام الان .
ــ حسنا ، ايها الاب ، شكرا . اتمنى لك شفاء عاجلا .
ــ شكرا يا جيرارد .
وخرج من الباب الامامي . وفيما هو يلتفت عند الزاوية التقى بروبن مونسيل الذي كان يعدو نحوه عبر الشارع . وقال مونسيل :
ــ طيب ، يا جيرارد ، انك انسان غريب ، اذ اني اسمع بانك تروح وتغدو دائما لدى الاب كاراثرز .
وقال سورم وهو يشعر بالاحراج :
ــ كيف حالك ؟
ــ انا بخير جدا . ولكن كيف تجري الامور معك ؟ هل انتما تهيئان حملة لتغيير عقائدنا ؟

فقال سورم بابتسامة مفتعلة :
ـ شيء من هـــذا القبيـل .
ـ تفضـــل لتنـاول كوب شاي .
ـ كلا ، شكرا ، يا روبن . كلفني الاب كارانرز بالقيام بمهمة له .
ـ حقـــا ؟ وهـل ستعود ؟
ـ اظن ذلك . في وقت متأخر من النهار .
ـ طيب ، اراك على عجل شديد . ربما سأراك فيما بعد .
فقال سورم وهو غير صادق :
ـ انا ذاهب لتناول الغداء الان . احس بالجوع قليلا . ولكني سأراك فيمـــا بعـــد . . .
ـ طيـــب .
وبينما كان سورم يهم بالانصراف ، قال مونسيل :
ـ بلـــغ تحياتي لاوستـــن .
فالتفت سورم مندهشا ، ولكن مونسيل كان قد بلغ مدخل البناية .
واختار شارع روزبري افينيو ، وهو يمشي نحو لدغيت سركس وقد قرر أن يستقل سيارة تاكسي من هولبورن . كانت رقبته لم تزل رطبة من العرق الذي اسالته حرارة الغرفة ، وكان يحس بجفاف بحنجرته . ولسبب لايعلمه ، لم بكن يتوقع وجود نـن في شقته في كينسنغتن . انه لن يجد نـن في اي من الامكنة التي اعتاد انيقصدها ان كان يبغي تفادي رجال الشرطة . . . وتذكر فجاة الالبسة النسائية . كان الايضاح الذي قدمه نـن في ذلـــك الوقت غير مقنع . بيد ان شكوكه الجديدة لم تمنحه فرضية مقنعة أيضا بصدد هـــذه الالبسة .
وعندما بلغ شارع غليت دخل اول حانة مر بها . وطلب قدحا مـــن البيرة الخفيفة ، وشرب نصفه قبل ان يحس بحرارتها في حنجرته . فابتسم لصاحب الحانة قائـــلا :
ـ آه ، ذلـــك افضـــل .
وسمع صوت احدهم يصيـــح :
ـ وداعـــا يـــا جورج !
ـ وداعـــا يا مستر بيـــن .
فقـــال سورم :
ـ كان هـــذا بيـل بيـــن ؟
ـ نعـــم ، يـــا سيدي .

فأسرع الى خارج الحانة والفى بيـن على وشك عبور الطريق . وهتف:
ـ هلـو ، بيـل !
ولكن صخب المرور طمس صوته ، وبينما كان بيـن يهم بترك الرصيف قفز سورم نحوه ومس ذراعه . وقال بيـن :
ـ هلو ، يا جيرارد ! مـاذا تفعل هنـا ؟
ـ اتناول جرعة من الشراب . تعال وشاركني .
ـ هناك ؟ اين انت ؟ لم ارك ؟
وقـال صاحب البـار :
ـ عـدت سريعـا !
فقـال بيـن ضاحكـا :
ـ جئت بصديقي هنا كحجة لقدومي معه . ماذا تشرب ، يا جيرارد ؟
ـ لدي قدح ، شكرا . شاركني بالشراب . اي نوع ؟
ـ كالمعتاد ، رجاء ، يا جورج . لنذهب الى الطاولة المجاورة . برودة الخشب هنـا تخترق العظام .
كانت النار تستعل فى صالة الحانة . وحمل بيـن قدحه الى الطاولـة ووقف الى جوارها . وقـال :
ـ هل سمعت بالانباء ؟
ـ عـن القـاء القبض ؟ نعم .
وقـال بين بدهشة :
ـ ايـن سمعت بهـا ؟
ـ من أحـد الاطباء التابعين للشرطـة .
ـ ستـار ؟
كلا ، شتاين ـ الطبيب الالماني الذي اعرفه يعمل لهذه القضية . جـاء صباح هذا اليوم ليتتبع قضية الرجل العجوز . واتصلوا به تلفونيا اثنـاء مـا كـان عنـدي .
ـ صحيح ؟ تعني انهم قالوا له بأن المطاردة انتهت ؟
ـ اوه ، كلا . قبض على ذلك الرجل فقط . وقد اعترف شباين بانه من المحتمل الا يكون هو الرجل المطلوب .
ـ لمـاذا ؟
ـ على كـل ... الامر واضح بالتأكيد ؟ انه لم يعترف بانه ارتكب كل حوادث القتـل .
ـ آ ، انك اذن لم تسمع باخر الانباء . لقد اعترف اعترافا تاما .

ـ مـــــادا ! اعترف بمـــــاذا ؟
ـ اعترف بجميع حوادث القتل ـ ما عدا أحدى المراتين اللتين وجدتا قتيلتين فى تلـــك الليلة .
ـ انـــت متـــأكد ؟
تماما . وصل النبأ قبل ان اترك المكتب بقليل .
ـ ما هو النبأ ؟ هل تعرف التفاصيل ؟
ـ قسما منها . هل سمعت بالهجوم الليلة الماضية ؟
ـ نعـــم .
ـ طيب . رأى الشرطة اثار الفحم على حنجرة المرأة ويديها . كانت فاقدة الوعي طبعا . فقاموا بتنفيذ خطة تامة لملاحقته . ولا يعرف كيـــف وصل الى الاحواض ـ بالقرب من مرفأ لايمهاوس . فرآه احدهم فى الوقت الذي كان يهم بتسلق الجدار هذا الصباح . ويقولون انهم وجدوا ركبته مكسورة . وحاول ان ينظف الفحم من وجهه ، غير ان آثاره بقيت عالقة . فساقوه الى مركز شرطة الشارع التجاري ولكنه أنكر الجرائم ـ بالرغم مـن انه اعترف بمهاجمة المرأة فى الليلة الماضية . ثم اخذوه الى سكوتلانديارد . فاعترف بكل شيء . هذا ملخص الامر !
كان من العسير على سورم أن يخفي شعوره بالارتياح المنعش الـــذى دفعه الى الرغبة فى الضحك . وقـــال :
ـ اذن فقد اصطادوه !
فقـــال بين :
ـ اجـــل اصطادوه .
ـ هل يعرفون شيئـــا عـــن دوافعه ؟
ـ كلا . ولكنه معتوه قليلا . لا يستطيع التكلم جيدا ـ له شفتـــا ارنب ـ وقد كان تحت المراقبة لجريمة سرقة كان قد ارتكبها .
ـ معتوه ؟ لا يبدو الامر مشجعا .
ـ لمـــــاذا ؟
ـ اخبرنى شتاين بانه فى قضية دوسلدورف القوا القبض على معتـــوه اعترف بالجرائم ، ولكنه لم يكن القاتل فعـــلا .
ـ اعتقد ان الشرطة نفسها واثقة من ذلك . لو لم يكونوا على يقين لما اذاعوا اعترافاته . على كل حال ، من اجل الشرطة ، نأمل ان يكونوا قـــد قبضوا على المجرم .
ـ كـــل واحد يأمل ذلك . لكن لماذا قام بطلاء وجهه بالفحم فى الليلة

الماضية ؟ لم تكن هنالك اية علامة للفحم فى الجرائم السابقة . وقد اخبرني شتاين بانهم يبحثون عن هذا الابله منذ اسابيع حيث كان يثب من خلف مداخل الابواب ويخيف النساء . لا يبدو انه القاتل .

وقال بين بتأمل :

ــ لعلك على حق . هذه نقطة صائبة . ساذكرها للشخص الذي يعد المقال الصحفي عنها . وعلى كل حال ، لماذا يعترف بالجرائم اذا لم يكن هو القاتل ؟

ــ ربما كانت الشرطة فظة معه . تقول ان ركبته كانت مكسورة . فلم يستطع المقاومة اليس كذلك ؟

ــ ولكن الشرطة لا تريد منه اعترافا اذا لم يكن القاتل .

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

ــ لست ادري . انها مسألة تخمين فقط . آمل ان يكون هو الشخص المطلوب . ما اسمه ، بالمناسبة ؟

ــ اوه . . . بينتلى ، الفريد بينتلي ، يعيش فى بريكستون .

فقال سورم :

ــ ولكنه كان يعيش في وايتشابل قبلاً .

ــ صحيح ؟ هل انت واثق ؟

ــ هذا ما قاله شتاين لي .

ــ لم اكن اعرف هذا . فهو اذن يعرف المنطقة جيدا . اسمع ، يا جيرارد . الافضل ان اذهب الان الى المكتب . ما اسم هذا الطبيب الالماني ، اذا ما اردنا الاتصال به ؟

ــ شتاين . فرانز شتاين . انه يعمل مع ماكمردو .

ــ طيب . اشكرك جدا . قد اتصل بك فيما بعد . لنلتقي ونشرب كأسا .

ــ حسنا . سأراك فيما بعد ، يا بيل .

وبعد ان ذهب بين اتم بقية شرابه وهو يحدق فى النار . كان انفعاله قد تحول الى شك . واعاد القدح الى طاولة البار ، وذهب الى شارع فليت واوقف سيارة تاكسي .

وعندما استدار التاكسي نحو بالاس غيت ، سأل سورم سائقه :

ــ هلا انتظر فى نهاية شارع كانينغ بليس ؟ لن يطول غيابي .

وفيما هو يسير نحو البيت ، فكر انه فى استطاعته ان يعود ليصرف التاكسي اذا كان نن موجودا . ولم تكن لديه رغبة في ملاقاة فانيت، وخشي ان يستوقف التاكسي اهتمامه .

وانفتحت البوابة الخارجية بصرير . كانت الستائر خلف قضبان النوافذ مسدلة . فضغط على الجرس وراح يصغي بانتباه . وتناهى اليه صوت الجرس يرن فى الداخل . ولم يسمع صوتا اخر . وضغط الجرس ثانية . وبعد انتظار نصف دقيقة اخرى اخرج من جيبه ظرفا قديما وكتب عليه رسالة قصيرة ودسها في صندوق الرسائل . وفتح باب البيت الامامي ، فى اعلى،واطل منه رجل لم يقع عليه بصره فى حياته وقال الرجل:

ــ اوه .

ثم اختفى الراس ، وانغلق الباب الامامي ثانية . وقرر سورم المغادرة على الفور وهو يخشى ان يراه فانيت . وشعر بتحسن عندما انغلق باب التاكسي خلفه . واعطى السائق عنوانه فى كامدن تاون .

* * *

واذ هو يمر بالتلفون فى الصالة توقف وادار القرص برقم شقة نن ، وهو يعلم ان الامر لا يجديه شيئا . وبعد هنيهة قالت الفتاة :

ــ لا جواب من الشقة يــا سيدى .

وبحث في جيوبه عن قطعة اخرى من النقود.وفتح دفتر العناوين واسنده على صندوق النقود وادار رقم كارولين . فاجابه صوت رجالي ذو لهجة لندنية :

ــ انتظر لحظة . ساناديها . من المتكلم ؟

وبعد لحظة قال صوت كارولين :

ــ جيرارد ! هلو ، يا عزيزي .

ــ هلو ، ايتها الحلوة . كيــف الاحوال ؟

ــ بخير . ماذا تفعل الان ؟

ــ لا شيء . هل سمعت بالقاء القبض على مجرم وايتشابل ؟

ــ نعم ، سمعتها من الراديو الان . اليست مثيرة ؟

ــ مهولة . كيف تشعرين ؟

ــ اوه ، بخير الان . لقد شفيت .

ــ هل هناك احد معك ؟

ــ كلا ، لقد ذهب والدي الى الطابق العلوي .

ــ متى يمكنك المجيء عندي ثانية ؟

ــ ليس اليوم ، يا عزيزي ، اخاف .

ــ هل لديك ما تفعلينه الليلة ؟

ــ كلا،ولكن والدي لا يريدانني ان اذهب الى المدينةيوم الاحد . يقولان

اني اقضي كل اوقاتي هناك . بمكنني ان آتي غدا . . .
ــ غدا . فليكن غداء مساء ، اذن ؟
ــ طيب ، يا عزيزي . اني اتوق لرؤيتـــك .
وصعد الى غرفته وهو يحس بخيبة غريبة . كان التوتر الذي انتابـه في الصباح قد أثار فيه الشعور بالتوقع . وبدا له قضاء بقية يومه لوحـده ضربا مـــن الانتكاس .

وفي غرفـه فتح علبة من حساء الطماطم ، وراح يتناول محتوياتها مـع قطعة من الخبز والزبدة . ثم اخذ مجلدا لاشعار بليك من الرف وحاول ان يقرأ فيه اثناء تناوله الحساء الحار . ولكنه اعاد الكتاب الى الرف بعد دقائق قليلة واخذ كتاب « عودة شرلوك هولمز » كانت هذه المحاولة موفقـة اكثر . وقرأ اربع قصص قبل ان يصيبه التعب . كانت الساعة الان في الثالـــــة مساء . وتذكر دعوة المس كوينسي له ، ولكنه لم يشعر برغبة حقيقية فـي الذهاب الى هناك . كان يفضل ان يقضي المساء مضطجعا في الفراش مـــع كارولين . فتمطى وتثاءب وراح يدعك عينيه باصابعه ، ثم نهض واخذ ينظر من خلال النافذة . كان اليوم رماديا باردا . ثم طبع ملحوظة على ورقة صغيرة بالالة الكاتبة ثم ارتدى معطفه وهبط السلم ، بعد ان اقفل باب غرفتـــه . ووضع الملحوظة على التلفون وخرج .

* * *

ولاح عليها السرور برؤيته .
ــ تعال ودفيء نفسك . كنت اتوقع مجيئك .
ــ حقـــا ؟ لمـــاذا ؟
ــ اتصلت بك تلفونا توا ، وقالت لي الفتاة انك تركت رقما تلفونيا ، وعندما سألتها عنه فاذا به رقمي !
كانت نار الفحم تشتعل في غرفة الجلوس . كانت الستائر مسدلة وقد اضفى المصباح الكهربائي على الغرفة جوا من الدفء . واحس فجأة بالسرور لمجيئـــــه .
ــ ايـــن أوليفر اليوم ؟
ــ اوه . . . في البيت ، على ما اعتقد . ماذا كان رأي الاخ روبنز فيه ؟
ــ اوه . . . ظن انه شيوعي . ولكنه شعر بميل نحوك .
فقـــال سورم :
ــ همممم .
وسألتـــه وهي تبتسم :

ـ انك لم تمل اليه كثيرا ، اليس كذلك ؟
ـ كـــلا . وانت ؟
ـ انه انسان طيب جدا . انه يقوم بقسط هائل مـــــن الفعاليات الاجماعية بالاضافة الى عمله لنـــا .

ورات سورم يقطب عند ذكرها كلمة « لنا » فامنقع وجهها . وسألت :
ـ ما الذي يجعلك لا تميل الى الاخ روبنز ؟

فقـــال سورم :
ـ انا لم اكرههبصورة خاصة . ولكني لا يسعني ان اتصور كيــف نختلطين بهذا الضرب من الناس . انا لا اعترض على الاشخاص المتدينيـــن الاذكياء . ولكن ليس هناك من لا يدرك ان هذا الانسان هو بهلول .

فاجابت وهي تهـــز كتفيها :
ـ صحيح انه لا يتميز بالذكاء . ولكنه رقيق القلب ، وهذا هو اهم شيء .
ـ اظن ذلك . اذن ، ما الذي يمنعك من الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية او المعمدانية اذا كان هذا هو كل ما يهم في الامر ؟ ستجدين هنالك ايضـــا رقيقي القلوب ، على مـــا اظن .
ـ يمكنني ان اجيبك بعبارة واحدة ، وهي انى لا اطيق الكنائس .
ـ لا ؟
ـ لا . لست اعلم لماذا . عندما كنت طفلة صغيرة ، كنت اصـــاب بالغثيان داخل الكنيسة .
ـ وهذا هو فقط سبب كونك من شهود يهوه ؟
ـ كـلا بالطبع . ولكنه سبب عدم انضمامي الى طائفة كنسية قبـــل ان اصبح من شهود يهوه .
ـ ولكن بالتأكيد لشهود يهوه كنيستهم ايضا ـ قاعة الملك ، او لا اعلـم مـــاذا يسمونهـــا ؟
ـ نعـــم .
ـ الا تذهبين هنـــاك .
ـ ليس غالبا . مرتين في العام، ربما . ولكني احضر اجتماعات الصلاة في بيوت اعضاء اخرين ـ وبالطبع اعقد مثل هذه الاجتماعات هنـــا .

ونظر سورم الى وجهها الذي كان يضيئه اللهيب ، واحس بها كأنهـــا شخصية مختلفة . لاحت اصغر سنا مما هي عليه ، وكذلك اكثر ضعفا . كان ينمو في أعماقه نوع من الفهم لها .
ـ ولكنك لم تشعري بالنفور عينه من الكتاب المقدس ؟

ـ اوه ، كلا . على الاقل ، كنت اشعر بذلك وانا طفلة صغيرة . او ، بنبغي ان اقول ، كنت لا اكترث له . كنت لا افهم مطلقا لماذا يقولون « انت » بدلا من « انتم » (١) وغير ذلك من الاشياء . ومرة من المرات لطمتني مربيتي عندما ظنت اني كنت اهزأ بالكتاب المقدس . كنت اريد ان اعرف لم يتحدث الكتاب المقدس دائما عن الناس انهم « نهضوا » . مثلا ، « ونهض وذهب الى ارض آز » . كنت اقول ان العبارة تترك انطباعا بأن العبرانيين القدماء كانوا جالسين كل الوقت ، فاذا ما نهضوا على اقدامهم اعتبر الامر حدثا جليلا .

فقال سورم ضاحكا :

ـ يبدو انك كنت ميالة للنكتة !

ـ كــلا . كنت جــادة .

واخذ جرس التلفون بالرنين . فذهبت للاجابة عليه وهتفت بعد قليل:

ـ انــه لــك .

ـ طيــب . انــــه اوستن .

ـ كــلا ، بـل اوليفر .

ـ اوليفـــر !

وذهب الى التلفون وقـــال :

ـ هـــلو ، اولبفـر .

ولاح صوت غلاسب مكتومــا .

ـ اسمع يا جيرارد . هل يمكنك مساعدتي ؟ انى فى موقف حرج .

ـ كيــــف ؟

ـ انا فى مركز شرطة الشارع التجارى . مقبوض علـي .

ـ باللــه لمــاذا ؟

ـ اوه . . . الامر ينعلق بكريستين . لقد قدم والدها شكوى ضدى .

ـ مــا هي التهمة .

ـ اغـــواء قــاصرة .

ـ ولكن . . . لكن الامر جنون ! اعني . . . ليس لديهم دليل . انهـــم بمجرد فحصها سيعلمون ان الامر هــراء .

فقــــال غلاسب :

ـ اعلم ، ولكني الان فى السجن . وقد هربت كريستين ، ولذا فقـــد ابقى محجوزا حتى يجدوها .

---

(١) كلمة « انت » المقصودة هنا ، كلمة قديمه تذكر فى النصوص الادبية القديمـة ولا يستعملها الفرد العادي . (المترحم)

ـ يا الهي ! مشكلة مزعجة حقا ! الا يمكن عمل شيء ؟

ـ نعم . يمكنك اخراجي مـــن هناااذااستطعت ان تقرضني خمسة وعسرين باونا لدفع الكفالة . واذا لم تستطع ، انا واثق ان الاب كـــاراثرز يمكنـــه ذلـــك .

ـ حسنا انتظر . سآتي اليك حالا بالنقود . ساراك خلال ساعة . خمسة وعشريـــن باونـــا .

ـ اشكرك جدا ، يا جيرارد . لا اريد انابقى اكر مما ينبغي فى هـــذا المحل الكريـــه .

وخرجت المس كوينسي من الغرفة وهي تقول :

ـ خمسة وعشرين باونا ؟ ماذا يريد ان يفعل بالنقود ؟

وكانت تحمل صينية عليها اناء الشاي .

ـ كفالة . انه فى مركز شرطة وايتشابل .

ـ لمـــاذا بحق السماء ؟

ـ متهم باغواء فتاة قاصرة . الديك خمسة وعسرون باونا نقدا هنا ؟

ـ كـــلا . . . اغواء قاصرة ؟

ـ لغو باطل ، بالطبع . فى الواقع ، هناك فتاة صغيرة كان يبـــدى اهتمامه بها . يعتقد ان لها ملكة فنية . وابوها رجل مدمن على الشراب وهو يحاول ان يثير المتاعب . ستعتبر الدعوى باطلة حالما يفحصها الطبيب . . . لا ادري هل يقبل الشرطة صكا بالمال ؟

ـ أ . . . اعرف شخصا لعله سيصرف الصك . ولكن ما اسخف الامر! ينبعي على غلاسب ان يكون على حذر حقا . اينبغي عليك الذهاب حالا ؟ تعال واشرب قدحا من الشاي اولا .

وتبعها الى غرفة الجلوس . وقـــالت :

ـ هل لديـــك خمسة وعشرون باونـــا ؟

ـ كلا ، فى الواقع . ولكن اوليفر يعتقد ان الاب كاراثرز لديه المال .

ـ هذا القسيس الكاتوليكي ؟ اشك ان يكون لديه هذا المبلغ نقدا . اعتقد ينبغي ان اقرضه المـــال انا .

ـ ذلك لطف عظيم منك . وسيعيده بالطبع .

ـ اعرف شخصا يسكن قريبا من هنا يمكنه ان يصرف الصك . ولكن ما اسخف الامر مع اوليفر !

وقص عليها ، وهو يحتسي الشاي ، ما قاله له اوليفر فى الليلة الماضية . واستمعت اليه بوجوم ، وعندما اخبرها عن الطفلة عندما وقفت ليرسمهـــا

قـــالت معلقة :

ــ كـــان ذلك غبـــاء منه !

وقـــــال :

ــ يمكنني ان افهم دوافع اوليفر . انـه انسان وحيـد . انه بحاجـة الى الاتسخـــاص .

ونهضت .

ــ سأذهب للاتصال تلفونيا بصديق لي يعمل محاميا . انه يحتفظ عادة ببعض النقود فى بيته لمثل هذه الاحوال الاضطراريه .

وشرب قدحا اخر من الشاي عندما كانت تتحدث بالتلفون . وظلت تتكلم فترة طويلة . وراح يعدل النار وهو يجلس القرفصاء على السجادة ، ويفكر : لم يشتبك اصدقائي كلهم بقضايا العنف ؟ ولم امقت العنف الى هذه الدرجة؟ هل سبب ذلك هو الجبن او الكسل ؟

وقـــالت :

ــ تحدثت الى صديقي عن الموضوع . اعتقد أن اوليفر فى وضع سيء نوعا . وحتى لو كانت الفتاة لم تزل بكرا فيمكنهم اتهامه بمحاولة اغتصابها . وفى هذه الحالة ، الامر كله سيتوقف على ما ستقوله الفتاة . فـاذا مـا لمحت بأية كيفية كانت على انه حاول ذلك معها عندما كانت تقف ليرسمها ، فـانهم سيسوقونه بالتأكيد الى السجن .

وهز سورم كتفيه ، محاولا ان يخفي شكوكه . وقـال :

ــ هذا حسن . فمما قاله ليس هنالك اي احتمال لهذه الفكرة .

ــ امل ان تكون على حق . واذا ذهبت الى محطة « همبستيد هيث » فانك ستجد عنوان هذا المحامي مقابلها . اسمه بيتيفورد . سأكتب عنوانه لك ، وسيعطيك المبلغ . هل ستعود الى هنا فيما بعد ؟

ــ حسنـــا .

ــ اليك العنوان . اذهب باتجاه شارع ايست هيت الى ساوننيد غرين، ولا يمكنـــك ان تخطـيء .

* * *

ولاح غلاسب اشعث الشعر مجهدا . وجاء الى المكتب يرافقـــــــه شرطيـــان . وقـــال :

ــ شكرا لله ، لقد جئت يـا جيرارد .

ودهش سورم لابتسامته التي تعبر عن الطيبة والامتنان . وقال :

ــ آســف لتـأخري .

وقال موجها السؤال الى المفوض :

ــ هــل يمكننا الذهاب ؟

ــ نعم . ولكن ينبغي على صديقك ان يبقى حيث يمكننا الاتصال بـــه والا قـــــد تفقــد نقودك .

فقـــال سورم بصورة تلقائيـــة :

ــ شكـــــرا .

وفيما هما يغادران مركز الشرطه ، اقترب منهما رجل . ولاحظ سورم ان غلاسب ينكمش بعصبية . والقى الرجل ببد سورم ورقة وقال :

ــ خـــــذ واحــــدة .

ــ شكـــرا .

ــ وواحـــدة لصديقك .

والقى سورم نظرة على الورقة المطبوعة وهما يعبران السارع . كانت معنونة : نريد العدالة لسكان وايتسابل ! وكان النداء قصيرا :

« ان الرجل الذي يحتمل ان يكون قاتل النساء الست هـــو الان في قبضة النرطة . وان الاغنباء الكسالى والبرجوازيين القذرين يأملون ان يعتبر القاتــل معتوها ، وهم سيحاولون بكل الوسائل ان يحبطوا خطوات العدالة. غير ان سكان وايتشابل هم الذين عانوا ، وان سكان وايتشابل هم الذيـــن ينبغي ان تكون لهم الكلمة الاخيرة . يجب ان يصعد بيننلي على المشنقة ! واذا وقفنا صفا واحدا فلن يستطيع كل الاطباء النفسانيين فى العالم انقــاذه . ونحن متهيئون للهجـــوم . »

وقـــال سورم :

ــ هذيان مشوش غريب ! لم يريد الاغنياء الكسالى ان يعتبروه معتوها؟

اما غلاسب فراح يلف ورقته ثم القى بها فى مجرى الماء ، وهــــــــو يهز كتفيـــه بامتعاض . وقـــال :

ــ العالم مليء بالاشخاص الذين يجب إن يكونوا وراء القضبـــان ــ في حديقة حيوانات ! انهم ليسوا افضل من الحيوانات .

والقى سورم بورقته فى سلة اوساخ كانت منبتة فى سياج كنيسة رين.

ــ ماذا تنوي ان تفعله الان يا اوليفر ؟ تقول جيرترود انه يمكنك ان تمكـــث عندهـــا .

فقــــال غــلاسب بتهكم :

ــ هــــذا لطف منها .

ــ هي التي اقرضتني النقــود .

ـ صحيح ؟ هل كان من اللازم ان تخبرها بالامر ؟
ـ لقد اخبرتهـــا . . .
وهز غلاسب كتفيه باستيـــاء .
ـ ما دامت لا تفرض علي اصدقاءها الذين ينادون بالعودة الى المسيح .
ـ ولكن اين تعتزم الذهاب الان ؟
ـ ايـــن تظنني اذهب ؟ الى البيت .
ـ وهل . . . يضيرك . . . اذا تركتك الان ؟
وقال غلاسب بدهشة :
ـ لمـــــاذا ؟
ثم انطلق ضاحكا فجأة ، ووضع يده على كتف سورم لحظة .
ـ يؤسفني ان ظهرت حاد الطبع . انهم الشرطة الملاعين وهذا الوالد الخنزير . . . كم اتلذذ بقتل هذا النغل . عندما تنتهي القضية سأذهـــــب لاستشارة محام لاتحقق هل استطيع ان اقاضيه لاساءة سمعتي . . .
ـ كم بقيت هنـــالك ؟
ـ في مركز الشرطة ؟ منذ حوالي الساعة التاسعة صباحا . ثم اتصلوا بسرطي ذي رتبة عالية ليسألوه عن قضية الكفالة . هل تذكر ، اخبرتك عن الخصام الذي جرى بيني وبين ابيها ؟ كان الشرطي نفسه هناك اليوم . ولذا فقد بدا في قصتي عن حقده علي بعض الصحة .
ـ ولكن اين كريستنيـــن ؟
ـ لست ادري . لم أر اباها بعد . كل ما فهمته هو انه لا يمكن العثور عليها . لعلها مختبئة في مكـــان مـــا .
ـ متى بـــدأت هذه الضجة كلها ؟
ـ الليلة الماضية، على ما اظـــن .
ـ ولكن لماذا ؟ قلت لي انه هدد بعرضها على الطبيب قبل ذلــــك ، ومـــن ثم سكنت العاصفة .
ـ لا يمكنك التكهن حول اناس كهؤلاء . انه رجل سكير . ربمـــــا تخاصم مع زوجته ، او ربما اخبره احدهم بأنه رأى كريستين تخرج مـــن بيتي . كل شيء ممكـــن .
ـ اتعلم انه يستطيع ان يتهمك بمحاولة الاغواء ، حتى اذا قرر الطبيب انهـــا لم تزل بكـــرا .
فقـــال غـــلاسب :
ـ واذا كان ذلك ؟ ما عليهم الا ان يسألوا كريستين .

ـ ولكنك ... لم تخبرهم عن وقوفها لترسمها ؟
ـ كـــلا .
ـ اتظنهم يعلمـــون ؟
ـ لا اعتقد ذلك . كيف لهم ان يعلموا ؟ انها لن تخبرهم .
ـ ولكن افرض انها ارتبكت وخافت ؟ الاطفال يفعلون ذلك ، اتعلم ؟
ـ ومـــاذا يهم ؟ مـــا دامت تقول الحقيقة ، فلن ابالي بشيء .
ـ كلا ... اظن ذلك . انك تحتاج الى محام في الواقع .
ـ لا ارى سببا لذلك . ينتهي الامر كله عندما يفحصها الطبيب .
ـ متـــى هربت ؟
ـ صباح اليوم . يا لها من طفلة حمقاء ... اخبرها ابوها الليلة الماضية بانه سيأخذها ليعرضها على الطبيب صباح اليوم . اعتقد ان امها ليســت هنـــاك . وهكذا تسللت هاربة صباح اليوم . وبطبيعة الحال ، ظـن ان لديها شيئا تريد اخفاءه ، فذهب الى السرطة .
ـ وكيف يقبضون عليك دون اي دليل ؟
ـ لانه رفع شكوى . اعتقد انه اخبرهم بانها اعترفت له بشيء .
ـ مـــاذا ! بانك قمت بـ ...
ـ تماما . ربما كان سكرانا عندما سألهـــا .
ـ ربما سبب لها اذى وجعلها تصرخ باية كلمات لمجرد ان تتخلص منه .
ودهش سورم للهدوء الذي يميز به صوت غلاسب ، ولم يكن فيـه الغيـــظ الذي توقعه .
ـ في هذه الحالة ... قد يمكنك مقاضاته فيما بعد لتوجيه تهمة كاذبة اليك . ينبغي ان ترى محاميا .
فهز غلاسب كتفيه وقـــال :
ـ وادفع له اغطية القناني بدلا من النقود ؟
ـ لا يكلفك غاليا . وانا واثق مـــــن ان الاب كاراثرز او جيرترود سيقرضانك النقود ...
فقـــال غـــلاسب :
ـ سأفكر فـــي الامـــر .
فأحس سورم بان غلاسب كان يحاول ان يسكته فقـــال :
ـ الامر متروك لك ، على ايـــة حال .
كانا قد وصلا بالقرب من بيت غلاسب في شارع داروارد . وفيما هو يحاول ادخال المفتاح ، انفتح الباب . وتوقع سورم أن يجد المرأة العجـــوز

مخبئة خلف الباب . وقـــالت :
ــ اواه . . . اهذا انت . ظننتك في السجن .
فمــال سورم الى الامام وصاح في اذنهــا :
ــ كــلا . كل شيء على ما يرام الان .
ــ اواه ، كل شيء على ما يرام ، ها ؟ لماذا بركوك تخرج ؟
فصاح غلاسب :
ــ لا يمكننـــي ان اشرح الامر الان .
ثم اندفع الى الغرفة الامامية واغلق الباب وراءه . وصاحت العجوز :
ــ لا اريد اشياء مثل هذه تحدث في بيتي . انـــا امرأة عجوز اعيش بتعبي ، ولا اريد اسياء متل هذه تحدث في بيني .
فصــــاح غـــلاسب :
ــ هل كان السرطـــة هنا ؟
ــ السرطة ؟ نعم ، كانوا هنا . يجب ان تغادر . لا يمكنني احتمال ذلك .
فالتفت غلاسب الى سورم وقال بهدوء :
ــ اذهب الى غرفني ريثما اشرح الامر لهذه البقرة التسمطاء . . .
وبينما كان سورم يرقى الدرجات العارية ، ويشم رائحة زيتالبارافين المعهودة ، سمع العجوز تصرخ :
ــ لم تحدث لي اية متاعب مع الشرطة قبــلا . . .
وصـــاح غـــلاسب :
ــ ليس الخطأ خطئي . يمكنني ان اشرح . . .
ودخل غرفة غلاسب واغلق الباب خلفه . كانت رطبة باردة . ووجد علبة ثقاب على عتبة النافذة واشعل المدفأة النفطية والموقد الغازي . ووجد ابريق الماء فملأه بالماء ووضعه على الموقد . وبعد دقائق قليلة دخل غلاسب . وقـــــال :
ــ كان اولاد الق . . . الشرطة هنا وتحروا المكان .
ــ ماذا ؟ ولكنهم بالتأكيد لا يمكنهم عمل ذلك دون امر ؟ هل كـــــان لديهـــم امـــر ؟
ــ كــلا . انهم فقط طلبوا السماح من المراة . والبيت بيتها .
ولكن الغرفة غرفتك . انا واثق انه غير مسموح لهم ان يفعلوا ذلك . يجب ان ترى محاميــا .
والقى غلاسب نفسه على المقعد ، وراح يدفيء يديه فوق المدفـــــأة النفطية وقـــال بكآبـــة :

ـ تريدني هذه العجوز النكراء ان انتقل من هنا . يا له من حقير والد كريستين هذا ! ... اود لو اقتله . لم تفعل هذه الحيوانات الحقيرة مثل هذا الارتباك فى حياتي ؟

ـ لا تهتم . الامر كله مهزلة ... ولم يفتشون غرفتك ؟ ماذا يتوقعون ان يجدوا ؟

ـ كريستين بالطبع .

ـ اوه ، نعم .

وقال غلاسب بمرارة :

ـ او ربما يبحثون عن جثتها . لا اظنهم تركوا تهمة دون ان يلقوا بها علي .

وراح يتمشى فى ارجاء الغرفة ، وهو يطل على لوحاته . وقال فجأة :

ـ اواه ، يا للمسيح !

ـ ما الخبر ؟

ـ صورة كريستين لقد نسيت امرها .

وتذكر سورم فى الوقت المناسب انه من المفروض فيه انه لم ير الصورة . فعبر الغرفة نحو غلاسب واخذ ينظر فى صورة الطفلة التي تنقصها التغذية . وكان غلاسب قد سحب عدة لوحات الى الامام ليعرض الصورة ، وكانت هذه اللوحات تستند الى ذقنه .

ـ اتظنهم راوها ؟ ـ لست ادري .

ـ اشك فى انهم رأوها . ولماذا ينظرون اليها ؟ انهم اذا كانوا يبحثون عنها فليس هناك ما يدعوهم الى تفحص صورك .

وفتح غلاسب الدولاب واخرج مغلفا كبيرا من الورق الاسمر . ووضعه على السرير ثم فتحه . وتقصد سورم الا يبدي اي فضول ، بالرغم من انه لمح صورة تخطيطية لفتاة عارية . وسأل :

ـ هل هنالك ما يدل على انهم رأوها ؟

ونفرس غلاسب مليا فى الصفحات .

ـ حسب ما ارى ، كلا . ولكني لا اتوقع من الشرطة ان تترك آثار اصابعها .

واطبق غلاسب المغلف بصيحة اشمئزاز . ثم رمى نفسه على حافة السرير واطلق زفرة . وكانت يداه الضخمتان تتدليان بين ركبتيه . وقال دون ان يحرك اسنانه :

ـ خنازير أولاد القـ ...

وبدأ ابريق الماء يصدر ازيزا ، فافرغ سورم وعاء الشاي فى المغسلة

وغسله بالماء الدافيء . ووجد الشاي على الرف فى علبة مسدودة الغطاء . وبينما هو يحضر الشاي ، نهض غلاسب واخذ يروح ويجيء فى الغرفة ، يبحث عن دلائل التلاعب باشيائه . وقال اخيرا :

ـ انهم اذكياء . لم يتركوا اية اثار .

ـ خذ شيئا من الشاي .

واضطجع غلاسب على السرير ، وهو يزيح المغلف جانبا ، ثم اغلق عينيه. وبدا بوجهه البادي العظام الشاخص نحو السقف ويديه الراقدتين دون حياة على الغطاء ، كأنه جثة هامدة . وقال سورم بهدوء :

ـ مسكين يا اوليفر . اني اعرف هذا الشعور . لم لا تكون الاشياء بسيطة مستقيمة .

وارتفع صدر غلاسب بضحكة باهتة لا تعدو ان تكون زفرة قوية . وقال:

ـ كلا ، انك مخطيء ، انا لا اريد الاشياء بسيطة . لست اريدها هكذا. انا لا اعرف ماذا اريد . لو كانت حياتي بسيطة لكنت كالسمكة التي اخرجت من الماء . لقد تعرفت مرة على ممثلة لها هذه الطبيعة. كانت تصنع التعقيدات فى حياتها . كانت تجعل من علاقاتها الغرامية قضايا متشوشة . فاذا ما سارت الامور باعوجاج ، شعرت على ما يرام . واذا سارت الامور على ما يرام ، شعرت كأنها تفتقر الى شيء .

ـ اعتقد انك تقسو فى حكمك على نفسك ، يا اوليفر .

فاعتدل غلاسب فى جلسته وقال بصوت واهن :

ـ شكرا لله لانه يمنحني مثل هؤلاء الاصدقاء . انهم لا يتركونني اقسو على نفسي .

ولاحظ سورم حزمة الخشب الملقاة على المشبك الحديدي .

ـ ينبغي ان تقتني بعض الفحم ، يا اوليفر . انك بحاجة الى نار .

ـ لدي فحم . انه امام الباب . كنت اهم باشعال النار عندما دخل رجال الشرطة .

ـ دعني اشعلها لك .

فقال غلاسب :

ـ شكرا ، يا جيرارد .

ورشف جرعة من الشاي ثم استلقى على الفراش ثانية، مغمض العينين . ووجد سورم سلة الفحم خارج الباب وسطلا يحتوي على الرماد ، واشعل النار ، بالبارافين اولا ، وسرعان ما كان اللهيب يدوي مرتفعا فى المدخنة . وجلس القرفصاء امام النار . كانت برودة الغرفة قد نفذت خلال معطفه .

وكان غلاسب يضطجع بقميصه وقد فك ازرار ياقته .
ـ الا تشعر بالبرد يا اوليفر ؟
ـ اعتقد ... اني اشعر بالبرد .
ولاح غلاسب كأن اللهيب سحره . فاجتاز الغرفة وجلس على المقعد ، وهو يميل الى الامام ، وكوب الشاي بين يديه .
ـ من الجميل منك ان تتعب نفسك معي بهذا السكل ، يا جيرارد .
ـ كـــلا ، ابـــدا .
ـ لو لم تأت اليوم لكنت انفرزت هنـــاك .
ـ لا يهم . كنت انت تفعل الشيء نفسه لاجلي .
وبدأت السنة اللهيب المنبعثة من البارافين المحترق بالخمود ، ولكـــن قطع الخسب كانت تستعل جي'' . وفي الخارج ، كان المساء يتلفع بالظـــلام رويدا رويدا . وراح سورم يتأمل الغرفة ، وهو يجلس على الكـــرسي الخشبي ، وكم كانت موحشة غير مريحة . وقال غلاسب :
ـ لم يكن لي اصدقاء كثيرون قط .
فقـــال سورم ، وهو يهز كتفيه :
ـ ولا انــــا .
ـ ما قيمة الاصدقاء الذين لا يفهمون المشاكل التي تعاني منها ؟ ينبغي ان تكون لك القابلية على التحدث معهم . مثلا انت ... كان في استطاعتي ان اتحدث اليك بعد خمس دقائق من لقائنا اولا . وهذا امر غير معتاد .
ـ شكـــرا .
واحس سورم بالحراجة قليلا لهذا الاطراء وقال :
ـ لدي نظرية حول الناس . انا وانت شخصان مختلفان تمـــام الاختلاف . انا افكر اكثر مما ينبغي ، وانت تحس اكثر مما ينبغي . انا اؤكد كثيرا على العقل ، وانت تؤكد كثيرا على القلب . وهناك اناس يؤكدون كثيرا على الجسد ... اوستن ، مثلا عندما يحس بالكبت ، فيحتاج الى متنفـــس جسدي .
ـ ومـــاذا تفعـــل انت ؟
ـ اوه ، انا . انا احاول ان اجد طريق الخلاص من المشاكل بواسطـــة التفكير . واحاول ان افصل نفسي من المشاكل . انا لا اميل الى العـــواطف القوية كثيرا ـ انا ارتاب فيها . ولهذا انا لست مرتاحا مع علاقتي باوستن الان .
ـ لماذا ؟ انك لا تضمر له مشاعر قوية ، اليس كذلك ؟
ـ كلا . ولكنه انقذني من الركود . لقد انغمست في مشاكله حتـــى

اصبحت موضوعيا تجاه مشاكلي نفسها . هذا امر لا بأس به ... ولكنه ليس الطريقة الصحيحة لحل المشاكل .

ــ كـلا ؟ لم لا ؟

واحس سورم ، اثناء حديثه ، بانه كان لافكاره صدى لدى غلاسب ، ولكنه كتم هذه الهواجس ، وهو واثق من ان غلاسب سيفهم ، على اية حال . وقـال :

ــ اعتقد انه نوع من الضعف ان تتمادى فى اشتباكك بحياة الاخرين . كنت اعرف فتاة من اولئك اللواتي اذ رآهن المرء راح يقص همومه عليهن . وكان الانطباع الذي تتركه لدى الناس هي انها انسانة باردة العواطف هادئة الطبع ، وكان الناس يعتقدون انها قوية متعاطفة . ولكني عندما عرفتها جيدا اكتشفت انها فارغة من الافكار والعقائد وليس لها ثقة بنفسها ــ في الواقع ، كانت فى حالة من التشوش التام فى داخلها . وكانت تحقق لنفسها شيئا من السعادة بالاهتمام بمشاكل الاخرين . كانت تميل الى الاشخاص التعساء ــ اعتقد لانهم كانوا يشعرونها باستعلائها عليهم ... وعندما كنت التقي باشخاص مثل جيرترود ، الذين يستهويهم النشاط الاجتماعي وتغيير مذاهب الناس ، اتساءل اتراهم يفعلون الشيء عينه .

وقـال غلاسب :

ــ وهـل فى ذلـك مـن ضير ؟

ــ اجل . فيه ضير اذا جعل من الناس طفيليين . قليل من النـاس من هو حقيقي فى داخله . انهم يحتاجون الىالاخرين كحاجة الكسيح الـى العكاز . انظر الي . كنت قبل اسبوعين اشعر بالضياع التام . لم اكن ارغب فى ترك غرفتي لان الشارع كان يشعرني كأني لست موجودا . لقد جعلتني لندن اشعر كأني حشرة ، وعندما عدت الى غرفتي وحاولت ان اكتب ظللت اشعر كأنيحشرة . ثم ماذا يحدث ؟ اذهب الى معرض دياغيليف هذا والتقي بأوستن. واذا بي اكف عن الشعور بأني حشرة . غير ان هذا هو سببمغلوط.

ــ وماذا يهم مهما كان السبب ؟

ــ يهم جدا . كان ينبغي على ان اخلف عالم اوستن ورائي منذ زمـن طويل . انني ذهبت الى معرض دياغيليف لمجرد ميل عاطفي نحو نجنسكي . اني فى الاحوال الاعتيادية لا اطيق رقص الباليه ، حتى ان اخر مرة ذهبت فيها لمشاهدة حفلة باليه كادت أن تسبب لى الاسهال ... مجموعة مـن الرجـال الشاذين جنسيا يتنططون ، والنساء اللواتي يحركن اطرافهـن . فاضطررت الى ترك القاعة فى منتصف البرنامج . ومع ذلك ، فهذا هو عـالم

اوستن . انه انسان رومانتيكي ، وهو ليس حقيقيا في داخله ايضا . انـــه يحتاج الى اللاحقيقية لايقافه عن الشعور بأنه حشرة .

وقـــال غلاسب بنعومة :

ــ نحن كلنا نحتاج الى شيء نتكيء عليه .

ــ ينبغي الا نفعل هذا . لو استطاع كل انسان ان يقتل اوهامه لاصبح الها.

فقـــال غلاسب :

ــ او يقتـــل نفسه .

ــ كلا . . . بل تكون لديه القوة الكافية على الحياة . يموت الناس لانهم لا يعرفون مـــا هي الحيـــاة .

فقـــال غـلاسب :

ــ من يعرف ما هي الحيـــاة ؟

ــ انا احيانا . في بعض الاحيان فقط . ثم اقضي وقتي كله في محاولة استعادة الرؤيـــا .

ــ وما هي طبيعة الرؤيا التي طافت بـــك ؟

ــ كان . . . شعورا بالقبول . حدثت مرة عندما كنت في همبستيـــد حيث انظر الى لندن من ارتفاع . كنت افكر في كل الحياة وفي كل المشاكل . . . ثم احسست فجأة بأني على حقيقتي . ورأيت اوهام الاخرين ، فتلاشت اوهامي ، فأحسست باني حقيقي في أعماقي . وكففت عن التساؤل هـــل ان العالم في النهاية خير ام شرير . شعرت بان العالم لم يعد يهمني . ان الـــذي يهمني ، كان انا نفسي ، سواء اعتبرتها خيرة ام شريرة . وشعرت فجأة باني تحولت الى عملاق . واحسست بالسعادة الى حد سخيف .

وقـــال غـلاسب :

ــ لم يمر بي شعور كهذا قـــط .

ــ كـــلا ؟

وحاول ان يسيطر على الانفعال الذي اثارته فيه كلماته ، وهو ينتظـــر غلاسب ليتكلم ويرقب وجهه الذي بدا نحيفا في وهج النار . وتكلم غـــلاسب بصوت خفيض ، دون تأكيد على الكلمات . وقال :

ــ هذا ليس ما اشعر به انا . . . اعتقد بأني احتاج الى اشخاص اخرين، كمـــا تقول . فمثلا ، عملي السخيف هذا لا يناسبني لانه يجعلني افكر في نفسي ، أما كريستين فانها تفيدني لانها تجعلني افكر في الاخرين . ليس التفكير فيها فقط . انها تدفعني الى الادراك بان هناك مئات ــ بل الوفا ــ من الناس الذين يحيون حياة البؤس التام ، وليس لديهم المجال للاحساس بالاشيـــاء

التي نتحدث عنها . انهم لا ينسعرون كالعمالقة او الالهة ، كما انهم لا يشعرون كالحشرات ايضا . انهم مجرد رجال ونساء اعتياديين ، والجزء الاكبر من حياتهم ينطوي على المعاناة والسأم .

وتوقف عن الكلام وشرب بقية الشاي من كوبه ، ثم وضعه على البلاطات الخضراء التي كانت تعكس اللهيب ودفع براس حذائه المتهريء شظية من الفحم كان الدخان ينبعث منها الى المشبك الحديدي . وقال :

ـ هذه هي الرؤيا التي اراها ... ان كانت رؤيا .

ونظر اليه سورم بصمت ، وهو يدرك البون الشاسع الذي يفصل بين طريقتيهما في الشعور ، ويحس بعبث الكلمات . وانهارت قطع الفحم فوق الخشب المحروق ، فاخذ الشرر يطفر منها . وقال غلاسب فجأة :

ـ ما رايك في الخروج لنأكل شيئا ؟ هل انت جائع ؟

ـ هل تعرف مطعما قريبا ؟

ـ اعرف محلا يمكننا تناول بعض السجق والبيض والبطاطا فيه بشلنين .

فقال سورم وهو ينهض :

ـ طيب . لنذهب .

الفصل السادس

ــ اسف لاني تأخرت .

ــ تفضل . اين كنت ؟ هل تناولت طعاما ؟

ــ نعم شكرا . اكلت هذا المساء مع اوليفر . بقيت معه لنتحدث . كان منفعلا قليلا .

كانت النار لم تزل مشتعلة فى غرفة الجلوس . وكان عقربا الساعة الكهربائية يشيران الى الربع بعد العاشرة . فلمست يده وقالت :

ــ اوه ، يا الهي ، انك لتشعر بالبرد حقا . تعال لتتدفأ . هل لك فى شراب ؟

ــ كلا ، شكرا . كنت اشرب مع اوليفر .

وجلس فى مواجهة النار ومد ساقيه نحوها . وشرعت المس كوينسي بتسوية النار بقطع الفحم الصغيرة ، بعد ان أرتدت قفازا كان على حاجز الموقد .

ــ هل هو على ما يرام الان ؟

ــ نعم . انه اهدأ من ذي قبل ، على اي حال .

ــ هل فحصوا الطفلة ؟

ــ كلا . تلك هي المشكلة . فقد اختفت . وعندما عدنا الى غرفة اوليفر كانت الشرطة قد تحرت غرفته . ويقول اوليفر ان الشرطة قد تتهمه بقتل الفتاة لاسكاتها !

ــ يا للسخف .

ــ اجل . لم يكن جادا فى الحقيقة . ربما شكوا بانه خبأها . على كل ، من الحماقة ان تهرب على هذا النحو . لقد جعلت الامر اسوأ بالنسبة لاوليفر ــ كأن هناك شيئا تخشاه . عندما خرجنا من المقهى شاهد اوليفر احدى صديقاتها فى المدرسة واقنعها بأن تذهب وتنادي كريستين ــ ليتحقق اذا

عادت . لم تكن قد عادت ، بالطبع ، فاخذ الاضطراب يستولي عليه فعلا .
ـ لا يدهشني ذلك ، وهناك قاتل مطلق السراح فى واينسابل .
ـ الم تسمعي بالخبر ؟ القي عليه القبض .
ـ كـــلا . متى ؟
ـ الا تصغين الى الراديو ؟ القي القبض عليه صباح اليوم . قبض على رجل واحد على الاقل ، ويظهر انه اعترف فيما بعد .
ـ طيـب ! شكـرا لله .
ـ لست واثقا من ان القبض على هذا المجرم كان لصالح قضية اوليفر . لو كانت شرطة واينسابل لم تزل يقلقها امر جرائم القتل لاعارت اكتراثا اقــل لرجـــل سكير كهـــذا .
ـ بالضبط . ولكن اين تختفي الطفلة فى اعتقاد اوليفر ؟
ـ أوه ، فى اي مكان . لقد هربت صباح اليوم فقط . من المحتمل انها قضت النهار في سوق بينبكوت لين او قرب احواض السفن. وربما عادت الان الى البيت ـ الا اذا كانت ستقضي الليلة مع احدى صديقاتها. او ربما تذهب الى اولبعر .
ـ آمل ذلك . لا يروق لي ان اتخيلها تطوف فى الشوارع فى ليلة كهذه .
وتعالى صوت المطر على النافذة،كأنه جاء تأكيدا لتلك الكلمات وذهب سودرم نحو النافذة وراح يطل خلالها ، ولم يتبين شيئا فى الظلام .
ـ هل تركت دراجتك خارجا ؟
ـ كـلا . جئت بالقطـار .
ـ افضل . هل تريد شيئا تأكله ؟ سأتناول انا شيئا .
ـ شكـــرا .
واتكأ على الثلاجة وراح يرقبها تقطع شرائح لحم الخنزير . كان الخمر الذي شربه مع غلاسب قد اشعره بالنعاس . وسألها :
ـ هل سمعت من اوسن مؤخرا ؟
ـ كلا ، منـــذ عـدة ايام .
ـ لا اعلم اين ذهب . كنت احاول الاتصال به منذ يومين .
ـ ربما هو الان فى بيته الريفي فى ليدرهيد . فهو يقصده مرارا فـــي عطـــل الاسبوع .
ـ آه ، بالطبـــع !
فنظرت اليـــه بشك .
ـ هل ... تحدثت معه منذ أن كلمتني عنـــه ...

وتركت العبارة دون ان تتمها . وقال سورم :
ــ تناولت الغداء معه يوم السبت .
ــ نعـــم .
لاح عدم الاكراث في لهجتها . وتناول سورم الصحن مع قطـــع السندويتش وعاد الى الغرفة الاخرى . كان المطر يرشق النوافذ بعنـــف . وفتح الفوطة الورقية وتناول قطعة سندويتش ، ثم نظر اليها وهو يبتسم . وقـــالت :
ــ كنت افكر في اوستن منذ تلك الليلة . من المؤسف انه ليس لـــه اقرباء يستطيعون ان . . . يتحدثوا معه حول الموضوع . ليس هنالك مـــن يعرفه معرفة وثقة ليكون صريحا معه .
ــ مـــاذا بمكنهم فعله ، على كل حـــال ؟
واخفضت قطعة السندويتش بدلا من ان تقضم منها ، وراحت تنظـر اليـــه ملبـــا . وقـــالت :
ــ لعلهم يقنعونه بمراجعة طبيب .
ــ هذا صحيح . ولكن من الناحية الثانية، ربماسيشعر بانهم لايفهمونه فيطلب منهم الكف عن مضايقته .
ــ لا مهم . اذا كان الشخص على وشك ان يموت نتيجـــة مرض ما فلا تسأله هل يريد علاجـــا .
ــ اوستن ليس على وشك الموت . كما لا اظن ان النزوع الى الجنس المشابـــه يعتبر مرضا .
واحس بالخيبة تتنامى في اعماقها ، ورفرفت عيناها من الامتعاض .
ــ ولكن ينبغي أن تكون لديه الفرصة ليعيش حياة طبيعية . انه سيرث ثروة كبيرة من المال والاملاك . ويجب أن يكون له طفل يرث عنه هذه الثروة. يجب ان تكون له الفرصة للزواج والاستقرار .
فقـــال بصبر :
ــ افهم وجهة نظرك . ولكني اشك في ان اوستن يريد الاستقرار . كما لا يمكنني ان اتصوره زوجا ! ثم لم تريدين تغيير حياته ؟ انه ليس شقيا ــ على الاقل ، ليس لهذا السبب . ماذا تقولين لو طلب اوستن منك فجأة انتراجعي الطبيب ليشفيك من الدين ؟
ــ اوه ، لا تكن سخيفا ، يا جيرارد !
ــ واذا كان الزواج والاستقرار بهذه الاهمية لم لم تتزوجي اذا ؟
وامتقع وجهها،ومرت به لحظة توقع فيها تقريعا. ولكنها ابتلعت بقيـــة

قطعة السندويتش وقالت بصوت متزن :

ــ لا تشابه في الحالتين اطلاقا .

واحس ، وهو ينظر في وجهها ، رقة غريبة : كانت على حق ، لا تشابه في الحالتين اطلاقا . وخطر له ان يكون صريحا معها حول اوستن ، ولكنه عدل عن الفكرة على الفور . وقال عوضا عن ذلك :

ــ حسنا . . . ان رغبت ، فسأحدث اوستن عن الامر ــ باسلوب لبق . ولكني اشك في ان يكون لذلك اي اثر عليه .

وطاف في عينيها شيء من اليأس . وقالت :

ــ لعلك على صواب . وربما ينبغي الا ادس انفي في الموضوع . انا مغرمة باوستن . انه الشخص الوحيد في العائلة الذي اكترثت له الى هذا الحد .

فقال برفق :

ــ اتدرين ، لا يمكنك تحمل مسؤولية الاخرين . افضل ما يمكنك فعله هو تقديم المساعدة عند الحاجة .

ــ ولنفرض ان اوستن بحاجة الى مساعدة ؟

ــ الا تدركين ، يا جيرترود ، انه لا يمكنك المساعدة الا عندما تفهمين الامر بصورة تامة ؟ ان مراجك ليختلف كثيرا عن مزاج اوستن بحيث لا يمكنك اسداء العون .

ــ لم تقول ذلك ؟ هل تعتقد اني لم اشعر قط بالطريقة التي يشعر بها اوستن ؟

فقال :

ــ لست ادري . هل شعرت كذلك ؟

ــ كنت اريد ان اطلق العنان لكل رغباتي. واعتقد هذا هو ما يريده اكثر الناس . كان اوستن محظوظا ــ لديه دائما المال ليذهب اينما يشاء ويفعل ما يشاء ، ولم يحاول احد ان يتدخل في اموره . وبكلمة اخرى كان محظوظا لانه كان ينعم بحرية واسعة . ولكنه في حقيقته انسان طيب . ولا يمكنه ان يحطم الطيبة فيه مهما فعل .

ــ لعلك على حق . ولكن الا ترين ؟ مسألة انك اردت اطلاق رغباتك لا تعنى انك تفهمين رغبات اوستن .

ــ هل تفهمها انت ؟

ــ انا . . . لست ادري . اعتقد انني ربما افهمها ؟

ــ اوضحها لي اذن .

واخذ يتغرس فى النار ، وهو لا يحس بالرغبة فى الكلام . كانت الآمسية التي قضاها مع غلاسب قد اتعبته . ولما ادرك الاصرار فى عينيها قال اخيرا :

ـ انه شعور الانسان بانه يقف على طرف سائب ... دون ان يكون له احساس بغاية أو دافع ـ السعور بالانقطاع . يحس الانسان كأن وجوده لا معنى له . وتمر به احيانا لمحات من الرؤيا ـ يرى فيها ان حياة الانسان خالية من المعنى فعلا ، غير انه مدعو الى اضفاء نوع من المعنى عليها . ويحس فجأة بانه ينبغي عليه ان يكف عن الحياة كممتل رديء يؤدي دورا فى مسرحية من المرتبة التانية . انه يشعر بان عليه انيبدأ علىنحو ما بالعيش بصورةلائقة. وعلى كل حال ، فالحياة البشرية كلها محرمات وقوانين وقواعد . وعليه ، فأول ما يفعله ـ من يريد ان يبدأ الحياة من جديد ـ هو ان يخرج عن هذه القواعد والقوانين . هذا هو الشعور الذي ينتاب الانسان تجاه الحياة . امـا نوع القواعد والقوانين التي يريد ان يخرقها فيعتمد عليه . الرجل المصـاب بقلق عصبي لشعوره بانه مسلوب الامتيازات من الناحية الاجتماعية قـــد يسطو على بنك او يلقي قنبلة على مجلس اللوردات . غير ان اكثر النـاس يسعرون بانهم مسلوبو الامتيازات من الناحية الجنسية ، وعليه من المحتمـل اكىر ان يكسر القواعد المتعلقة بالجنس ...

وكبح رغبته فى اتمام حديثه . وانتظرته ليمضي فى كلامه ، ىم قالت : بعد لحظة ، بلهجة حزينة :

ـ انه لا يدرك ان هناك طرقا اخرى ... لتحقيق حياة مليئة . اتمنى لو استطيع ان اعلمه اياها .

اثار الاستسلام الذي كان فى صوتها رافة غامضة لديه ، والفى نفسه يتمنى لو تكون جالسة الى جواره على الاريكة حيث يمكنه لمسها . ولكنـه احس حالا بانه لا يتق بشعوره هذا ، عندما تذكر كيف حاول ان يلمسها اخر مرة . فنهض وقال :

ـ ينبغي ان اذهب الان ... معذرة لحظة .

وفى الحمام ، فتح النافذة وراح يلقي من خلالها نظرة على المرتفعات . كان المطر يهطل باستمرار . وراحت بعض القطرات تنحدر على وجهـه . كان طست الغسيل مليئا حتى منتصفه بملابس منقوعة بالماء والصابون . وانحنى فوق حوض الحمام وغسل يديه من صنبور الماء الحار . وجلس على حافة الحوض ليجفف يديه ، وهو يستمتع بدفء المنشفة ونعومتها ،ويدهش للسعادة التي اخذت تسري فى اعماقه ، والشعور بالتوقع .

كانت ما تزال جالسةامام النار. وكان شيء فى هيأتها ، في ساقيهـا

المعقودتين ، في حذاءيها المتدليين من قدميها الصغيرتين ، يوحي بانهـا اصغر سنا . وقال :

ــ في اي ساعة يغادر القطار همبستيد ؟

ــ لست متأكدة . ان القطارات تغادر مبكرا أيام الاحاد . ربما غادرت الان .

ــ ينبغي ان اسرع .

ــ لا يمكنك ان تذهب الان. سيغمرك المطر. اليس الافضل ان تمكث هنا؟

فسألها بدهشة :

ــ طول الليل ، تعنين ؟

ــ يمكنك ... ان اردت .

ــ وسمعتك بين الجيران ؟

فلوت راسها عن وجهه المبتسم :

ــ لا يعنيهم الامر ، اليس كذلك ؟

ــ طيب ... شكرا جدا . اين انام ؟

ــ هنا . او في غرفة كارولين ، ولكن اخشى انه ينبغي ان تكتفي باغطية كارولين ان نمت هناك ..

ــ لا بأس . لا يهمني ابدا .

ــ وضعتها اخر مرة جاءت عندي . لا بد انها نظيفة . اليس الافضل ان تنام فى الطابق العلوي ؟

ــ لا يهم . فى اي مكان يسبب اقل ما يمكن من الازعاج ...

ــ ساذهب لاشعل النار .

وشعر بأنها سرت لخروجها من الغرفة . وتساءل ترى هل احرجتها فجأة فكرة تقديم فراش كارولين له ، بعد ان ادركت انها رمز لتهيئة الالفة بين سورم وكارولين . وبعد لحظة من التردد تبعها الى الطابق العلوي .

كانت تغير غطاء الوسادة عندما دخل الغرفة . وكانت الاغطية قد قلبت الى الخلف لتتعرض للهواء . وكانت قضبان المدفأة الغازية تزداد احمرارا كلما ازدادت حرارة والتقط دشداشة نوم من النايلون كانت قد انزلقت من السرير ، وسأل :

ــ هل هذا يخص كارولين ؟

فاختطفتها منه ووضعتها فى احد الادراج وقالت :

ــ كلا . انها لي وكانت قد استعارته .

وخرجت من الغرفة وهي تقول :

ـ ساحضر لك قنينة ماء حــار .

ونظر الى صورة كارولين ، وخالجه شعور يكاد يكون شعورا بالالم . وادرك بشيء من الدهشة ، انه كان يشعر بالحب لكارولين . كان اكتشافا غير متوقع،لا بد ان هذا الشعور نما فيه منذ ان رآها اخر مرة. وفي ذلك الحين، لم يكن يشعر بغير الحنان المسلي والامتنان الذي هو الجواب على تقديــم المــراة جسدهــا .

ودخلت المس كوينسي بينما كان ما يزال يتطلع في الصورة وسألت:

ـ هل تميل الى كارولين ؟

ـ بالطبع . انها فتاة حــلوة .

والقت قنينة الماء الحار داخل الفراش واعادت الاغطية وقالت فجأة :

ـ نسيت اني تركت حوض الغسيل مليئا الى منتصفه بالملابس . كنت بدات بغسلها عندما جئت . والافضل ان اكمل الغسيل الان . هل تريد ان تنــام الان ؟

ـ ا . . . لا ، ليس ضروريا . لمــاذا ؟

ـ اعتقد انني سأذهب الان . احس بشيء من التعب .

وتبعها خارج الغرفة ، وهو بحس بتوترها . وتساءل هل ندمت لدعوته للبقــاء . وسألت :

ـ هل لك ببعض الشيكولاتة الحارة قبل ان تذهب للنوم ؟ ساهــيء قدحــا لي .

ـ شكــرا ، نعم .

ودخلت غرفة الحمام ، وسمع تكتكة القفل . وراح يحدق في الباب وهو يهز راسه . لقد اذهله تقلب مزاجها . ونزل الى الطابق الارضي ببطء ،وفكرة مغادرة المنزل تداعب رأسه ، ثم تخلى عن الفكرة،لقدكانت قد هيأت الغرفة.

وفي غرفة الجلوس شرب قليلا من المارتيني الحلو واستلقى عــلى الاريكة ، وراح يفك شريطي حذاءيه . واكل بقية سندويش لحم الخنزير ، واخذ يحدق في الظلال المتحركة على السقف . وتذكر التعابير التي ارتسمت في وجه المس كوينسي وهي تتحدث عن اوستن ، واحس ثانية بانه متسلــح بالدفء واخذ يفكر بمرح : لهذه العائلة موهبة في بث الحنان . ولكنهــــم جميعهم ضعفاء : اوستن ، كارولين ، جيرترود . انهم بحاجة الى الاخرين .

غريب ، هذا الحب الذي لا علاقة له بالجنس . احس به تجاه اوستن ، وتجاه كارولين. وتجاه جيرترود ايضا. ولكن بصورة اقل بالنسبةلجيرترود. لماذا يكون من المفروض الا يقع الانسان في غرام اكثر من شخص واحد ؟

وفيما هو غارق فى هذه الافكار راح فى اغفاءة خفيفة على صوت الماء الذي كان يسمع جريانه من الطابق العلوى .

واستيقظ فجأة واعتدل قليلا . ودخلت جيرترود كوينسي بعد قليل وهي تحمل قدحا على صحن . كانت مرتدية دشداشة نوم زرقاء محزمةعند الخصر ، وخفين من النوع الذى يستعمل فى غرف النوم . وكان شعرها ينسدل الى ظهرها .كان شعرها اطول مما كان ينصور . وبدا وجهها الخالي من المساحيق شاحبا .

ــ كم الساعة ؟

ــ بعد منتصف الليل .

ــ كنت نائما .

ــ اعلم . جئت توا . انا ذاهبة للنوم .

ــ انتظري لا تذهبي الان .

كانت قد وضعت القدح على الطاوله قرب الاريكة . فمد يده وامسك بيدها قبل ان تبتعد وسحبها برقة .

كانت يدها نحيفة وباردة . وعندما جلست رفع يدها نحو شفتيه ولثمها . ولم تبد اية مقاومة .

ــ انك باردة .

ــ اعلم . احس بالبرد دائما بعد الاستحمام .

وحاول ان يسحبها نحوه الى جنبه ، وهو ممسك خصرها . ولكنها قاومته قليلا ثم نهضت . وقالت :

ــ تركت قدح السيكولاتة خارجا .

وراح يتسمع بينما ذهبت الى المطبخ ، ثم عادت وهي تحمل قدحها . وعندما جلست بقربه ثانية،احس برعدة من اللذة . كان واثقا انها ستجلس على الكرسي الاخر . وقال :

ــ ضعي قدميك على الاريكة .

ــ كلا .

ــ ارجوك .

ــ كلا ، يا جيرارد .

فسحبها من خصرها وجعل توازنها يقلق . فلما استند جسدها اليه ، كرر قائلا : ارجوك .

فرفعت قدميها ووضعتهما على الاريكة الى جنبه وهي تدفع بهما طرف ردائها . وفى الحال سحبها اليه ومال ليقبلها ، ولكنها لوت رأسها فمست

شفتاه جيدها . كان جسدها بارداً . ولم يحاول ان يقبلها عنوة وهو مسرور لاحساسه بالتصاقها به والدفء يسري في برودتها وجيدها ملتصق بوجهه . وقبل اذنها وجانب وجهها وراح يعبث بشعرها بيده الاخرى . كانت ترتعس وهي قربه ، ثم خفتت حركتها كأنها ميتة . كانت عيناه مغلقتين . ومد يده وتناول غطاء مقعد السيارة الذي كان معلقا على ظهر الاريكة وفرشه فوقهما ، ثم رقد الى جوارها ، واغلق عينيه ، واحس بالرضى يسري في عروقه برعشات خفيفة . وفي ظلام عينيه المغمضتين ، نسي انها ترقد بجنبه،واحس بان كل الافكار والدوافع قد انجلت عنه ولم تترك غير هذه الراحة الجسدية . ولم تأت بأية حركة ، كانت انفاسها الدليل الوحيد على انها كانت حية . ثم اعتدلت في جلستها وقالت :

ــ الافضل ان نشرب هذا .

ودفع نفسه الى الجلوس واخذ القدح منها . وشربه وهو يستند الى مرفقه وكتفه على الوسادة . كان فاترا ، فشربه على عجل . ولم ينبس احدهما بكلمة . وعندما اخذت القدح منه ، اضطجع ثانية ، وبعد قليل رقدت هي الى جنبه ايضا . ولم تحاول هذه المرة أن تبعد شفتيها عندما هم بتقبيلها . واثارته شفتاها الرقيقتان ، وضغط عليهما حتى انفرجتا قليلا وهو يتنفس عميقا . كانت سلبية تماما . وراح يتحرك بحذر عندما احس بالتهيج يعلو فيه . فتعمد الاسترخاء ورقد الى جوارها ثانية وسحبها اليه . كانت راحة يده اليسرى منبسطة على ظهرها تنقل اليه شعورا حسيا لذيذا بنعومة الحرير الذي يلف جسدها . كانت اللذة التي احس بها توترا في اعماقه يتحدى الزمن ــ كان يكفيه ان يحس بقربها منه . ومرت لحظة ، احس بوعيه يتمطى فيصبح كاملا ، يدرك الماضي والحاضر والمستقبل كشيء واحد ، يفوق الشك الذاتي.. وعندما نظر اليها عرف انها لم تكن تفكر ، كانت ترفض التفكير متعمدة . وظل راقدا يرقب النار تخبو شيئا فشيئا وعقرب الساعة الكهربائية ينتقل من النصف بعد الثانية عشرة الى الواحدة . وبالرغم من انها لم تتحرك ، علم انها لم تكن نائمة . واحس برغبة في النوم :

وقالت بصوت خافت :

ــ لنذهب الى الفراش .

وبقيت برهة راقدة بلا حراك ، ثم تململت واخرجت ساقيها من تحت الغطاء . وتركها تخرج من الغرفة اولا ، ثم نهض واخذ يتمطى . كان القدحان الفارغان على البساط ، فالتقطهما ووضعهما على الطاولة . ثم ترك غرفة

الجلوس واطفأ النور . وعندما مر بغرفة كارولين دخلها واطفأ المدفــــأة الكهربــــائيــة .

كان باب غرفتها مسدودا ، ولكنه انفتح عندما دفعه . كانت الغرفة غارقة في الظلام . وصدر صوتها من الفراش وهي تقــول :

ــ ارجوك ان تذهب ، يا جيرارد .

فقــال برفق :

ــ لا تكــوني سخيفة !

وخلع ملابسه في الظلام ودخل الفراش الى جنبها . كانت ترتدي قميص نوم رقيق ، كذلك الذي رآه في غرفة كارولين . وعندما مسه بجسده العاري احس سورم بهدوئه ينهار . وبدأ يقبلها . وعندما انسحبت بعيدا عنه قال :

ــ اما كنت تحسين بالخيبة لو نمت في غرفة كارولين ؟

وكان صوتها همسا ، كانها تخاف ان يسمعها احد :

ــ لم اكن اريد هذا ان يحدث . لم افكر بهذا عندما دعوتك . . .

ــ اعلم ذلك . ولكن الان ، عندما صعدت ، هل كنت تريدين مني ان اذهب الى غرفــة كارولين ؟

ــ لــ . . . لست ادري .

وادرك ان هذا صوت امراة ترفض التفكير . وبدأ ينزع عنها قميص النوم .

ــ لا ، ارجوك . يجب الا تفعل ذلك .

ــ دعيني اخلعه . اريدك عارية .

ــ لا يمكن . لم يحدث ذلك لي قبــلا .

ــ طيب ، لن افعل شيئا . ولكن دعيني اخلعه .

فحركت جسدها لتدعه يخلعه عنها . والقى به على الارض . وعندما احس بجسدها ملتصقا بجسده علم أن لا شيء يمكن ايقافه عـــن المضي . وبالرغم من مخاوفها والوعد الذي قطعه ، سيحدث الامر ، وان جسديهمـــا ليعرفان ذلك . واحس بها تستسلم ، وتلين في الوقت الذي كـــان يتحرك فيـــه نحوهـــا .

* * *

وبدأ الفجر يتسلل من خلال الستائر . ونظر اليها خلال النور الباهت فراى عينيها مفتوحتين .

ــ كيف تشعرين ، يا عزيزتي ؟

ــ لا زلت حيـــة .

ـ لمـــاذا ، هل ظننت ان العملية ستقتلك ؟
ـ لفترة قصيرة ، نعـــم .
وقبلها واحس بارتعاشة من الحنان ادهشته . ونظر الى وجهها ، كان شعرها مبعثرا على الوسادة . وقـــال :
ـ امـــر مضحك . . .
ـ مــــاذا ؟
ـ اعتقد . . . اني وقعت في حبك قليــلا .
فقـــالت :
ـ جيـــــد .
واطبقت ذراعيها حوله وهي تشده اليها . وقبل وجنتها وشعرهـــا فوق اذنهـــا . وقال :
ـ ما اسخف الامر ، يا عزيزتي . ماذا نفعل ؟
ـ ماذا تريـــد ان تفعـل ؟
ـ ان ابقى على هذا الشكل ستة شهور . على هذا الشكل تماما .
ـ لا تستطيع . تصاب عندئذ بتشنج العضل .
ـ اعلم . ويدخل الملل اليك . وافقد انا شعوري . ماذا تريدين ان تفعلي؟
فقبلت اذنه ، وهي تداعب الشعر النابت على فكه بيدها اليسرى .
ـ ماذا تريد ان تفعله انت .
ـ الا تشعرين . . . بالندم . . . لما حدث ؟
ـ كــــلا .
ـ ماذا تعتقدين ان الاخ روبنز سيقول :
ـ لا يهمنـــي .
وترك دفأها يسحبه ثانية ، فيدفع جسده عبر جسدها ويحس كانه يفنى فيها . وشعر كانه يقبلها للمرة الاولى . لقد جعل منها الليل انسانا اخر .
وقال هـــامسا في اذنها :
ـ انه امر مضحك . . . لم يحدث لي بهذا الشكل قبلا .
ـ لم يحدث ؟ ما هو الاختلاف ؟
ـ اشعر . . . كاني وقعت في حبك .
ـ جيـــد .
ـ تقولين دائما « جيد » هل الامر « جيد » الى هذه الدرجة ؟
فهزت راسها ، ووجهها على شعره ، وجسدها يتحرك برفق . وقال :
ـ اتعلمين ، يقول توماس مان ان الكلمات التي تتلى في مراسيم الزواج

لغو : سيكون هذان جسدا واحدا . ذلك لان الجنس يعتمد على الغربة ، على الاكتشاف . ولكني لا اصدقه . فمن الممكن لشخصين ان يكونا جسدا واحدا ...

ـ كفاك تفلسفا ، يا جيرارد .

فقال ضاحكا :

ـ انك على صواب .

وظل راقدا بجوارها ، وذراعه حول كتفيها ، وهو ينظر الى السقف .

ـ اخبريني بشيء ، يا عزيزتي ؟

ـ ما هو ؟

ـ لم لم يحدث ذلك قبلا ؟اعني لك ؟

ـ لست ادري . انه لم يحدث فقط .

ـ كنت لا تريدين ان يحدث ؟

ـ ليس ذلك . كان ... اوه ، دعنا لا نتحدث في الموضوع .

ـ حسنا .

ـ ساخبرك يوما ما . ليس لاني اريد ان اخفي شيئا .

ـ كلا . ليس لديك ما تخفينه ، على كل حال . لست من هذا النوع .

ـ ولا انت .

ـ هممم . لست ادري . هنالك حادثة او حادثتان تحرجاني ...

ـ انا لا اكترث لها .

ـ لست واثقا . قد تزعجك احداهما .

ـ لماذا ؟

ـ اوه ، لا شيء ...

ـ هل تتعلق بي ؟ أن كانت لاتتعلق بي ، فلن اكترث .

ـ طيب ، تتعلق بك ، بطريقة ما .

وظلت راقدة بلا حراك . وسألت :

ـ ليس اوستن ، طبعا ؟

ـ اوستن ؟ لم يجب ...؟ لا اظنك تتصورين ... كلا ! هل هذا ما تعنيه ؟

ـ انا اسفة . اعرف انه من السخف ...

وقبل وجهها ضاحكا .

ـ مسكينة يا عزيزتي ! تظنيني بهلوانا جنسيا ؟

ـ كلا . لم اظنك ذلك . كيف اذن يتعلق الامر بي اذا لميكن اوستن ؟

ثم انسحبت قليلا لتنظر الى وجهه وقالت فجاة .
ــ اخشى ان تكون كارولين ، هــا ؟
ووجد من العسير الاجابة حالا . فكررت سؤالها :
ــ كـــارولـيــن ؟
ــ نعـــــم .
ــ اوه جيرارد ! . . .
ــ اوه جيرارد !. . . ولكنك التقيت بها منذ اسبوع واحد فقط .
ــ اعلـــــم .
ــ ولكن . . . ماذا حدث ؟ بالتأكيد . . . لا يمكن ان تتطور الى هـــذا الحـــد فى اسبـــوع واحـــد ؟
ــ الم تتطور علاقتنا خلال اسبوع واحد ؟
ــ تعني . .؟ هـــل حدث ما حدث ؟
ــ اجـــل .
ــ ولكن متـــى ؟ وكيف ؟ كيـــف حدث ؟
وسحب نفسه بعيدا عنها ، واستند الى مرفقه ، حيث امكنه رؤيـــة وجهها . وقـــال والجهد باد عليــــه :
ــ عزيزتي ، لا يجدي شيئا ان تسألي كيف تحدث هذه الاشيـــاء . انها فتاة حلوة . وفى اول امسية خرجت معها ، قالت انها تود ان اكون عشيقها . . . ولم اعارض . اعتقد انه شيء شرير جدا ، ولكني لم اكن ارغب ان اكـــون انسانا فـــاضلا . . .
وظلت راقدة وهي تنظر اليه . ولاحت عيناها واسعتين الى حـــــد غريب ، وشفتاها ممتلئتين جدا . وسألت :
ــ هـــل تحبها ؟
واعطاها الجواب الذي كانت تبغيه :
ــ كــــلا .
ــ هـــل تحبـــك هي ؟
ــ لا اظن ذلك . من المحتمل انها تهيم حبا بي ، ولكن لا يمضي اسبوع الا وتكون قد هامت حبا بممثل او مؤلف . .
فقـــالت عـــلى مهـــل :
ــ لست ادري ماذا اقول بالضبط . . . فانك اذن عشيق كـارولين وعشيقـــي ؟
ــ كنت عشيق كارولين ، اذا اردت الدقـة .

ــ قررت الا تكون عشيقها بعـــد ؟
فقـــال بلهجة صارمة :
ــ اسمعي ، يا عزيزتي . لنجعل الامر واضحا بيننا . لقد اخبرتـــك بالامر لانه ليس من الصواب ان احتفظ به سرا . على كل حال ، رايت مـــن الافضل أن اعلمك به . فاذا اردتالان ان تطرديني وتطلبي مني الا اعـــود ثانيـــة ... طيب فقد توقعت ذلك . اكان الافضل الا افضي اليك بسيء ؟
ــ كـلا . اعتقد انني كنت ساعلم في الاخير . ولكن ماذا تريدني ان افعـــل الان ؟
فرقد ثانية وسحب الغطاء حتى كتفه .
ــ لست ادري يا عزيزتي . فكري في الامـــر .
وراح يحدق من خلال النافذة ، ثم على منضدة الزينة التي كانت تبدو واضحة في ضوء الفجر . وقالت بعد قليل :
ــ انا لا افهم كارولين . هل تفعل مثل هده الاشياء دائما ؟
ــ كلا . على الاقل ، لم يسبق لها ان ... تدهب الى هذا الحد .
ــ ولكنها طلبت منك ان تكون عشيقها ؟
ــ لا تلقي اللوم عليها كليا . فيلزم شخصان للمضاجعة . على كل حال، لا فائدة من تقديم الاعذار . كل ما اعرفه هو ان الامر حدث الان .
ولما لم تجب انقلب على جنبه واخذ ينظر اليها . وفي الحال، كبح رغبته في ان يحيطها بذراعيه . وقـــال :
ــ طيب ... انا اذن مطرود .
ــ اتريد أن تكـون كذلـك ؟
ــ كـــلا .
فابتسمت له ، كانت الابتسامة حزينة مقتضبة .
ــ اذن فـلا اظنك مطرودا .
فمال فوقهاوطبع قبلة على حاجبها، فاحس بمذاق اهدابهاالمالحة. وقال:
ــ مسكينة يا عزيزتي . انا أسف ، انا حقا اسف . ولكن ... ماذانفعل؟
ــ عمـــاذا ؟
ــ حول كارولين . من المفروض ان اراها الليلة . وعلى كل حال ، ماذا ينبغي ان افعل بشأنها ؟ ينبغي ان اكف عن لقائها . ولكن يمكنك ان تتحسسي مصاعـــب ذلـــك .
ــ هـــل تريد فعلا ان تكف عن لقائها ؟
ــ نعـــم .

فضحكت فجـــأة :

ــ ما اسخفك حقا . بالله لم تكون علاقتك مع ابنة اخي بالذات ؟

ــ انا اسف يا عزيزتي . انــا حقــا اسف ...

ــ افرض أنك غيرت مسكنك ؟ تنتقل مثلا الى همبستيد ؟ اعــرف غرفـــة قريبـــة ...

ــ لا يمكنني ان افعل ذلك . سيبدو ذلك جبنا مني . ان الحل الوحيد الذي يخطر فى ذهني هو ان اكتب لها رسالة اخبرها فيها بأني سافرت الــى خارج انكلترا .

ــ لم لا ؟ يمكنك الذهاب الى باريس أو روما لبضعة اسابــيع . ستعثر على شخص اخر اثنــاء غيابـــك .

ــ أوه ، لا يمكنني فى الواقع ان ارحل الى الخارج . ليس لي المــــال . غير انه يمكنني الذهاب الى اهلي لبضعة شهور ــ فى يوركشاير .

فقـــالت بتردد :

ــ آن رغبت ... ففي امكاننا أن نذهب كلانا الى باريس لنقضي عيد الميلاد وعيد راس السنة . وحتى بعد ذلك لا حاجة ان نعود . اعرف بيتـــا فى منطقـــة البحيرات ...

فمـــال عليها وقبلهـــا .

ــ لا تكوني سخيفة . انا لا آخذ نقـــودك .

ــ لم لا ؟ لو كنا متزوجين لاخذت مـــالي ..

وتوقفت فجأة . ومرت به برهة ، لم يكد يحس بأن قربها اليه كان يبعث فيه الهيجان الذي كان ينبعث من يده وهي تتحسس نعومة جسدها ، وقال :

ــ هل تريدين الزواج منـــي ؟

ــ لا يهمني . اريد ان افعل مـــا ترغبه ...

ــ مـــا اعذبك ... ولكن هذا ليس بجواب .

ــ ولكن فى امكاننا ان نغادر لندن ، يا جيرارد . لم لا يمكننا ان نفعل ذلك ؟

ــ سأخبرك بالسبب الرئيسي ، يا عزيزتي . لا يمكنني ان اتخلى عن اوستن .

ــ وما دخل اوستن فى الامر ؟

ــ لا ... لا يمكنني ان اوضح .

ــ ولكن ... انني لا افهم . هل وقع اوستن فى مازق ؟

ونظر الى وجهها المذهول ، واحس بالشك الذي تضمره له فى اعماقها وقـــال :

ــ اسمعي ، يا عزيزتي ، لننهض ونهيء شيئا من القهوة . وسأحاول ان

اشرح المسألة لك . ولكن دعيني افكر فيها قليلا .

ودون ان تتكلم ، انزلقت خارجة من فراشها . وراح يتفرس بأعجاب في جسدها النحيف المتماسك وهي تتحرك في الغرفة . واختطفت دشداشة النوم من كلابة خلف الباب وانحنت لتشعل المدفأة الكهربائية . وبقي لوحده واخذ يصغي الى المطر الذي اخذ ينقر النوافذ برفق .

وتدحرج قليلا فاحس بدفء البقعة التي تركتها ، فبعثت فيه شعورا بالدفء والشفقة . ودفع الاغطية وانزل قدميه على البساط . كان الهواء باردا ، فلبس قميصه على عجل ، واخذ يفكر وهو يقف قرب النار : هل احبها ؟ هل ممكن ان احبها بعد ليلة واحدة ؟

ووضع الحزام في سرواله ، ثم توقف واخذ يدفيء يديه وركبتيه . انها لمشكلة ان تكون موزع النفس . لا يمكنك أن تتكهن . اشعر كاني واقع في حبها الان ، وماذا عن غد ؟

كارولين . انها فتاة عذبة ، ولكن احساسي معها يختلف . كانت حتما ستعلم بأمر جيرترود في الاخير . وعلى كل حال ، ليس من الحكمة الارتباط بجيرترود ارتباطا دائما . بعد عشر سنين ، ستبلغ ما يقارب الخمسين من العمر ، ولا اكون انا قد بلغت الاربعين بعد .

واخذ يتفرس في صورة فوتوغرافية لها على طاولة الزينة . كانت في بذلة ممرضة ، وكانت تبدو اصغر سنا بعشر سنين . كان لعينيها التعبير نفسه الذي لاحظه في وجهها قبلا وهما في الفراش . كانتا عينين حكيمتين فيهما شيء من الذعر . وخطر في ذهنه : ولكني احبها في هذه اللحظة . حتى اذا استمر حبي الى غد فقط .

وكان المطبخ دافئا . وكان ابريق القهوة يغلي بفقاعات على الموقد . وانحنى عليها وقبل جبينها . كانت بشرتها صافية صحية ، فسره ذلك . وقال:

ـ انك تشبهين « لوريلاي » بشعرك المنسدل على ظهرك .

ـ ولكني لا اشعر بشعور «لوريلاي» .

فضحكت ومرت باصابعها خلال شعرها .

ـ كيف تشعرين ؟

ـ شعوراً غريبا . لست معتادة على الجلوس بدشداشة النوم امام رجل .

ـ لا يهم . تبدين رائعة . بل وتبدين اروع وانت عارية .

ـ كلا ، لا ابدو كذلك .

فازاح رداءها ولثم طرف ثديها .

ـ بل تبدين رائعة . لك جسد مدهش . كجسد ... فتاة شابة .

وتوقف فى اللحظة التي كان على وشك ان يقول فيها : كجسد فتاة فى السادسة عشرة . ولكنها لاحظت تردده ، فابتسمت له ، ولاح فى عينيها خبث مفاجيء .

وقال ضاحكا :

ــ اعتقد انك تقراين الافكار .

ــ لست كذلك ... معك .

وقال :

ــ الا تكترثين حقا ... حول كارولين ؟

ــ بالطبع اكترث . واتمنى لو انه لم يحدث . ولكن لا فائدة من هذا السمني . وعلى كل حال ... ما مضى مضى ... اليس كذلك ؟

واحاط خصرها بذراعه ، وسحبها اليه بينما كانت تمر به . وقال :

ــ اجل . انا ايضا لا اكترث .

وضعت كوب القهوة امامه ، وسكبت حليبا ساخنا فبه ، وهي تمنع القشطة من التسرب بواسطة مصفاة .

ــ ولكن ما هي مشكلة اوستن ؟

ــ أه نعم ... اوستن .

وانتظرها حتى جلست فى مواجهته واخذت تصب القهوة .

ــ طيب ، اظن انه من المحتمل ان تكون لاوستن متاعب مع الشرطة .

ــ لماذا ؟ ماذا فعل ؟

ووضع السكر بالملعقة فى قهونه وهو ينفرس فى غطاء المائده . كان من العسير عليه شرح الامر بطريقة رقيقة :

ــ على كل ... اتذكرين انك حدثتني مرة عن ولعه بتحطيم الدمى عندما كان طفلا ؟

ــ نعم .

ــ لم كان يفعل ذلك ، فى اعتقادك ؟

ــ لـ ... لست ادري . كثير من الاولاد لا يحبون الدمى ، يعتقدون انها سخيفة . انه نوع من التعبير عن الازدراء .

ــ ربما . ولكن ، تمر باوستن فترات متعاقبة يحدوه فيها دافع قوي لتحطيم الاشياء ، او ايذائها . يدعى هذا السادية .

ــ سادية !

وانسكبت قهوتها فى الصحن . فوضعت الكوب واخذت تحدق فيه . فقال على عجل :

ـ اوه ، لا تضطربي . قد لا يكون الامر بالسوء الذي تظنينه . ولكن النقطة هي ... انه معروف لدى الشرطة بانه سادي .

ـ ولكن كيف ؟ لماذا ؟

ـ ولكن كيف ؟ لماذا ؟

فقال وهو يهز كتفيه :

ـ لانه يختلط بناس لا يهمهم ان يتلقوا الضرب من اجل المال . وهؤلاء الاشخاص معروفون لدى الشرطة . على كل حال ، لا اطيل الكلام عليك ، انه من المشبوهين بصورة اوتوماتيكية فى قضية مثل قضية حوادث القتل فى وايتشابل . هنالك بالطبع الاف المشبوهين الاخرين .

ـ ولكن الرجل قبض عليه ... كما قلت .

ـ اعلم . اذا كان هو الرجل المطلوب ، فالقضية انتهت الان . ولكنه قد لا يكون القاتل .

ـ انا ... لا افهم . اوستن لا يمكنه ايذاء احد . لا يمكن مطلقا ان يكون قاتلا . ممكن ؟

ـ اعلم . واتفق معك . ولكنه زج نفسه فى موقف كريه . لو كان عاقلا ، لغادر القطر سنة واحدة . لستاعلمنوع المشكلة التي وقع فيها . اظن انه ربما يكون هناك احد يهدده .

ـ ما الذي يدفعك الى هذا الظن ؟

وحدثها بالتفصيل عن النداء التلفوني من سويسرا وعن الشقة فى الطابق السفلي والنادي الليلي . وبينما هو يتفرس فى وجهها وجد نفسه يعجب به . وقد اصبح وجهها بعد الصدمة الاولى هادئا وراحت تصغي بصمت وهي تحتسي قهوتها . وعندما ذكر لها الدكتور شتاين وحادثة هامبورغ ، قاطعته بقولها :

ـ ولكن ذلك سخف ، انه دخل ديرا فى المانيا ! بالتأكيد انهم لا يظنون...

ـ عزيزتي ، انهم لا يشتبهون باوستن بالذات . فكما ذكر شتاين ، على الشرطة ان تفحص الافا من المشبوهين فى قضية كهذه . كان شتاين احد المسؤولين عن التحقيق فى قضية كورتن فى دوسلدورف ، وقد استجوبت الشرطة عددا هائلا من المشبوهين خلال بلا ثسنين ـ غاب عني الرقم ،ولكنه حوالي نصف المليون . وان حوادث الجرائم السادية لهي فى الوقت الحاضر اكثر مما يمكنك تصوره . ماذا تظنين قد حدث لكل الحرس فى محل مثل بيلسن وآوشفيتس ؟ لم يحاكموا جميعا على انهم مجرمو حرب ـ لم يحاكم

خمسة بالمائة منهم . وقد حدثني بعض الذين كانوا فى معسكرات الاعتقال الالمانية ـ اشخاص كانوا فى حركة المقاومة الفرنسية ـ واعتقد ان ذلك حدث فى كل مكان . لم يكونوا جميعهم ساديين . ولكن بعض الحركات كالنازية تتمخض عنها السادية . اما فى انكلترا فانها تظهر على شكل جرائم جنسية او حوادث العنف بين الاونة والاخرى .

كان يحاول عن قصد ان يسرد حوادث مجردة لكي يعيد الاطمئنان اليها، بعد ان احس بان الخوف الذي كانت تشعر به كان خوفا من المجهول ومما لا سبيل الى تفسيره . وقالت :

ـ ولكن بالتأكيد . . . لسى الامر كذلك مع اوستن ؟ انه لبس من هذا النوع من الناس .

فقال سورم :

ـ آه ، لعلك على حق . ولكنه من الصعب التوضيح . هنالك نوعان من السادية .

واجتاز المطبخ الى النافذة وراح يمسح البخار المستقر على الزجاج . واورثه مشهد الاشجار المبللة بماء المطر احساسا بالسعادة .

ـ اعتقد أن السادية لدى بعض الناس لا تعدو ان تكون تعبيرا عن الحيوانية . انهم لا يشعرون بالمسؤولية تجاه الاخرين . انهم مجرمون سيكوباثيون يعانون امراضا عقلية . ولكن السادية ، كما اعتقد ، يمكن ايضا ان تكون مجرد التعبير عن صراع .

ـ كيف ؟

ولم ينظر حواليه ، لم تكن لديه الرغبة فى رؤية وجهها لئلا يحس بالحاجة لاقناعها . وقال :

ـ فمثلا ، اجد نفسي وقد اخذت انضج جنسيا . اتعلمين ، هناك مثل قديم فى الجنس : الآلة الساكنة لا ضمير لها . واعتقد ان هنا موطن الاختلاف بين الرجال والنساء . الجنس بالنسبة لكلبهما شهوة جسدية خام بالاضافة لكونها وسيلة للتعبير عن الحب . وهو لدى الرجل احساس بغائبة الحياة ، والرغبة لاتخاذ من كل امراة جذابة اما لاطفاله . فى حين ، نجد بالنسبة للمراة ، ان الاتصال الجنسي هو ذروة الحب ، وتعبير عن الحنان ، وليس غاية بذاته . على كل حال ، انني اجد ان موقفي من الجنس يشبه موقف المراة . فاذا ما تسنمت سريري اجمل غادة فى لندن وقالت : « تعال خذني » لفشلت فى تحقيق ذلك . لا يمكنني تعاطي الجنس كالالة .

فقالت بلهجة متهكمة :

ـ يسرني ان اعلم بذلك .

ـ ولكن هذا لمجرد ان الاحساس بالغاية يزداد قوة لدي ، ولهذا فانه يزداد رغبة في الانتقاء . اتلاحظين ؟ يتزاوج الحيوان ويولد صغاره بطريقة غريزية . ويفعل على هذه الشاكلة عدد كبير جدا من الناس . غير ان لبعض الرجال الحاجة لان يحسوا بوعي اكثر حول قضية الجنس كلها ، فيقاومون الغريزة التي تشدهم الى امراة معينة . لانهم يوجهون رغبتهم الجنسية ليس تجاه امراة معينة وانما تجاه جميع النساء . ولذا فنساء معينات لا يثرن رجلا كهذا بقدر ما تثيره فكرة النساء عامة . وهنا تكمن المرحلة الخطرة التي قد تحوله الى مجرم جنسي . فاحساسه بالغاية اقوى مما هو عليه لدى كثير من الرجال ، غير ان غرائزه تظل غرائز حيوانية . واذا استطاع ان ينمو ويخلف هذه المرحلة ، فانه يعود الى حاجته لامراة واحدة ، ويمر الاحساس بالغاية الى ما وراء الجنس . ويمكن التسامي به عن طريق الحاجة لان يصبح فنانا او فيلسوفا او مصلحا اجتماعيا . ولكن حتى يصل هذه المرحلة يبقى حبيسا بين نارين . احساسه بالغاية يجعل منه متعصبا ، وشهواته لا تستطيع ان ترتفع عن الجنس . هل تفهميني ؟

ـ اظن ذلك . ولكن ... لا يمكنني ان اتصور كيف تقود الى ايذاء الاخرين ، اذا كانت هي شعورا ارفع بالغاية ...

ـ بسبب الصراع . يأخذ الانسان بازدراء نفسه ، فيعبر الاشمئزاز عن نفسه بواسطة القسوة . لدى اناس معينين ، بطبيعة الحال . ولدى الاخرين ـ اوليفر ، مثلا ـ يثور الاشمئزاز على نفسه . وقد يحاول الانسان في هذه الحالة ان يؤذي نفسه . او مجرد ان يدمن على الشراب او المخدرات .

ـ ومع هذا ... الرجل الذي يقتل لا يمكنه ان يحس بالغاية التي تتحدث عنها .

ـ لماذا ؟ لا يغيب عن بالك ، انها المحاولة لحل الصراع . دعيني اورد مثلا . من المشاعر الكبرى التي يثيرها الاتصال الجنسي في نفسي هو الشعور باني عاجز . تمر بي ثوان معدودات تتركز فيها ذكرياتي ويتسع مدى رؤياي . ثم تتلاشى . وادرك ان عدوي الرئيسي هو جسدي . اني اعيش دائما في الحاضر ، والزمن يخفف ذاكرتي . اتعلم اليوم شيئا ، وفي غدي يتلاشى كاثار الاقدام على الساحل الرملي . ويطبق علي الحاضر . طيب ، لو كنت انسانا يختلف عما انا عليه لكنت قرنت فشلي هذا بالجنس . كان من المحتمل ان تغيظني مقاومة العالم المادي . والتقي بفتاة في الثانية عشرة من عمرها على قارعة الطريق واعلم باني لا استطيع قط ان اشبع الرغبة التي تثيرها .

العالم المادي يخيبني وجسدي يخونني . وفي ليلة ليلاء ، التقي بالفتاة في شارع مقفر فاحاول اغتصابها . وتكافح للهروب فاقتلها خنقا . هل تفهمين ما اعنيه ؟ تصبح الجريمة وسيلة للتعبير عن الاشمئزاز وعملا متحديا ، ولكنها قد تنبعث من ادراك اعمق مما يملكه اكثر الناس ... لو كنت فلاحا في احدى المزارع اتمتع بالعافية ولي زوجة وعشرة اطفال لما خبرت الشعور بالعجز هذا .

وهزت راسها .

ـ افهم ما تعنيه ... ولكني لسبب ما لا احس به . بالرغم من اعتقادي بانك مصيب بشأن اوستن . انه فعلا يبحث عن شيء ، وهو ليس من النضج بحيث يعرف ما هو . واعلم انه موزع النفس . ولكني لا استطيع ان اتصوره يؤذي احدا .

ـ ولكن لم تريد رؤيته الان ؟ ولم تريد البقاء في لندن ؟ ماذا في وسعك ان تفعل ؟

ـ لست ادري . اريد ان اراه وان اتحدث معه . انه لا يعلم بان الشرطة مشتبهة فيه بصدد جريمة هامبورغ .

ـ هل انت واثق ؟

ـ اظن ذلك .

ـ الا تعتقد بانه كان يخشى الشرطة عندما اتصل بك من سويسرا ؟

ـ لا اعلم . قال ان الامر يتعلق « برجل غير مرغوب فيه » . فتصورت انه قد يكون هناك تهديد في الامر .

ـ الم تسأله ؟

ـ كلا . ماذا يسعني ان افعل ، سوى ان اطلب اليه الذهاب الى الشرطة ؟ ولا يبدو هذا صوابا والحالة هذه . ولكني اعتقد انه يجب اقناعه بمغادرة انكلترا الان ، ما دام ذلك يفيده .

ونظرت في وجهه وعضت على شفتها ، وسألت فجأة :

ـ اتظن انه من المحتمل ان يكون هو الذي اقترف تلك الجرائم في وايتشابل ؟

ـ كلا . بالطبع لا .

قال ذلك على الفور ، دون ان يدع لنفسه المجال للتفكير . ولكنه كان يدرك ان المسالة ليست بهذه السهولة . كان اوستن الذي يعرفه هو يختلف اختلافا تاما عن اوستن الذي تعرفه جيرترود . كان اوستن الذي التقى به سورم في معرض دياغيليف رجلا قادرا على ايقاع الاذى . وقد تبدل مؤخرا ،

ولكن التبدل كان استجابة لسورم ، نشأ من اعجابه به . وتذكر التعبير الذي لاح في وجه نن عندما كان ينظر الى صورة الفتاة خارج مبنى السبنراما . كان ذاك أوستن الذي لم تلتق به جيرترود قط .

ـ ومع هذا ، اود ان اتحدث معه ... بصراحة . يجب تحذيره . هل تظنين ان من المحتمل ان يكون الان في ليذرهيد ؟

ـ ربما . يمكننا ان نذهب لنتحقق .

ـ كلا . يجب الا تأتي . يجب ان اكون وحدي .

ـ طيب . ولكن يمكنني ان أوصلك الى هناك بسيارتي .

ـ متى ؟

ـ اليوم ، ولكن الافضل ان نتصل بشقته في شارع الباني اولا .

ـ طيب ، حسن . وهل يمكننا ان نذهب لرؤية اوليفر في طريقنا ؟ اريد ان اطمئن على صحته .

ـ حسنا .

ونهضت . وقالت :

ـ انا ذاهبة لارتداء ملابسي .

وجاء نحو الباب وسحبها اليه .

ـ عزيزتي المسكينة . لقد حدثت لك امور كثيرة خلال الاثنتى عشرة ساعة الاخيرة ؟ كيف تشعرين ؟

فابتسمت ابتسامة قصيرة ، وقالت :

ـ حائرة .

وجر رأسها من شعرها الى الوراء برفق وقبلها . وانفرجت شفتاها وارتخى جسدها المشدود الى جسده . وتحركت يده تحت ردائها . وقال :

ـ لا تخافي . سيكون كل شيء على ما يرام .

وارتعشت فجأة وهي تضغط بجسدها عليه . واكتسحه شعور بالغموض والنشوة .

الفصـــل السابـع

وفيما كانت ترجع بسيارتها من نوع « كونسل » الى الخلف لتخرج بها من الكراج ، رأى رجلين يمشيان فى الممشى المؤدي الى البيت . كانت المس كوينسي تنظر فى مرآة السياقة ولكنها لم تلحظهما . وقال :

ــ لديـــك ضيوف .

ــ صحيح ؟ مـــن هم ؟

وظلت ترجع بالسيارة الى الوراء حتى اخرجتها من الكراج .

ــ رجـــلان . الا تعرفينهما ؟

فاوقفت السيارة ووضعت عتلة التعسيق فى وضع متعادل .

ــ كـــــلا ...

واطفأت المحرك .

ــ ربما يكونان من موظفي شركة تأميـــن ؟

ــ لا اظـــن ذلـــك ...

ــ ربمـــا مـــن رجال الشرطة .

كان الرجلان قد رأيا السيارة فوقفا عند الباب الامامي ، وهمـــــا ينظران نحوهمـــا .

وقـــال سورم :

ــ اسمعي . اذا كانا من الشرطة فبالله عليك ليكن لديك شيء مــــن العقـــل . لا تخبريهما شيئـــا عـــن اوستن بتاتا .

ــ ولكـــن ... كيف اشرح وجودك هنـــا ؟

ــ ليس هـــذا من شأنهمـــا .

فنزلت من السيارة ومشت على حلبة العشب وهي تقول :

ـ هلا اغلقت باب الكراج ، رجاء ؟

وسره أن يراها تسير برباطة جأش نحوهما . فاغلق الباب ووضع فيه القفل ، ثم وقف الى جوار السيارة وهو يرقبها تدخل المفتاح فى الباب الامامي وتنقدمهما داخل البيت . وتردد فى اللحاق بها . اذا كانا من رجال الشرطة فمن الافضل الا يتدخل . واخذ يحدق فى السماء ، كانت زرقاء شاحبة بعد السيل الغزير . كانت شمس كانون الاول دافئة .

ونادته جيرترود . كانت تقف فى المدخل ، وهي تلوح له . وعندما راح يجتاز الحلبة المشبعة بالماء جاءت للقائه ، وقالت على عجل :

ـ يريدان رؤيتك ايضا .

ـ هل انهما من الشرطة ؟

ـ نعم . يبدو انهما يعرفانك .

لم يكن هنالك اثر للارتباك فى صوتها . وقال مبتسما :

ـ لا يهم . ليس لدينا ما يقلقنا .

ودخلا البيت . كان الرجلان فى غرفة الجلوس يقفان فى وسط البساط . وكان اكبر الاثنين يطقطق اصابعه . وقد ذكره وجه الرجل الاحمر وشعره المتقهقر الى الخلف بالاخ روبنز . وقال الرجل الضخم :

ـ المستر جيرارد سورم ؟

ـ نعم .

ـ نحن من ضباط الشرطة . اسمي ماكمردو ـ المفتش ماكمردو . وهذا المحقق هو العريف جيمس . اعتقد انك صديق للمستر نن .

كان يتكلم ببطء ، وبطريقة رسمية تتفق ومهمته كمحقق وكان يتكلم برطانة اسكوتلاندية خفيفة .

فقال سورم :

ـ نعم صحيح .

وانحنى ليشعل المدفأة الكهربائية . وفيما هو يفعل ذلك ، ادرك ان المحقق قد لاحظ انه يألف البيت ، ولكنه فكر بامتعاض : ليس هذا من شأنه على كل حال .

وقالت المس كوينسي :

ـ الا تجلسان ؟

ـ كلا ، يا مدام ، لا نفعل ذلك . لا نريد ان نؤخركما . وقد راينا انكما خارجان . نحن نحاول ان نعثر على المستر نن . اتعرفين اين هو ؟

ـ اوستن ؟ كلا . . . هل حاولتم البحث عنه فى شقته ؟

ـ نعم ، مدام ، لم يعد اليهـا منذ يوميـن .
ـ ولكن لماذا تبحثان عنه ؟ مــاذا فعل ؟
فابتسم ماكمردو :
ـ لا داعي للارتباك ، مدام . اكثر الناس الذين تحقق معهم الشرطة لم يفعلوا شيئا . مستر سورم ، هل لديك فكرة اين يمكننا الاتصال بالمستر نن؟
ـ لا اعتقد ذلك . وبيت والديه ؟
ـ كلا . انه ليس هناك . متى رأيته اخر مرة .
ـ ! ... اعتقد ... يوم السبت . تناولت الغداء معه يوم السبت .
ـ ولم تتصل به منذ ذلـك الوقت ؟
ـ كلا . حاولت مخابرته تلفونيا في شقته عدة مرات .
ـ آه . لسبب معيـن ؟
ـ كلا . انه صديق مقرب لي .
ـ هل لديك فكرة اين يمكن أن يكون ؟
ـ كلا ابدا . قد تعرف ذلك المس كوينسي اكثر مني .
وهزت المس كوينسي رأسها وقالت :
ـ لا اظنني اعرف . ولكنه غالبا ما يغيب اياما كثيرة دون أن يهمـه ان يخبـر احـدا .
ووجه ماكمردو السؤال الى سورم :
ـ هل اخبرك انه قد يسافر لبضعة ايام ؟
ـ كـلا .
ـ آه . طيب ، اشكرك جدا . نأسف لازعاجكما .
وقـالت المس كوينسي :
ـ ولكن الا يمكنكما اخبارنا ماذا في الامر ؟ لا بد ان والديه فزعان لرؤية الشرطة تبحث عنـه .
ـ لماذا ، مدام ؟ هل لديها اسبـاب للقلق عليـه ؟
ـ على كل ... كلا . ولكن عندما تبدأ الشرطة بالتحقيق ... ليس من المدهش ابدا ان يقلقوا عليه . هل يمكنك ان تبين لي اذا كان الامر خطيرا؟
وقبل أن يجيب ماكمردو قال سورم :
ـ انكما تبحثان في جرائم وايتشابل ، اليس كذلك ؟
ـ نعم . كيف عرفت ؟
ـ قرأت اسمك في الصحف .
فجلست المس كوينسي وقالت :

ـ جرائم ؟ هل لاوستن علاقـة ... ؟
وماتت بقية الكلمات في فمها . وراح سورم يرقبها بدهسة وسرور . كانت تبدي الدرجة الصحيحة من القلق . فقال ماكمردو مهدئا :
ـ نريد ان نلقي عليه بعض الاسئلة فقط . قد يكون في امكانه مساعدتنا.
وقـال سورم :
ـ ظننت ان القاتل القي عليـه القبض ؟
وتبادل المفتش والمحقق النظرات . فاجاب المحقق :
ـ نحن ايضا ظننا ذلك ، حتى الليلة الماضية .
ـ هل وقعت جريمة قتل اخرى ؟
فقـال ماكمردو :
ـ اجـل .
ومسى نحو الباب يتبعه العريف . وقالت المس كوينسي :
ـ ولكن ماذا يمكن لاوستن ان يعرف عن الجريمة ؟
فقـال ماكمردو :
ـ ربما لا يعرف شيئا ، مدام . ولذلك نريد ان نراه . اذا وصلك منـه نبأ فسنكون ممتنين لو اعلمتنا . وانت كذلك يا مستر سورم.طاب صباحكما .
وجلست المس كوينسي تحدق فيه حتى انغلق الباب . وظلا يرقبان الرجلين وهما يبتعدان . وقالت :
ـ اذن ... يبدو انهما يبحثان عن اوستن ؟
ـ لـ ... لست ادري . اذا كانت قد وقعت جريمه الليلة الماضية... فليس في ذلك ما يدهش ، ها ؟ انهم يريدون استجواب كل شخص ، حتى من له علاقة بعيدة بها . وبالاضافة الى ذلك ، لا يبدو عليهما انهما يشتبهـان باوستن بقوة ، والا لوجها اسئلة كثيرة . ولم يسألاني حتى عن الشقـة في كينسفتـن ...
ـ هل تظن انهم يعرفون عنها شيئا ؟
ـ لا بد ، بالتأكيد . ليسوا مهملين الى هذا الحد .
وتوقف ، واخذ يحدق من خلال النافذة ، وسمعا صوت سيارةتتحرك. وقـال ببـطء :
ـ انـا ... لست افهم هذا كله . ولست ادري ماذا اعتقد .
وقـالت بهـدوء :
ـ اذا كان مذنبا ، ليس هنالك ما يمكننا ان نفعله .
وخرجت من الغرفة قبل ان يعي كلماتها . واطفأ النار ، وخرج . وسمع

صوت باب غرفها يفتح . وعندما دخل الفاها تضع المساحيق على انفها من طاولــة الزينــة . وقــال :

ــ أسمعي ، يا جيرترود . دعيني اخبرك بشيء . لنفرض انه مذنب ، هل تدعينهم يأخذونه الى المشنقــة ؟

ونظرت اليه فى المرآة ، وكانت الدهشة ترتسم فى وجهها .

ــ ماذا فى وسعي أن افعل ؟

ــ الا تحاولين حتى أن تساعديه ؟

والتفتت لتحدق فى وجهه .

ــ تعني اذا كان اوستن هو الذي قتل كل هؤلاء النسوة ؟

وفيما هي تتفوه بهذه الكلمات لاحظ التصديق يشع من عينيها . لم يعد الامر احتمالا بعيداً ، بعيدا الى حد لا داعي للتفكير فيه . وكانت الصدمة هذه المرة فى وجهه هو . ولاول مرة اخذ يعتبر الامر مجرد مسألة جريمــة وعقــاب . وقــال :

ــ لا يمكنني ان اصدق انه هو القاتل . على كل حال ، انه منحرف جنسيا . ولكني واثق من انه يعرف شيئا عن الجرائم . كل الدلائل تشيــر الى هــذا الاحتمال .

ــ ولكن كيف ؟ كيــف يعرف ؟

ــ انه يزامل المنحرفين جنسيا . وهم متفقون فيما بينهم كأنهــم فى جمعية ماسونية . على كل حال ، من المحتمل الا يكون المسؤول رجلا واحدا . يحتمل ان يكونوا كثيرين ... جمعية كاملة .

ــ تعني ... جمعية هدفها القتل ؟

ــ ربما . حدثت اشياء اغرب من ذلك . كانت فى الهند جمعية دينيــة هدفهــا القتــل .

ولاحظ انها تدور حول هذا الموضوع . وجلس على حافة السريــر فغــاص فيــه .

وقــالت :

ــ هل تعتقد ان اوستن قد دفع به فى هذه القضية بطريقة من الطرق .

وفهم مرامها . كانت كلمة « دفع به » تعبيرا مهذبا لـ « ضلل » او « افسد » . وقــال :

ــ من المحتمل . تبدو اكثر هذه المغامرات السادية ذات طبيعة جماعية . وعلى كل ، ربما يعرف شيئا عنهــا .

وقــالت :

ـ ينبغي علينا أن نبحث عنه . اتظن ان ذهابنا الى ليذرهيد مأمون ؟
ـ يمكننا المحاولة . ربما لو ذهبنا لزيارة غلاسبء فى طريقنا فلن يكلفوا انفسهم مشقة ملاحقتنا . كما يحتمل الا يكونوا مكترثين .

وفيما هو يتكلم ، تذكر ان ماكمردو هو المسؤول عن القضية . ومرت به لحظة ، اغراه فيها احساس بان يترك الامور وشأنها . ولمس نفس هـذه الشكوك ترتسم على وجه كوينسي . وقـال :

ـ الاجدر ان نتحقق عن حادثة القتل الجديدة قبل ان نفعل اي شيء اخر . قد لا تكون لها علاقة بجرائم القتل السابقة . وربما القي القبض على القـاتل ...

وقـالت :

ـ اذا كان القاتل اوسنن نفسه ، فلن يكون هنالك ما فى وسعنا ان نفعله.

ونظر اليها ، ووجد عينيها تنطقان بالخيبة المتوقعة . وقال على عجل :

ـ ربمـا .

ـ انك ولا شك لا تعتقد انه اوستن ، اليس كذلك ؟

وقاوم رغبته فى تجنب السؤال . وقد احس بالدافع لمقاومة هـذه الرغبة لشعوره بالحاجة الى حمايتها، او قد تكون فترة حمايتها قصيرة. وقال بروية:

ـ عزيزتي . لا فائدة من تجاهل الامر. من الجائز ان يكون اوستن هو القاتل. انه أمر ممكن. انا لا اريد تصديقه، ولا اريد ان يكون كذلك . ان مخيلتي لتعجز عن مواجهة تلك الحقيقة . ولكن لو فرضنا ان اوستن هو القاتـل ، علينا ان تواجه الموقـف .

وراح يرقب تتابع الانفعالات فى عينيها : عد التصديق ، حـدة تتبـه التوجع ، ثم انتقال اهتمامها من المعاني التي كانت تصورها كلماته الى تعابير وجهه ، واخيرا تكييف نفسها الى الموقف ، والأمل . وقـال :

ـ لا اعلم انا ايضا كيف أشعر . لا ادري هل اتخلى عنه . كيف السبيل الى معرفة ماذا يجب ان يجيزه القانون وماذا يجب ان يحظره ؟ انك تفترضين ان الجنس من الرذائل لان الكتاب المقدس يحرم الزنى . غير ان التجربة تجعل من الصعب الايمان بذلك . حتى اني ، الليلة الماضية ، كدت ان اشعر بانـك كنت تحاولين تعديل القيم التي كنت تؤمنين بها ـ كنت تحاولين الوصول الى قرار فيما انك تقترفين خطيئة ام لا ...

فقـالت :

ـ ليس ثمة شبـه بين الحب والقتل .

وادهشته للمرة الثانية السيطرة التي استطاعت خلال ساعات قليلـة

ان تحققها على مشاعرها ، تلك القابلية على تكييف نفسها لحقائق جديدة .

ـ هذا صحيح . على كل حال ، انا لست احاول الدفاع عن الرغبة في القتل . انا أقوم بمجرد محاولة لتفهم هذه الرغبة دون ان الجأ الى تبسيط دوافعها اكثر مما ينبغي . فمثلا ، الا يمكنك ان تتصوري جريمة قتل ترتكب بدافع الحاجة للتعبير عن الحرية ؟

فقالت بصبر :

ـ لا اختلاف في الامر . ليس لاحد الحق في القتل للتعبير عن حريته .

ـ انا لا اتكلم عن الحق . بل اتكلم عن المسؤولية . أصغي ، يا عزيزتي، لنفرض جدلا ان اوستن هو القاتل . فما هو مدى مسؤوليته في القتل ؟ اذا اتت قطتك امرا قذرا على البساط ، فانك تضربينها بضع ضربات ثم تلقين بها خارجا ـ لانك تعتبرينها مسؤولة . ولكنك اذا علمت أن القطة كانت تعاني من تأثير طعام تناولته ، فلن تعتبريها هي المسؤولة ... لانك تفترضين انها لم تستطع منع نفسها . طيب ، اليست المسألة كذلك بالنسبة لجريمة القتل ؟ كيف علمت أن القاتل لم يبلغ درجة من الضجر واحتقار الذات والتعاسة مما يجعل تجنب اقتراف جريمة القتل امرا يكاد يكون مستحيلا ؟ يصبح القتل شهوة طاغية بغية استعادة حريته ...

فهزت رأسها :

ـ لست افهم . ما هي علاقة القتل بالحرية ؟

ـ الا تفهمين؟من الممكن انيصبح الانسان سجينا فيزنزانة حقده على نفسه. لنأخذ قضية كريستي مثلا . فهو رجل صغير ضعيف المظهر لا يستطيع الاذى ويعاني من حساسية في اعصابه . وينمو فيه هوس عصبي للجنس ـ أتعلمين ، كانوا يدعونه في مدينة ليدز « كريستي العاجز » ؟ على كل حال، ينبغي أن يكون الجنس تحررا من الشخصية ، بيد أن المصاب بهوس الجنس لا يمكنه مطلقا تحقيق تلك الحرية الا في خياله . وفي الاخير ، يبلغ مرحلة لا يعود خياله فيها يكفي . مرحلة يخونه فيها خياله . فيلجأ الى القتل ، حيث يجد فجأة كل ما كان يريده ـ امرأة حقيقية ترقد عند قدميه . وفي تلك اللحظة يحس بالحرية القصوى ، يحس باتصاله بالازل ـ انه يصبح فيالواقع جزءا من الازل . وتلي بعد ذلك العودة المحزنة الى الارض ـ امرأة فاقدة الوعي ترقد عند قدميه . لقد كان يقتلها بالغاز . وينتابه الشعور ، يا الهي ، ماذا افعل عندما تستيقظ ؟ ثم يعود الى عالم القلق القاتل والتفاهة ـ فيخنقها ويخفي جثتها تحت لوحات الارضية ، وهو قلق بشأن الرائحة التي ستفوح منها . افهمت ما اعنيه ؟ لولا احتقار الذات والشعور بالاجهاد والتفاهة

لما كانت هنالك جريمة قتل . انه يقتل لنفس السبب الذي يدفع القديس الى التأمل والذي يدفع الشاعر الى الكتابة عن الطبيعة . ان القتل طريقة للهروب من الذات . وللسبب نفسه يصبح دي كوينسي مدمنا على المخدرات وادجار الان بو سكيرا . ولكن بدون وجود الحساسية المرهفة لا تكون هنالك حاجة للهروب . انهم يريدون حياة اكثر شدة وعمقا ، غير أن الباب الوحيد الذي ظل مفتوحا امامهم هو القتل ...

ونظر اليها باشفاق . كانت تصغي دون ان تعي شيئا . وعندما توقف عن الكلام ، ظلت تحدق باتجاهه في ورق الجدار . لقد غمرته الرؤيا ، ولكنها لن تفهم . انها لا تعرف غير القوالب وغير فصول سفر الملوك . انها لن نفهم الخير الحقيقي والشر الحقيقي . لو فهمتهما لحطمتها المعرفة .

كان هذا هو جواب اهتمامه بها ـ لقد اورثته هذه الرؤيا الخيبة والحنان. ان عالم المراة ، هو عالم الاشخاص . وبدون « كالي » ، تلك الام المعتوهة ، لا سيء هنالك غير قابلية لامتناهية على التدمير وقابلية لا متناهية على الخلق . وقال :

يجدر بنا ان نرحل . لا نفع هنالك في جلوسنا هنا .

ونهض ، ونهضت بصورة تلقائية وتبعته الى الباب . وفي اعلى السلم النفت اليها وقبلها ، غير ان فمها لم يستجب له . وهبط السلم ، وهو يفكر: ترى هل هناك امراة لا تمتد جذورها الى حدود ، والى التسك الذاتي ؟ ربما لا . غير ان البحث لم ينته بعد .

* * *

وعندما مرا بسيارتهما قرب هاوندسديتش ، قال :

ـ لو اعلم اين وقعت الجريمة ؟ كان ينبغي ان نسأل ماكمردو .

ـ لماذا ؟

ـ اوه ... مجرد فضول . اتجهي نحو اليسار عند اضواء المرور . ثم لنذهب في الشارع التجاري لعلنا نكتشف المكان .

ـ كيف نكتشفه ؟

ـ اوه ، ربما سنرى جمهورا من الناس . بي مرض الفضول .

ـ ما اتعس هذا المرض .

ـ هل هناك ما يدل على اننا ملاحقون ؟

ـ لا اظن ذلك . لا استطيع القول ... الشارع مزدحم جدا .

ـ اتجهي عند الكنيسة الى الشارع الاخر . كلا ، انتظري . اعتقد اننا اهتدينا الى المكان .

وحالما وصلت السيارة فى موازاة الكنيسة استطاع ان يرى حشدا من الناس فى منعطف شارع برشفيلد ، مقابل السوق . وقال :

ـ قفي هنا لحظة .

وسار فى محاذاة الحشد ووقف على طرفي قدميه لينظر عبر الرؤوس. كان اهتمام الجمهور يبدو مركزا فى مدخل احدى البنايات على بعد اثنتي عشرة ياردة على طول الشارع . وكان رصيف السوق من الاسمنت مزدحما بالرجال والنساء الذين كانوا يحدقون فى جماعة من رجال الشرطة خارج المدخل . ولم تكن هنالك عربة اسعاف .

وشق طريقه عائدا الى السيارة . وقال :

ـ لا يمكن رؤية شيء . علينا ان نقتني صحيفة الظهيرة .

وخرج من بين الحشد رجل قصير فى بذلة عمل بيضاء مبقعة ومر بهما . فقال سورم :

ـ من فضلك . . . ماذا يجري هنالك ؟ ماذا ينتظر الجمع ؟

فقال الرجل :

ـ الا تعلم ؟ جريمة قتل اخرى .

فقال سورم وهو يتكلف الدهشة :

ـ ولكني ظننت انهم قبضوا على القاتل !

ـ كل الناس ظنوا ذلك . ولكن يلوح انهم مخطئون ، اليس كذلك ؟

ـ ماذا حدث ؟ اتعرف ؟

فقال الرجل :

ـ لم يحدث شيء يذكر . وجدوها فى غرفة ، مقطعة الاوصال .

ثم هز كتفيه ومضى فى طريقه . ودخل سورم السيارة وسأل :

ـ اسمعت ؟

ـ نعم . يلوح الامر فظيعا .

ـ ربما يبالغ الرجل فى القضية . الا تعلمين كيف تنتشر الشائعات . كم الساعة الان ؟

ـ النصف بعد التاسعة .

ـ لنعد بطريق شارع فليت ، فنحصل على الطبعات الأولى من الصحف خلال نصف ساعة .

وضغطت على عتلة الوقود :

ـ الى اين الان ؟

ـ لنذهب فى زيارة الى اوليفر .

وبينما كانت السيارة تسير فى شارع هانبري ، قـــال :
ــ لا شك ان هذه الحادثة وقعت لصالح اوليفر . اذ ليس للشرطة الوقت للاهتمام بقضية مثل قضيته . على كل حال ، لا يبدو انهم حملوا قضيتــه محمل الجد والا لما سمحوا له بالخروج بكفالة ... قفي هنا . يجب انتسيري فى شارع وايتشابل . انه ذو ممر واحد .
وفى نهاية شارع داروورد قال :
ــ الا تنتظرين هنا حوالي عشر دقائق ؟ سأحاول ان اسرع . ولكنــي اشك فى أن غلاسب يرغب الان فى مجاملة احد ...
ــ كلا . افهم ذلك تماما . لا تقلــق .
وانفتح الباب الامامي . وطرق الباب بقفا اصابعه ، وهو ينادى :
ــ هل فى البيت احــــد ؟
ولم يجبه احد . فارتقى السلم بحذر وبصره ما زال اعشى من تأثيــر نور الشمس ، وقد اكتنفته رائحة زيت البارافين المألوفة . وتحسس طريقه نحو البــاب وطرقه . فهتف صوت غلاسب :
ــ هلــــو ؟
ففتح الباب ودلف الى الغرفة . كان غلاسب مضطجعا على السريــــر بكـــامل ملابسه . وقال سورم :
ــ هـــلو . كيف تسير الامــور ؟
فقـــال غــلاسب :
ــ على ما يرام . كيف وصلت الى هنـــا ؟
ــ اوصلتني جيرترود كوينسي بسيارتها . انها تنتظر فى نهاية الشارع. جئت لمجرد السؤال عنـــك .
وجلس على المقعد الى جوار المدفأة النفطية وقال :
ــ هـــل سمعت شيئــا ؟
ــ لقد اسقطوا الدعوى .
ــ عظيم ! تهانينا ! متى سمعت بذلك ؟
ــ منـــذ ساعتيـــن .
وقــــال سورم :
ــ اذن ، ماذا هناك ؟ لا تبدو مسرورا لذلك . لماذا اسقطوا الدعوى ؟ هـــل ظهرت كريستيـــن ؟
ــ نعـــم .
ــ طيـــب . وهـــل فحصوها ؟ ــ كـــــلا .

ـ لـــــم لا ؟
فقـــال غلاسب بصوت واهـــن :
ـ اسمع ، يا جيرارد ، ارجو المعذره ولا سأل اسئلة كبيره .
ونظر اليه سورم ، كان يحدق في السقف . واستطال الصمت . وقال سـســـورم :
ـ طيب . انا ذاهب الان . هل انك واثق من ان كل شيء علىما يرام ؟
ونظر اليه غلاسب وهو يرفع راسه . ثم اسند راسه على الوسادةورفع جسده فجأة واسند كتفيه على قضبان السرير النحاسية . وقال :
ـ اعترفت بانها ليست عذراء ، على كل حال . ولكن الذى فعل ذلـك بها هو ابن عمها الذي يسكن معهم . وقد اعترف هو ايضا بذلك . ولـــذا اسقطوا الدعوى .
فقـــال سورم : يا الهي !
وهز سورم كتفيه ثم اسقط راسه بائسة على الفراش. وقال سورم اخيرا:
ـ لا شك انها . . . صدمة . كيف تشعر نحوها ؟
كان صوت غلاسب هادئا خاليا من العاطفة :
ـ انها ليست ابنتي ، فلم اكترث ؟
ونهض سورم ، وقال وهو لا يعني ما يقول :
ـ انه موقف معقول . ليس في الامر ما يدهش . لا اخالك تشعـــــر بالامتعـــاض ؟
ـ كــلا .
ـ وستبقى تلتقي بهـــا ؟
ـ كيف يمكنني ذلك ؟ انهم لا يسمحون لها بذلك .
ـ ولكنها . . . ستبقى ترغب في لقائك ؟ ـ ربمـــا .
ووقف سورم عند الباب ، يتردد في الخروج . لقد اغاظه ما لمســـه من الفتور في موقف غلاسب . وقال :
ـ بالتأكيد ليس هذا من الامور التي تقلق ؟ لعل هذا حدث قـــبل أن تلتقي بها .
وانك لمنحها شيئا لم تمتلكه من قبل . فلا يغير هذا في الامرولاريب؟
ولوى غلاسب راسه لينظر اليه وقال :
ـ انظر يا جيرارد . لا اعلم كيف اشعر نحو القضية . اشعر كأنني وقعت من ارتفاع عشر طبقات . كما انني لست واثقا كيف شعرت تجاهها ، لعل هذا ما كنت ابغيه طول الوقت . لست ادري ، انا لا استطيع ان افهـــم

شيئاً وحسب . لم تريد ان تقوم بهذه الفعلة .؟ اود ان اتحدث معها ... حتى انها قالت لي مرة بانها تريد الزواج بي . اعلم ان الامر سخافة،ولكني شعرت باني فهمتها ... لا استطيع ان افهم شيئا وحسب .

ــ ربما تفهمها انت اكثر من والديها ــ او ابن عمها هذا . على كل حال ، لا يمكنك ان تلفظ الفتاة لمجرد هذا السبب . انه هو ما تريد منك ان نخلصها منه بالذات ــ هذا المحيط الواطيء ..

فقال غلاسب : ربما .

ــ الاجدر ان اتركك الان . ستسعر بتحسن فيما بعد . هل ازورك فيما بعد ؟

ــ ان اردت . ليس اليوم ..

ــ طيب . لا تدع الامر يقلقك . وداعا ، يا اوليفر .

واغلق الباب على عجل ، وهو مسرور لمغادرة الغرفة .. لقد ضايقته شفقة غلاسب على نفسه ، كانت مشكلته تافهة بمقارنتها مع مشكلة اوستن .

كانت تدخن سيكارة . وقالت :

ــ لم يطل غيابك كثيرا .

ــ كلا .

ــ كيف حاله ؟

ــ بخير . لقد اسقطت الشرطة الدعوى . نستطيع الان ان نسترجع الكفالة أن اردت ...

ــ صحيح اسقطوها؟ عظيم . كنت واثقة من ذلك . هل هو مسرور ؟

ــ كلا . لقد ازعجني . اكتشفوا ان الفتاة ليست عذراء ، ولكن ابن عمها كان المسؤول عن ذلك .

ــ ما افظع الامر !

ــ وهو لهذا يمعن في تعذيب نفسه .

ــ لماذا ؟ هل هو غاضب ؟

ــ لست ادري ماذا به . انه لمجنون . اتريدين الذهاب الى الشرطة لاستلام المال ؟

ــ ليس الان . لا ضير ان يبقى . واتوقع انهم مشغولون الان ، على كل حال .

واتجها ثانية نحو زحمة المرور في شارع وايتشابل ، وسارا نحو المدينة . وغاص في مقعده وراح ينظر خلال الشباك وهو مقطب الوجه . وقال :

ـ كنت اظن اوليفر فنانا موهوبا . ولكني بدات الان اشك ... انه شديد الاستسلام للانفعالات . ماذا يهم اذا كانت الفتاة عذراء املا ؟ انها لا زالت الفتاة نفسها .

ـ هـل هو ساخط بشدة ؟

ـ لا استطيع ان اجزم . اعتقد انه كان يحاول ان يخلق من الفتـاة رمزا للبراءة وما شاكل . لقد اضناه عالم الكبار ، فتحول الى الصغـار . ولما اكتشف ان الصغار يخضعون لنفس عوامل الفساد اضحى كئيبا ذا رغبة انتحارية ... ان اوستن اكثر نضجا منه على الاقل .

ـ ولم يتغير موقفه لهذا السبب ؟ لا ادرك العلاقة . يجـب ان يسره انهم اسقطوا الدعوى .

فقال بامتعاض :

ـ الله اعلم . انه نموذج للرومانتيكي . لقد توصلت الى نتيجة ، وهي ان القرن العشرين يعاني من بقايا اثار الرومانسية . اناس مثل اوليفر ، لا يمكنهم ان ينظروا بصورة مستقيمة . يجب ان يكون الشيء مريضا ليكسب اهتمامهم ... اوه ، لا تكترثي لقولي. لعلي اقسو في حكمي عليه . عرجي على شارع فينتسرش .

وفي شارع فليت ، توقفا لشراء جريدة « ايفننغ ستاندرد » وكـان العنوان البارز : البحث عن القسيس المفقود مستمر . والقى نظرة عـلى عمود اخر الانباء فلم يجد ذكرا لحادثة القتل . فقذف بالجريدة عـلى المقعـد الخلفي .

ـ لا فائدة . لنذهب ونتناول شرابا على عجل . انا بحاجة اليـه .

كانت صالـة البار خالية . كانت الصالة عينها التي تحدث فيهـا سورم الى بيل بين في اليوم السابق . وشرب قدحا من البيرة المرة بينما كانت جيرترود كوينسي تتفحص خارطة للطرق لتبحث عن اقصر الطرق للوصول الى ليذرهيد . ولاحظ باهتمام السهولة التي شربت بهـا قدحـا مضاعفا من الويسكي الصرف . واكسبته البيرة وشعاع الشمس احساسا بالانبساط . واغلقت المس كوينسي اطلس الخرائط . وقال :

ـ اتظنين الاجـدر ان نذهب مباشرة الى ليذرهيد ؟ ام الافضـل ان نجرب شقته في كينسنغتن اولا ؟

ـ اتعتقد ان الافضل ان نجرب كينسنغتن ؟

ـ ربما لا . لا اعتقد انه سيبقى في لندن اذا ... اذا كان يعلـم عـن الامـر .

فلمست قدحها الفارغ بطرف اصبعها وقالت :

ــ احسن حالا ، شكرا .

ــ ولكن ... عن القضية كلها ؟

والقت نظرة حواليها ورات ان صاحب الحانة كان خارج مدى صوتها .

ــ كانه شيء لا حقيقي . لا استطيع ان اصدق ان الامر جدي. اشعر بطريقة ما... كانك واوستن والشرطة ، كلكم تدبرون احبولة لايقاعي بها .

فقال بلهجة متعاطفة :

ــ اعلم . اشعر انا بالشيء نفسه . اعتقد ان جميع جرائم القتل الحقيقية ربما تكون كذلك ــ ما لم يكن المرء مربطا بها ارتباطا مباشرا . لا يحدث الا في القصص ان يعثر المحقق على الادلة والاجساد مبعثرة هنا وهناك . اما في الواقع فجرائم القتل تحدث خارج المسرح ، وكلها مشوشة لا سبيل الى تصديقها .

وانهى بيرته . وقال :

ــ الافضل ان نذهب . من يدريا ، ربما نجد الشرطة قد سبقتنا الى المكان . هل يعرف والدا اوستن عنوان ليدرهيد ؟

ــ اجل ، بالطبع .

ــ لا ادري هل اعطوه الى ماكمردو ؟

ــ هل اتصل تلفونيا للتأكد ؟

ــ فكرة صائبة .

ولاحظها وهي تخرج من الحانة ، وادهشته ثانية الهدوء الذي استقبلت به الموقف . وطلب قدحا اخر من البيرة ، ووقف عند طاولة البار ليحتسيه ، وهو يفكر : لن استطيع ابدا ان افهم النساء . هل كلهن على هذه الشاكلة ؟ كانت بالامس من شهود يهوه ، وهي اليوم خليلتي وشريكتي في معرفة حقيقة ما . ليس في الامر انسجام . كان القدماء على حق . ارملة ايفسوس ، هيلين طرواده . لعل الامر لا يعدو ان يكون افتقارا الى الحيوية .

وغابت فترة طويلة . وعادت وهي تسير بخفة وعدم اكتراث المراة التي كانت توا تصلح من زينتها ، ووقعت امامه تنتظر .

وقال : شراب اخر ؟

ــ كلا شكرا .

وانهى بيرته ثم خرجا .

ــ طيب ؟

ـ كلا . لم تتصل الشرطة بوالديه .
ـ انت متأكدة ؟ هل سألتهم ؟
ـ كلا . ليس بصورة مباشرة . سألتهم فقط اين استطيع ان اجد اوستن . فقالوا لعله في اوكسفورد مع بعض الاصدقاء . قلت ان احـــدا قد بعث له رسالة بواسطتي ، وان احدا اتصل بي تلفونيا ليسأل عنــه .
ـ عظيم ! ومــاذا قــالوا ؟
ـ كانت امه .. قالت انها لم تفهم الامر ، فهي لا تظن انه فيورطة. قلت لها ظننت ان الذي طلبه قد يكون بائع كتب او دائنا ..
فقال باعجاب :
ـ لــك قابلية فطرية على تدبير الدسائس !
وابتسمت باقتضاب :
ـ يبدو انه لم يحقق احد معها ، اذن .
ـ من الغريب . لمَ اخبرنا ماكمردو بانه حقق معهم ؟
ـ لا اظنه قال ذلك . قال فقط ان اوستن ليس فى بيت والديــه . لعلهم يراقبونــه .
واستدارت السيارة يسارا نحو الشارع المحاذي للنهر . وقال :
ـ يلوح الامر غريبا .
ـ لم يدر بخلدي شيء اقوله لاحذرهم . بدا الامر فجاة مضحكـا ..
ـ احسن شيء يمكننا فعله هو ان نجد اوستن . كم يستغرق مـن الوقت الذهاب الى ليذرهيد ؟
ـ حوالي الساعة ، اذا لم يكن المرور مزدحما ..
وعندما اقتربا من جسر ويستمنستر ضبط ساعته مع ساعة « بيج بين » ولاح النهر كانه صفحة من الورق الصقيل تحت اشعــة الشمس . كان من العسير الايمان بالقتل في متل هذا الدفء المفاجىء .

* * *

وقالت :
ـ اوستن هنــا بالتاكيد .
واعتدل في جلسته وراح يحدق فيها . كانت صامتة منذ ان تركـا ميــرتن .
ـ ايـــن ؟
ـ هنا في ليذرهيد . كانت هذه سيارته خارج الفندق .
ـ هل انت واثقة ؟ لم ار سيارة حمراء .

ـ لم تكن السيارة الحمراء . كانت سيارة « ام.جي » الرمادية .
والتفت ونظر من خلال الشباك الخلفي . كان من المتعذر تمييز سيارة واقفة من خلال زحمة المرور .

ـ اليس الافضل ان نعود ونتأكد ؟

ـ لا حاجة لذلك . انا واثقة . عرفت رقمها . انها احدى سيارات والده التي يستعيرها احيانا .

ـ ولنفرض أنه في الفندق .

ـ لا اظن ذلك . من المحتمل ان يكون في البيت الريفي . ولكنني سأذهب الى الفندق بينما تذهب انت الى البيت .

ـ ولكن ليس من المسموح له الوقوف بسيارته طويلا في شارع رئيسي .

ـ ليست سيارته في الشارع الرئيسي ـ انها في شارع فرعي .

ـ كم يبعد البيت ؟

ـ حوالي الميلين من ذاك الطرف .

ـ هل ذهبت اليه قبلا ؟

ـ مرة واحدة . خرج بي فى جولة فى الطائرة .

وقـــال :

ـ اعتقد انه وصل باريس الان .

ـ لا اظن ذلك . لو كان ينبغي مغادرة القطر لما ترك سيارته خارج الفنـــدق .

ونظر اليها باعجـاب وقـــال :

ـ لـــك ميزات المحقق البارع !

وابتسمت دون ان تجيب . واستدارت السيارة يسارا الى زقاق جانبي في مدخله رقعة مرور كتب عليها « الطريق مسدود من الطرف الاخر »، وبعد مسيرة خمسمائة ياردة اخرى استدارت الى اليسار ثانية حيث وقفت .

ـ عليك ان تقطع بقية المسافة سيرا على الاقدام . فلا استطيع العودة بالسيارة اذا ما تقدمت اكثر .

ـ ايـــن هو البيـــت ؟

ـ وراء تلك الاشجار . عند وصولك الى الاشجار سيمكنك رؤيـــة البيت . انـــه ينتصب وحده .

ـ وماذا ستفعلين انـــت ؟

ـ سانتظر حوالي عشرين دقيقـــة .

ـ طيب . اذا لم اعد خلال هذه المدة فمعنى ذلك هو اني وجـــدت

اوستن . واين اجدك ؟

ـ ساعود الى الفندق . وعليك ان تعود اليه مشيا . يدعى الفندق « كراون » وستجد عنوانه فى دليل التلفون ان اردت الاتصال .

ـ حسنا وداعا يا عزيزتي .

ومال اليها وقبلها . واحس باحساس غريب ، فمنذ ان جاءت الشرطة لم يعد يشعر بانه حبيبها . كانت شفتاها باردتين متصلبتين .

وتسنم الحاجز القرميدي وسمع صوت السيارة وهي تعود الى الخلف فى الزقاق . كانت ايكة الاسجار على بعد مائة ياردة ، على حافة الحقل . ولم يستطع أن يميز وراءها شيئا غير السماء . وعلى الرغم من نور الشمس كانت ارض الحقل المحروثة تلوح قاسية متجمدة . وتبع الطريق المحاذية للسياج ، ومشى وهو يسرع الخطى واضعا يديه فى جيبيه . وشعر بعد حرارة جو السيارة ، ببرودة الهواء .

كانت بين الاشجار بركة ماء ، وكان ماؤها الطيني يبدو راكدا بلا حياة ، وقد برز فى وسطها جدع شجرة مكسورة كأنه الذراع . ولما وقف على حافة البركة لمح البيت على طرف الحقل الاخر . واجتاحه شعور بالانقباض والتوجس . وظل واقفا دقائقعديدة وهو يأمل ان يبصر دلائل الحياة . لم يكن هنالك دخان يتصاعد من المدخنة . ورأى نافذتين تواجهان البركة ، ولكن ستائرهما كانت مسدلة .

كان الهواء باردا بين الاشجار . والقى نظرة على ساعته فتذكر ان المس كوينسي تنتظره فى السيارة . فانطلق عبر الحقل ليعجل فى الوصول الى البيت . وكانت تداعبه الرغبة فى ان يجد البيت خاليا ليعود مسرعا الى السيارة التي تقف فى انتظاره ومن ثم الى لندن .

كانت بوابة الحديقة الصغيرة الامامية مفتوحة . كانت جدران البيت الريفى مطلية بالكلس الابيض غير ان امطار الشتاء كانت قد شقت الاخاديد فيها وخلفت رواسب الصدأ التي انجرفت من سطح البيت المعدني . وكان خارج الباب الخلفي حوض ماء امتلأ حتى فاض .

وطرق الباب بمقرعة الباب الصدئة هاتفا : اوستن !

ولما لم يسمع حركة فى الداخل صاح :

ـ هل هناك احد ؟

وخطر له فجأة احتمال وضع البيت تحت مراقبة الشرطة . والتفت وراح يجيل بصره محدقا فى مجموعة الاشجار التي خلفها وراءه قبل قليل وفى اسوار الحقول الجرداء ، وفى كومة التبن المغطاة بالقماش المشمع فى ركن

الحقل الاخر . وفيما هو ينظر، سمع حركة فى الداخل. والتفت فراى عيني اوستن تنظران اليه من خلال شق الرسائل تحت مقرعة الباب . وظل يحدق منسدوها لا يقوى على الكلام. وانسدل غطاء الشق وسمع صليل سلسلة وحركة مزلاج . وانفتح الباب . كان اوسنن يقف مرتديا القميص والسروال . كان وجهه تعبا غير حليق . وقال سورم :

ـ هـــلو اوستن .

وابتسم نن ابتسامة مرجرجة ، وشم سورم من فمه رائحة الويسكي . وقـــال نـن :

ـ ادخل ايها الصديق العزيز ... واقبل تشايلد رولاند الى البرج المظلـــم ...

الفصـــل الثــامن

كانا كأنهما يلتقيان للمرة الاولى . فخلال اليومين الماضيين ، لم يعـد نــن شيئا حقيقيا بالنسبة لسورم . وكاد الارتياح الذى احس به لهذا اللقاء يعبر عن نفسه برغبة فى الضحك ، وقال :

ــ ما اجمل ان اراك ، يــا اوستن !

ــ اشكرك ، يا جيرارد . مرحبا بك ايضا .

كان للمطبخ رائحة الرطوبة ، وكانت خلف الباب اسطوانة للغاز لم يفك ختمها بعد . وكان حوض الماء وموقد الغاز والة الغسيل جديدة على مــا يبدو . وعلى الرف ثلاث زجاجات ويسكي فارغة .

ــ ايــن الطريق ؟

ــ الــى اليسار .

كانت الغرفة نموذجا مصغرا لسقة نن فى شارع الباني . وكان لون البساط هو اللون الازرق نفسه ، والجدران مطلية باللون الابيض المائل الـى الاصفرار والازرق البحري . وكانت الغرفة خانقة الحرارة ، اذ كانت هنالك مدفأة زيتية تتوهج فى وسطها اسلاك على هيئة نصف كرة . وكــان يضيء الغرفة مصباحان زيتيان لهما زجاجتان طويلتان ، وكانت مشوشة المظهر ، مبعثر على بساطها رماد السكايــر بكمية كبيرة وكذلــك قشــور الفـول السوداني . وكانت على المنضدة بقايا طعام وزجاجتا ويسكي مليئتان . وازاح نن الصحيفة وبعض الكتب التي كانت ملقاة على الكرسي وقال :

ــ اجــلس .

ــ شكرا . ارجو ان تسمح لي بأن اخلع معطفي .

ــ كيــف جئت ؟

ـ جيرترود اوصلتني .
ـ ايـــن هـــي ؟
ـ عـادت الى الفنـدق .
والقى نن بنفسه على الكرسي وتناول قدحا من المنضدة وقال :
ـ هيا تناول شيئا من الويسكي. افتح زجاجة جديدة. لم قررت المجيء.
ومزق سورم الغلاف الرصاصي من قمة احدى زجاجات الويسكي وصب لنفسه كمية كبيرة وقال :
ـ كـانت الشرطة تبحث عنـك .
واضاف شيئا من الصودا والتفت الى نـن فالفاه يبتسم. كانت اسنانه صفراء كأنها انياب افعى . وقال :
ـ نعـم .
وخلع سورم سترته وقذف بها على ظهر احد الكراسي . وقال :
ـ هل افتح النافذة ؟
ـ بالتأكيد . اين وجدك رجال الشرطة ؟
ـ فى بيـت جيرترود .
ـ متـى ؟
ـ صبـاح اليـوم .
ـ آه .
كـان نن ما يزال يبتسم . وكان سورم يتوقع السؤال الذي كان يجول فى ذهن نـن ، فتأهب للاجابة بصدق . غير ان اوستن بدلا من ذلك سأل :
ـ كم سيطول انتظار جيرترود لك ؟
ـ طول اليوم ، اذا اقتضى الامر . والا فيمكنني ان اتصل بها فى فنـدق كـراون .
ـ طيب . قد نفعل ذلك فيما بعد . يمكنني ان اوصلك بسيـارتي الـى المدينـة .
ولم يدع سورم الدهشة تلوح على وجهه وقال :
ـ طيب . هل انت عائد اليوم ؟
ـ اظن ذلك . . . ما دمت قد جئت انت . ولكن امنحني بضع ساعات كيمـا اصحو .
وتمدد فى الكرسي وتثاءب ثم افرغ كأسه .
ـ اذن فقد قطعت كل هذه المسافة لكي تحذرني ؟ ما اعذبك !
ـ شكرا . ليس فى ذلك اية مشقة .

وتوجه نـن نحو الطاولة وصب لنفسه المزيد من الويسكي . كـان يتناوله غير ممزوج بالماء . واثناء عودته الى الكرسي توقف بالقرب من سوردم ووضع يده على رأسه وقـال :

ـ لا يمكنني ان اعبر عن مدى سروري بلقائك ، ايها الصديق العزيز .

واستطاع سوردم ان يميز صدق مشاعره من خلال الويسكي . وقال :

ـ شكـرا .

واستند نـن على ظهر الكرسي . وكان ما يزال يترنح قليلا . وقال :

ـ انك لصديقي حقا ، اليس كذلك يـا جيرارد ؟

ورفع سوردم بصره اليه واحس مرة اخرى بتدفق الحنان . وقال :

ـ اجـل . انـا صديقك .

وابتسم نن ومضى يترنح فى طريقه عائدا الى كرسيه . وقال سوردم :

ـ ولكنك ان اردت ان تصحو ، فليس بهذه الطريقة .

فقـال نـن ببطء :

ـ كلا . احسبك على صواب . اجـل .

وعاد الى النافذة وسكب ما فى قدحه خارجا . وقـال :

ـ لسوء الحظ ، اظل احس بالرغبة فى شرب شيء بمجرد ان اشرب جرعة واحدة . وليس لدي حليب .

وذهب الى المطبخ . وسمعه سوردم يقول :

ـ لا تظنن ان الشمبانيا تصلح من حالي . حتى ولا نبيذ نيرشتاينر . وعليه فلم يبق لدي غير حساء الاطفال او عصير الليمون .

وعاد وهو يحمل ثلاث زجاجات من عصير الليمون وفتاحة قناني ، وسكب محتويات احدى الزجاجات فى قدحه واخذ يذوقه . وقال :

ـ اوف ! مـا افظعـه !

ووضعه على مسند الكرسي كأنه سائل النتروغليسرين المتفجر ثـم اعتدل فى جلسته وقال :

ـ طيب ، استمر . ماذا اراد رجال الشرطة ؟

ـ مجرد ان يعرفـوا مكـانك .

ـ آه . وهـل قـالوا شيئا اخر ؟

ـ كـلا . ولكني عندما سألت ماكمردو ان كان هو المسؤول عن التحقيق فى قضية وايتسابل اجاب بالايجاب . واخبرني بـأن حادثـة قتل اخرى وقعت الليلـة الماضيـة .

وقـال نـن بعـدم اكتراث :

ــ وهــل افضى اليك بأية تفاصيل ؟
ــ كــلا .
ــ متى تــم العثور عــلى الجثــة ؟
ــ فــي وقت متأخر ، على مــا اظن . حيث لم تذكر الجرائد الصباحية شيئــا عنهــا .

ومد نــن يده وسحب مقعدا صغيرا . ثم اغمض عينيه ومد جسده وسقط راسه الى الامام . وقال :

ــ موقف محرج ، اليس كذلك يا جيرارد ؟
ــ لست ادري .

وابتسم نــن وهو مغمض العينين . كان يلوح كالنائم في استسلامه التام الى الشعور بالاجهاد . وقــال :

ــ ظللت افكر في هذه المشكلة خمس ساعات . غير ان الويسكي اخــذ يطغــى علي .

وفتح عينيه فجأة وحدج سورم بنظرة :

ــ مــاذا ينبغي علي ان افعــل ؟

فقــال سورم :

ــ لست ادري . فلست افهم مشكلتك تمامــا .

وابتعد بكرسيه عن النار . كان النسيم المقبل من خلال النافذة قــد خفض حرارة الغرفة . غير ان الحرارة كانت ما تزال شديدة . ونهض سورم وذهب نحو النافذة ثانية . ولمس سورم شيئا من القلق والتوتر لدى نــن مما لم يستطع الويسكي ان يمحــوه .

ــ هل انت واثق من ان احدا لم يتبعك الى هنا ؟
ــ ليس من المحتمل . كنت اراقب باستمرار . حتــى ان جيرترود ادارت مرآة السياقة باتجاهي كي استطيع ان انظر خلال الشباك الخلفي .
ــ ما مدى معرفة جيرترود بالامر ؟
ــ بقدر ما اعرفــه انا تقريبا .

وتجاهل نــن التحدي الذي كانت تنطوي عليه كلمات سورم . واسدل الستــار وعاد الى كرسيه .

ــ لا اريد ان يقاطعني احد . يا الهي ، احس باني متمرغ بالوحــل . يمكنني ان اكتفي بحمام بارد . لا تهتم . اريد ان اتحدث اليك .

ومسح وجهه بيديه ودفع شعره الى الخلف . ثم احتسى نصف قدح الليمون وجلس وهو مقطب الوجه . وقال :

ـ اني لفي موقف حرج ، كما ترى ، ايها الصديق .
ـ مـــا مدى حراجته ؟
لست واثقا . هل كان ماكمردو يحمل امرا بالقاء القبض علي ؟
واحس سورم بالتوتر فى صدره لهذه الكلمات . وقال :
ـ كـلا . لا اظن ذلـك .
كان نن باسطا جسده على الكرسي ، وظل يحدق فى سورم حتـى طال الصمت . كانت عيناه تلوحان محمرتين واهنتين ، غير انهما كانـتا تنطقان بالسخرية . وقـال اخيرا :
ـ طيب ، يـا جيرارد ؟
ولم يجب سورم ، ولكنه هز كتفيه . وقـال نـن :
ـ انك ما زلت اكثر ادبا من ان تدس انفك فى شؤوني . ولكنك صرت تحس بشيء من المسؤولية تجاه القضية ، اليس كذلك ؟ وقطعت الطريـق لتحـذرني . لمـاذا جئت ؟
ـ اعتقد لاحذرك . كنت احاول الاتصال بك تلفونيا طوال الاسبوع .
ـ كنت هنا . ولكني جد ممتن لك ، يا جيرارد ، جد ممتن . . . ماذا تفعل لو القي القبض علـي ؟
وقال سورم بتأن :
ـ تعني . . . بسبب حوادث القتل ؟
فقـال نـن بهدوء : اجل .
ـ هل يمكنهم القاء القبض عليك ؟
ـ لست أدري . ربما لا . وحتى ولو قبضوا علي ، فانهم سيضطرون الـى اخلاء سبيلي .
وافرغ سورم قدحه . كان قد شرب مقدار اربعة اصابع من الويسكي ولكنه لم يتأثر مطلقا ، بل احس بمقدار ما كان يدين به الى الويسكي للهدوء الذي كان يشعر به . ومد يده نحو الزجاجة وسكب المزيد . وانتزع سورم غطاء قنينة اخرى من عصير الليمون . وقال سورم :
ـ ما الذي يحملك على الافتراض بانه لن يلقى عليك القبض ؟
ـ ليس لديهم دليـل .
ونهض ثانية وذهب نحو النافذة وقال :
ـ لا اريد ان ياتي ماكمردو زاحفا تحت هذه النافذة وهو يحمـل مسجلة صوت . الافضل هو ان ندع النافذة مغلقة . ساطفيء المدفاة .
وقـال سورم :

ـ هل انت على يقين من عدم وجود الادلة لديهم ؟
ـ تقريبا . ليس هنالك دليل قاطع فى المحاكم .
فقــال سورم :
ـ سيحاولون جهدهم . انهم فى امس الحاجة للقبض على احد .
ـ اعلم . وربما سيبحثون عن سبب لحجزي لديهم ريثما اضطر الى الاعتراف . من اليسير ان يفعلوا ذلك . وهم يأملون ان انهار . ولكني لن انهار
ـ لا ؟
ـ كلا . هل لاحظت ان اكثر القتلة يسرفون فى الكلام ؟
وجعلت هذه الكلمة سورم يشد بيده على القدح . كان القاتل بينهما ثانه ورقة لعب مقلوبة على وجهها . وقال نـن :
ـ وايتوي ، القاتل فى قضية تيدنغتون توباث . نيفيل هيث . بيتر عمانوئيل . كلهم ظلوا يثرثرون طوال طريقهم الى المسنقة .
فقــال سورم ببــطء :
ـ هل تعتبر نفسك فى عداد هؤلاء ؟
ونظر اليه نـن نظرة جادة ، نظرة استحسان لا تكاد تتميز ، كأنه استاذ يرد على المع تلاميذه . وقــال :
ـ كلا ، لا اعتبر نفسي منهم . ولكن ذلك لا يمنعني من الاهتمام بهم . انك لا تحصر قراءاتك بغوته ودوستويفسكي فقط بالرغم من انك تعد نفسك اقرب اليهم من معاصريك . والمشكلة هي ان اكثر المجرمين اوغاد حمقى . لقد كان عمانوئيل وهيث وغيره زمرة حقيرة . ولكن كورتن كان اكثر اثــارة للاهتمام . ولو كان فى قطر اكثر حضارة ـ كالسويد مثلا ـ لما شنقوه . كان شديد الاهتمام بدوافعه ورغباته ، وقد قرأ لومبروزو وهافيلوك اليس . لو ساعده نفر من الاطباء اللامعين لكان اضاف افقا جديدا الى علم النفس .
كانت آثار الويسكي قد تلاشت كلها ، سوى بعض الشهقات التي كانت تنتابه بين الحين والآخر . وكان فى عينيه بريق كبريق الحمى وهــو يتكلم . وقــال :
ـ اتعلم ، يا جيرارد ، لقد حاولت مرارا ان احاسب نفسي . انــا لست حيوانا . انا انسان ، ويمكنني الحكم على نفسي . ولو كنت كاتبا او شاعرا ، لاتفق البشر على انني استطيع ان اضيف شيئا الى معرفتهم . وهذا يعني أنني امتلك ذاتي . ويمكنني ان احلل دوافعي بالرغم من اني لا املك السيطرة عليها . واذا استطعت ان اتحدث عنها للاخرين فمن الممكن حتى ان اتعلم السيطرة عليها . وعليه فلماذا يصدر الحكم باداتني واساق الى

المشنقة كالكلب المكلوب ؟ لىس لاحد الحق فى ان يفعل هذا . انها جريمة قتل بحقي .

فقال سورم :

ــ هذا ما كنت تفكر فيه طوال هذا الصباح ؟

ــ كلا . كلا ابدا . ولكني كبيراً ما فكرت فى ذلك ...

وذهب الى النافذة ثانية واطل من خلالها . ثم فتحها وازاح الستار قليلا . كانت الغرفة مليئة برائحة الابخرة الحادة التي تصاعدت من المدفأة وهي تنطفىء . وقال سورم :

ــ وماذا ستفعل الان ؟

ــ آه ، تلك هي المسكلة ؟ هناك شيء واحد اكيد ، وهو انه ينبغي على ان اكسف .

ــ ولكن ... هل نظن انك سنفلت ؟

ــ لم لا ؟ اذا لم يكن لديهم دليل ضدى ...

ــ ولكن طالما يبحث ماكمردو عنك ، معناه انه لديه شكوك اكيدة .

ليس هذا شيئا يذكر . لم يرني احد الليلة الماضية ...

فقال سورم :

ــ كنت انت ايضا الليلة الماضية ؟

ولاول مرة لاح الشعور بالاثم فى وجه نن وقال :

ــ اجل .

ــ هل كنت ... على معرفة بالمراة ؟

وجلس نن وقال :

ــ اه ، اذا كنت تريد التحدث عن ذلك ... فمعناه يجب ان نبدأ من جديد .

فقال سورم :

ــ لا اريد ان نتحدث عن هذه الحادثة بصورة خاصة .

ــ اترى ... تلك هي منسكلتي . لا يمكنني البقاء فى انكلترا . لو كنت على يقين من اني اريد ان اشفي نفسي ...

ــ الا تريد ان تشفي نفسك ؟

ــ الى حد . ولكن الامر لا يشبه المرض . لا شك انك تفهم ذلك ، يا جيرارد ؟

ــ اظن ذلك ...

ــ الا ترى ... ان اردت ان تفعل شيئا ذا قيمة ، عليك ان تدع لنفسك

المجال للاندفاع . اترى ، لقد ولدت على هذا الشكل . لقد جرى ذلـك في عروقي . انه يشبه القلق الذي تحس به انت . لم استطع ابدا ان استقر في حياة اعتيادية . عندما كنت في السابعة عشرة كنت ابتهل الى الله ان يجعل مني فنانا عظيما . كنت اتفرس في صور فان غوخ او مونش وافكر : كـان لهؤلاء الناس دوافع غريبة . واعتقد انه كانت تراود مونش رؤى الدمـاء . كنت اعتقد بأني لو كنت املك القوة الكافية لاصبحت فنانا عظيما . . .

وبدا عليه الانهيار فجأة ، والقى برأسه مرة اخرى بين يديه . واحس سورم بشفقة هائلة تعتصره في اعماقه وشعر برغبة ليمد اليه يديه عبر الغرفة. وقـال نـن :

ــ ولكن لم تكن هنالك فائدة نرجى . كنت سعيد الحظ اكثر ممـا ينبغي . وكان لعائلتي الكثير من المال . لـكي تقوم بشيء كهـذا ، عليـك ان تشعر بالوحـدة .

وقال سورم بهدوء :

ــ مسكيـن يـا اوستن .

ورفع نن بصره وهو يبتسم . كانت عيناه حمراوين حيث كان يدعكهما.

ــ كلا . انا لست اوستن المسكين . انا اوستن القذر الغني . ولكن اصغ ، يا جيرارد . لدي نظرية . في عقلي الباطن كنت دائما احـاول خلق حالة متأزمة في حياتي . لكي اتخلص من المال والامتيازات . وقد نجحت بذلك فعـلا . لقد خلقت الازمة ولم يعـد هنالك طريق للعودة . تأمل ، لو كنت غادرت القطر يوم امس ، لكانوا ادانوا هذا الشخص المسكين مـن بريكستون لجرائم القتل هذه ولما كان علم احد .

وقـال سورم :

ــ انـا لست واثقا . كانت الشرطة تراقبك . وقد اخبـرني الاب كاراثرز بان احذرك . كان شتاين قد اخبره .

فقـال نـن :

ــ الاب كاراثرز ؟ هل بقي احد في لندن لا يعلم ؟

ــ لا ادري اذا كان يعلم . ولم اكن انـا اعلم الا عندما رأيتك . ولـم استطع ان اصـدق .

وقـال نـن :

ــ وقد صدقت الان ؟

ــ كـلا . كلا في الواقع . اوه ، اني اصدق كلماتك . . . ولكن الامـر لا يبدو حقيقيا بالنسبة لي .

ومد نن يديه على فخذيــه وراح يحدق فيهما وقــال :

ـ لكــن مـــا قلته صحيح . . .

فقـــال سورم :

ـ ولكن لماذا ؟ لماذا كان عليك ان تفعل ذلك .

ونظر نن اليه . كانت عيناه تبدوان محتقنين بصورة غريبة وقال :

ـ كيف لي ان اعرف ؟ يعود هذا الدافع الى الماضي البعيد حتى انني لا استطيع ان اتتبع اثره . الم تشعر قط باحساس كهذا ؟

ـ أ . . . اظن ذلك . عندما كنت فى السادسة كان لي ميل قبيح وهو ان اضرب الاطفال الذين كانوا اصغر مني سنا . . . اذا ضايقني سيء منهـم ولا ادري هل كان ذلك الدافع من الدوافع السادية ام مجرد الميل الى المزاح .

فقـــال نـــن مبتسمـــا :

ـ يبدو ذلك دافعا ساديا بكل معنى الكلمة .

ـ ولكني كنت دائما استطيع ان افهم دوافعي فى وقتها . لم يكن الامر ، على كل حـــال ، كأن شيطانا تملكني ، كما يقولون . كنت دائما انـــا المسيطر عـــلى نفسي .

ـ بالطبع . هذه هي الحال دائما .

ـ ولكنك . . . حدثتني مرة عن القيام بفعل جعلك تسعر وكأنـــك انقلبت الـــى حيوان .

ـ صحيح ؟ ربما حدثتك بذلك . ولكن ذلك لا يبدو ان يكون طريقة مسرحية للتعبير عن الحالة . لو نظرت الى نفسك نظرة موضوعية ، فستشعر بالطبع بأنك كالحيوان . غير ان الواقع ليس غريبا الى هذا الحــد . اتعلم ، ان الواقع ليس غريبا الى هذا الحد . اتعلم ، ان لدى أحد علماء النفس نظرية تفيد بان الاساطير القديمة عن الوطاويط والذئاب المسوخة انبثقت كلها عن اعراض السادية ـ انفصام الشخصية . انا لم احس مطلقا بأني ذئب فــــي صـــــورة انسان .

ـ كيـــف شعرت اذن ؟

كان يحدق فى يديه مرة اخرى . وقال على مهل :

ـ استطيع ان اعطيك فكرة . عندما قتلت تلـــك العاهرة السوداء احسست بنشوة هائلة . احسست كأني نبي يطهر العالم ، كأني المسيـــح يقذف بالصيارفة خارج المعبد . وعندما رأيتها راقدة على الارض ، كان علي ان اكبح فى نفسي الرغبة فى الصراخ لجلب انتباه كل من فى الشارع ليـــأتي وينظر اليها . كنت اريد ان اقول : انظروا ، لقد ماتت . انها عبرة للعالم . . .

ورفع نظره فجأة فلمح مزيجا من الذعر والافتنان يرتسم في وجه سورم . لقد بدا نن ، بشكل من الاشكال ، انسانا اخر ولاح وجهه وعيناه اكثر عتمة . وذكره منظر سورم باحد الفجر تعرف عليه وهو طفل . وقال نن بلهجة كئيبة :

ـ اعلم . انك لا تفهم . لا يمكنك ان تفهم .

وقال سورم :

ـ كلا ... افهم قليلا . هل كانت هذه هي الاولى ؟

وحدق فيه نن . وكانت عيناه اصلب من ذي قبل ، تلوحان خاليتين من العمق .

ـ كلا . ولكني ... لا اريد ان اخوض في الموضوع .

ـ طيب ... عم تريد ان نتحدث ؟

ـ مسكلة ماذا يمكنني ان افعل .

ـ ماذا تريد ان تفعل ؟

ـ لست ادري . أتعلم ... تركت هذا الدافع ينمو ويشتد . واني لاحس اليوم بأني قد تطهرت منه تماما ـ كأنه مضى الى غير رجعة . ربما مضى فعلا لغير عودة .

كان الامل يشرق في وجهه ، وقد استطاع سورم ان يميزه بوضوح . اذ كان الافتعال محالا . وقال سورم بهدوء :

ـ بسبب الليلة الماضية .

فهز نن راسه وقال :

ـ بسبب الليلة الماضية . اتعلم يا جيرارد ؟ احسست في الليلة الماضية ، ولاول مرة ، بالغثيان المفاجيء من نفسي . بدأ الامر سخيفا لا معنى له . وكنت طوال الطريق الى هنا اقول لنفسي : اذا لم يقبض علي هذه المرة ، فهي الاخيرة . لن يحدث شيء من هذا القبيل ثانية .

ـ وهل تعني ذلك ؟

ـ اظن ذلك . لست ادري ، يا جيرارد ، انا لم ازل ارغب في عمل شيء اخر . انا لم ازل واثقا من ان في امكاني ان افعل شيئا جيدا ، شيئا مهما . الا تعتقد ذلك ؟ انه الدافع نفسه ـ الحاجة لان ادع شيئا يخرج من ذاتي .

فقال سورم :

ـ اسمع . ارجو ان تعذرني اذا بدا سؤالي سخيفا ، ولكني اريد ان اوجهه مع هذا . لنفرض ان الامور جرت بالطريقة التي تريدها انت ولنفرض

انك عدت الى لندن ولم تقبض عليك الشرطة فتبدأ حياة جديدة . الن تعود بذاكرتك . . . الى الماضي ؟ ام تعتبر ان الامر مضى وطواه النسيان ؟

ــ لست ادري . اظن ذلــك .

ــ الا تحس . . . أ . . . بتبكيت الضمير ؟

ــ وما الفائدة من ذلك ؟ قضي الامر . واذا كان الدافع قــد اختفى نهائيا فمعناه انه لم يكن عديم الجدوى كليا . . .

ــ ومــاذا عــن النساء ؟

فهــز نــن كتفيه وقــال :

ــ اف . . . نفر من العاهرات . نساء بعن حياتهن على ايــة حال . اتدري ماذا قالت تلك المرأة لي فى الليلة الماضية ؟ « من المحتمل ان تكون انت ذلك الذي يدعو نفسه الفوطة الجلدية » . لقد علمت باني ربما اكونه .

ــ لا احسبها كانت تعتقد بذلك .

ــ ولكنها كانت تعلم ان الامر ممكن . ولم تكترث . لو انك وجــدت حشرة كريهة فى قطعة السجق فانك تكف عن شراء ذلك النوع من السجق ، اليس كذلك ؟ اما اذا مضيت فى تناول هذا النوع من السجق فمعناه انــك لم تكترث فى الواقــع .

ــ او ان الجوع بلغ بك حدا لا يمكنك فيه الكف عن تناوله .

ــ كلا . ليس هؤلاء النسوة الى هذه الدرجة من الفقر حتى انهن لا يستطعن التخلي عن حياتهن . وفى استطاعتهن أن يعشن حياة افضل لــو عملن بائعات فى المخازن او عاملات فى مصانع النسيج . ولكنهن لا يكترثن .

ــ ولكنك لم تقتلهن لمجرد انهن لا يكترثن ؟

فقــال نن بشيء من الغيظ :

ــ لست ادري . لست ادري لم اريد ان افعل ذلك .

وحرك يديه مشيرا الى معدته :

ــ انه شيء احس به هنا . واشعر احيانا بالرغبة فى ان اتناول دواء مقيئا فاتخلص منه برمته . انه يتشبه الملاريا المزمنة . ولكن حاول ان تفهــم يــا جيرارد . ليس هذا مجرد مرض . انه انفعال شديد . انــه ضرب مــن الدافع الخلاق المعكوس . احس كأني اخدم شيئا اعظم من نفسي . انه . . . انه حاجة . . . الى البنــاء .

ورسم بيديه شكلا فى الفضاء . ثم ضحك فجأة ضحكة دهش لهــا سورم . كانت ضحكة منبسطة ، فيها شيء من السرور .

ــ اترى ، انك لتحس ان وراء هذه الحاجة دافعا دراماتيكيا ــ كرغبة

مؤلف المسرحيات فى حبك ذروة لمسرحيته . اتفهم ؟

فهز سورم راسه . وقال ببطء :

ـ تعني ... كما نشرت الجرائد : القاتل انتقل الى غرينتنش ، واذا بجريمة مضاعفة تقع ؟ ثم يلقى القبض على انسان ، فيتنفس السكان السعداء . واذا بجريمة اخرى تقع ...

ولاح الجد فى محيا نن فجأة :

ـ من زاوية معينة . نعم . ولكن ، يا جيرارد ... كم اود لو تخلى هذا الشعور عني ، وللابد . لقد كان هذا الدافع يسوقني ... منذ ثلاث سنين .

ـ منذ حادثة هامبورغ ؟

وبدت الدهشة فى وجه نن وقال :

ـ نعم . هامبورغ . كيف عرفت ؟

ـ الاب كاراثرز ايضا ، شتاين هو الذي اخبره .

فقال نن باقتضاب :

ـ توقعت شكوكهم .

ـ الم يكن القتيل رجلا فى هامبورغ ؟

ـ كان شابا . يتعاطى الجنس .

ـ كان الاول ؟

فهز نن راسه بالايجاب .

ـ و ... لماذا شعرت بالحاجة ...؟

فقال نن وهو يهز راسه :

ـ لا اعلم . لا يمكنك ان تفهم .

ـ ربما يمكنني ان افهم . هل كنت تكرهه ؟

ـ كلا . على العكس . كنت اهواه ... قليلا .

ـ ولماذا لم يقبضوا عليك ؟

ـ لم يعلم احد انه كان معي . وكان لديه زبائن كثيرون .

ـ ولكن ... ماذا فعلت له ؟

ـ هل يهمك ان تعرف حقا ؟

ـ اجل .

ـ دعني اخبرك . غطسته فى حوض الحمام المليء بالماء المثلج ـ كان الوقت فى منتصف الشتاء فى هامبورغ ـ وتركته هناك ساعة واحدة . ثم حملته ثلاثة طوابق وتركته فى غرفة رجل علمت انه سيغيب تلك الليلة عن

غرفته . وعاد الرجل في الخامسة صباحا فايقظ كل من كان في الفندق . ثم جاء احد الاطباء وفحص الجثة وقرر من درجة حرارتها ان الجريمة وقعت قبل ثماني ساعات على الاقل . وقد استطعت ان اثبت اني كنت غائبا عن الفندق حتى الساعة الثانية صباحا ، فسمحوا لي بان اترك الفندق في اليوم التالي .

ـ الم يكن في الامر خطورة ؟ كان من الممكن ان يراك احدهم وانت تصعد به السلم .

ـ هذا صحيح . كان الامر خطرا . وكان الرجل الذي يسكن في الغرفة المجاورة قد سمعني افتح صنبور الماء في الحمام في الساعة الثالثة صباحا وذكر ذلك صباح اليوم التالي . ولحسن الحظ، كنت اتخذت حيطة شديدة الا ادع شعر راسه يبتل . كانت مسألة خطرة جدا .

كان نن يتكلم بشيء من الزهو . كأنه يقص على سورم تفاصيل نزهة للصيد . ونظر سورم الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد الواحدة . كان قد مضى عليه حوالي الساعة . وكان سلوك نن قد تغير تماما . فلم يعد يلوح ثملا ، وكان يتحدث بدقة متناهية ، وكان صوته هادئا مرحا . وكان الويسكي قد اثر في سورم ، واحس باكثر من سكرة خفيفة ، بالرغم من انه لم يفقد قوته على التركيز . لقد احس بقبول غريب لنن . لم يعد كون نن قاتلا اغرب من كونه شاذا جنسيا ، او اغرب من كون جيرترود كوينسي خليلته . لقد تغيرت الاشياء ، والعالم في جريان مستديم . ليس ثمة نهاية للمكان او للزمن ، ليست هنالك غير حرية هائلة لا حدود لها .

وقال نن :

ـ قل لي ، ماذا يدور في ذهنك ، يا جيرارد ؟

ـ ليس ذلك سهلا . يمكنني ان ابدأ بالفهم ... ولكن لم تزل هنالك حلقات مفقودة .

ـ مثلا ...

ـ الا تفضل ان تكون ... طبيعيا ؟ او ...

فقاطعه نن بسرعة :

ـ بالطبع افضل ان اكون طبيعيا . ولكن ارجو الا تبالغ في اضفاء الشذوذ علي . اعتقد ان مهنة الجلاد ، مثلا ، مهنة غير طبيعية ولكنه يعاملها على انها مهنة مع هذا . والشيء نفسه ينطبق على الجزار . كنت اعرف رجلا قضى سني الحرب يدرب المراهقين على القتل بسهولة وصمت . كما اعرف فدائيين قتلوا عددا لا يستطيعون احصاءه من الالمان . وكان احدهم

يذهب دائما الى المانيا لقضاء عطلته ويقول انه يفضل الالمان على اي شعب آخر في اوروبا .

فقال سورم باكتئاب :

ــ تعنى ان القتل هو جزء من الذهنية الحديثة ؟

ــ جزء من اية ذهنية كانت ، يا جيرارد . يقوم المجتمع دائما على القتل . لا نفع فى محاولة تحريم القتل بالقوانين والسنن الاخلاقية . يجب ان يترك ليختفي من ذاته ــ على الناس ان ينضجوا ذهنيا الى ما وراء هذه الشهوة . الا تفهم ما اعنيه ؟ صديقي من الفدائيين الذين ذكرته ــ انه انسان يحترم القانون احتراما تاما . ولكن القتل لم يزل فى كيانه . واذا وقعت حرب اخرى ، فلا يلبث ان يبدأ بالقتل ثانية . انه لم يرتفع عقليا فوق القتل . ولكنه يقبل بالقوانين التي تحرمه . ليست هذه الطريقة التى ينمو بها الانسان ... هل بدأت تظن بأني من الجزويت(١) ؟

فقال سورم بتردد :

ــ لست من الجزويت . ولكن دفاعك هذا لن يجدي فى اية محكمة ...

فقال نن على الفور :

ــ اتفق معك . ولا اتوقع ان يجدي دفاعي شيئا . انه ليس فى الواقع دفاعا . انا لا انكر ما فعلت ،وكيف لي ان انكره ؟ بل اني لا افهم ما فعلت . لقد ولدت بهذا الدافع .

ــ اعلم ... ولكن الذي لا افهمه هو ... على كل حال ، لماذا ينبغي ان تفعل ذلك . يمكنني ان افهم كل شيء ما عدا فعل القتل نفسه . يمكنني ان افهم الكراهية والحقد . لقد كتبت مرة قصة عن رجل يرتكب جريمة قتل نتيجة لمحض الشعور بالسأم والرغبة فى فعل شيء ايجابى . ولكن .. الاسباب ليست بهذه الاهمية . وانك لا تقتل الاسباب وانما تقتل مخلوقا ادميا .

فقال نن بجد :

ــ هذا صواب ، من زاوية معينة . ولكن الشعور ليس ادراكا عقليا الى هذا الحد . وانما ضرب من الاستهجان اللاعقلي على ما اعتقد . ليس للناس فقط ، وحتى للمجتمع فقط ، وانما للعالم .

لم يكن ينظر الى سورم وهو يتكلم . كان قد لوى وجهه ، وكان سورم لا يرى غير قمة رأسه وشعره الاسود الكثيف المغسول حديثا . وعندما تأمل فى سبب غسل شعره مرت به رعشة . وبدا الحديث فجأة غير

---

(١) يستخدم اعداء الجزويت هذه الكلمة لتعني الخبث والدهاء ــ المترجم

حقيقي ، وحاول ان يبذل جهدا عقليا ليعيده الى نقطة واحدة . وقال :

اعتقد اني أفهمك . فلقد خبرت هذا النوع من السعور بالاشمئزاز. اذ قبل ثلاثة أشهر من اسقالتنى من وظيفتى الى الابد ذهبت لقضاء اجازة فى كينت ، ومر بي شعور مماثل .

وقـــال نـــن وهو لم يزل مشيحا بوجهه .

ـ مـــــاذا حدث ؟

ـ اوه . . . لقد سعرت بالملل من المكتب . جعلني احس بالجمود فى اعماقى . وفى الاخير ، لم تكن العطل الاسبوعية كافية لتطهر نفسي من هذا الملل . ولم استطع قراءة الشعر او الاستماع الى الموسيقى . كنت احس كأنني مصاب بامساك . على كل حال ذهبت فى اجازة الى كينت مـــــدة اسبوع . وقضيت اليومين الاولين وانا لا احس بشيء على الاطلاق ، لاشيء غير الموت فى اعماقى . وذهبت ذات يوم الى حانة تقع فى محل يـــــدعى « مارتون » وتناولت قدحين من البيرة . وعندما خرجت احسست كـأن فقاعة انفجرت فى نفسي وبدات أحس بالاشياء من جديد . واجتاحني فجـأة شعور بالكراهية للمدن والدوائر والناس وكل ما يدعو نفسه مدنية . . .

كان يرغم نفسه على الكلام ، وقد سره ان يتحدث عن نفسه ليعيد جوا طبيعيا الى الموقف :

ـ ثم خطرت فى ذهنى خاطرة . جلست على جانب الطريق واخـذت اتأمل فيها . كنت قرأت فى مكان ما ان الزنادقة كانوا يعتقدون بان الشيطان هو الذي خلق العالم وان كل ما يتصل بالمادة شر . ولكن لاح لي فجأة ان القوى التى تكمن وراء هذا العالم ليست خيرة او شريرة ، وانما شيء لا يقوى البشر على ادراكه . وان الشيء الوحيد الذي تريده هذه القوى هو الحركة ، الحركة الابدية . شعرت على هذا النحو فجأة . يريـــد البشر السلام ، فيشيدون مدنهم ويضعون قوانينهم لتوطيد السلام . غير أن القوى التي تكمن وراء العالم لا تريد السلام ، فلذا ترسل اناسا وظيفتهم اثارة الاضطراب في العالم ــ اناسا مثل نابليون وهتلر وجنكيزخان . ولقد دعوت هـؤلاء الاشخاص « الاعداء » . وفكرت : انا انتمي الى هؤلاء « الاعداء » ولهذاكرهت هذه المدنية الملعونة . وبدات فجأة احس بتحسن .

كان نـــن ينظر اليه الان ، وهو يهز براسه ببطء بينما كان ســـورم يتكلم . وقال نـــن ، مبتسما :

ـ تماما . انك لتفهم ايضا . ان القوة التي تقف وراء العالم ليستخيرة ولا شريرة . ليس البشر على جانب من النضوج الكافي لمعرفة شيء عن الخير

والشر . هذا ما شعرت به ... وكان يحدث لي لاول مرة فى لندن . كنت فى زيارة للاب كاراترز وخرجت من عنده وانا امقت كل شيء . كان على ما يظهر لا يعي ما كنت اتحدث عنه . ومشيت فى شارع تشارترهاوس ، وكانت الشمس تنحدر للمغيب خلف اعالي السطوح بطريقة غريبة . وفجأة احسست بالازدراء لكل شيء . هل قرات فى كتاب شتاين عن كورتن تلك الفقرة التي يصف فيها كيف كان كورتن يحلم بنسف المدينة كلها بالديناميت ؟ لقـــد شعرت انـا بنفس الشيء .

وتوقف فجأة وراح يلوي اصابعه . ثم حنى يديه الى الوراء فطقطقت مفاصلهما . وكان صوته قد صار اجش بطريقة غريبة . واخذ سورم يرقبه باهتمام وهو يحس بالتوتر الذي كان يتولد فى اعماقه . ونهض نـن فجأة وذهب نحو النافذة ، وصب فى قدحه قليلا من الويسكي وابتلعه جرعـــة واحدة . وعندما شرع يتحدث ثانية لاح صوته مختنقا :

ــ لا يمكنني ان اوضح شعوري ... ولكنك تفهم .

فقـــال سورم :

ــ اجـــل ، افهـــم .

قال ذلك ليدخل الطمأنينة فى نفس نــن اكثر من يقينه بانه فهم فعلا .

وتوقف نن بضع ثوان وظهره الى سورم وهو ممسك بقدحه الفارغ . ثم استدار بجسده ومر باصابعه فى شعر سورم . وكان يبتسم ثانية . وقال :

ــ اتمنى لو كنت تفهمني حقا ، يـا جيرارد .

وجلس مرة اخرى ، ولكن على حافة الكرسي ، وقد وضع قبضتيـــه على ركبتيه . وبالرغم من البرودة التي كانت تسري فى الغرفة الان كان العرق يسيل على وجهه . وقال سورم :

ــ اعتقد انني فهمت فعلا ، اوستن . ولكن ... اتعلم ... ينبغـي عليك ان تكف الان . ان توقفت الان ، ربما تكون فى مأمن . ولكنك ان مضيت فى هذا السبيل ... فلن ينقذك احد .

فقال نــن : اعلم ، تلك هي المشكلة .

فمال سورم الى الامام وقال :

ــ ولكن الا تدرك موقفك ؟ انك حي الان ، وبعد شهرين من المحتمل ان تكون فى زنزانة الاعدام تنتظر مصيرك . انهم يشنقونك ، يا اوستن . عليهم ان يشنقوك . انهم لا يجرؤون على ادخالك فى مستشفى المجاذيب . اهرب مـا دمت قادرا . اذهب الى سويسرا . ابحث عن طبيب نفساني جيد واعطـــه

خمسة الاف باون واعترف له بكل شيء . ولكن لا تبق فى لندن .

ورفع نن نظره الى سورم وابتسم . وكان الاجهاد قد عاد الى وجهه . وقال :

ـ اعلم انك على حق ، يا جيرارد .

وسعل لينقي حنجرته ومر بيديه خلال شعره . وشرع يحكم ازرار قميصه .

ـ انا شديد الامتنان لك ، يا جيرارد ...

ـ هراء .

ـ انا لا استحق صديقا مثلك .

فقال سورم :

ـ لا تكن سخيفا .

فنهض نن :

ـ اعتقد انه ينبغى ان نرحل .

وفيما هو يتكلم سمعا جلبة . كان صوت شيء معدني يضرب في الخارج ، ومكثا لحظة يحدق احدهما في الاخر . ونظر سورم نحو النافذة . وقال بسرعة :

ـ من المحتمل ان يكونوا من رجال الشرطة .

وبينما هو يتكلم ، سمعا طرقا على الباب . وقال نن :

ـ لعلهم كانوا يتبعونكما .

ـ انا آسف ...

ـ لا تكترث .

وفتح الباب المؤدي الى الصالة ، فتبعه سورم وامسك بذراعه . وقال بهدوء :

ـ لا تبح بشيء .

فالتفت اليه نن وابتسم . كانت ابتسامة هادئة ساخرة ذكرت نن بلقائهما الاول ، ابتسامة تنم عن الثقة والاستعلاء . وقال نن :

ـ لا تقلق ايها الصديق . كن انت على حذر .

وخرج الى الباب الامامي . وبعد قليل استطاع سورم ان يميز صوت ماكمردو .

ـ المستر اوستن نن ؟

ـ نعم . هل من خدمة ؟

ـ نود ان نتحدث معك ، ان امكن . انا ضابط سرطة .
ـ بالتأكيد . تفضل . كنت اتوقعك .
واستطاع سورم ان يرى اللهفة على وجه ماكمردو . وبعد قليل دخل الغرفة يتبعه العريف ونن . وكان يقول :
ـ صحيح ؟ كنت تتوقعني ، لماذا ؟
فقال نن :
ـ لان صديقي هنا جاء خصيصا ليطلب مني الاتصال بكم .
كان سورم ما يزال جالسا . فأومأ برأسه باقتضاب لماكمردو .
ـ كيف حالك ؟
فقال ماكمردو :
ـ لم اكن اتوقع رؤيتك هنا . ظننت انك لم تكن تعلم اين يمكن ان نجد نن ؟
فقال سورم ببشاشة :
ـ لم اكن اعرف . ولكني ظللت ابحث باستمرار .
كان عدم التصديق واضحا في سيماء ماكمردو . وقال :
ـ آه .
والتفت الى نن :
ـ مستر نن ، الا تتفضل وتخبرني اين كنت الليلة الماضية ؟
ـ بالتأكيد . كنت هنا .
ـ طول الليل ؟
ـ كلا . ذهبت لاستنشاق شيء من الهواء . مجرد نزهة في السيارة .
ـ كم كانت الساعة ؟
ـ اوه .. في الواقع ، لست ادري . بعد منتصف الليل . كان لدي راديو بطارية وقد نفدت البطارية .
ـ كم امضيت خارجا ؟
ـ اوه .. حوالي الساعتين ، ربما .
ـ اين اوقفتك سيارتك ؟
ـ في الزقاق خارجا .
ـ ومتى تركتها خارج فندق كراون في ليذرهيد ؟
وجلس نن على حافة الطاولة . كان وجهه متجهما شديد التركيز .
ـ صباح اليوم . ذهبت لشراء صحيفة . وكان اليوم جميلا للغاية

فقررت العودة مسيا على الاقدام . وقد تناولت شيئا من القهوة ..
فقاطعه ماكمردو بعنف :
ــ انك تعلم سبب توجيه هذه الاسئلة ، اليس كذلك ؟
فقال نن :
ــ اظن ذلك .
ــ لماذا اذن ؟
ــ انك تقوم بالتحقيق فى جرائم واينسابل . وتريد الانتهاء مني كواحد من المسبوهبن فى قائمك .
ورأى سورم الامتعاض في وجه ماكمردو يزداد شدة كلما اجابه نن بنقة . وكان العريف نقف قرب الباب ، يرقب الموقف باهتمام . وقال ماكمردو :
ــ الا يضيرك ان نتحرى البيت ؟
فسأل نن برقة :
ــ هل لدبكما تصريح بذلك ؟
ــ كلا . ولكن يمكننا الحصول عليه حالا .
فقال نن على عجل :
ــ اوه ، كلا ابدا ، تفضلا .
وخرج العريف من الفرفة . وبعد قليل سمع سورم عددا اخر من الرجال يدخلون . وجلس ماكمردو على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه . ووجه سؤاله الى سورم :
ــ وهل لى ان اسألك كيف جئت الى هنا ؟
ــ بالسيارة . جاءت بي المس كوينسى ــ عمة اوستن .
ــ كيف علمت ان المستر نن هنا ؟
ــ بعد زيارتكما ظللنا نتحدث طويلا وحاولنا ان نهتدي الى المحل الذي يحتمل ان بكون فيه . واخيرا ، تذكرت العمة هذا المكان ..
اين هي الان ؟
ــ في فندق كراون .
وللمرة الاولى احس سورم بالذعر . لم يكن يخشى شيئا لنفسه او لنن ، ولكن جيرترود كانت من فصيلة اخرى . واحس بالندم يقرصه لاخبارها عن نن . ولكنها كانت تعلم قليلا ، حتى لو اعترفت ..
ودخل الغرفة احد رجال الشرطة في ملابس مدنية واشار لماكمردو

والتقت نظرتا نن وسودم لبرهة بينما خرج المحقق من الغرفة . وبعــد قليل عــاد المحقق وسأل :

ــ الا تتفضل وتخبرني ، يا مستر نن ، ما هو سبب وجود الرمـــاد الدافىء في موقد الغرفة العلوية ؟

فقال نن مبتسما :

ــ اوه ، بالطبع . كنت بدات اشعل النار في غرفة النوم ، ثم اقبــل جيرارد فنسيت امرها . وتجدون الخشب والفحم في الغرفه .

ــ هل وضعت الخشب في النار ؟

ــ كلا . كنت اشعر بالبرد ، فملأت المسبك بالورق وبعض الخــرق المزيتة واشعلت فيها النار.كنت جالسا استمتع باللهيب عندما جاء جيرارد:

ــ من اين جلبت الخرق المزيتة ؟

ــ من السقيفة في الخارج . تركها الصباغون .

ــ وهذا ما يفسر رائحة زيت البارافين ؟

ــ تماما .

فقــال ماكمردو :

ــ يستعمل الصباغون التربنتين .

فقال نن وهو يهز كتفيه :

ــ اعتقد انني لست مسؤولا عما يخلفه الصباغون . ولــم يكون لذلــك اهمية ، على كل حال ؟

فاهمل ماكمردو السؤال وقــال :

ــ ولماذا ترتدي القميص فقط ان كنت تشعر بالبرد منذ ساعة ؟

فقــال نن :

لان هذه الغرفة كانت دافئة جدا في الواقع قبل ساعة ، كما يمكــن ان يخبركم به صديقي هنا . ويمكنكم ان تجدوا سترتي وقميص الصوف على الفراش في غرفة النوم .

ــ وماذا كنت تشعل في موقد المطبخ ؟

ــ اوه ... نفايات اخرى . اكثرها من الصحــف . اني مغــــرم بــاشعال النيران .

ــ الم تكن تحرق اشياء اخرى ... ملابس ، مثلا ؟

فقال نن ، وقد نفد صبره :

ــ تعني ملابس ملطخة بالدماء ؟ اسمع ، ايها المحقق ، لا داعي الــى اللف والدوران. اني اريد مساعدتك ، اسألني عما تشتهيه ، فاجيبك بكل

ما يمكنني مـن الدقـة .
فكرر ماكمردو السؤال باصرار :
ـ هل كانت هنالك اية ملابس ؟
ـ كـلا .
ـ انك لتعلم بأن هذا من الاشياء التى يمكننا اكتشافها بسهولـة ؟ وذلك بتحليل الرماد ؟
فقال نن :
ـ عظيم . يسرنى ان اسمع هذا . فانه يوفر علينا المتاعب .
فقـال ماكمردو :
ـ آه .
ومال الى الامام كأنه يحدق فى المدفأة . ثم التفت الى نن فجأةوقال :
ـ ماذا فعلت بميلى روجرز ؟
وشعر سورم بقلبه يعنصر بطريقـة كريهة ، ورأى نـن يفاجـأ بالسؤال . وقال نن :
ـ ارجـو المعـذره .
فقـال ماكمردو :
ـ شوهدت تتحدث الى امراة تدعى ميلى روجرز خارج ناد فـي بادينفنن . نادى البلالايكا . وقد سمعها احدهم تقول بانها ستذهب معك الى البيت . ولم يرها احد منذ ذلك اليوم .
فقـال نـن ببرود :
ـ ليست لدى اية فكرة عم تتحدث ايها المحقق ، وان كنت لا تعرف، فان ميولى ليست فى هذا الاتجاه .
ـ اتنكر معرفتك بامراة بهذا الاسم ؟
ـ بكل تأكيـد .
ـ وتنكر انك تحدثت معها .
ـ كلا . ليس بالضرورة . من المحتمل اني تكلمت الى امراة من هـذا النـوع اذا كانت قد تحرشت بي . وكذلك على ما اتصور ، اني تحدثت الى الاف الرجـال .
ـ وكيف علمت انها كانت من « هذا النوع » ؟
ـ حقا ! ايها المحقق ، انك لا تدع مجالا للشك !
وعاد العريف الى الغرفة . كان ممسكا بقبعة نسائية حمراء. فتناولها ماكمردو منه . وقال العريف :

ــ وجدتها في درج الملابس في غرفة النوم ، يا سيدي .
فسأل ماكمردو نن :
ــ لمــن هــذه ؟
ــ صدق او لا تصدق ، ايها المحقق ، ان هذه القبعة تخص عمتي . تركتهــا هنــا .
ــ السيدة التي تنتظر الان في فندق كراون ؟
ــ نعم .
ــ هل سبق ان جاءت الى هنا ؟
ــ مرة واحدة عندما اخذتها في نزهة بالطائرة .
ــ هل هي السيدة نفسها التي قالت انها لا تعرف اين يمكن ان نجدك؟
كان ماكمردو قد وجه السؤال بلهجة ساخرة .
ــ هى نفسها .
ــ ولم ، في اعتقادك ، انها لم تذكر لي هذا المكان عندما سألتهــــــا صباح اليــوم ؟
فتدخل سورم قائلا :
ــ يمكنني ان اخبرك . كانت قد نسينه . وبالاضافة لذلك ، كانت صدمة بالنسبة لها ان ترى الشرطة تبحث عن ابن اخيها .
وحدق ماكمردو في وجه سورم بنظرة عدائية . ومرت لحظة، توقع سورم ان ماكمردو سينفجر بتقريع شديد . ثم لوى الشرطي براسه وهــو يهز كتفيه وناول القبعة الى العريف . وقال :
ــ خذ بعض النماذج من الرماد ، ايها العريف .
ثم التفت ثانية الى نن :
ــ ألا تسمح لي برؤية يديك ؟
ومد نن يديه دون ان يتكلم . فتناولهما ماكمردو فى يديه ثم قلبهما، وقــال :
ــ لقد نظفت اظافرك اليوم .
ــ بالطبع افعل ذلك كل يوم .
ــ يبدو انك بالغت في تنظيفها اليوم .
ــ كلا . ليس بصورة خاصة .
وترك ماكمردو يدي نن . ولاحظ سورم خيبة ماكمردو . اذ بدا فمه يتوتر بطريقة اظهرته بمظهر كلب كبير . ولكن قبل ان يجلس نن مرة اخرى سألــه ماكمردو :

ـ هل لديك مدية ؟
فقــال نن :
ـ بالطبع .
واخد يتحسس في جيب سرواله واخرج مدية صغيرة. فقال ماكمردو:
ـ لا اعني هذا النوع . الديك سكين اكبر ـ مثلا ، سكين ذات غمـد من النوع الذي يستخدمه الكشافه ؟
ـ كــلا .
ـ هل كانت لديك واحدة قبلا ؟
ـ كلا منذ ان كنت طفلا .
ـ اليست لديك اية مدية يمكن استعمالها في القتال ؟ مديــة ذات نــابض مـثــلا ؟
ـ كلا . . . لدي في شقتي سكينا مطبخ حادتان على ما اعتقـد . . ولكنهما ليستا خطرتين .
وعاد العريف داخلا الغرفه وقال :
ـ ليس هناك شيء اخر يذكر . اخذت نماذج من الرماد .
فهز ماكمردو رأسه ، وقال :
ـ مستر نن . اخشى انه يجب ان نأخذك معنا الى الدائرة لاستجوابك.
فاطلق نن زفره وقال :
ـ حسنا . اعتقد انه امر ضروري .
وسأل سورم :
ـ وانــا ؟
فقال ماكمردو :
ـ لن نحتاج اليك الان
فقال نن :
ـ الا يضيرك ان ذهبت لارتداء بعض الملابس الدافئة ؟
فأومأ ماكمردو برأسه موافقا . وقال :
ـ ايها العريف !
فاومأ العريف برأسه وتبع نن خارج الغرفة .
وحالما بقيا لوحدهما جلس ماكمردو على الكرسي المواجه لسورم. ثم مال الى الامام وقال بعناية :
ـ انك تدرك بانه اذا ما وجدنا اي دليل ضد نن فهذا يعني انك معرض للسجن مدة طويلة بصفتك شريكا للمجرم بعد وقوع الفعل ؟

فقال سورم بغلاظة :
ـ اسمع ، ايها المحقق . انك تبحث في الاتجاه الخاطيء . اوستن ليس بمجرم ، بصرف النظر عن خصاله الاخرى .
فقال ماكمردو :
ـ هل انت واثق ؟
ـ اظن ذلك .
ـ قل لي ، مستر سورم ، عم كنتما تتحدثان قبل مجيئي ؟
ـ مواضيع عامة ، من ضمنها جرائم وايتشابل .
ـ الم يوضح لك نن الاسباب التي تجعلنا نشتبه فيه ؟
ـ لم يذكر لي شيئا لا اعرفه ؟
ـ وماذا تعرفه ؟
ـ لاوستن بعض الميول الجنسية الخاصة ، تكفي لان تجعل منه مشبوها في قضية كهذه .
ـ وبانه سادي ، في الواقع ؟
ـ طيب .
ـ ولكنك لا زلت تعتقد بانه لا يستطيع ان يحمل نفسه على القتل ؟
وظل سورم بحدق في وجه المحقق بهدوء ، وقال :
ـ انه نزاع الى الجنس المشابه . ولكن ضحايا وايتسابل كلهن من النساء .
ـ ربما يضمر الكراهية للنساء .
ـ ربما .
فألح ماكمردو قائلا :
ـ الا تتفق معي ؟
ـ لم الحظ تلك العلائم .
وعاد نن ، وكان يحكم ازرار معطفه . وابتسم لسورم ، ورد سورم له ابتسامته . وكان كلاهما يعلم ان ماكمردو كان يرقبهما جيدا لئلا يتبادلا الاشارات . وحول نن ابتسامه الى ماكمردو قائلا :
ـ حاضر ، ايها المحقق ؟
فقال ماكمردو :
ـ طيب ، بوب .
وتقدمهما العريف خارج البيت .
كان احد الشرطة الذي يرتدي الملابس المدنية يسير الى الامام ، وتبعه

نن والعريف . ومشى السرطي الاخر خلفهما . وكان سورم ومـــاكمردو يسيران الى الخلف على بعد عسر ياردات . وادرك سورم ان ماكمردو كان يحاول ان يستفز نن . كان الامر يشبه لعبة الشطرنج . يريدون ان يجعلوا نن قلقــا لا يعلم هل باح سورم بنسيء ، وتهديد سورم بتهمة الاشتـــراك بالجريمة قد سببت له مخاوفه ايضا . وعنـــدما تسلقوا الحاجز القرميدي الفى سورم نفسه يفكر : اذا ما اعترف اوستن بكل شيء ، هل تبقى تهمة الاشتراك قائمـــة ؟

مسكين اوستن ــ لقد اضعف موقفه باشتراكي في سره . ترى ، هل هنالك اساس من الصحة لهذا الهراء عن ميلي روجرز ؟ الملابس فـــي الشقة الارضية . هل يعرفون شيئا عن هذه الشقة ؟ اتمنى لو استطيـــع التحدث الى اوستن .

وقـــال ماكمردو :

ــ انا لا افهمك .

ــ لماذا ايها المحقق ؟

ــ انك لم تلتق بنن الا منذ اسبوع . حتى اذا ثبتت ادانتـــه ليس هنالك شيء ضدك ، فلم تزج نفسك بالقضية ؟

فقال سورم ببرود :

ــ لاول مرة اعلم باني زججت نفسي في قضية .

ــ لقد هرعت الى هنا هذا الصباح لتحذيره . لعلك ادركت بانه ربما يكون هو الرجل الذى نبغيه .

فقال سورم :

ــ اتفق ان يكون صديقي . ولقد طلبتم مني بانفسكم ان اتصل به . ولـــولا مجيئكم لجاءكم هو بنفسه . كنا على وشك الرحيل الى لندن .

وفيما هو يتفوه بهده الكلمات ظن بانه لمح امارات الشك في عيـــني ماكمردو . وفجأة ، طاف فى ذهنه يقين . لم يكن لماكمردو دليل ضد نن . ان كل ما فعله هو خداع وامل . ولقد وقعت اربع جـــرائم قتـــل خـــلال اسبوع واحد . كان القبض على بريسكتون فسلا ذريعا ، وكان على ماكمردو ان يقبض على احد . واحس بجلده ينكمش للارتياح بهده الخاطرة كمـــا لو سكب عليه ماء بارد . وقال ماكمردو :

ــ انك لصديق مخلص ، مستر سورم .

ــ آمل ذلك .

كانت هنالك سيارتان سوداوان تقفان فى الزقاق الـــذي انزلتـــه فيه

المس كوينسي . وسأل سورم :

ـ هل يمكنك ايصالي الى فندق كراون ؟

ـ يمكننا . اريد ان ارى السيدة هناك ـ اسمها مس كوينسي ؟

كان نن يصعد الى السيارة الاولى . ولاحظ سورم ان ماكمردو كان يحاول ان يمنع اي اتصال بينهما . فهتف سورم :

ـ اوستن !

والتفت نن اليه . وقال سورم :

ـ اذا خرجت في الوقت المناسب ، فلنتناول العشاء معا .

ـ فكرة جيدة يا جيرارد .

ولوح بيده فيما هو يصعد السيارة . واحس سورم بالانتصار . لقد افلح في مخاطبة نن ، وعلم نن ان كل شيء على ما يرام . وصعد سورم في السيارة الاخرى وجلس الى الخلف ، وتبعه ماكمردو . وقال ماكمردو:

ـ اشك في ان موعدك سيتحقق الليلة .

ـ كلا ؟ لماذا ؟

ـ ربما سنحصل على ترخيص لالقاء القبض عليه عندما نصل .

ـ صحيح ؟ وهل ذلك من الحكمة ؟

فقال ماكمردو بلهجة حادة :

ـ اظن ذلك .

وجعل الخبث يظهر على محيا سورم ، وقال مبتسما :

ـ القاء القبض على رجل اخر غير الرجل المقصود قد يفسد الامور . ان انطباعي عن المسألة هو ان الناس بدأ صبرهم ينفد تجاه الشرطة . وافرض انكم قبضتم على اوستن ووقعت حادثة قتل اخرى غدا ليلا ؟

فعبس ماكمردو . وادرك سورم السك في وجه ماكمردو ، خوف ان يقترف خطأ اخر ، خوف السخرية على صفحات الجرائد . وقال ماكمردو بامتعاض :

ـ هذا من شأني .

فقال سورم :

ـ اعلم .

واسترخى على مقعد السيارة وراح ينظر خلال النافذة . كانت السيارة الامامية قد اجتازت الفندق .

وقال ماكمردو :

ـ توقف هنا قليلا .

وتوقفت السيارة عند انوار المرور . فسأل سورم :

ـ هل انزل ؟

فقال ماكمردو :

ـ الافضل ان تفعل .

ـ الن تأتي ؟ ظننتك تريد رؤية المس كوينسي .

فقال ماكمردو باقتضاب :

ـ فيما بعد .

وترجل سورم من السيارة وصفق الباب بينما كانت انوار المرور تتغير . وبقي واقفا برهة من الزمن ، وهو يرقب السيارة تختفي بين بقية السيارات ، ثم عبر الشارع الى الفندق .

الفصـــل التـــاسع

وقادته الفتاة التي تقف خلف طاولة الاستعلامات الى الصالة . كانت المس كوينسي تجلس لوحدها على كرسي من القنب ، وهي تقرأ احـــدى المجلات . ورفعت نظرها حالما دخل الغرفة . كانت ابتسامتها دافئـــة تلقائية . واحس بالارتياح ان يكون الى جنبها مرة اخرى . وقالت :

ــ يسرني ان جئت . بدأ القلق يساورني . هل كل شيء على ما يرام ؟

وتناولت يده فيما هو ينحني عليها ، ثم خلتها مباشرة . وقال :

ــ ليس سيئا ، ايتها العزيزة . سأذهب لاحضار شراب . هل لــك في قـــدح اخر ؟

ــ كلا شكرا . هذا قدحي الثاني . لقد تناولت الغداء توا .

وعاد الى طاولتها وهو يحمل قدح البيرة ، وسحب كرسيـــا الى جوارها . وقال :

ــ لحسن الحظ لم يأت رجال الشرطة معي هنا . وصلوا بعـــدي بحوالي ساعة .

ــ هل وجدوا اوستن ؟

ــ نعم . ولكن الامور على ما يرام . لا تجزعي ، اعتقد انـــه لـــن يحدث شيء .

وجالت بنظرها حواليها في الصالة ثم سألت هامسة :

ــ هل اوستن هو ...؟

فقال بلا مبالاة :

ــ سأحدثك عن الموضوع في الخارج. هل انت على استعداد للخروج؟

فهزت رأسها . فرفع قدح البيرة واحتسى جرعة كبيرة وكـــاد ان

يفرغ القدح . وسألت :
ــ اين اوسنن الان ؟
ــ في طريقه الى سكوتلاندنارد . للاستجواب .
ــ هل لديهم امر بدلك ؟
ــ كلا . ولا اعتقد انهم سحصلون عليه . لقد اتفقت معه على العشاء الليلة .
ورشفت من شرابها . كانت يداها ترتعشان قليلا . وقال :
ــ لا تقلقي . لعله واحد من خمسين مشبوها تم استجوابهم اليوم وهذا لا يعني تبئسا .
لاحت هذه الكلمات كأنها ادخلت الاطمئنان الى نفسها . وانهى بيرنه ونهض وقال رجل البار : طاب مساؤكما ، بينما كانا يغادران .
ــ اين اوقفت سيارتك ؟
ــ هناك في ساحة وقوف السيارات .
ولم ينبس احد منهما بكلمة الى ان تركت السيارة شارع ليذرهبد ودلفت في طريق ابسوم . وقال :
ــ ذكريني بالانصال بكارولين عند وصولنا . من المفروض ان التقي بها الليلة على العشاء .
وتجاهلت سؤاله وراحت تحدق امامها خلال زجاج النافذة.ثم سألت:
ــ ماذا حدث لاوسن ؟
وادرك ، لاول مرة ، بانه لم يقرر بعد ما الذي سيقوله لها . ودفعته رغبة فطرية في حمايتها لأن يقول لها :
ــ سيكون بخير . انه في ورطة ،ولكنها لبست وخيمة . .
ــ ولكن . . . هل يعرف عن ؟
ــ حوادث القتل ؟ لم يذكر لي ذلك بصورة خاصة . اعتقد انه كان يخشى ان يزج بي في المسألة ، لاجلي . ولكني اظنه يعرف ما يكفي لزجه في متاعب ، بصفته شريكا . . .
ــ ادن فهو ليس . . .
ــ كلا . انه ليس القاتل .
ــ اوانق انت ؟
ــ واثق تماما .
ــ شكرا لله .
واثر فيه الارتياح الذي احست به ، وجعله يشعر بالاثم . فانطلقت

ضاحكة وهي تميل الى الامام . فانحرفت السيارة ثم استقامت . وقالت:
ــ لا يمكنك ان تدرك فظاعة الكابوس الذي جثم على صدري طوال الساعتين الماضيتين .
فقال بشيء من التعاطف :
ــ ادرك ذلك ، ايتها العزيزة .
ــ ولكني علمت أن في الامر خطأ . اعلم ان اوستن ينتابه الحمق احيانا ... ولكنه لن يستطيع ابدا ان يفعل ذلك .
ــ ان عوائل اكثر القتلة يفكرون بهذه الطريقة ، اتدرين .
ــ ولكنه ليس قاتلا . انت قلت ..
ــ كلا . ليس هو القاتل . ولكنه قد يقع في مشكلة كبيرة .
ــ ولكن لماذا ؟ وبالتأكيد لا يبدو عليهم الاهتمام بانسان غيره ؟
ــ بل انهم مهتمون . لقد قلبت اجراءات التحقيق هذا العالم السفلي راسا على عقب . لقد اثاروا كل القذارة التي تكمن هناك .
ــ ولكن ماذا فعل هو بالضبط ؟ لا يمكن ان يكون فعل شيئا خطيرا؟ ويمكن لوالده ان يكلف محامين ..
ــ آمل الا يصل الامر الى ذلك الحد . لو كان على جانب من العقل لغادر انكلتره فترة ستة اشهر . اسمعي ، عزيزتي ، هل يمكنك التوقف عند دائرة بريد ابسوم ؟ الافضل ان ابعث ببرقية الى كارولين . اتعرفين عنوان منزلها ؟

* * *

وقالت المراة الاسكوتلاندية :
ــ أنه نائم الان . هل يمكنك المجيء في الساعة السادسة ؟
فقال سورم :
ان الامر مستعجل . شيء سيهمه ان يعرف عنه حالا . قد تكون مسألة حياة او موت .
ــ آسفة . لا يمكنني ازعاجه عندما يكون نائما .
وكبح فى نفسه الغيظ الذي اثار رغبته فى ان يدفعها بالقوة عن طريقه . واقبل القسيس الهنغاري من خلف الطاق ، وقال بأدب :
ــ المعذرة .
فقال سورم :
ــ اسمع ، ايها الاب . ينبغي ان ارى الاب كاراثرز . ان الامر مستعجل
فنقل القسيس بصره من سورم الى المراة الاسكوتلاندية ، ولاح عليه

الاحراج والتردد . وسأل :
ـ وهو نائم الان ؟
فقالت المرأة :
ـ ولا يريد ان يزعجه احد .
وسأل الاب راكوسي بقلق :
ـ هل الامر مهم ؟
فعاد سووم خطوتين الى الوراء واقترب من القسيس وقال بصوت منخفض :
ـ تتعلق المسألة بجرائم واينشابل . وقد طلب الي ان اخبره حالا عن كل ما يستجد من امر .
ونظر القسيس الى المراة ، ثم قال باعتذار :
ـ اعتقد يجب ان تنتظر في الداخل . سأذهب لارى ان كان مستيقظا .
واستدارت المراة دون ان تتفوه بكلمة اخرى ، ومضت في سبيلها .
وتبع سورم القسيس الى داخل البناية المظلمة حيث تنتشر رائحة التنظيف والمسح . وقال القسيس :
ـ انتظر هنا لطفا .
ووقف سورم الى جوار النافذه ذات الزجاج المعتم وهو يتفوهبكلمات الشتم بصوت غير مسموع للمراة الاسكوتلاندية . لم يكن رفضها الذي اغاظه ، ولكن موقفها العدائي ورغبتها في عرقلته . وفكر : كيف تتجرأ ان تقف مني موقفا عدائيا،الكلبة ؟ هل هذا ايضا شكل من اشكال السادية؟
وطرب لهذه الفكرة ، وجلس على الكرسي وطفق يتأمل فيها.السادية هي ايقاع الالم . هل التفاهة العملية التي من هذا النوع،ضرب من السادية؟ اختيار البلاده بدلا من الذكاء ؟ ولكن كيف افهم سادية اوسنسن ؟ الحب المعكوس ...
وعاد القسيس وقال على عجل :
ـ انه مستيقظ .
والتفت ومضى الى الغرفة المجاورة . وصعد سورم السلم مسرعا وسار في الدهليز وهو يكاد يتوقع ان تعترض طريقه المراة الاسكوتلاندية.
كان باب غرفة القسيس مفتوحا قليلا ، فنقر عليه بقفا اصابعه ودخل .
كان الاب كارابر يجلس في فراشه ، وكان الغطاء الصوفي يلتف حول كتفيه . وكان وجهه يلوح مجهدا زائغ البصر . كانت الغرفة اكثر برودة من المألوف والنافذة مفتوحة .

ـ هلو ، ايها الاب .
فقال القسيس :
ـ ماذا وقع من الاحداث .
فاغلق سورم الباب بعناية وجلس على حافة السرير . وقال :
ـ اخذوا اوستن الى مركز الشرطة للاستجواب . وقعت حادثة قتل اخرى الليلة الماضية .
ـ سمعت عن الجريمة . ماذا يريدون من اوستن ؟
واعتدل في جلسته ، وسحب جسده في وضعية اكثر راحة . ومال سورم الى الامام وامسك بالوسادة لئلا تسقط حتى استطاع القسيس ان يعدل جلسته . وقال :
ـ يشتبهون بقيامه بجرائم القتـل .
ـ هل تحدثت اليه ؟
ـ اجل ، ايها الاب . كنت هناك عندما اقبل رجال الشرطة .
ـ هل تعتقد بانه يحتمل ان يكون مذنبا .
وتردد سورم . ولاح القسيس ، وهو لم يزل يفرك عينيه ليزيـل اثار النعاس ، تعبا مسنا لا يقوى على تحمل نبأ مؤلم . وفيما كان سـورم ينتظر ، شد القسيس الاغطية الى كتفيه وغاص بين الوسائد . وقال :
ـ افهم من ترددك بانه مذنب .
فقال سورم :
ـ اجل ايها الاب .
ـ يؤسفني ذلك .
وقبل ان يستأنف الكلام ، طرق احدهم الباب . كـانت المـراة الاسكوتلاندية . وقالت ، دون ان تنظر الى سورم :
ـ ايها الاب ، هنالك سيد اخر يريد مقابلتك . انه الطبيب الالماني..
ونظر القسيس الى سورم :
ـ اتود ان تراه ؟
فقال سورم :
ـ لا يهمني ذلك ايها الاب . يمكنني ان اذهب .
ـ هـلا بعثتـه ؟
واغلقت المراة الباب بهدوء وقال سورم :
ـ انها مصادفة غريبة ...
ـ لست ملزما بالكلام معه .

ـ ليس لدي ما اخفيه ايها الاب . ولكن ... لا تذكر امر اوستن ، هـا ؟

ـ كلا . ولكنك ان كنت واثقا بان اوستن مذنب ، فليس هنالك ما يمكن ان يفعله احدنا .

ـ اعلم ايها الاب . ان هذا اعترافه هو . ولست عازما على ان ابوح لسواك بانه مذنب .

ـ واذا كان للشرطة دليل ..؟

ـ ليس لديهم اي دليل .

فقال القسيس :

ـ هذا ما سنتحقق منه سريعا .

وبينما هو يتكلم ، دخل شتاين الغرفة . كان يلوح نشطا معافى ، والمظلة تتأرجح في يده . ولم تبد عليه الدهشة لرؤية سورم ، ولكنه ابتسم ببشاشة وهز رأسه . والقى بمظلته على احد الكراسي وخلع معطفه وهو يقول :

ـ كيف حالك ، يا لاري ؟ تبدو بخير . وانت يا مستر سورم، يسرني ان اراك هنا .

وقال القسيس :

ـ ليس الوقت مناسبا للزيارة ، يا فرانز .

ـ اعلم . لم اكن احلم بأن اقلقك .. ولكني رايت صديقنا الشاب يدخل . كنت خلف الطاق عندما جاء. اريد ان اتحدث اليه.. طالما هو عندك.

وسأل سورم :

ـ كيف علمت اني جئت ؟

فقال شتاين :

ـ لم اعلم .

وقال القسيس لسورم :

ـ هلا اغلقت النافذة ، رجاء ؟ وضع المزيد من الفحم على النار .

وذهب نحو النافذة طائعا . وقال القسيس :

ـ لماذا تريد ان تتحدث الى سورم في حضوري ، يا فرانز ؟

فقال شتاين :

ـ اظنه يفهم .

ونظر سورم الى وجهه عندما كان ينحني على السطل الذي يحتوي

د ٤٥٠

على الفحم ، كانت دلائل اجهاد اليوم الماضي قد تلاشت ، وبدا هادئــا وانقا من نفسه . وقال سورم :

ــ لو شرحت مرامك ايها الدكتور .

ــ حسنا . انك تعلم بان صديقك اوستن الان فى سكوتلانديارد ؟

ــ نعم .

ــ وانك تعلم ايضا بانه ربما سيبقى في سكوتلانديارد الى ان يذهب الى السجن ؟ واعاد سورم كلابة الفحم الى مكانها ، وسأل :

ــ لمــاذا ؟

ومال شتاين الى الامام ، وقال بكلمات متروية :

ــ انك تعلم لماذا . لانه الشخص الذي تبحث عنه الشرطة بصـــــدد جرائم واينشابل .

وجلس سورم ثانية . وقال :

ــ اواثق انت ؟

والقى شتاين نظرة عجلى على القسيس ، كأنه يسك فى انه يؤيـــد سورم في هذه الخدعة . وقال :

ــ انا جد واثق . واعتقد بانك واثق ايضا .

وقرر سورم أن يمضي فى الخدعة ، وحدق فى عيني شتاين وقال :

ــ ان الذي لا افهمه هو : لماذا تخبرني عن الامر ؟ ماذا يمكنني ان افعل .

اما شتاين فاستمر محملقا ، فاضحت عيناه نفاذتين مخيفتين .

ــ كنت معه صباح هذا اليوم ؟

ــ نعم .

واحس سورم بالاسترخاء واللامبالاة ، وترك امر توجيه دفة الحديث الى شتاين ، وهو غير راغب فى التعاون . وقد احس شتاين ولا شك بذلك في موقفه الهادىء . وقال بنفاد صبر :

ــ اظنك لا تدرك خطورة موقفك .

فهز سورم كتفيه وقال :

ــ ما هو ، بالله ، موقفي ؟

ــ سأخبرك . هنالك رجل يدعى اوستن نن ، وقد ورث ميولا سادية من والده . وقد ارسل لرؤية طبيب نفساني ، فكتب هذا الطبيب عـــن حالته وتطورها وبعد سنة من ذلك اشتبه فيه بقتل شاب في هامبـورغ . ثم عاد الى انكلترا واصبح معروفا فى اوساط معينة بانه رجل ذو اذواق خاصة غريبة . واخيرا ، يقوم بقتل عدد من مومسات القطــاع الشرقى .

وتتقلص المدة بين حادثة واخرى . وقبل اسبوع من اهتمام الشرطة بـــه اهتماما سافرا ينسيء صداقة معك ويتدله بك . انت لست نزاعا الـــى الجنس المسابه ، فتقوده خبثه الى اقتراف المزيد من جرائم القتل . هل اوضحت الموقف لك ؟

فقال سورم بهدوء :

ـ تماما . فاذا كان اوستن القاتل،فهل انا مسؤول بصورة غيرمباشرة؟

وهز شتاين رأسه .

ـ انا لا اقول بانك المسؤول ، بصورة مباشرة او غير مباشرة . مـــا اقوله هو انه يمكنك معاونة السرطة ان اردت .

ـ كيف ؟

ـ حدثهم بالتفصيل عن اتصالاتك به خلال الاسبوع الماضي .

فقـــال سورم وهو يهز كتفيـــه :

ـ سأفعل ذلك بكل سرور . ولكنهم لـــن يجدوا شيئا ذا اهميـــة . وقبل كل شيء ، فاظن بانك مخطيء في اعتقادك بان اوستن متدله بي . كان يميل الى اتخاذي قسيس اعتراف . ولكن ما اعترفه الي لم يكن عن جرائم قتـــل .

ـ كلا ؟ ما الذي اعترف به اذن ؟

ـ بعض الهراء عن احساسه بالضجر واللاجدوى والتفاهة وغيرها. وثانيا ، اذا كانت ميوله الجنسية شريرة جدا ، فقد احتاط الا يبوح لـــي بهـــا . ان الانطباع الذي كونته هو ميله للتبجح حول اشياء كثيرة.. اشياء تتعلق بحياته الجنسية . ولكنه مع هذا يعلم باني لا اشاركه ميوله . وربما لا يريد ان يفرضها علي .

وقال شتاين :

ـ ولكنك تتفق معي في انه من المحتمل جدا ان يكون هو القاتل ؟

ـ لا ... لا اريد ان انكر الامر . ولكني لا اعتقد انه محتمل جدا .

ـ ومع ذلك عندما بدات بالدفاع عن قاتل يوم امس ..

فقاطعه القسيس فجأة :

ـ فرانز ، اليس الافضل ان تذهب بجيرارد الى غرفة اخرى لتوجيه هذه الاسئلة اليه ؟ لا يمكنني ان اساعد في شيء ، كما لا اريـــد ان ازج بنفسي في هذه القضية .

فقال شتاين ، باهتمام :

ـ اعتذر اذا كنا نتعبك ، با لاري ، ولكننا ..

وقاطعه القسيس :

ــ انك لا تتعبني . ولكني اعتقد انك تريدني ان اكون شاهــدا ، ولا اريد انا ان اكون شاهدا . ان سني اكبر من ان تتيح لي الظهور في قــاعات المحاكم ، كما لا اريد ان يأتي رجال الشرطة لاخذ افادتي .

فقال شتاين بادب :

ــ انا آسف ، يا لاري . ولكنك مخطىء . لن اسألك ان تكونشاهدا اريد ان تؤيدني . ان صديقك يعيرك اذانا صاغية .

وقال القسيس :

ــ انا لا افهم . .

وقال شتاين بجد :

ــ دعني اوضح . اعتقد ان المستر سورم هنا يعلم بان اوستن نن هو الرجل الذي نبحث عنه . واعتقد بان الشكوك قد ساورته بهذا الشأن منذ ايام . واعتقد بأنه يشعر بانه مدين بالاخلاص لصديقه فراح يختلق الاعذار لتبرير القتل . اريدك ان تخبره : لا اعذار في جريمة قتل . .

فقــال القسيس بملل :

ــ انا لا افهم . تقول ان الشرطة واثقة من ان اوستن هو القاتــل . ففي هذه الحالة انه من شأنهم ان يبحثوا عن الادلة او يستخلصوا اعترافا منه . وحتى اذا كان اوستن قد اعترف بصراحة لجيرارد ، لا اجد فائــدة من ذلك في المحكمة . ستكون شهادة غير مدعومة . واذا استطاع جيرارد مساعدتك ، واراد ذلك ، فخير على خير . ولكن لا تطلب مني التدخل .

فقال سورم :

ــ اسمع ، دكتور شتاين ، دعني اشرح ما احس به . اذا كان اوستن مذنبا ، فلا اريد ان اهيء السبيل لادانته ، واذا كان بريئا فلا اريد مساعدته في الهروب . لا اجد مبررا لزجي انا في المسألة كلها .

وقال شتاين ، وهو يشير باصبعه الى سورم :

ــ انت لا تريد ان تزج بنفسك في المسألة ! ولنفرض ان خلي سبيل نن غــدا ــ فماذا تعتقد انه سيحدث ؟ انه سيعود الى القتل .

وقال سورم :

ــ ولكنك تفترض انه القاتل .

ــ انك لتعلم بانه القاتل .

ــ طيب . لنفرض جدلا انه القاتل . فــلم يعود الى القتل ثانيــة ؟ اذ سيكون اول من يشتبه به في اية جريمة جنسية تقترف في لندن خــلال

السنوات العشر القادمة . سيشعر بانه تحت المراقبة الدائمة . فهل تعتقد بانه سيعود الى القتل تحت هذه الظروف ؟ .

وابتسم شتاين ابتسامة خفيفة ، ومال الى الوراء . لقد ابتدأ يحس بان الحديث اخذ يسير نحو هدف معلوم .

ـ حسنا . انك على حق . ستراقبه الشرطة ليلا ونهارا ، بحثا عن الادلة . وربما سيغادر القطر . وحيثما يذهب ، ستعلم الشرطة كل شيء عنه . انه في الواقع رجل لا يستقر في مكان واحد قط . وعاجلا او اجلا سيقترف جريمة قتل ، ذلك امر محتوم ـ توتر عصبي ، خوف ، شعور بالاضطهاد . فاذا ما اقترف جريمة قتل اخرى، انك انت المسؤول. فكر في الامر مليا . انه صديقك . ولكنه قاتل ايضا . ولو ادانته المحكمة ، فلربما اعتبرته مجنونا وارسلته الى مستشفى المجانين المجرمين . اما اذا اخلت سبيله ، فسيواجه عدوين امامه ـ الاول رغبته الشديدة في القتل والثاني شعوره بانه تحت المراقبة الدائمة . افليس الافضل له ان يكون في مستشفى المجاذيب ؟

كان شتاين يتكلم بطريقة مقنعة . وكان سورم يدرك بان شتاين كان يستخدم كل ما في وسعه من قوة الشخصية للتأثير عليه . فاخذ يحس بالندم للدخول في النقاش . كان من العسير عليه الا يقتنع . فاشاح بوجهه ، عالما ان التردد كان واضحا في محياه . فهز كتفيه وقال كمن يشك:

ـ لست ادري .

وابتسم شتاين فجأة :

ـ الا تدعني اريك شيئا ؟

فرمقه سورم بنظرة .

ـ ماذا ؟

ـ لن يطول بنا الامر .

ونظر سورم الى القسيس . كانت عيناه مغمضين ، وكان يلوح نائما . كان وجهه الابيض قد انسحب عن الموقف . وقال سورم :

ـ طيب . اين هو ؟

فنهض شتاين .

ـ انتظر هنا لحظة ، رجاء . لدي مخابرة تلفونية اولا . ثم يمكننا ان نذهب معا .

وخرج من الغرفة . وظل سورم يحدق في الباب ، لعل شتاين كان يقف خارجا يسترق السمع . وبعد هنيهة ، اتجه نحو الباب وفتحه بهدوء.

لم يرَ احداً في الرواق .
وعندما التفت وراءه الفى القسيس ينظر اليه . فابتسم ابتسامة تنم عن الضيق وقال :
ــ انا لا اثق به تماما ايها الاب .
ــ انه رجل مستقيم .
ــ صحيح ؟ ماذا ، تعتقد ، يريد ان يريني ؟
ــ ربما الجنة . لست ادري .
ــ لا ؟
وثار في معدته واطرافه شعور غريب . وجلس على الكرسي الذي اخلاه شتاين . وقال :
ــ يؤسفني ان ادفعك الى هذا الموقف ، ايها الاب .
ــ المشكلة مشكلتك يا جيرارد .
ــ ولكن ــ اترى ما احس به ؟ لا يمكنني ان اخون اوستن مهما فعل ، حتى اذا كان ما قاله شتاين صحيحا ــ من ان الافضل لاوستن ان يدخل برودمور ــ مستشفى المجاذيب ..
ــ تشعر بانك مدين اليه بالاخلاص ؟
ــ كلا . ليس هذا ، ايها الاب . تحدثت اليه هذا الصباح . انه ليس معتوها . انه لا يختلف عني ــ له مشاكل تحتاج الى كل جهده ليتغلب عليها . انه رجل حر ، ايها الاب . اني لم افقه قط معنى الحرية الا خلال هذا الاسبوع المنصرم . اتلاحظ ايها الاب ، اني على يقين من شيء واحد، وهو ان اوستن فعل ما فعل لحاجته الى الحرية . لقد اخبرني هذا الصباح بانه يعتقد بانه يسوق حياته بطريقة لا شعورية نحو حالة من التأزم . اسمعت ما قاله شتاين ؟ لقد ورث السادية عن ابيه ولا يعلم الا الله ماذا ورث بالاضافة لذلك . لقد عاش حياة جعلت منه انسانا مضطرب الاعصاب انه يحس كأنه في سجن وبان لديه الشجاعة الكافية ليفعل شيئا مهما كان يائسا لتحطيم جدرانه . اعلم بان القتل خطأ ــ ولكن قضى الامر الان. لقد اصبحت جرائمه حدثا ماضيا . فلو افلت هذه المرة فسيكون ادراكه للحرية ادراكا اشمل . الا ترى ؟ انه يخوض حربا ضد نفسه وحربا اخرى ضد المجتمع . فلم علي ان اتخذ جانب المجتمع ؟ لقد اشفقت على المجتمع اكثر مما ينبغي .
فقال القسيس :
ــ لعلك مصيب في قولك ، يا جيرارد . ولكن لا تحاول اكثر مما

ينبغي ان تجد في اوستن صنوا لك .

ــ هذا بالضبط ما اعنيه ، ايها الاب . ان في امكاني ان اجد فيه صنوا لي . سكون القضاة الذين سيحكمون بادانته قد اساؤوا الفهم . عليهم ان يدينوه ، لان المجتمع يجب ان يسير بطريقة من الطرق . ولكني لا استطيع ان أتعاون معهم . ان شتاين هذا انسان له قابلية على الاقناع، وطريقة جذلة تبدو سليمة . ولكن بيلاطيوس كان كذلك ايضا . انه ينتمي الى هذا العالم . وهو لا يفهم ..

فقال القسيس بصوت خافت :

ــ كن على حذر ، يا جيرارد .

ــ لماذا ، ايها الاب .

ــ انك تظن بان اوستن مجبول من الطينة التي جبل منها القديسون والشهداء ــ هذا الهوس المقدس . قد تكون مخطئا . قد يتضح انه مجرد..

وانفتح الباب ودخل شتاين الغرفة وقال :

ــ آسف . كان علي ان اطرق الباب . هل قاطعتكما ؟

فقال القسيس :

ــ كلا . تفضل يا فرانز .

وقال شتاين :

ــ اذا كان المستر سورم على استعداد ، فلن نقلق راحتك بعد .

فنهض سورم :

ــ انا حاضر .

وقال شتاين :

ــ ربما اراك فيما بعد ، يا لاري . حاول ان تأخذ قسطا من النوم .

ــ اشكرك يا فرانز . ويا جيرارد ... ان اردت العودة ، سأكون مسرورا برؤيتك .

ــ شسكرا ايها الاب .

ــ وداعا يا لاري . ربما اعود .

* * *

وفي السيارة ، ظل شتاين ينظر خلال النافذة دون ان يتكلم . وسأل شتاين اخيراً :

ــ ماذا يجعلك على يقين من ان اوستن هو الرجل الذي تبحث عنه ؟

فالتفت شتاين اليه مبتسما :

ــ التقرير .

ـ تعني تقرير الطبيب النفساني ؟
ـ نعـم .
ـ ماذا قال التقرير ؟
ـ اشياء كثيرة . هذه احداها : عندما كان اوستن فى التالثة عشرة من العمر طرد من المدرسة لانه كان رئيس عصابة في حادثة تهديد واقـلاق احد الصبية مما ادى الى وفاته . لم يكن هو المسؤول المبـاشر ـ اذ ان الصبي مات بمرض ذات السحايا الدماغية ـ ولكن اوستن كان مذنبا مـع هذا . وبعد ذلك مباشرة ، طرأ على اوستن تحول ديني ، فوسل الـى ذويه ان يرسلوه الى دير كطالب مستجد . فرفض والداه ذلك ، ولكنهما عينا له احد القساوسة ليرشده .

وكان شتاين متكئا الى الخلف، وهو يرمق سورم بنظره من تحت حاجبيه الكثين . وكانت عتمة السيارة من الداخل قد ابرزت وجهه كأنه كان منحوتا من الصخر . وقال سورم بتردد :
ـ لست افهم تماما .
ـ كلا ؟ لعلك ستفهم هذه الحادثة اذن . بعد مقتل شاب يدعى غرانز كان يتعاطى الامور الجنسية فى هامبورغ فى احد المنازل دخل اوستن ديـرا فى مقاطعة الالزاس ، حيث مكث حوالي ثلاثة شهور . وفى نهاية تلك الفترة ، اشتعلت النيران فى احدى كومات القش المجاورة ، وكان اوستن من بيـن الذين هرعوا لاخمادها . وترك الدير فى اليوم التالي وعاد الى انكلترا .
ـ لا ... لا افهم ما علاقة كومة القش بذلك .
ـ كلا ؟ كان بيتر كورتن مصابا بجنون الحريق . كان مولعا باشعال النار فى الاشياء ـ وبالاخص فى كومات القش . ان مشهد النار يعمل على اثـارة مشاعر الساديين فى اكثر الاحيان .
ـ تريد ان تثبت لي ... بأن اوستن به نوع من انفصـام الشخصية يتنقل بين القتل والدين ؟
ـ اظن هذا ممكنا .
ـ وماذا قال التقرير بالاضافة لذلـك ؟
ـ لا شيء مما يثير اهتمامك .
ـ هراء عن عقدة التعلق بـالام ؟
ـ اجـل عقدة التعلق بـالام .

وتوقفت سيارة التاكسي عند انوار المرور خارج مركز شرطة الدغيت ايست ستيشن . وقال سورم :

ـ هل نحن فى طريقنا الى مركز الشرطة ؟
ـ كلا ، الى مستشفى لندن .
ـ لماذا ؟
فقال شتاين :
ـ اريدك ان ترى المراة التي قتلت فى الليلة الماضية .
ـ لماذا ؟
ـ كي تفهم خطورة السيء الذي تغض الطرف عنه .

وفتح سورم فاه ليتكلم ، ولكنه ما لبث ان غير رايه . وعندما مرت السيارة امام اكشاك السوق فى طرف شارع فالانس ، لمح سورم غلاسب يقتني شيئا ويضعه فى كيس من الورق . والتفت وظل يحدق من خلال زجاج النافذة الخلفية الازرق ، ولكن سيارة اخرى اعترضت نظره . وحسب انه راى فتاة صغيرة تقف الى جواره . وبعد قليل توقفت السيارة خارج محطة قطار نفق وايتشابل . فترجل شتاين ونقد السائق . ووقف سورم على الرصيف ومد عنقه ليحظى بلمحة اخرى من غلاسب . وقال شتاين :
ـ هل نذهب ؟
فقال سورم معتذرا :
ـ ظننت اني لمحت احد الاصدقاء ...

وعبرا الطريق برفقة حشد من المارة . واحس سورم بالبرد يجتاح صدره وينفذ الى معدته . ولما راى الثقة التي يظهرها شتاين فى مشيته ، هيأ نفسه لصدمة عنيفة تقلق هدوءه . وتصور فى مخيلته وجها منتفخا وشفتين مسودتين ولفاعة تشد على الرقبة . كانت هذه صورة فوتوغرافية رآها فى كتاب نن عن الطب العدلي . واحس ، وهو يسير الى جنب شتاين في ساحة المستشفى ، بشيء من الاشمئزاز كان من العسير عليه ان يقمعه . وكان قلبه يخفق بطريقة كريهة ، فيجعل الاشمئزاز يسري من حنجرته وشحمة اذنيه .

وكان يقف عند اسفل السلم المصبوب من الاسمنت فرد من رجال الشرطة فى ملابسه الرسمية ، وابتسم لشتاين وحياه . وقد لاحت تحيته فى غير محلها ، كعبارة الجلاد عندما يقول : « ارجو ان يكون كل شيء قد انتهى بصورة مرضية ، يا سيدي ؟ » وتقدمه شتاين خلال الباب الاخضر وظل ممسكا به حتى دخل سورم . واستقبلته رائحة الايودوفورم المألوفة واشاعت الراحة فى نفسه . وسمع سورم صوت شتاين يقول :
ـ لماذا جلبوها الى هنا ؟

ــ يريد الطبيب ان يقوم بفحص دقيق . مخزن الجثث التابع للشرطة بعيد جدا .

كانت الغرفة خالية ، وكانت المريولات البيضاء تتدلى من مسامير في الجدران . وكانت هنالك دكتان من الحجر ، كلتاهما مغطاة بقماش ابيض يبرز انحناءات اجساد بشرية . ولم يضيع شتاين وقته في الاهتمام بجو الغرفة المسرحي ، فازاح الغطاء عن اقرب الدكتين وقال :

ــ اريد منك ان تنظر الى هذه .

واقترب سورم لينظر . وتلاشت صعقة الرعب على الفور ، الصعقة التي اورثه اياها منظر الشعر المتجمدة عليه كتل الدماء . لم يكن مخلوقا ادميا ذلك الشيء الملقى على الدكة . انه لم يشعر سوى بشيء من الاشمئزاز الذي قرص معدته للرائحة التي كانت تذكره بدكان الجزار . واحس بالحاجة للكلام ، فقال :

ــ هذا ما يشير اليه الاطباء « بالرفات » .

ولم يكن ثمة شبه بين الجثة وبين انسانية حية . كانت لا تمت الى الحياة بصلة ، كأنها تمثال لم يتم ملقى في ستوديو النحات ، او وجه مومياء في احد التوابيت الحجرية القابعة في المتحف البريطاني . لقد اتلفت الجروح اي اثر للتعبير . كان في امكان سورم ان يضع جدولا موضوعيا دقيقا بتفاصيل الجثة كالجدول الذي يضعه الطبيب الذي يفحص الجثة بعد الموت ، ولكنه كان من المحال عليه ان يقفز بخياله فيتصور انسانا يفعل كل هذا بكيان حي . كان الموت قد تغلغل في الجثة الى حد بعيد ، حتى لم يعد يتصور انها كانت حية يوما ما . وبعد ان تفرس في الجثة مدة نصف دقيقة كان معناها قد تلاشى تماما . وراح بدلا من ذلك يحدق في الغطاء البلاستيكي الذي يفصل الرفات عن الغطاء الابيض فيحميه من لطخات الدم .

وقال شتاين :

ــ كيف تشعر ؟

ــ لست افهم . كيف المفروض في ان اشعر ؟

فقال شتاين بهدوء :

ــ في هذه الساعة من يوم امس كان من المحتمل ان تلتقي بهذه الفتاة في الشارع .

ونظر سورم الى الجسد المتفسخ وقال :

ــ اعلم انك على حق . ولكني لا استطيع تصديق ذلك .

ورفع نظره، فالتقت عيناه بنظرات شتاين، فالفاها تنم عن الخيبة. وقال:

ـ اعلم ماذا تريد ان تقول . هنالك فرق شاسع بين اقرار الجريمة من الناحية النظريه وبين فعل القتل الحقيقي . اعلم هذا ، ولكن ما الفرق ؟

كان على وشك ان يقول : « ما الفرق بين ان اقر جرائم اوستن او لا اقرها ؟ » ولكنه توقف . وبدلا من ذلك ، اشار الى الدكة الاخرى وقال :

ـ ومـــاذا هنـــاك ؟

فقـــال شتـــاين باقتضاب :

ـ امـــرأة .

ـ هل يمكنني رؤيتها ؟

ودون ان ينتظر سورم الموافقه ، رفع الغطاء الذي كان يغطي الجـــزء العلوي من جسدها . كان يرتاب في ان هناك مخبر شرطة يدون حديثهما . وصعقه مسهد الوجه المحروق . وسأل :

ـ مـــاذا حدث له . . . لهـــا ؟

لقد اصلحت خطأه رؤية النديين . كانا كما لو نحتا من العاج .

وقـــال شتاين :

ـ مـــاتت حرقا . قذف عليهـــا زوجها مصباحا نفطيا .

ـ لمـــاذا ؟

فهـــز شتـــاين كتفيـــه :

ـ لست اعلم لماذا نشأ بينهما عراك . ربما كان ثملا .

ـ مـــن هي ؟

ـ لست ادري . لقد سمعت فقط ما حكوه عنها عندما جيء بها صباح اليوم . امراة متزوجة ولها ثلاثة اطفال .

ـ كم تبلغ من العمر ؟

ـ في اواسط العقد الثالث . اسمح لي لحظة ، سأعود .

وسره ان يبقى لوحده . لم يورثه منظر الجثة اي شعور بالاشمئزاز او الفزع ، وانما اورثه أدراكا لانسانيتها . وازاح الغطاء عن الجثة بأكملهـــا ومضى يتأمل فيها . كان جسد امراة شابة ، يصرخ الشباب منه . كانت البقع غير المتفحمة تماما لم تزل حية . وكانت هناك نتف من الملابس مـــا زالت عالقة بساقيها وذراعيها . وجذبه اليـــها شعور بالشفقة والقربى . كان من الممكن ان تكون جيرترود كوينسي او كارولين . لقد كان هذا الجسد موضع غزل وتدليل ، ولقد حمل هذا الجسد يوما اطفالا . واحس بميـــل عنيف الى النفوذ الى اسرارها . لماذا ماتت ؟ ومن كانت ؟ كان موتها عبثا . كيف تنتهي خمسة وعشرون عاما تقضيها كانسانة الى دكة الجثث ، ويتحول

ثدياها وبطنها الناعمة الى نموذج من الفحم للاصل الحي ؟ كان لبطنها وفخذيها شكل جميل . حتى انه لو كان رآها حية وهي نائمة لاحس بالشهوة تتحرك فيه . ولكن انعدام الشهوة الان بقف رمزاً لسخافة موتها .

وعاد شتاين الى الغرفة . ووقف الى جوار سورم ثم اعاد الغطاء فوق الجثة . وقال سورم :

ـ انك لرومانتيكي .

واصلح وضع الغطاء فوق الدكة الاخرى . وتبعه سورم الى الباب . وقبل ان يهم بفتحه ، قال شتاين :

ـ فكر في الامر . ايهما اهم ، الاخلاص ، ام ... ذلك ؟

فقال سورم ووجهه متجهم :

ـ اتفق معك . ولكن ... ليس هنالك ما يمكنني فعله .

كانت عينا شتاين المتصلبتان كقطعتي جليد تحاولان ان تنفذا داخل عينيه فتستخلصان منهما اعترافا . وقال :

ـ ان اردت ، يمكن ان تفعل الكثير .

فهز سورم كتفيه وقال :

ـ ان اردت .

وقال شتاين ببرود :

ـ ماذا تعني ؟

فقال سورم :

ـ هل تجيبني عن سؤال واحد ، ايها الطبيب ؟

ـ نعم ؟

ـ هل كنت تؤيد هتلر ايام الحرب ؟

كان السؤال مفاجئا لشتاين، فزاغت عيناه قليلاثم عادتا الىوضعهما وقال:

ـ نعم . كبقية السبعين مليونا الاخرين من الالمان .

فقال سورم :

ـ ولكنك كنت عضوا في الحزب . وكنت طبيبا ايضا . ولا شك انك كنت على علم بما كان يحدث في امكنة مثل اوشفيس وبيلسن .

وحل الغيظ محل الدهشة ، ولكنه كظمه حالا وقال بجفاء :

ـ لا افهم ماذا تحاول ان تبين .

ـ اصحيح انك لا تفهم ايها الطبيب ؟

ـ هل تعني اني اذا كنت غضضت النظر عن جرائم هتلر ، يجب ان اغض النظر الان عن جرائم اوستن ؟

ـ كلا . ولكني لا افهم لم تنظر اليهماعلى انهما امران مختلفان الـى هـذا الحـد .

فقال شتاين بشيء من الفظاظة :

ـ لبس صحيحا اني غضضت النظر عن جرائم بيلسن واوشفيتس . كنا نسمع الاشاعات عنها ـ كما سمع عنها كثير من الالمان . ولكنا كنا نفضل الا نصدقها .على كل حال ، لم يكن في وسعنا أن نفعل شيئا . وبالرغم من ذلك ، فان جرائم هتلر وجرائم اوستن مختلفة فعلا . كـان هتلر سياسيا يبحث عن مثل . وربما كان هو على خطأ ، ولكنه لم يكن ساديا . كانت المانيـا النازية تقتل القتلة الجنسيين كما تفعل انكلترا .

ـ ولكن لماذا تريد ان تقبض على مجرم وايتشابل ؟

ـ لاني اشعر بالمسؤولية تجاه المجتمع . تذكر هذا : حتى ان هتلـر نفسه كان يعتقد بانه كان يخدم البشرية بالقضاء على اليهود . بينما يقترف مجرم وايتشابل جرائم القتل ارضاء لشهوته الذاتية . انه يعلم بانه لا يخدم غيـر نفسه .

فقـال سورم بلطـف :

ـ ولكن الضرر الذي يولده اقل كثيرا من الضرر الذي سببه هتلر .

ـ هـذا خارج عن الموضوع .

وقـال سورم :

ـ اذن دعني اوضح نقطتي . اخبرني الاب كاراثوز بانك انضممت الـى صفوف النازية في عام ١٩٣٩ . لا بد وانك كنت على علم بالوسائل التي كـان هتلر يستخدمها ـ كل اوروبا عرفتها . ولكنك لم تشعر بانه من واجبك القبض على هتلر ، او حتى أن تتخلى عن الحزب . ومع ذلك ، تقول لي بانه اذا كان اوستن هو القاتل فعلي ان اساعد في ادانته ، كمسألة مبدأ . وكل ما اريد معرفته هو كيف يمكن لمبادئك ان تتجاهل هتلر وتدين اوستن . ان كنت اسرفت في القول ، فارجو المعذرة . ولكني يا للاسف لا استطيع متابعة منطقك .

فقـال شتايـن بامتعاض :

ـ ان قولك هذا سخف وليس صحيحا اني غضضت النظر عـن معسكرات الاعتقال . وحتى لو اني فعلت ذلك ، فليس هذا سببا لغض النظر عـن القتـل الجنسي .

فقـال سورم :

ـ ربمـا لاني لا اغض النظر . ربما اني اشعر كما كنت انت تشعر تجاه وسائل هتلر ـ أي اني لا اريد ان افعل شيئا وحسب .

فلوى شتاين وجهه وهز كتفيه ،وقال :
ـ فى هذه الحالة ، آمل ان تكون على استعداد لمواجهة نتائج اتهامــــك بالاشتراك فى الجريمـــــة .
وخرج قبل ان يجيب سورم . وتبعه سورم هابطا السلم بعد ان اغلق الباب خلفه . ولم يأسف لاغاظة شتاين . فقد وفر عليه ذلك المزيدمن النقاش.
وفى منتصف الطريق عبر الساحة توقف سورم وتظاهر بالبحث عـــن شيء فى جيوبه . وتوقف شتاين عند بوابة المستشفى والنفت الى الخلف ، فلما وجد سورم على بعد عشر خطوات وراءه ، هز كتفيه ومضى فى سبيله . ولما غاب شتاين عن النظر اخذ سورم يسير ببطء.وفى شارعوايتشابل،اخذ يتطلع فى الجمهور والفى الرجل الالماني امام شباك احد الحوانيت ينتظر . ولما تحولت أنوار المرور الى اللون الاحمر عبر الشارع مسرعا مع حشد مـــن المارة ثم اتخذ الاتجاه المعاكس لشتاين ،ثم راح يمسي على عجل . وفى منعطف شارع برادي التفت سورم الى الوراء فلم ير شتاين ولكنه لمحه بعد قليـــل يلوح الى سيارة تاكسي . وظل سورم واقفا يرقبه من عطفة الشارع، حتى اتجهت السيارة بشتاين نحو مركز المدينة . ثم سار فى شارع برادي ودلف الى شارع داروارد .
وقرع جرس الباب عدة مرات ثم خشي ان يكون الجرس معطلا ،فقرع الباب بمفاصل اصابعه . وبعد انتظار قليل حاول ان يدفع الباب ، فانطلق مفتوحا والفى نفسه وجها لوجه امام صاحبة بيت غلاسب . وقالت :
ـ اه . اهذا انت . انه لم يعد يسكن فى هذا البيت .
فقـــال سورم :
ـ ليس هنـــا .
ثم تذكر أنها صماء ، فمال الى الامام وسأل :
ـ ايـــن هو الان ؟
ـ لا حاجة للصياح . لقد ترك ، لا اعلم ايـــن .
ـ هـــل ترك عنوانه ؟
ـ كـــلا . قـــال انـــه سيبعثه .
ـ وصـــــوره ؟
ـ مـــا زالت هناك ؟ فوق . قال بأنه سيأتي لاخذها . اعتقد بأنه لا يريد ان تعرف الشرطـــة محله .
ثم ادارت ظهرها اليه واغلقت الباب .
ومرت به لحظة ، اجتاحه فيها غضب عنيف لفظاظتها ، ولكنه سيطـــر

على رغبته في ان يرفس الباب . وبقي في مكانه ، حتى هدأت نفسه ثم رجع بخطواته الى الخلف ورفع نظره الى شباك غرفة غلاسب ، وهو يرتاب في ان يكون غلاسب هو الذي امر صاحبة البيت بان ترده على اعقابه ولعله يطل الان ببصره ليرى هل قفل سورم عائدا ولكنه لم يجد احـــدا ، فاستدار ومضى سائرا نحو الدغيت . ولم يبتعد بضع خطوات حتى سمع احدا خلفه يقول :

ـ رجـــاء ...

والفى نفسه ينظر في وجه فتاة في حوالي الثانية عشرة من العمر . كانت ملفعة بمعطف بني ، وقد احاطت ياقته بذقنها . وقالت :

ـ هل كنت تبحث عن أوليفر غلاسب ؟

ـ نعم . اتعلمين اين هو ؟

فهزت راسهـا .

ـ كـلا . اردت ان اراه . هل تعتقد بانه قد غادر فعلا ؟

فسألها بفضول :

ـ هـــل انت كريستيـــن ؟

فهزت راسها ، واحمر وجهها . ونظر اليها باهتمام متزايد . كان شعرها قصيرا يلوح كشعر صبي ، ولكن وجهها كان رقيقا جذابا ولا ريب . كـان متوردا ، كأنها اقبلت راكضة ، وقد زاد هذا التورد من جاذبيتها . وكـانت عيناها واسعتين بنيتين في وجهها البيضوي . وقال سورم :

ـ رايته منذ ساعة في ذلك المنعطف ، فمعناه انه لم يذهب بعيدا .

ـ ولكن صاحبة البيت تقول انه غـادر .

ـ يبدو الامر محتملا .

ـ اين ذهب ، حسب ما تظن ؟

ـ هذا ما لا يمكنني التكهن به .

ولاح الاضطراب في عينيها .

ـ ما سبب مغادرته ، حسب ظنك ؟

وشعر سورم فجأة بالندم لاجوبته المختصرة .

كان واضحا انها ارتابت في انه يمقتها . وقال :

ـ اوليفر انسـان غريب الاطوار . اعتقد انه كان شديد الغضب والتأثر . رايته في الصباح ، كان زري الهيئة .

واخفضت عينيهـا .

ـ بسببي ؟

ـ اعتقـد ذلـك .

ولاحظ رغبتها في اكتشاف مدى معرفته . كان وجهها واضح المعالم الى حد محرج ، يعكس انفعالاتها بوضوح تام . وادرك فجأة سبب غضب اوستن عندما تخيل انها قادرة على خداعه . وقالت :

ـ هل حدثك عني ؟

ـ نعم .

ومن الخجل حولت ثقل جسمها من قدم الى اخرى . ولاح لسورم انها كانت مرتدية جوربا قصيرا . ولمح ستائر نافذة فوق راسها تتحرك : كانت صاحبة البيت الذي كان غلاسب يسكن فيه تطل من النافذة . فقال سورم :

ـ من اي اتجاه ذاهبة انت ؟

فقالت بلهجة بائسة :

ـ لايهم اي اتجاه .

ـ تعالي نتمش معا .

وانتظمت الى جواره ، وسارا معا نحو المسرح المهدم في الطرف الاخر من الشارع . ولم يتبادلا الكلام طول شارع داروارد . وسالت اخيرا :

ـ اتظنه سيعود ؟

ـ لست ادري . امل ان يعود . ولكن ربما بعد وقت طويل .

وتوقفا عند منعطف شارع فالانس . وطاف في عينيها شيء من السخط الخائب وهي تنظر اليه . وقالت :

ـ ولكنه لا يمكنه أن يرحل على هذه الشاكلة . الا يودعني قبل انيذهب؟

فقال سورم باحراج :

ـ اعتقد انه سيعود .

ـ ربما ... ربما يظن انه لا يستطيع ان يراني .

وحاول سورم ان يغذي الامل الذي بزغ في وجهها .

ـ اعتقد بأن هذا هو السبب ، وخاصة وان والديك يعلمان ...

ـ ولكن كل شيء على ما يرام الان ! فتحت امي الموضوع معابي وحملته على الموافقة على مجيء غلاسب لزيارتنا . قالت انها ستترك البيت ان لم يتوقف عن تعذيبنا جميعا ...

وتورد وجهها ثانية ، ولكن من فرط الانفعال هذه المرة . ولاحظ انها كانت تتكلم باهتمام ولباقة ، غير ان غضبها ابرز لهجتها اللندنية . وقال مهدئا اياها :

ـ ربما سيكتب اليك .

ـ اتظنه سيفعل ؟ ان رايته ، دعه يكتب لي . لا اريده ان يذهب . انه سخف . لقد انتهى كل شيء.اخبره بأن كل شيء عاد الى مجراه. هلا فعلت؟

ـ اذا رايته فسأخبره . ولكنه قد لا يتصل بي ايضا .

فقالت وقد استشاطت غيظا :

ـ ما اسخف الامر ! لم يريد ان يهرب على هذه الصورة ؟

وهز كتفيه وحاول ان يتفوه بجواب ما ، ولكنها قاطعته بقولها :

ـ هل يحاول ان يهرب منك ايضا ؟

فابتسم لامعانها فى التساؤل :

ـ أعتقد انه يحاول ان يهرب من كل الناس فى الوقت الحاضر . انـه فى احدى حالاته النفسية .

ـ هـل تدوم طويلا هذه الحالات ؟

ولم يشعر بالميل للاعتراف بانه لم يختبر هذه الحالات قبلا . فقال :

ـ اوه ، ليس طويلا جدا . فهو لاشك سيتصل باحد اصدقائه ان عاجلا او اجـلا .

ـ ولكنه لن يتصل بي . واذا لم يكن يريد ان يراني فلا فائدة من..

ـ ولكني سأدعه يتصل بك .

فحدقت فى وجهه وقد غمرها الامل وقالت :

ـ كيـف ؟

ـ ساطلب منـه ان يراك .

ـ ولكنه ربمـا لا يريـد ذلك .

ـ طيب . سارسل اليك عنوانه ، ويمكنك ان تكتبي اليـه انت .

ـ صحيح ؟ هل تفعل ذلك ؟ انا واثقة من انه سيعدل عن تصرفـه اذا تحدثت اليـه .

ـ مـا هو عنوانـك ؟

واخرج دفتر الملاحظات ، وكتب ما املته عليه . وسألت :

ـ اتعتقد بانك ستراه فى وقت قريب ؟

ـ لا ادري . اخشى ان يطول انتظارك .

ـ اوه ، يا الهي . او لو اعرف سبب هربه .

وقـال :

ـ اعتقد بان احساسه قد جرح .

وحدجته بنظرة مرتابة برهة وجيزة ثم قالت :

ـ حول تومي ... ابن عمي ؟

فأومأ برأسه . وقـالت :

ـ توقعت انهم سيخبرونه بذلك . ولكن قل له ان الخطأ لم يكن خطئي. ارجوك ان تخبره بذلك . اجعله يفهم : ها ؟

ـ سأحـاول .

ـ اوه ، ارجوك ... لقد كنت عازمة على ان اخبره بذلك .

وقـال على عجل :

ـ لم يكن هذا وحده . اعتقد ان المشـاكل التي تسببت معابيك والشرطة قـد ازعجتـه ...

كانت تضرب بطرف حذائها على بلاط الرصيف ومن ثم تقوس ساقها قبل ان تنتقل الى القدم الاخرى . وقـال :

ـ علي ان اذهب الان ...

فقـالت بلهجة حزينة :

ـ اعتقد بأني ربما لن اراه ثانيـة .

وومض في اعماقه شعور يشبه الغيرة ، فشد حزام معطفهبقوةليخنق هـذا الشعور . وقـال :

ـ كـلا ، بـل سترينه ثـانية .

ـ ربما ليس لفترة طويـلة .

ـ وهل يعني ذلك بالنسبة لك شيئا ؟

فهزت رأسها بهيئة جادة وقالت :

ـ بالطبع . كنت احب الحديث معه . كان واسع المعرفة ... وكـان ظريفا . واحب ان ازوره .

ورفعت نظرها اليه واضافت بصراحة مفاجئة :

ـ انا لا اميل الى اخوتي واخواتي .

ودفع يديه في اعماق جيبي معطفه ، وهو يبتسم لها وقال :

ـ لحسن حظك لم تتطور الامور الى اسوأ .

ـ اعلم . ولكن القضية كانت تستحق كل المتاعب . لا يهمني ان اتورط في متـاعب ، ولكني امقت الضجر .

وقـال :

ـ اذا بلغ بك الضجر مبلغا شديدا تعالي لزيارتي .

واحس على الفور بالندم لهذا الدافع الذي حدا به الى التفوه بهـذه الكلمات،لقد اخجله ان يقول ذلك لفتاة تعني شيئا كبيرا بالنسبة لغلاسب. كان احساسا بالخيانة لغلاسب . وسألته الفتاة :

ـ هل انت رسام ؟
ـ كــــلا .
ـ مــــا انت ، اذن ؟
ـكـــاتب .
ـ هــل تقطن قريبــا مــن هنــا ؟
ـ كلا مــع الاسف . اقطن فى كامدن تاون .
ـ هــل هي بعيدة جــــدا .
ـ ليست بعيــدة جــدا .
ـ زارك اوليفر يوما لتناول العشاء ، اليس كذلك ؟
ـ اجــــل .
قــــالت بتردد :
ـ اود ان آتي . ولكني لا اريد ان يعلم والدي بذلك .
فقــال مبتسما :
ـ آمل الا تكوني معتادة على قبول دعوات الغرباء ؟
ـ اوه ، كــلا . ولكنك لست غريبا .
ـ اشكرك . ولكنك لا تعرفين حتى اسمي .
ـ مــــا اسمك ؟
ـ جيــرارد .
ـ نعم . اعرف عنك شيئا . اخبرني اوليفر عنــك .
وكتب عنوانه ورقمه التلفوني على ورقة من دفتر الملاحظات ثم اقتلعها .
ـ انظري . خذي هذه الورقة . ان رغبت فى المجيء فيمكنك ان تتصلي بــي تلفونيا . هل تعرفين كيفية استعمال جهاز التلفون ؟
فقــالت بمسحة مــن السخرية :
ـ بالطبــــع .
وطوت الورقة بعناية ودستها داخل معطفها . وقال :
ـ علي ان اذهب الان . وداعا يا كريستين .
ـ هل يمكنني المجيء يوم السبت ؟
ـ طيب . . . ان اردت . ربما من الافضل ان نلتقي في محل ما . هلا خــابرت اولا ؟
ـ حسنــــــا .
ـ هل لديك المال اللازم للنداء ؟
وهزت راسها بعنف . وقــال :

ـ لا تفتمي كميرا بشأن اوليفر .
ـ كــلا .
ـ وداعــا يــا كريستين .
ـ وداعـــا .
ومسى نحو محطة نفق الدغيت : ما اغرب هذه الطفلة ، ماذا سأفعل معها ؟ اعتقد بان الافضل ان اذهب بها الى جيرترود لتناول الشاي . ثم اجعل جيرترود توصلها بسيارتها . يا الهي ! اللعنة عليك يا اوليفر الاحمق!..
وتذكر نــن برجة عنيفة . لقد كان قد نسي كل شيء عنه خلال الدقائق العشر الماضية . ومرت به لحظة وفى ذهنه صورتان : وجه هذه الطفلة ،ووجه المراة القتيلة المندرة المعالم فى محل الجثث . وتحرك الاشمئزاز فى معدتـه كالابخرة الراكدة ، وتبع ذلك شعور كيف بالاشفاق والحزن . ووعى عـلى نفسه وهو يقول بصوت عال :
ـ مسكينة انت بـــا كربستين ...

الفصـــل العـاشر

كان يوشك ان يضع المفتاح فى الباب ، عندما اخذ جرس التلفون يرن . فانزوى خلف حافة الجدار كي لا يظهر ظله على الزجاج . وبعد قليل سمع صوت كارلوتة تقول :

ـ هلو . . . كلا . غير موجود . ذهبت قبل قليل لاتحقق . ساخبره بانك اتصلت . نعم ، سيتصل بك . وداعـــا .

واصدر التلفون قرقعة عندما اعادت السماعة الى مكانها . فادارمفتاحه ودخـــل . كانت قد بدأت تكتب شيئا فى دفتر الملاحظات .

ـ اوه ، يا مستر سورم . لقد فاتتك مخابرة تلفونية توا .

ـ فقـــال :

ـ اعلم . انا اردت ذلـــك .

ـ صحيح ؟ كان هو مستر نن . لم يترك لك خبرا .

ـ اذا اتصل اي شخص بي ، هلا قلت له باني خارج البيت رجاء ؟

ـ لا تريد ان تتحدث مـع احد .

ـ اجـــل .

ـ اتصلت سيدة قبل قليل . وقالت بانك ستعلم من هي .

ـ اوه ، شكـــرا . . .

ـ ولا تريـــد ان تتحدث مع احد ؟

ـ ارجوك . اذا لم يكن لديك مانع .

ـ لا ابدا ولكن ماذا افعل اذا اقبل احدهم لزيارتك ؟

ـ ا . . . اعتقد ، دعيه ياتي . سأقول باني جئت توا . اني متعب واريد ان انـــام الان .

فابتسمت بشيء مـــن الحنان .

ـ حسنا . ساخبرهم بانك لست في البيت .

وذهبت نازلة السلم . اما هو فقد عثر على بعض النقود في جيبه وادار رقم المس كوينسي . فاجابت في الحال . لا بد انها كانت تقف بجوار التلفون.

ـ جيرارد . أين كنت ؟

ـ اوه ، في كل مكان . لقد عدت توا .

ـ هـــل تأتي ؟

ـ كلا ، يا عزيزتي . انا تعب قليلا واريد النوم .

ـ يمكنك ان تنام هنا . هل آتي لاحضارك ؟

ـ ليس هذا . لدي امور كثيرة اريد ان افكر فيها .

ـ عـــن اوستن ؟

ـ نعم . ولكن لا تقولي شيئا في التلفون . اريد ان اخلو الى نفسي بضع ساعات لاتأمل في القضية كلها .

ـ هـــل سيأتي اوستن ؟

ـ كلا . لقد اتصل بي قبل قليل واخبرته الفتاة باني غير موجود . لا اريد ان اراه الان .

ـ لمـــاذا ؟

ـ سأشرح الامر فيما بعد . قد اتصل بك فيما بعد . اكاد اموت مـــن التعـــب .

ـ طيب . نومـــا هنيئـــا .

ـ سأراك فيمـــا بعد يـــا عزيزتي .

لاحت غرفته غريبة عنه ، وكأنه غاب عنها زمنا طويلا . وملأ ابريـــق الماء ووضعه على الموقد الغازي ، ثم اشعل المدفأة الغازية . وتناهى اليه من الغرفة العليا صوت اسطوانات موسيقية وضعها الرجل العجوز فيالغرامافون. وقال لنفسه : يا الهي ، لقد بدات حفلته في وقت مبكر . ونظر الى ساعته فتبين ان الوقت لم يكن مبكرا . كان قد تناول الطعام في مطعم صغير للعمال في شارع كينتش تاون قبل مجيئه . لم يكن في الواقع تعبا . كان ذلك عـــذرا تذرع به كي لا يقابل جيرترود .

وازاح ما كان على الطاولة من الاكواب والاقداح القذرة وغطاها ببطانية جيش مطوية تناولها من السرير . فعل ذلك ليطمس ضجيج الالة الكاتبة كي لا يؤثر على الغرفة التي تحت غرفته . وطفق يكتب على الالة فورا . وعندما شرع ماء الابريق بالغليان ، اخفض الغاز ومضى يكتب . واستعمـــل

ورقا من الحجم المتوسط يحمل فى أعلاه الكلمة : « ملاحظات » . ولم تمض نصف الساعة حتى كان قد ملأى ثلاث صفحات .

وتوقف ليقرأ ما كتبه . وكانت الانفعالات تسري في جسده كمفعول الخمر . وقبل ان يبلغ نهاية الصفحات الثلاث ، سمع طرقا على البـــاب . فهتـــف : تفضـــل .

ودخلت جيرترود كوينسي وقـــالت :

ــ اسفة . هـــل قاطعتك ؟

وقـــال مجامـــلا :

ــ كلا . ابدا . تفضلي بالجلوس . ما الذي حدا بك الى المجيء ؟

وجلست على الطرف الثاني من الطاولة . كانت مرتدية معطفا من الفرو، فاتح اللون شاحبه ، كلون فراء الدب . وقد قلبت ياقته الكبيرة الى الاعلى وذكره منظرها بكارولين قليلا . وقـــالت :

ــ أردت ان اراك .

فسألهـــا مبتسما :

ــ كنت ترتابين فى وجود كارولين معي ؟

ــ كـــــلا .

ودله الامتقاع الذي ظهر على وجهها بأن حدسه لم يكن خاليا من الدقة تمامــــــا . وقـــــال :

ــ هـــل لـــك فى قـــدح شـــاي ؟

ــ نعـــم ، رجـــاء .

واخفض النار الغازية . كانت الغرفة خانقة الحرارة . ونضت عنهـــا معطفها والقت به على الفراش . كانت ترتدي تنورة صوفية زرقاء لم يرهـــا قبـــلا ، ولاحت منسجمة وقوامها الممشوق . واحاطها بذراعيه وقبلها عـــلى جبينها ، قـــائلا :

ــ ممممم . مـــا الذلك ؟

وتخلصت منه وامسكت بمعصميه .

ــ ماذا ستفعله بشأن آوستـــن ؟

ــ لست ادري ، يا عزيزتي . كان هذا سبب رغبتي فى بقائي وحيــــدا هـــذا المساء .

ــ انـــا اسفـــة . . .

ــ ساعود بعد لحظة .

وحمل ابريق الشاي والاكواب على صينية وصعد بها الى المطبخ ،وراح يغسلها فى المغسلة . ولما عاد بعد دقائق قليلة الفاها تمسك بقطعة قماش وقد

اخذت بتنظيف المكتبة من الغبـــار .
ــ اليس هناك احد ينظف غرفتك ؟
ــ المفروض فى تلك الفتاة ان تقوم بذلك مرة واحدة فى الاسبوع .
ــ تلك الفتاة التي ادخلتني اليك ؟ ليست نسيطة الحركة . هنالك من الشعر والزغب تحت السرير ما يكفي لتحسية فراش كامل .
وازاح الالة الكاتبة من الطاولة والفى بالبطانية على السرير . وقطبت وجهها لرؤية حصير البلاستيك ملطخة ببقع الشاي والبيرة .
ــ هـــل لديــك اسفنجة ؟
ــ اعتقد هناك واحدة فى المطبخ . ولكن لا ضرورة لهذه المشقة الان .
ــ لا اريد ان يتسمر نظري في هذه اللطخات . هناك فوق ؟
وخرجت من الغرفة وصعدت السلم . وصب الماء الساخن على الشاي ثم اطفأ الغاز . وعادت بعد هنيهة وبيدها قطعة من القماش المبلل ومسحت البقع من حصير البلاستيك . وتناهى اليهما خلال الباب المفتوح صـــوت جـــرس التلفـــون .
ــ اتظـــن المخابرة لــــك ؟
ــ ربما . ولكني اخبرت الفتاة ان تدعي باني خارج البيت .
ــ ولنفرض انـــه اوستن ؟
ــ لا اريد ان ارى اوستن . ليس الان .
ــ آه .
وعادت بقطعة القماش الى المطبخ . وصب سورم الشاي . ثم رجعت واغلقت الباب بأناة وجلست .
ــ لم لا تريد رؤيتـــــه ؟
ــ لان . . . لدي امور كثيرة اريد ان افكر فيها .
فقالت بهدوء :
ــ انه الرجل الذي تبحث عنه الشرطة ، اليس كذلك ؟
والتقت نظراتهما . لم يكن به ميل الى الكذب .
ــ حتى لو كان هو ، فهو لم يزل طليقا .
ــ اعلم . هذا ما ذكره الراديو الليلة .
ــ ذكـــر مـــــاذا ؟
ــ بان الشرطة قد استجوبت اثنين فى سكوتلانديارد ثم اطلقت سراحهما .
ــ مممم . صحيح ؟ امر يثير الاهتمام .
ــ هـــل هو الرجل المطلوب .

وادرك فجأة سخافة ان يخفي الامر عنها . فهز راسه بالايجاب . واطلقت زفرة عميقة ، واشاحت بوجهها عنه . وراح يرقبها مليا . وسألته اخيـــرا :

ــ الم تكن عازما على اخبـــاري ؟

ــ لم اكن اريد اثارة قلقك .

ــ مـــاذا تعتزم ان تفعل الان ؟

ــ ليس هنالك ما يمكنني فعلـــه .

ــ لم غيرت رايك حول لقائه الليلة ؟

فهز راسه وقـــال :

ــ اريـــد وقتـــا للتفكير .

ــ هـــل انـــك ... تتخلى عنه ؟

فقـــال :

ــ اسمعي ، ايتها العزيزة . اريد ان تحاولي فهم ذلك . كنت اشك منذ اكثر من اسبوع فى ان يكون اوستن هومجرم وايتشابل . ولم ادع هذا الشك يقلقني . بل بالعكس وجدت لذة بذلك . اردت ان افهمه ، لا ان ادينه . على كل حال ، فقد بدات الان فقط ان افهمه . فان التقيت به الان، يجب ان اجعله يـــدرك باني ادينه . وافضل الا افعل ذلك . افضل ان يظل يتصور باني صديقه.

ــ هل كففت عـــن صداقته ؟

ــ ليس هذه هي المسالة . كنت اعتقد صباح اليوم باني افهمه خيـــرا من رجال الشرطة . والان علمت باني كنت مخطئا .

ــ ولكن جيرارد ... انه لم يزل انسانا . انه بحاجة الى العون.انه بحاجة الى الاصدقاء . واذا كان مذنبا ، فهو بحاجة الى الاصدقاء اكثر مـــن اي وقت مضى .

وقـــال :

ــ ذهبت فى المساء لمشاهدة المراة التي قتلها . كانت فى غرفة الجثث فى مستشفى لندن لقد ادركت امورا لم اكن ادركها قبـــلا .

ــ ومـــا هـــي ؟

ومـــال الى الامام فوق المنضدة وهو يتكلم بروية تامة :

ــ اكتشفت شيئا لم اكن ادركه فى اوستن . انه انسان مجنون .

وامتقع وجهها .

ــ انه ليس بمجنون . انا واثقة من انه ليس بمجنون ...

ــ انا لا اعني بانه فاقد العقل تماما، كهذا الذي يسكن فى الطـــابق

العلوي . ولكن فى دماغه ركنا متعفنا كالتفاحة المتعفنة . اتعلمين لم يقترف جرائم القتل ؟ لانه يعلم بانه يعاني مرضا قاتلا . مثله مثل الرجل المصاب بالشلل الذي يحتاج الى المحفزات اكثر فاكثر كلما توغل الشلل فيه . انه لم يعد يكترث لشيء .

وعندما كان يتحدث ، كان وجهها لا ينم عن التصديق فى باديء الامر ، ثم تحول التعبير الى مسحة من اليأس .

ـ ولكن ارجوك،يا جيرارد.الا تفهم؟ان كان هذا صحيحا فعلينا انءنبقى الى جانبه . انه بحاجة الى العون اكثرمن ذي قبل .

ـ ومـاذا عن كتابك المقدس ؟ « سوف لن تقتل » ؟

ـ ولكن العهد الجديد يتحدث عن الحب، لاالعقاب. يكفيه عقاب القانون.

ـ ماذا يحملك على التفكير فى ان القانون سيعاقبه ؟ انه يعرف بان ليس للشرطة اي دليل ضده . انهم لن يعثروا على لطخات الدم على حذائه ، او اي شيء من هذا القبيل . انه فرح لان الشرطة اخذت تتعقبه . انه يحب الوقوف امامهم وجها لوجه . هذا محفز اخر بالنسبة له . وهو يعلم ان الشرطة لا تملك دليلا واحدا ضده ما لم تقبض عليه متلبسا بالفعل . الا ان هنالك شيئا واحدا يقلقني ...

ـ مـا هو ؟

ـ كان غير آبه الى حد الغباء فى نهاية الاسبوع الماضي . وقد اتصل بي من سويسرا تلفونيا ليطلب مني ان اذهب الى شقته فى كينسنفتن لآخذ بعض الملابس النسائية . يلوح هذا الفعل دافعا لا واعيا يدفعه الى تعريض نفسه للقبض ...

ـ لمن كانت هذه الملابس ؟

ـ لست ادري . ذكر رجال الشرطة اسم بغي شوهدت تتحرش به خارج نادي البلالايكا . من يدرينا لعلها مدفونة تحت ارضية شقته في كينسنفتن .

وانحسر الدم عن وجهها تماما ، وظن انها ستغيب عن وعيها . وقال :

ـ خذي حذرك ، يا عزيزتي . هل انت على ما يرام ؟

وهزت رأسها هزة قصيرة ، وانتقلت من الكرسي الى السرير . وجلست على حافته مستندة الى الجدار .

ـ هـل انت جاد ... ؟

ـ كلا . كلا . فى الواقع . لااعتقد جادا انه قتل المراة . انه اكثر حذرا من ان يقوم بذلك .

ــ ولكن لمن كانت هـــذه الملابس ؟

ــ من المحتمل ان تكون هذه ملابس مستعملة اشتراها من احــد الدكاكين لغرض ما .كان يريد ان يوليني‌تفته . ولو كنت ذهبت الى الشرطة ، لما كان يهمه ذلك فى شيء ــ ربما كان سيذهب برجال الشرطة الى الحانوت الذي ابتاع الملابس منه واختلق عذرا بانه لا يريد احد اصدقائه من الصبيان ان يعثر عليها في شقته . ولكنه كان يريد الكتمان حول هذه المسألة الى حد سخيف . ولم يكن مضطرا للسفر الى سويسرا . وكان يشك فى احتمـال كوني متعاطفا معه . كان بحاجة الى شخص يوليه صراحته . فاختارني وقد وجدني مفعما بانواع النظريات حول الثورة والمدنية الحديثة وغيــر ذلك ، فاعتقد باني سأكون خير كاتم للسر ــ على شرط الا اطلع على حقيقته اكثر ممــا ينبغي . ولسوء الحظ ، خطرت للبروفسور شتاين ، الطبيب الالماني ، فكرة اخذي لمشاهدة الجثة . وحتى فى تلك اللحظة ، فشلت خطة الدكتور معي . كانت جثة هذه المرأة منسوهة تشويها يقطع كل علاقة لها بالانسان . وكنت خرجت من المستشفى وانا لم ازل لا افهم شيئا . ولكن كانت هنالك جثة لامراة اخرى ــ ماتت حرقا . وفجأة ادركت ما يعنيه الموت عن طريــق العنف . اتعلمين ماذا يعني ؟ يعني انتفاء تاما لجميع الدوافع . يعني اننا لا نملك مستقبلا ، على حين علينا ان نؤمن بالمستقبل . والامر لا يتصل بمستقبلي فقط وانما بمستقبل الجنس البشري . واذا كان للحياة ان تنتهي علـى هذا الشكل ــ تنطفيء بنفخة واحدة ــ فكل ما يتشدق به الناس عن كرامــة الانسان ضلال وخداع . ربما تكون الضحية فى المرة القادمة انت او انــا . وادركت فجأةشيئا خطر لي مرة او مرتين ولكني لم اكن افهم كنهه قط . اذا كان العالم طيبا ، ذلك لان الحياة ، بطريقة ما ، كلها شيء واحد . وهذا ما تعنيه صحة العقل ــ كل الاشياء هي كل لا يتجزأ ، ليس الحياة فقط وانمــا الماء والاحجار . وهنا يكمن جنون اوسنن . هل ادركت ذلك : انه بحاجة الى الاخرين ولكنه لا يؤمن فى الحقيقة بانهم موجودون ؟ الحياة خالية من المعنـى بالنسبة له . انه رجل لا مستقبل له . وله القدرة على سلب حياة الاخرين لانه لا يعلق اهمية على حياته هو .

وكانت تهز راسها عندما كان يتكلم .

ــ انك مخطيء . انه لم يهبط الى هذا الدرك . كان دائما انسانــا مفسدا انانيا ، ولكنه ينطوي على طيبة كبيرة في اعماقه ...

ــ حاولي ان تفهمي ، يا عزيزتي . انه مجنون . ان احسن ما يمكـن فعله له الان هو ارساله الى مستشفى برودمور .

ــ ولكن ... ماذا ستفعل الان ؟ تخبر الشرطة ؟
ــ كلا . لا يمكنني ذلك . كان يثق بي .
ــ لــم كــان يثق بــك ؟
ــ كان يعلم باني اشعر مثل شعوره حول كثير من الاشياء . اتعلمين ، لم ادرك انذاك بانه كان معتوها . ظننته يريد التعبير عن الثورة بوجه الطريقة التي تسير عليها الحياة في العصر الحاضر . اتعلمين ... اخذ التنظيم يشمل كافة نواحي الحياة ، وكل انسان مدفوع الى الانتظام في هذه الماكنة . بيد انهم كلما ارادوا أن يسلبوا الانسان حريته ، اشتد التعبير عنها عن طريق العنف . وكلما تحدثوا عن القانون والمجتمع ازدادت نسبة الجرائم . ويترك النــاس مصائرهم يتلاعب بها السياسيون ومروجو الاعلانات الى حد معين ، غير ان التمرد يستفحل في نفوسهم شيئا فشيئا . وتظل نسب الجرائم الجنسية وجنوح الاحداث والانتحار ترتفع باطراد . لا يمكن للانسان ان يستغني عــن اللامعقول . فالانسان ، في الاخير ، ليسمخلوقا عقليا . انه في الواقع لا يبغي مدنية كاملة وفردوسا ارضيا .
فقـــالت بهدوء :
ــ وسبب ذلك الخطيئة الاولى .
ــ ربما . ولكني لا اميل الى خرافة جنة عدن . لا يريد الانسان ان يكون آدم متحررا من الخطيئة في جنة عدن ، وانما يريد ان يكون الها . امنحي الانسان فرصة اخرى ، وسيبادر الى اكل التفاحة . انه يريد ان يكون اكثرمن انسان ، ولا يهمه مطلقا ان يتمرغ في البؤس والقذارة . اذ انها على الاقـــل برهان على حريته . وهنا موطن الخطأ في موقفي تجـــاه اوستن . ظننت جرائمه من دلائل التحدي . مثل اكل التفاحة . ولكنها لم تكن كذلك . انــه يقتل لعين السبب الذي يدفع المدمن الى تناول المسكرات ــ ليس فــــي وسعه ان يتوقــف .

وكف عن الكلام ، وقد احس باجهاد غريب . لم يكن بعد قد لمس قدح الشاي . ومال الى الامام وناولها الكوب الملآن من الجانب القريب منها مـــن الطاولة ، ثم راح يحرك كوبه . كان فاترا . وشربه جرعة واحدة دون ان يخفض الكوب . وقــال :

ــ اتعلمين لم لم استطع معاونة شتاين ؟ لانه لا يختلف شرا عن اوستن، سوى انه لا يدرك ذلك . انه يريد ان يلقي القبض على اوستن لخير هـــذه المنظمة ــ خير المجتمع . ولكنه خلال الحرب ، ربما اقر القضاء على الساميين ولخير المجتمع ايضا . وهو لا يكترث لحرية الانسان مطلقا .

كان يتكلم الان لانه رآها مشدوهة . وكانت هذه محاولة لاصلاح نفسيتها ، كمحاولة لصرف اهتمام الشخص الذي اكتوت اصبعه حتى يذهب الالم . وقال:

ــ لقد تعلمت الكثير من اوستن ، يلوح انني تعلمت الكثير خلال الاسبوع المنصرم . تعلمت مثلا الا فائدة من الهروب . خذي اوليفر المسكين مثلا . حاولت ان ازوره هذا المساء فوجدته قد رحل ــ حزم امتعته ورحل. تلك هي طريقته في تحاشي الاشياء التي يكرهها .

وبدت عليها الرغبة في التمسك بموضوع غلاسب خلاصا من التفكير في اوستن .

ــ اوليفر ؟ الا تعرف اين ذهب ؟

ــ كلا . لم يترك عنوانه . ولكني التقيت بهذه الفتاة ــ كريستين ــ الفتاة التي سببت كل متاعبه . انها فتاة صغيرة حلوة ــ تبدو أكبر من سنها . لقد وعدتها بلقائها يوم السبت .

ــ لقائها ؟

ــ اجل . فكرت في ان آتي بها عندك لتناول الشاي ؟ كان تأثرها لمغادرة غلاسب ظاهرة على كل حال ، لم اردان اتركها دون الاتصال بها . اعتقد ان اوليفر احمق . انها لا تعدو ان تكون طفلة وهو يعاملها وكأنها فتاة بالغة خانته. انه نموذج للرومانتيكي ــ لا يكلف نفسه مشقة تحليل عواطفه . مثله مثل اوستن من هذه الناحية . بدلا من تحليل مشاعره ، يعمل بموجبها . ما عدا ان رد فعل غلاسب هو ايذاء نفسه . في حين ان اوستن يؤذي الاخرين .

وسألته ببطء :

ــ هل تعتقد حقا بان اوستن ... مجنون ؟

ــ اجل . انه مجنون .

ــ وهل توافقك المحكمة على ذلك ؟

ــ لست ادري . اشك في ذلك . فجنونه ليس من النوع الظاهر .

ــ ماذا تعني ؟

ــ ان جنونه اقرب الى جنون العصر . اخبرني اوستن صباح اليوم باننا نعيش في عصر القتل . انه يفهم ذلك تمام الفهم ؟ هل اخبرك ما هو اوستن ؟ مثله مثل الجرذان التي هي اول من يموت عندما ينتشر وباء الطاعون . لقد لسعه المكروب . وليست له اية مقاومة . وهو يعتقد ان المقاومة لن تنفع في شيء. ان حرية الانسان في طريقها الى الزوال، وهو يسعى الى معاونتها في هذا الطريق بقليل من القتل . هنا يكمن جنونه . الجنون هو الكف عن المقاومة . ضعي اوستن في مستشفى المجاذيب ، ولسوف تظهر

عليه علائم الجنون التام خلال اسابيع معدودات .
ـ ما الذي يحملك على هذا القول ؟
ـ لان متل ذلك متل حرمان المدمن على المخدرات من مخدراته . لانه عندما يحس بالتوتر يبدأ بالقتل . ولكنه ان وضع حيث لا يمكنه ارتكاب القتل ، يبدأ بالهيجان .
ـ وهل ... سيستمر الان ... اعني ؟
ـ اظن ذلك .
ـ اذن ... اعتقد انه يجب ان نفعل شيئا .
ـ مـــاذا ؟
ـ يجب ان ارى والديه . ينبغي ان تأتي انت ايضا . فلن يصدقا ذلك. لديهما المال ويمكنهما وضعه في مستشفى خاص .
ـ يجب ان يبت ذلك الطبيب . وينبغي ان يعرف الطبيب ..تفاصيل حالته وتاريخها . فسيذهب الى السجن .
ـ كلا . لديهم اصدقاء .
وراحت تحدق في النار . وقالت بصوت خافت :
ـ يا الهي ... ما افظع ما يجب ان تواجهه فجأة ؟
ـ لقد نجحت في مواجهة ذلك .
ـ ولكني ... لست على صلة وثيقة به . ثم انك افضيت بالنبأ ... برفـــق .
وقـــال سورم بنفاد صبـــر :
ـ يبدو ان والديه بحاجة الى صدمة .
فارتعشت :
ـ لا يستحق احد ان يصدم بهذا الشكل .
ـ اعتقد ان الامر محتوم الان . ربما ستكون الصدمة اعنف قريبا ...
وفهمت ما يعنيه حـــالا :
ـ كلا ... ليس الان ، بالتأكيد ؟
فقال سورم وقد هز كتفيه :
ـ لا اريد ان افزعك يا عزيزتي . ولكنه قادر على اتيان جريمة اخرى هذه الليلة لا لشيء الا للتباهي . لقد اصبحت القضية بالنسبة له قضية العوبة . هذا ما لم ادركه عندما تكلمت معه في الصباح . لا يمكنه ان يمنع نفسه من التحدي .
ونظرت الى ساعتها :

ـ وعليه فيجب ان نذهب فورا .
ـ كنت اعتقد ان والديه يقطنان في شروشاير ؟
ـ والده يسكن في المدينة . ساتصل به تلفونيا .
ـ هل انت بحاجة الي حقا الان ؟
ـ انا ... ربما لا . ولكني قد احتاج اليك فيما بعد . هل ستبقى في البيت ؟

ـ اجل . سانتظر هنا . ولكن كوني على حذر ، بالله عليك . لا تفعلي شيئا يجعل من كلينا شريكين في الجريمة . واذا اتصلت به تلفونيا فلا تذكري شيئا في التلفون .

وساعدها في ارتداء معطفها . كان الذهول قد تلاشى من وجهها . فقد اعاد اليها عزمها على العمل الفوري ثقتها . وفتحت حقيبتها واخرجت منها باونا .

ـ اترك اليك بعض النقود . اذا اتصلت بك تلفونيا . قد اطلب اليك القدوم بتاكسي .

ـ لا اريد النقود . لدي ما يكفي .

ـ احتفظ به الان . ربما اتصل بك خلال ساعة . سأكون في شارع الباني . واذا لم اجده . سانتظره هناك . لا تتعب نفسك بمرافقتي الى الباب .

وطبعت على انفه قبلة قصيرة وخرجت . كانت المرة الاولى التي تتقدم هي بتقبيله . وظل واقفا في مدخل الباب يصغي الى وقع خطواتها على السلم ثم انصفاق الباب الخارجي . ولسبب ما ، اراد ان يتحقق من كونه وحيدا . ثم صب له كوبا اخر من الشاي واضاف اليه بعض الماء لتخفيفه . وبالرغم من التعب ، طاف فيه احساس باليقين وبالنظام . احس كأنه بدأ ينظر في داخل نفسه ويرقب عمليات كانت غير منظورة قبلا . ولم يعد يرغب في البساطة ، كان تراكم معرفته لذاته قد قلل من اهميتها .

وبدأ جرس التلفون يرن في الطابق الاسفل . وتردد قليلا عند الباب ، ولكن عندما استمر الرنين ذهب ليرد عليه . لم يعد لتجنب اوستن اي معنى الان . واحس كأنه معلق ، ينتظر وقوع امر ما .

وهتف صوت فتاة :

ـ هل المستر سورم موجود ، رجاء ؟
ـ يتكلم .
ـ اوه ، لم يبد كأنه صوتك . كارولين تتكلم ؟
وقال بشيء من التردد :

ـ كيف حالك يا عزيزتي ؟
ـ استلمت برقيتك . متى وصلت ؟
ـ منذ عشر دقائق . ايـن انت ؟
ـ فى البيت . مـاذا حـدث ؟
ـ لا يمكن ان اخبرك فى التلفون . ساخبرك عندما اراك .
ـ متـى يكون ذلـك ؟

واحس كأنه ينزلق من منحدر ، لا يقوى على التوقف . وقال بحذر :

ـ متى يمكننا اللقاء .
ـ ليس غدا . لدي تدريب . وربما يكون لدينا تدريب اخر يـوم الاربعاء . لست واثقة . انا طليقة يوم الخميس . . .
ـ يجب . . . يجب ان اتأكد من مفكرتي .
ـ يوم الخميس يناسبني . اخبرت امي بانني ذاهبة الى حفلة ساهرة طول الليل . وقد الغيت الحفلة . وعليه فلست ملزمة بالذهاب الى البيت .

ومضت تتكلم ، وهو فى موقفه هناك، يحدق فى صندوق النقود ،متظاهرا بتصفح مفكرته ليغتنم الفرصة ويفكر . واحس فجأة بالامتعاض من نفسه وقال:

ـ اجل الخميس لا بأس . هل تأتين الى هنا ؟
ـ طيب ، يا عزيزي . حوالي السابعة ؟
ـ عظيم .

وقالت على الفور :

ـ يجب ان اغلق التلفون . امي عند البـاب .

وانقطع الصوت .

وذهب الى غرفته ، واحسى الشاي ، وهو يقف الى جوار الموقـد . واحس ببهجة غريبة تحركه ، وبقبول للتعقيد . ومضى يتفرس فى وجهه فى المرآة ، وهو يقول بصوت عال :

ـ ماذا ستفعل الان ، يا ايها النغل البليد ؟

وابتسم لنفسه مكشرا عن اسنانه ، ثم رفع انفه كما يفعل الارنب .

« انتهى الكتـاب »

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣ ٩٤٢ - بيروت - لبنان

مؤلفات كولن ولسون

●

● ضياع في سوهو

ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق

● المعقول واللامعقول في الأدب الحديث

ترجمة أنيس زكي حسن

● أصول الدافع الجنسي

ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب

● اللامنتمي

ترجمة أنيس زكي حسن

● ما بعد اللامنتمي

ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب

● القفص الزجاجي

ترجمة سامي خشبة

● طقوس في الظلام

ترجمة فاروق محمد يوسف

● سقوط الحضارة

ترجمة أنيس زكي حسن

● رحلة نحو البداية

ترجمة سامي خشبة

● الشعر والصوفية

ترجمة عمر الديراوي

● الحالم

ترجمة سامي خشبة

● إله المتاهة

ترجمة سامي خشبة

● الانسان وقواه الخفية

ترجمة سامي خشبة

● الشك

ترجمة يوسف شرورو

● خفايا الحياة

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

مؤلفات كولن ولسون

من منشورات دار الآداب

- ☐ ضياع في سوهو — ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق
- ☐ المعقول واللامعقول في الأدب الحديث — ترجمة أنيس زكي حسن
- ☐ أصول الدافع الجنسي — ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- ☐ اللامنتمي — ترجمة أنيس زكي حسن
- ☐ ما بعد اللامنتمي — ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- ☐ القفص الزجاجي — ترجمة سامي خشبة
- ☐ طقوس في الظلام — ترجمة فاروق محمد يوسف
- ☐ سقوط الحضارة — ترجمة أنيس زكي حسن
- ☐ رحلة نحو البداية — ترجمة سامي خشبة
- ☐ الشعر والصوفية — ترجمة عمر الديراوي
- ☐ الحـــالم — ترجمة سامي خشبة
- ☐ إلـــه المتاهة — ترجمة سامي خشبة
- ☐ الانسان وقواه الخفية — ترجمة سامي خشبة
- ☐ الشـــك — ترجمة يوسف شرورو
- ☐ خفايا الحياة — ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد